

مطبوعات دار المأثور

الدكتور محمد بن قاسم
الدكتور محمد بن قاسم

مكتبة البصرة والبقعة
مديرية الصحة والنشر والثقافة العامة

المصرية

الأدبية

سلسلة المصادر العربية

فتح الطبيب
حج ١٠٠٠ هـ

تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

المجلد الثاني من

حقوق الطبع محفوظة

اهداءات ٢٠٠٠

المهندس / واداميس اللقاني
الإسكندرية

مطبعة عارف دار المأثور
الدين من قوتها
الركن المبرر في بيان
مكتبة العترة والبقاة
ميرصاى الصحافة والنشر والثقة العامة
الأدبية
المصرية

سلسلة الصادر العربية

فتح الطيب
تأليف العلامة أحمد المقرئ المغربي المكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلقا عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الثامن

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَا بَعْدُ
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي عَنَدِهِ : لَوْ غُيِّرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا الْكَانَ مُتَحَسِّنًا ،
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرِكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا
مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَا النَّقْصِ عَلَى جَمَلَةِ
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبو الحسن علي
ابن موسى
ابن سعيد العنبي

وَمِنْهُمْ الشَّهِيرُ بِالْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ، الْمُحَلَّى بِجَوَاهِرِهِ
صُدُورَ الْمَهَارِقِ^(١)، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ سَعِيدٍ الْعَنْسِيُّ
مُتِمُّ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ»^(٢) قَالَ فِيهِ: وَأَنَا
أَعْتَذِرُ فِي إِيرَادِ تَرْجَمَتِي هُنَا بِمَا أَعْتَذَرَ بِهِ ابْنُ الْإِمَامِ^(٣) فِي
كِتَابِ «سِمَاطِ الْجُمَانِ» وَبِمَا أَعْتَذَرَ بِهِ الْحَجَّارِيُّ فِي كِتَابِ
«الْمُسْنَبِ»^(٤) وَأَبْنُ الْقَطَّاعِ فِي «الدَّرَةِ الْخَطِيرَةِ»^(٥) وَغَيْرُهُمْ مَنْ

(١) جمع مهرق: وهو الصحيفة يكتب فيها « لفظ مغرب » جعلها
غادة ، وجعل كتابة ابن سعيد فيها حلية وعقدا يزين صدرها
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) كتاب « المغرب في معاسن حلى المغرب » في
نحو ١٥ مجلدا ، ألفه لمحي الدين محمد بن محمد صاحب بن الجزري - وهناك
كتاب « المغرب في تاريخ المغرب » تأليف اليسع بن حزم الأندلسي ، التوفي
سنة ٥٧٥ (٣) كتاب « سميطة الجمان وسقيط المرجان » لابن الامام ، وهو
أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان الأشبيلي في المائة السادسة أيضا ، وذيل عليه أبو بحر
صفوان بن ادريس الرسي بكتاب « زاد السافر » ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة
السابعة « أحمد يوسف نجاتي » (٤) « المسهب في أخبار المغرب » لحافظ
الأندلس أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري ، صنفه سنة ٥٣٠ في ستة
أسفار « أحمد يوسف نجاتي » (٥) كتاب « الدرة الخطيرة في المختار من

الْعُلَمَاءُ . فَمِنْ نَظْمِهِ عِنْدَ مَا وَرَدَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ :
 أَصْبَحْتُ أَغْتَرِضُ الْوُجُوهَ ، وَلَا أَرَى
 مَا يَنْتَهَا وَجْهًا لِمَنْ أَذْرِيهِ
 عَوْدِي عَلَى بَدَنِي ضَلَالًا يَلْتَنِمُ
 حَتَّى كَأَنِّي مِنْ بَقَايَا النَّيِّهِ
 وَيَحُجُّ الْغَرِيبِ اتَّوَحَّشْتُ الْخَاطِئَةَ فِي عَالَمٍ لَيْسُوا لَهُ بِشَبِيهِ
 إِنْ عَادَ لِي وَطَنِي أُعْتَرِفْتُ بِحَقِّهِ
 إِنَّ التَّغْرُبَ ضَاعَ مُعْمَرِي فِيهِ
 وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ مَلِكَ إفْرِيقِيَّةَ أَبَا زَكْرِيَّا يَحْيَى
 ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ ^(١) :
 الْأَفْقُ طَلَقٌ ، وَالنَّسِيمُ رُخَاءُ
 وَالرَّوْضُ وَشَتْ بُرْدُهُ الْأَنْدَاءُ ^(٢)

شعر أهل الجزيرة « لأبي القاسم علي بن جعفر المعروف بابن التقطاع الصقلي
 المصري ، التوفي سنة ٥١٥ » « أحمد يوسف نجاشي » .

(١) كان بالأصل ابن أبي جعفر ، والمعروف أن سلطان تونس هو أبو زكريا يحيى بن
 عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر ، دخل تونس سنة ٦٢٥ وافتتح قسنطينة
 وبجاية سنة ٦٢٦ واتزعهما من بني عبد المؤمن ، ثم ملك تلمسان من يدهم
 بعد ذلك ، وبإيعاز أهل الأندلس ، وتوفي سنة ٦٤٧ فبويغ بعده ابنه وولي
 عهده المستنصر بالله ، وسيأتي التعريف به (٢) الطلق الراقص والضاحك

وَالنَّهْرُ قَدْ مَالَتْ عَلَيْهِ غُصُونُهُ
 فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْلَةٌ وَطَفَاءٌ ^(١)
 وَبَدَأَ نِشَارُ الْجُلَنَارِ بِصَفْحِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ حَيَّةٌ رَقْطَاءٌ ^(٢)
 وَالشَّمْسُ قَدْ رَقَمَتْ طِرَازًا فَوْقَهُ
 فَكَأَنَّمَا هِيَ حُلَّةٌ زَرْقَاءٌ ^(٣)
 فَأَذِرْ كُؤُوسَكَ كَيْ يَتِمَّ لَكَ الْأَمْنَى
 وَاسْمَعْ إِلَى مَا قَالَتِ الْوَرْقَاءُ
 تَدْعُوكَ: حَتَّى عَلَى الصَّبُوحِ، فَلَا تَمُ
 فَعَلَى الْمَنَامِ لَدَى الصَّبَاحِ عَفَاءٌ ^(٤)
 وَلَهُ :

كَمْ جَفَانِي أَوْرَمْتُ أَدْعُو عَلَيْهِ
 فَتَوَقَّفْتُ، ثُمَّ نَادَيْتُ قَائِلُ :
 لَا شَفَى اللَّهُ لِحَظَّةٍ مِنْ سَقَامٍ وَأَرَانِي عِذَارُهُ وَهُوَ سَائِلٌ ^(٥)

الشرق ، والرخاء الريح اللينة اللطيفة سهلة المبوب ، ووشاء زانه وزخرفته ،
 والأنداء جمع ندى « أحمد يوسف نجاشي » (١) أى كثيرة شعر المذهب
 والحاجبين مع استطاله واسترخاء (٢) الجلبار زهر الرمان ، والرقطاء المنقطة
 الظهر (٣) رقه نقشه وأعلمه، والطراز علم الثوب (٤) أصل العفاء الانمحاء
 والدروس وزوال الأثر ، يريد الذهاب والزوال (٥) فى « سائل » توزية

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَ بِهَا إِلَى مَلِكِ سَبْتَةِ الْمُؤَقِّ
أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ السَّبْتِيِّ^(١) شَافِعًا لِشَخْصٍ رَغِبَ
فِي خِدْمَتِهِ

بِالْعَدْلِ قُتِمَتْ، وَبِالسَّمَاكِ فَدِنْ، وَجُذْ
لَا فَارَقَتْكَ كِفَايَةٌ وَعَطَاءُ^(٢)
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ السَّعَادَةَ نَالَهَا
وَيُطْلَبُ مَا يَأْتِي الْقَضَاءُ شَقَاءُ
وَمِنْهَا:

وَقَدْ اسْتَطَارَ بِأَسْطَرِي نَحْوُ النَّدَى
مَنْ أَنْهَضْتُهُ لِنَحْوِكَ الْعَلِيَاءُ
طَلَبَ النِّبَاهَةَ فِي ذَرَاكَ، فَمَا لَهُ
إِلَّا لَدَيْكَ تَأْمُلُ وَرَجَاءُ^(٣)
وَهُوَ الَّذِي بَعْدَ التَّجَارِبِ أُحْمِدَتْ
أَحْوَالُهُ، وَجَرَى عَلَيْهِ ثَنَاءُ^(٤)

ظاهرة، فهو أمان من سال يسيل، أو من سال يسأل « أحمد يوسف نجاتي »
(١) في الأصل « النيشقي » وهو تصنيف ، فاني أعرف أن القائم بسبته في زمن
ابن سعيدهو أبو العباس السبتي، وسيأتي حديث عنه « أحمد يوسف نجاتي »
(٢) السباح الجود والكرم ، ودان بكنا يدين اذا جعله دينا له أى منجبا
وعادة (٣) ذراه أى كنفه وحماه وظله (٤) أحمدت أى وجدت محمودا

لَا يَقْرَبُ الدَّنَسَ الْمُزِيْبَ، كَوَاصِلٍ
هَجَرَتْهُ خَوْقًا أَنْ يُشَانَ الرَّاءُ (١)
قَدْ مَارَسَ الْحَرْبَ الزَّبُونِ زَمَانَهُ
وَجَرَتْ عَلَيْهِ شِدَّةٌ وَرَخَاءُ (٢)
وَعَلَّاكَ تَقْضِي أَنْ يَسُودَ بِأَفْقِيهَا
لَا غَرَوْ أَنْ يُعْلَى الشَّهَابَ بِهَاءِ
وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيْدَةٍ :

أَلِفَ التَّغْرِبِ وَالتَّوَحُّشِ مِثْلَ مَا
أَلِفَ التَّوَحُّشِ وَالتَّنْفُورِ ظِبَاءِ
حُجَابُهُ أَلِفُوا التَّجَهَّمَ وَالْجَفَاءَ فَهُمْ لِكُلِّ أَخِي هُدًى أَغْدَاءُ (٣)
مَهْمَا يَرْمُ طَلَبٌ إِلَيْهِ تَقَرُّبًا بَعُدَتْ بِذَلِكَ الْبَدْرِ عَنْهُ سَمَاءُ
لَكِنِّي مَا زِلْتُ أَخْذَعُ حَاجِبًا
وَمُرَاقِبًا حَتَّى الْآنَ حِبَاءُ (٤)

(١) واصل بن عطاء المعتزلى، التوفى سنة ١٣١ وكان ألغى بالراء لا يستطيع نطقها كما هو معروف، فكان يعادل عنها في كلامه لقوة بلاغته - شبه بعد الشفوع له عن الدنس والرية يعد واصل عن حرف الراء ، وتقدم ذكر واصل وما قيل في إبتعاده عن حرف الراء ، وتصرف الشعراء في هذا المعنى « أحمد يوسف نجاشى » (٢) الحرب الزبون أى الذى تزين الناس أى تدفعهم وتصددهم ، أو الذى يدفع بعض الناس فيها بعضا لشدهما وكثرة (٣) التجهم إستقبال المرء وجهه غابس كره (٤) الحباء : الصلوة والعتاء

وَالْأَرْضُ لَمْ تَطْهَرْ مُجْجَبَ نَبْتِهَا
 حَتَّى جَبَّهَا الدِّيمَةُ الْوُطْفَاءُ (١)
 قِيلَ - وَهَذَا مَعْنَى لَمْ يُسْمَعْ مِنْ غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ فِي
 خُسُوفِ الْبَدْرِ:
 شَانَ الْخُسُوفِ الْبَدْرَ بَعْدَ جَمَالِهِ
 فَكَأَنَّهُ مَاءٌ عَلَيْهِ غُشَاءٌ (٢)
 أَوْ مِثْلُ مِرْآةٍ لِيُخَوِّدَ قَدْ قَضَتْ
 نَظْرًا بِهَا ، فَعَلَا الْجَلَاءُ غِشَاءً (٣)
 وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةِ عِتَابٍ يَقُولُ فِيهَا :
 وَلَقَدْ كَسَبْتُ بِكُمْ عُلا ، لَكِنَّهَا
 صَارَتْ بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ هَبَاءً (٤)

(١) الدِّيمَةُ السَّحَابَةُ يَدُومُ مَطَرُهَا طَوِيلًا ، وَالْوُطْفَاءُ الدِّيمَةُ السَّحَابَةُ إِذَا تَدَلَّتْ ذِيُولُهَا وَاسْتَرَحَّتْ جَوَانِبُهَا لِكَثْرَةِ مَائِهَا ، مِنَ الْوُطْفِ : وَهُوَ كَثْرَةُ شَعْرِ الْحَاجِبِينَ وَالْعَيْنِينَ وَالْأَشْفَارَ مَعَ اسْتِرْحَاءِ وَطُولِ (٢) الْغُشَاءُ مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنَ الزَّبَدِ وَالْوَسْخِ وَالْقَذَرِ ، وَهَذَا الْبَالَى مِنَ وَرَقِ الشَّجَرِ الَّذِي إِذَا خَرَجَ السَّيْلُ رَأَيْتَهُ مُخَالِطًا زَبَدَهُ (٣) الْخُودُ الْفَتَاةُ الْحَسَنَةُ الْخَلْقِ الشَّابَّةُ وَالْجَارِيَةُ النَّاعِمَةُ (٤) الْهَبَاءُ التُّرَابُ الَّذِي تَطِيرُهُ الرِّيحُ فَتَرَاهُ عَلَى وَجْهِ النَّاسِ وَأَبْدَانِهِمْ وَيُثَابِهِمْ يَلْزِقُ لَزُوقًا ، وَغَبَارٌ شَبَّ الدِّخَانِ سَاطِعٌ فِي الْمَوْءِ يَرْتَفِعُ فِي الْجَوِّ ، وَدَقَاقُ التُّرَابِ وَمَشْوَرُهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ - وَيَضْرِبُ بِهِ التَّلُّلُ فِي

فَقَدَوْتُ مَا بَيْنَ الصَّجَابَةِ أَخْرَبًا
 كُلُّهُ يُحَاذِرُ مِنِّي الْأَعْدَاءُ ^(١)
 وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ النُّجُومَ تَقِلُّ لِي
 حُجُبًا، وَأَصْغُرُ أَنَّ أَحُلَّ سَمَاءِ
 فَلْيَهْتَجِرُوا هَجَرَ الْفَطِيمِ لِدَرِّهِ
 وَيُسَاعِدُوا الزَّمَنَ الْخُلُونِ جَفَاءَ
 فَلَقَدْ شَكَوْتُ لَهُمْ إِحَالَةَ وَدَّهِمْ
 إِنْ لَمْ أَكُنْ أَرْضَى بِهِمْ خُدَمَاءَ
 إِلَيْهِ، فَذِكْرُهُمْ أَقْلٌ، وَإِنَّمَا أُوْبِي إِلَيْكَ فَتَقَهُمُ الْإِيْمَاءُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ قَيْدُ لَمَّا فَتَكْتُ ظُبًا
 أَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ أَعْدَاءَ ^(٢)
 وَلَوْ أَنِّي أَرْجُو أَرْتَجَاعَكَ لَمْ أَطْلُ
 شَكْوَى، وَلَمْ أَسْتَبْعِدِ الْأَغْضَاءَ
 لَكِنْ رَأَيْتُكَ لَا تَمِيلُ سَجِيَّةً نَحْوِي، وَلَا تَتَكَلَّفُ الْأَضْبَاعَ

ضياع العمل وذهاب أثره ، ومنه قوله تعالى « وقدمنالي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (١) من قول النابغة الديباني :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب ،

(٢) إحالة الود تغيره ، والطبا جمع ظبية حد السيف « أحمد يوسف نجاني »

إِنْ لَمْ يَكُنْ عَطْفٌ فَمُتُّوا بِالنَّوَى
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَهِنَ تَنَاءَى
وَقَوْلُهُ :

وَلَكُم سَرِينَا فِي مُتُونِ ضَوَامِرِ
تَنَنِي أَعْنَتَهَا مِنْ الْخَيْلَاءِ^(١)
مِنْ أَذْهَمِ كَاللَّيْلِ حُجَلٍ بِالضُّحَى
فَتَشَقُّ غُرَّتُهُ عَنْ ابْنِ ذُكَاةٍ^(٢)
أَوْ أَشْهَبَ يَحْكِي غَدَائِرَ أَشْيَبِ
خَلَمَتْ عَلَيْهِ الشُّهْبُ فَضِلَّ رِدَاءُ^(٣)
أَوْ أَشْقَرٍ قَدْ نَمَّقَتْهُ بِشُعْلَةٍ
كَالْمَزَجِ تَارَ بِصَفْحَةِ الصَّبَاءِ^(٤)
أَوْ أَصْفَرٍ قَدْ زَيَّنَتْهُ غُرَّةٌ حَتَّى بَدَأَ كَالشَّمْعَةِ الصَّفْرَاءِ

(١) اللتن : الظهر ، والضوامر الحيل الضامرة ، والخيلاء الزهو والاعجاب
والكبر (٢) يصف فرسا أسود محجلاً أغر ، والنجيل بياض في رجله ، والغرة
بياض في جبهته ، وابن ذكاء القمر ، وذكاء علم على الشمس « أحمد يوسف
نجاشي » (٣) الشبهة البياض يصده سواد في خلاله (٤) الأشقر من الدواب
الأحمر في مغرة حمرة صافية يجمر منها السبيب والمعرفة والناسية ، والعرب
تقول : أكرم الحيل وذوات الخير منها شقرها ، ونمقه حسنه وزينه
والصباء الحمر ، يصف فرسا أشقر فيه قليل بياض « أحمد يوسف نجاشي »

طَارَتْ، وَلَكِنْ لَا يُهَاضُ جَنَاحُهَا
 مَبَّتْ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ بِرُخَاءٍ^(١)
 وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْتَاتٍ فِي أَفْتِضَاضٍ بَكْرٍ :
 وَخَرِيدَةٍ مَا إِنْ رَأَيْتُ مِثَالَهَا حَيْثُ مِنَ الْأَلْحَاطِ بِالْإِيمَاءِ^(٢)
 فَسَأَلْتُهَا سَمِعَ الشُّكَاةَ، فَافْهَمْتُ
 أَنَّ الرَّقِيبَ جُهِينَةُ الْإِنْبَاءِ^(٣)
 وَتَبِعْتُهَا، وَسَأَلْتُ مِنْهَا قُبْلَةً فِي خَلْوَةٍ مِنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ
 فَتَلَّتْ عَلَيَّ قَوَامَهَا بِتَعَانُقٍ أَحْيَا فَوَادًا مَاتَ بِالْبَرَحَاءِ^(٤)
 وَوَجَدْتُهَا لَمَّا مَلَكَتْ عُيُنَانَهَا عَذْرَاءَ مِثْلِ الدَّرَّةِ الْعَذْرَاءِ
 جَاءَتْ إِلَيَّ كَوَرْدَةٍ مُحْمَرَّةٍ فَتَرَكَتُهَا كَمَرَارَةٍ صَفْرَاءَ^(٥)
 وَسَلَبْتُهَا مَا أَحْمَرُ مِنْهَا صَفْوَةٌ فَجَرَى مُذَابًا مُنْجَعًا لِرَجَائِي

(١) هاض جناحه أي كسره فلم يقدر على النهوض والاستقلال بالطيران. والرخاء
 الريح اللينة المهبوب السهلة. أشبه الخيل بالطير والريح، وفضلها عليهما «أحمد يوسف
 نجاشي» (٢) الخرريدة البكر لم تمس، والحياة الطويلة السكوت الخافضة الصوت
 الحفرة المتسترة قد جاوزت الأعصار ولم تعنس، والإيماء الإشارة (٣) يشير
 إلى التل: عند جهينة الحجر اليقين، ويقال للمحيط علما بجبر الشيء: هو
 جهينة خبره (٤) البرحاء الشدة والشقة، وخص بعضهم به شدة الحمى وأذاها
 (٥) العرار بهار البر، وهو نبت طيب الريح، أو هو الترجس البري، واحده
 عرارة، قال الأعشى: يبيضاء غدوتها وصفراء العشية كالعرارة «معناه أن
 المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيض بالغداة ببياض الشمس، وتصفّر
 بالعشى باصفرارها» «أحمد يوسف نجاشي»

وَقَوْلُهُ مِنْ آيَاتٍ :
 أَحْبَابَنَا عُدُّوا عَلَيْنَا عَوْدَةً
 مَا مِنْكُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ مَرْغَبُ
 كَمْ ذَا أَدَارِيكُمْ بِنَفْسِي جَاهِدًا
 وَكَأَنَّمَا أَرْضِيكُمْ كَيْ تَغَضَّبُوا
 وَأَزِيدُ بَعْدًا مَا اقْتَرَبْتُ إِلَيْكُمْ
 كَالسَّهْمِ أَبْعَدُ مَا يَرَى إِذَا يَقْرُبُ
 وَأَجُوبُ نَحْوَكُمْ الْمَنَازِلَ جَاهِدًا
 وَمَعَ أَجْتِهَادِي فَأَتَنِي مَا أَطْلُبُ^(١)
 كَالْبَدْرِ أَقْطَعُ مَنَازِلًا فِي مَنَازِلِ
 فَإِذَا أَتَيْتُ إِلَى ذُرَاكُمْ أَغْرُبُ

وَقَوْلُهُ مِنْ آيَاتٍ :
 سَأَلْتُكَ يَا مَنْ يُسْتَلَانُ فَيَضَعُبُ
 وَمَنْ يُرَضَّى بِالْحَيَاةِ فَيَمُتُّ
 أَمَا خَدُّكَ الْبَدْرُ الْمَنِيرُ؟ فَلَمْ غَدَتْ
 تَحُلُّ بِهِ - ضِدًّا الْقَضِيَّةِ - عَقْرَبُ^(١) ۱۹

(١) جاب البلاد والمنازل : قطعها منزلا منزلا (٢) العقرب منزلة من منازل

وَقَوْلُهُ وَقَدْ دَاعَبَهُ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ وَسَرَقَ سِكِّينَهُ مِنْ حِرْزِ^(١) .

أَيَا سَارِقًا مِلْكًا مَصُونًا، وَلَمْ يَجِبْ

عَلَى يَدِهِ قَطْعٌ وَفِيهِ نِصَابُ^(٢)

مِثْنَدُوبُهُ الْأَقْلَامُ عِنْدَ عِثَارِهَا

وَيَسْكِيهِ إِنْ بَعْدَ الصَّوَابِ كِتَابُ

وَقَوْلُهُ فِي تَفَاحَةٍ عَنَبٍ أُهْدِيَتْ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمُ

الْبَيْتِ أَيُّوبُ^(٣)

أَنَا لَوْ أَنَّ الشَّبَابَ وَالْخَالَ أُهْدِيَ

تُؤَمِّنُ قَدْ كَسَا الزَّمَانَ شَبَابًا

مَلِكُ الْعَالَمِينَ نَجْمُ بَنِي أَيْ يُوبٌ لَا زَالَ فِي الْمَعَالِي شِهَابًا

القمر يحلها، وهنا عكس الأمر، فقد حلت العقرب منزلة البدر، وفي «عقرب»
في البيت تورية، وثاني المعنيين الصدغ، أي الشعر المتدلى على الصدغين، ويشبه
بالعقرب في الالتواء، وفي حماية الحدآن يسه مقبل، وفي شدة تأثيرها في نفس
الماشق ونيله من فؤاده « وقد تقدم شيء مما قيل في هذا المعنى .
« أحمد يوسف نجاشي » (١) أي موضع حصين حفظت فيه السكين (٢) في
« نصاب » تورية، فأحد المعنيين يد السكين ومقبضها، والآخر نصاب
السرقعة الذي يؤخذ فيه بالحد . وقد سبق شرح هذين البيتين .
« أحمد يوسف نجاشي » (٣) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل
محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب كان ملكا عظيما وافر الحرمة، عظيم الهبة، طاهر
الذيل، خليفته بالملك توفي سنة ٦٤٧هـ . وسيأتي ذكره بعد « أحمد يوسف نجاشي »

جِئْتُ مُلَاً مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ . مِنْ شُكْرِ إِحْسَانِهِ وَالثَّوَابِ
لَسْتُ بِمَنْ لَهُ خِطَابٌ ، وَلَكِنْ
قَدْ كَفَانِي أَرْبَعُ عَرَفِي خِطَاباً ^(١)
وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعَاةٍ قَدْ قَرَّبَتْني مِنْ عَلَا الصَّاحِبِ
وَلْيَعْذُرِ الْمَوْلَى عَلَى أَنِّي قَدْ كُنْتُ مِنْ عَلَيْهِ فِي جَانِبِ
كَمْ أَنَّى نَافِلَةٌ أَوْ لَا ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِ بِالْوَاجِبِ
وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْتٍ :

فَإِنْ كُنْتُ فِي أَرْضِ التَّغْرُبِ غَارِبًا
فَسَوْفَ تَرَانِي طَالِعًا فَوْقَ غَارِبِ ^(٢)
فَصَمَّصَامُ تَهْمُرُو حِينَ فَارَقَ كَفَّهُ
رَمَوْهُ وَلَا ذَنْبَ لِعَجْزِ الْمُضَارِبِ ^(٣)

(١) الأربعة موضوع الرامحة الذكية وانتشارها، والعرف هنا الريح الطيبة (٢) غارب في صدر البيت من الغروب ضد الشروق، وفي عجزه بمعنى أعلى الشيء وقتها، أصله غارب البعير، وهو السنام أو ما يليه (٣) يشير إلى صمصامة عمرو ابن معد يكرب الزيدى، سيفه الصارم المشهور، وكان لا يجيد الضرب به سواء وفي معناه قول الطغرائي :

وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل
وإذا بنا الصمصام في يد غير أهل له فليس الذنب ذنبه، وإنما الذنب للمساعد الذي

وَمَا عِزُّهُ الضَّرَّامِ إِلَّا عَرِيْنُهُ
وَمِنْ مَكَّةٍ سَادَتْ لُوَيْئُ بْنُ غَالِبٍ
وَقَوْلُهُ فِي فَرَسٍ أَصْفَرَ أَغْرًا أَكْحَلَ الْحِلْمِيَّةِ
وَأَجْرَدَ تَبْرِيٍّ أَثَرْتُ بِهِ الْتَرِيَّ
وَالْفَجْرِ فِي خَضِرِ الظَّلَامِ وَشَاحٌ^(١)
لَهُ لَوْنٌ ذِي عِشْقٍ، وَحُسْنٌ مُعَشَّقٌ
لِذَلِكَ فِيهِ ذِلَّةٌ وَمَرَاخٌ^(٢)
عَجِبْتُ لَهُ لَوْ هُوَ الْأَصِيلُ - بِعَرَفِهِ
ظَلَامٌ ، وَبَيْنَ النَّاطِرَيْنِ صَبَاحٌ^(٣)

يضرب به - يريد ابن سعيد بالبيت وما بعده أن الغريب لا يظهر فضله ولا يعترف
بمزاياه ، وإن كان بعض الشعراء يرى غير ذلك ويقول : زامر الحى لا يطرب ،
نعم إن المرء في وطنه قد يكون أعز منه إذا اغترب « أحمد يوسف نجاشى »
(١) الأجرد الفرس القصير الشعر ، وهو علامة عتق الجياد وكرمها ، والتبرى
الذى لونه كلون التبر أى الذهب ، وجعل ضوء الفجر ونوره « فى عجز »
البيت « بمنزلة الوشاح فى خضر الليل الأسود (٢) لون العاشق الصفرة
ولون المعشوق البياض تشوبه حمرة ، وفى البيت لف ونشر مرتب ، فالذلة
راجعة الى صفرة لون العاشق ، والمراخ « أى الخفة والنشاط والعب » عائد
الى حسن المعشوق - وغرضه وصف الجواد بالنشاط مع طاعته وإتياده له
« أحمد يوسف نجاشى » .

(٣) يصف عرفه بالسواد ، وما بين عينيه وهى الفرة بالبياض
(٢ - نفح الطيب - ثامن)

يُقِيدُ طَيْرَ اللَّحْظِ وَالْوَحْشِ عِنْدَمَا
يَطِيرُ بِهِ نَحْوَ النَّجَاحِ جَنَاحُ^(١)
وَقَوْلُهُ مِنْ آيَاتٍ :
إِذَا مَا غَرَابُ الْبَيْنِ صَاحَ فَقُلْ لَهُ :
تَرَفَّقْ ، رَمَاكَ اللَّهُ يَاطِيرُ الْبَعْدِ
لَأَنْتَ عَلَى الْعُشَاقِ أَقْبَحُ مَنْظَرًا
وَأَكْرَهُ فِي الْأَبْصَارِ مِنْ ظُلْمَةِ^(٢) الْحَدِّ
تَصِيحُ بِنَوْحٍ ، ثُمَّ نَعْدُ مَا شِئَا
وَتَبَرُّزُ فِي ثَوْبٍ مِنْ الْخَزَنِ مُسْوَدٌ
مَتَى نَحْتُ^(٣) صَحَّ الْبَيْنُ ، وَانْقَطَعَ الرَّجَا
كَأَنَّكَ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ عَلَى وَعْدِ^(٤)
وَقَوْلُهُ فِي غِلَامٍ جَمِيلٍ الصُّورَةِ أَهْدَى تَفَاحَةً :
نَابَ مَا أَهْدَيْتَ عَنْ عَرٍّ فِي وَعَنْ رِيقٍ وَخَدٍّ
جَبْدًا تَفَاحَةً قَدْ أَشْبَهْتَ أَوْصَافَ مُهْدَى^(٥)

(١) يريد أنه يقيد الأبصار فلا تنظر إلا إليه معجبة بحسنه ، ويقيد الوحش بسرعته لحاقها ومنعها من الهرب لشدة سرعته ، وهو من قول امرئ القيس « قيدا لأوباد » وزاد هنا أنه قيد النواظر ، وجعله طيرا وأرجله جناحين ، مع الجناس في « نباح ، وجناح » « أحمد يوسف نجاتي » (٢) في نسخة « ظلمة » « نباح » (٣) في نسخة « لحت » (٤) وشك الفراق : قرنه وسرعته (٥) في نسخة « نهدي » « أحمد يوسف نجاتي »

بِتْ مِنْهَا فِي سُرُورٍ فَكَأَنَّ قَدْبِتْ عِنْدِي
وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

هَذَا الَّذِي يَهَبُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ يُلْفَى ^(١) وَهُوَ يَمْتَدِّرُ
إِنْ هَزَهُ الْمَدْحُ فَلَا مَوَالَ فِي بَدَدٍ
وَالْفَضْنُ مَا هُزَّ إِلَّا بُدِدَ الشَّرُّ ^(٢)

فَقُلْتُ لَمَّا بَدَأَ لِي حُسْنُ مَنْظَرِهِ
لَكِنَّهُ زَادَ إِشْرَاقًا : هُوَ الْقَمَرُ

مَتَّعَ لِحَافَكَ فِي وَجْهِهِ بِلَا ضَرَرٍ
إِنْ كَانَ كَانَ شَمْسًا يَدَاهُ تَحْتَهَا مَطَرٌ ^(٣)
وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْكَاتٍ :

لِي جِيرَةٌ صُنُّوا عَلَيَّ وَجَارُوا
فَنَبَّتْ بِي الْأَوْطَانُ وَالْأَوْطَارُ ^(٤)

(١) أو « يلقى » (٢) البدد : التفرق يريد هبتها ومنحها للمدح اذا أخذته أريحية الكرم، وفي الأصل « بدر » في صدر البيت، وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاني » (٣) في الأصل « تراها » بدل « يداه » (٤) نبت به الدار اذا لم تواقفه، ونباطه أي بعد مراده وعز نيل غرضه. وفي البيت لف ونشر غير مرتب، فنبو الأوطان عائد على الجور، ونبو الأوطار راجع الى الضن أي البخل « أحمد يوسف نجاني »

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي مَعَ جَوْرِهِمْ
مَا قَرَّ لِي بَعْدَ الْفِرَاقِ قَرَارُ
وَقَوْلُهُ :

أَنَا شَاعِرٌ أَهْوَى التَّحَلِّيَ دُونَ مَا
زَوْجٍ لِكَيْمَا تَخْلُصَ الْأَفْكَارُ
لَوْ كُنْتُ ذَا زَوْجٍ لَكُنْتُ مُنْفَصًّا
فِي كُلِّ حِينٍ رِزْقَهَا أُمْتَارُ^(١)
دَغْنِي أَرِخَ طَوْلِ التَّغَرُّبِ خَاطِرِي
حَتَّى أَغُودَ وَيَسْتَقِرَّ قَرَارُ
كَمْ قَائِلٍ : قَدْ ضَاعَ شَرِخُ شَبَابِهِ
مَا ضَيَّعَتْهُ بَطَالَةٌ وَعُقَارُ^(٢)
إِذْ لَمْ أَزَلْ فِي الْعِلْمِ أَجْهَدُ دَائِمًا
حَتَّى تَأْتَتْ هَذِهِ الْأَبْكَارُ^(٣)
مَهْمَا أُرْمَ مِنْ دُونِ زَوْجٍ لَمْ أَكُنْ
كَلًّا ، وَرِزْقِي دَائِمًا مِذْرَارُ

(١) امتار لأهله إذا طلب لهم الميرة أى القوت والرزق (٢) شرخ الشباب قوته ونشاطه ، والعقار الحجر ، وعجز البيت رد من الشاعر على القائل فى صدره « ضاع شرخ شبابه » (٣) استعار الأبكار لتتابع أفكاره وتمازق قرائحه

وَإِذَا خَرَجْتُ لِفُرْجَةٍ هُنْتُمْ هَاهُنَا
لَا ضِيْعَةَ^(١) صَاعَتْ وَلَا تَذَكَرُ

وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيْدَةٍ :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ أَضِيعَ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْ أُمْسِيَ غَرِيْبًا مُعْسِرًا
أَنَا مِثْلُ سَهْمٍ سَوْفَ يَرْجِعُ بَعْدَمَا
أَقْصَاهُ رَامِيهِ الْمُجِيْدُ لِيَخْبِرَا
وَقَوْلُهُ سَمِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَأَنِّي عَلَىٰ لَنَا بِسَيْفٍ وَالْبَيْنُ قَدْ حَانَ وَالْوَدَاعُ
فَقَالَ: شَبَّهَ فَقُلْتُ: شَمْسٌ قَدْ مُدَّ مِنْ نُورِهَا شُعَاعُ
وَقَوْلُهُ مِنْ قَصِيْدَةٍ فِي مَلِكٍ إِتْبِلِيَّةَ الْبَاجِيِّ وَقَدْ هَزَمَ
أَبْنَ هُوْدٍ^(٢) :

(١) في نسخة « صنعة » (٢) لما ضعف أمر الموحدين بالأندلس قلم بالثورة عليهم محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين بن محمد بن هود ، ثار بهجة مرسية بعد وفاة السننصر من الموحدين سنة ٦٢٠ وبابع الموحدون براكش لعمه عبد الواحد بن أمير المؤمنين يوسف ، ودب الخلاف بين أمراء الموحدين والسادة منهم ، فتصدر ابن هود للثورة - وهومن أعقاب بني هود من ملوك الطوائف - فخرج بجيش سنة ٦٢٥ هزم به جيش والي مرسية يومئذ السيد أبي العباس بن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ودخل مرسية ، وخطب

لِلَّهِ قُرْسَانٌ غَدَتُ رَأْيَهُمْ مِثْلَ الطَّيْثُورِ عَلَى عِدَاكَ تُحَلِّقُ
السَّمْرُ تَنْقُطُ مَا تُسْطَرُّ يِيْضُهُمْ
وَالنَّقْعُ يُتْرَبُ ، وَالْدَّمَاءُ تُخَلَّقُ (١)

للخليفة المستنصر العباسي ببغداد ، ثم بايع أهل شاطبة لابن هود سنة ٦٢٦
ثم بايعه أهل جزيرة شقر ، فأهل جيان وقرطبة ، وتسمى أمير المسلمين ، ثم بايعه
أهل اشبيلية ، ثم استولى على الجزيرة الخضراء وجبل الفتح فرضى المجاز الى
سبته ، ثم بعد حوادث وفاتن وثورات انتقض أهل اشبيلية وأخرجوا ابن هود
وبايعوا لأبي مروان أحمد بن محمد الباجي الذي اتفق مع ابن الأحمر محمد
ابن يوسف بن نصر - وكان قد بويع سنة ٦٢٩ ودخلت قرطبة في طاعته -
على مناوأة ابن هود ، فزحف اليهم فانهزم ، ونزل ابن الأحمر ظاهر اشبيلية
ثم غدر بالباجي فقتله ، وزحف سالم ابن حمود الى اشبيلية فامتعت عليه ،
ووصل اليه خطاب الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٢١ بالراية والخلع والهد
ولقبه المتوكل ، فبايع له ابن الأحمر ، ثم استعاد ابن هود اشبيلية . وفي أثناء هذا
الخلاف بين ثوار المسلمين بالأندلس كان الأسبانيون يتزعجون الثغور
والبلاذواحداء فاستولوا على قرطبة سنة ٦٣٣ وبايع أهل اشبيلية
سنة ٦٣٧ للرشد من بني عبد المؤمن ، ثم زحف ابن الأحمر على غرناطة
وملكها ، ثم توفي المتوكل ابن هود سنة ٦٣٥ فولى بعده ابنه أبو بكر محمد
ولقب الوائيق . وتوالت الثورات والخلاف بعد ذلك حتى نفذ أمر الله في
الأندلس . « أحمد يوسف نجاتي » (١) السمر الرماح ، والبيض السيوف
جعل ضرب السيوف كتابة ، وطعن الرماح وخزاتها نطاء ، وجعل النقع وهو
الغار الثائر تترى لهذا الكتاب « كانوا يحفون الكتب بالتراب » وجعل
الدماء خلوقا أي طيا لهذا المكتوب وزعفرانا ، في البيت مراعاة النظير
من البديع ، وان كان أخذه من قول الشاعر :

وَقَالَ أَرْتَجِلًا بِمَحْضَرِ زَكِيِّ الدِّينِ بْنِ أَبِي الإِضْبَعِ ^(١)
وَجَمَالَ الدِّينِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْجَزَارِ الْمِصْرِيِّ ^(٢) الشَّاعِرِ
وَنَجْمِ الدِّينِ بْنِ إِسْرَائِيلَ الدَّمَشْقِيِّ ^(٣) بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ وَقَدْ

وسطور خيلك انما ألفتها سمر تنقط بالدماء وتشكل
ولكن ابن سعيد قد تصرف في المعنى كما ترى . « أحمد يوسف نجاتي »
(١) زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري الشاعر الأديب
توفي سنة ٦٥٤ . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) جمال الدين أبو الحسين - وفي
الأصل « ابن أبي الحسين » زيادة « ابن » وهي زيادة فاسدة - يحيى بن
عبد العظيم الجزار المصري الأديب الفاضل، كان جزاراً ثم غنى بالشعر وتكسب
به ، وشاع ذكره في البلاد، وتناقله الرواة . ومن شعره .

طابتي بالصد من غير جرم وعما هجرها بقية رسمى
وشكوت الجوى الى ريقها العذ ب فجارت ظلما بمنع لظلم
أنا حكمتها فجارت، وشرع لا حب يقضى أنى أحكم خصمى
يا أميرا يرجى ويخشى لبأس وتوال فى يوم حرب وسلم
أنت موسى وقد تفرعن ذاللة ظ ففرقه من نذاك ييم
لى من حرفة الجزارة والآ داب قفر يكاد ينسينى اسمى

والظلم آخر البيت الثانى بفتح الظاء وهو رضاب المحبوب وريقه ، وتوفى
الجزار سنة ٦٧٩ . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) نجم الدين محمد بن سوار
ابن اسرائيل بن الحضر بن اسرائيل بن الحسن بن على بن الحسين الشيباني
الدمشقي الأديب البارع الشاعر المشهور، كان روح المشاهد، ورهانة الجامع
ظريفا مليح النظم رائق المعاني، ومن شعره فى مليح ناو له تفاحة :

لله تفاحة وافى بها سكنى فسكنت لها فى القلب يستعر
كفأرة المسك وافانى الغزال بها وغرة النجم حيانى بها القمر

مَشَى أَحَدُهُمْ عَلَى بَسَاطٍ ^(١) نَرْجِسٍ :
يَا وَاطِيَّ النَّرْجِسِ مَا تَسْتَجِي أَنْ تَطَأَ الْأَعْيُنَ بِالْأَرْجُلِ ^(٢) !
فَمَهَّقُوا ^(٣) بِهَذَا اللَّيْتِ، وَرَأَمُوا إِجَازَتَهُ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي
الإِصْبَعِ مُجِيزًا :
فَقُلْتُ: دَعْنِي لَمْ أَزَلْ مُحَرَجًا عَلَى لِحَاطِ الرِّشَاءِ لَا كَحَلٍ ^(٤)
وَكَانَ أَمْثَلُ مَا حَضَرَهُمْ، ثُمَّ أَبَوَا أَنْ يُجِيزَهُ غَيْرُهُ، فَقَالَ :
قَابِلِ جُفُونًا يَجْفُونِ، وَلَا تَبْتَذِلِ الْأَرْفَعَ بِالْأَسْفَلِ ^(٥)
وَقَوْلُهُ فِي الْجَزِيرَةِ الصَّالِحِيَّةِ ^(٦) عِمَصَر - وَهِيَ الشَّهِيرَةُ
الآن بِالرُّوَصَةِ :

أتى بها قاتلي نحوى، فبل أحد قبلى تمشى اليه العنصن والتمر؟
توفى بدمشق سنة ٦٧٧ عن ٧٤ سنة . « أحمد يوسف نجاشى » (١) فى
الأصل « بسيط » (٢) تشبيه العيون بالنرجس معروف شائع ؛
وأحسن ما فى الوجوه العيون وأشبه شئ بها النرجس
وبيت ابن سعيد مليح جيد . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) من التهافت وهو
فى الأصل تطاير الشئ لحفته ونساقطه ، والتابع على الشئ والترامى عليه
يريد أنهم أقبلوا على إجازته بسرعة، ولا كته ألسنتهم إعجابا به ، ويصح « تهاقوا »
من الهتاف بالشئ إعجابا به ورضا عنه (٤) وروى : فقال دعنى لم أزل محنقا
والحرج والحنق والمنغىض ضيق الصدر حرجا وغيظا (٥) وروى... ولا تبدل ..
يريد انظر الى النرجس ووازن بينه وبين العيون ، ولعله يريد بالأرفع
العيون التى فى أعلى الجسم وأرفعه، وبالأسفل النرجس الذى هو بساط على
سطح الأرض، بل غرضه لا تبدل النرجس الذى هو كالعيون « فهو الأرفع »
ولا تتمنه بوطئه بالرجلين « وهما الأسفل . » أحمد يوسف نجاشى .
(٦) الصالحية منسوبة الى السلطان الملك الصالح نجم الدين أبى الفتوح أيوب

ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدولة أبي المعالي محمد بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، وهو السابع من الملوك الأيووية قام بالسلطنة بعد خلع أخيه السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن الكامل في ذي القعدة سنة ٦٣٧ وهو الذي بنى قلعة الروضة، وتحول من قلعة الجبل إليها وسكنها، وكانت جزيرة الروضة ما برحت منزها ملكيا ومسكن للناس، حتى بنى الملك الصالح بها القلعة، فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة، وقلعة الجزيرة، وبقلعة الصالحية، وشرع في حفر أساسها في شعبان سنة ٧٣٨ ثم هدم ما كان هناك من الدور والقصور وغيرها، وغرس بها جميع الأشجار، وبالغ في اتقانها، وعظمت عنايته بها - قال العلامة طي بن سعيد صاحب الترجمة في كتاب المغرب وقد ذكر الروضة: هي أمام القسطنطينية فيها بينها وبين مناظر الجزيرة، وبها مقياس النيل .. ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار، منها قول أبي الفتح محمود بن قادوس الدمياطي :

أرى سرح الجزيرة من بعيد كأحداق تغازل في المغازل

كأن مجرة الجوزا أحاطت وأنبئت المنازل في المنازل

وكنيت أشق في بعض الليالي بالقسطنطينية ضحك البدر في وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون .. وقد تفرجت كثيرا في طرف هذه الجزيرة مما يلي بر القاهرة، فقطعت فيه عشيات مذهبات، لم تزل لأحزان العربية مذهبات، وإذا زاد النيل فصل ما بينها وبين القسطنطينية بالكلية، وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر القسطنطينية من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب، وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع صاحب المحسن عبي الدين بن ندا وزير الجزيرة، وصعدنا إلى جهة الصعيد، ثم انحدرنا، واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلاأل، والنيل قد انقسم عنها، فقلت - وذكر الأبيات : وتوفى الملك الصالح في شعبان سنة ٦٤٧ . « أحمد يوسف نجاتي » .

تَأْمَلْ لِحُسْنِ الصَّالِحَةِ إِذْ بَدَتْ
 مَنَاطِرُهَا مِثْلَ النُّجُومِ تَلَالَا
 وَلِلْقَلْعَةِ الْغُرَاءِ كَالْبَدْرِ طَالِعَا
 تَفَجَّرَ صَدْرُ الْمَاءِ عَنْهُ هِلَالَا
 وَوَافَى إِلَيْهَا النَّيْلُ مِنْ بَعْدِ غَايَةِ
 كَمَا زَارَ مَشْغُوفٌ يَرُومٌ وَصَالَا^(١)
 وَعَانَقَهَا مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ لِحُسْنِهَا
 فَمَدَّ يَمِينًا نَحْوَهَا وَشِمَالَا
 جَرَى قَادِمًا بِالسَّعْدِ، فَاخْتَطَّ حَوْلَهَا
 مِنْ السَّعْدِ أَعْلَامًا، فَزَادَ دَلَالَا^(٢)
 وَقَوْلُهُ مِنْ أُنْيَاتٍ فِي مَلِكٍ إِفْرِيقِيَّةٍ وَقَدْ جَهَّزَ وَلَدُهُ
 الْأَمِيرَ أَبَا يَحْيَى بَعْسُكِرٍ
 وَقَدْ أَرْسَلَتْهُ نَحْوَ الْأَعَادِي كَمَا جَرَّدَتْ مِنْ غَمْدٍ حُسَامَا
 وَقَوْلُهُ فِي قَوْسٍ:
 أَنَا مِثْلُ الْهِلَالِ فِي ظِلِّ النَّقَّةِ
 ع. سَهَابِي تَنْقُضُ مِثْلَ النُّجُومِ

(١) ويروي « من بعد غيبة » وهو أحسن . « أحمد يوسف نجاشي » .

(٢) ويروي عجز البيت : من السعد إعلاما بذلك دالا « أحمد يوسف نجاشي » .

تَقْصُرُ الْقُضْبُ وَالْقَنَا عَنْ مَجَالِي

عِنْدَ رَجِي بِهَا لِكُلِّ رَجِيمٍ

قَدْ كَسَتْهَا الطُّيُورُ لَمَّا رَأَتْهَا كَافِلَاتٍ لَهَا بِرِزْقٍ عَمِيمٍ ^(١)

وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْنَاتٍ :

وَأَشْقَرُ مِثْلِ الْبَرْقِ لَوْنًا وَسُرْعَةً

قَصَدْتُ عَلَيْهِ عَارِضَ الْجُودِ فَأَنْهَى ^(٢)

وَلَنْدَكُرُ تَرْجَمَتَهُ مِنَ الْإِحَاطَةِ مُلَخَّصَةً ، فَنَقُولُ : قَالَ

لِسَانَ الدِّينِ : عَلِيٌّ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ

أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

سَعْدِ بْنِ حَمَّارِ بْنِ يَاسِرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْحُصَيْنِ

الْعُمَيْيِّ الْمُدَلِّجِيِّ ^(٣) - مِنْ أَهْلِ قَلْعَةِ يَحْصُبَ ، غَرْطَاطِي قَلَمِي ^(٤)

مَسْكَنُ ثُوْنَسَ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَعِيدٍ ، وَهَذَا الرَّجُلُ وَسَطِي ^(٥)

(١) حسن تعليل لما في السهام للريشة من الريش (٢) يريد بعارض الجود ممدوحه ،

وراعى التناسب بين « البرق » وعارض ، انهمى » . « أحمد يوسف نجاشي »

(٣) نسبة الى « بنى مدلج » قبيلة من كنانة ، وهو مدلج بن مرة بن عبد

مناة بن كنانة ، وكان منهم القافة العارفون بتتبع الآثار « أحمد يوسف نجاشي »

(٤) نسبة الى قلعة يحضب ، وقد تقدم التعريف بها ، وكانت تسمى بقلعة

بنى سعيد ، نزلها جدهم الأعلى عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر .

« أحمد يوسف نجاشي » (٥) وسطى العند أنفاس جاته وأكرم جواهره

عَقْدَيْتِهِ، وَعَلَّمَ أَهْلَهُ، وَدُرَّةُ قَوْمِهِ الْمُصَنَّفُ الْأَدِيبُ الرَّحَّالَةُ
الطَّرْفَةُ^(١) الْأَخْبَارِيُّ، الْعَجِيبُ الشَّانِ فِي التَّجَوُّلِ فِي الْأَفْطَارِ
وَمُدَاخَلَةِ الْأَعْيَانِ، لِلتَّمَتُّعِ بِالْخَزَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ، وَتَقْيِيدِ الْفَوَائِدِ
الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيَّةِ، أَخَذَ مِنْ أَعْلَامِ إِشْبِيلِيَّةِ كَأَبِي عَلِيٍّ
الْشَّلَوِيِّينَ^(٢) وَأَبِي الْحَسَنِ الدَّبَّاجِ^(٣) وَأَبْنِ عَصْفُورٍ^(٤) وَغَيْرِهِمْ.
وَتَوَالَفَهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا «الْمُرْفِصَاتُ وَالْمُطَرِبَاتُ»^(٥) وَ«الْمُقْتَطَفُ

(١) قد تكون مصحفة عن «طريقة» بضم ففتح - وهو في الأصل الذي يسرى
حتى يطرق أهله ليلا، وهو بمعنى الرحالة . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) سبق
التعريف به، وتوفي سنة ٦٤٥ (٣) هو العلامة أبو الحسن علي بن جابر النحوي
القرطبي شيخ الأندلس، والسائد أهل عصره في العربية، ولد سنة ٥٦٦ وتوفي
بإشبيلية سنة ٦٤٦ عقب أن استولى الأفرنج عليها، فانهاله نطق الناقوس
بها وخرس الأذان، فما زال يتلف ويتأسف ويضطرب الى أن قضى نحبه
رحمه الله . « أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد
ابن علي النحوي الحضرمي الاشبيلي، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس
وكان أدبيا ظريفا له مصنفات مفيدة، توفي سنة ٦٦٩ . « أحمد يوسف نجاتي »
(٥) ويعرف أيضا باسم «المرقص والمطرب في أخبار أهل المغرب» في الأدب قال انه
رتبه على طبقات خمس: وهي المرقص، والمطرب، والمقبول، والمسموع، والمتروك
فالمرقص ما كان محتترعا أو مولدا يكاد يلحق بطبقة الاختراع لما يوجد فيه من
السير الذي يمكن أزمة القلوب من يديه ويلقى محبتها عليه، والمطرب ما نقص
فيه الغرض عن درجة الاختراع إلا أن فيه نسخة الابتداء، والمقبول ما كان
عليه تلاوة عما يكون فيه غرض، والمسموع ما عليه أكثر الشعراء،
والمتروك ما كان كلا على السمع . « أحمد يوسف نجاتي » .

مِنْ أَزَاهِرِ الطُّرْفِ «وَالطَّلَاعِ السَّعِيدِ فِي تَارِيخِ بَنِي سَعِيدٍ» تَارِيخُ
بَيْتِهِ وَبَلَدِهِ - وَالْمَوْضُوعَانِ الْغَرِيْبَانِ الْمُتَعَدَّدَا الْأَسْفَارِ ؛ وَهُمَا
« الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ » وَ « الْمَشْرِقُ فِي حُلَى الْمَشْرِقِ » وَغَيْرُ
ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَتَّصِلْ إِلَيْنَا ، فَلَقَدْ حَدَّثَنِي الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
الْحَكِيمِ ^(١) أَنَّهُ تَخَلَّفَ كِتَابًا يُسَمَّى «الْمَرْزَمَةُ» يَشْتَمِلُ عَلَى وَفَرٍ
بِعِيرٍ مِنْ رِزْمِ الْكَرَارِيسِ ، لَا يَعْلَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ الْأَدَبِيَّةِ
وَالْأَخْبَارِيَّةِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَتَعَاطَى نَظْمَ الشُّعْرِ فِي حَدِّ مِنْ
الشُّبَيْبَةِ يُعْجَبُ فِيهِ مِنْ مِثْلِهِ ، فَيَذْكُرُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ أَبِيهِ إِلَى
إِسْبَدِيلِيَّةَ ، وَفِي صُحْبَتِهِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ ^(٢) ، فَجَعَلَ سَهْلُ بْنُ
مَالِكٍ يُبَاحِثُهُ عَنْ نَظْمِهِ ، إِلَى أَنْ أَنْشَدَهُ فِي صِفَةِ نَهْرٍ - وَالنَّسِيمُ
يُرَدُّدُهُ ^(٣) وَالْغَضُّونُ تَمِيلُ عَلَيْهِ :

(١) سبق قريبا أن عرفناه ، وصححنا التحريف الذي كان بالأصل في اسمه
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) أبو الحسن سهل بن محمد بن سهل بن محمد
ابن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي الغرناطي ، كان من جلة العلماء الأدباء
والأئمة البلغاء الخطباء ، رئيسا في بلده ، جوادا محبا ، متفننا في العلوم والمعارف
نالت في الفتنة محنة ، وغرب عن غرناطة إلى مرسية ، حتى مات محمد بن يوسف
ابن هود بالمرية سنة ٦٣٥ هـ فسرّح إلى بلده ، وتوفي سنة ٦٤٠ هـ « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) كذا بالأصل ، وأحسبها مصحفة عن « يزده » أي يجعل سطح مائه
كالزرد ، وهي الدرع المسروقة وتشبيه النهر إذا مر فوقه النسيم بالزرد معروف

كَانَ النَّهْرُ صَفْحَةً كُتِبَتْ أَسْطُرُهَا، وَالنَّسِيمُ يُنْشِئُهَا
لَمَّا أَبَا نَتْ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهَا مَالَتْ عَلَيْهَا النَّصُوءُ تَقْرُؤُهَا
فَطَرِبَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . ثُمَّ نَابَ عَنْ أَبِيهِ فِي أَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ
وَمَا زَجَّ الْأُدْبَاءُ، وَدَوَّنَ كَثِيرًا مِنْ نَظْمِهِ، وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ، فَصَنَعَ
لَهُ أَدْبَاوُهَا صَنِيعًا فِي ظَاهِرِهَا ^(١) وَأَتَمَّتْ بِهِمُ الْفُرْجَةَ إِلَى
صِنُو ^(٢) نَرْجِسٍ - وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو الْحُسَيْنِ ^(٣) الْجَزَارُ - فَجَعَلَ
يَدُوسُ النَّرْجِسَ بِرِجْلِهِ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ :

يَا وَاطِيَّ النَّرْجِسِ مَا تَسْتَحِي أَنْ تَطَأَ الْأَعْيُنَ بِالْأَرْجُلِ !؟

فَمَافَتُوا بِهَذَا الْبَيْتِ وَرَأَوْا إِيَّاهُ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ :
فَقَالَ : دَعْنِي لَمْ أَزَلْ مُحَنِّقًا عَلَى لِحَاطِ الرِّشَاءِ إِلَّا كَحَلٍ
وَكَانَ أَمْثَلُ مَا حَضَرَهُمْ - ثُمَّ أَبَوْا أَنْ يُحَيِّزَهُ غَيْرُهُ، فَقَالَ :

قَابِلِ جُفُونًا يَجْفُونِ، وَلَا تَبْتَذِلِ الْأَرْقَعَ بِالْأَسْفَلِ

مأوف، وقد تقدم شيء منه، ومن أشهره :

نسج الريح على الماء زرد أي درع لقتال لو جمد

وزرد الدرع إذا سردها وأحكم نسجها كسرد «أحمد يوسف نجاشي» (١) أي

في ضواحيها وخارجها (٢) وفي نسخة «روض» (٣) في الأصل «أ. والحسن»

وهو تحريف . «أحمد يوسف نجاشي»

ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ سَيْفُ الدِّينِ بْنُ سَابِقٍ إِلَى مَجْلِسٍ بِصَفَةِ
النَّيْلِ مَبْسُوطٍ بِالْوَرْدِ ، وَقَدْ قَامَتْ حَوْلَهُ شَمَائِمَاتُ رَجِسٍ
فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

مَنْ فَضَّلَ الرَّجِسَ فَهُوَ الَّذِي يَرْضَى بِحُكْمِ الْوَرْدِ إِذْ يَرَأْسُ
أَمَّا تَرَى الْوَرْدَ غَدًا قَاعِدًا وَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ الرَّجِسُ !
وَوَافَقَ ذَلِكَ مَمَائِكَ التُّرْكِ وَقُوفًا فِي الْخِدْمَةِ عَلَى عَادَةِ
الْمَشَارِقَةِ - فَطَرِبَ الْخَاضِرُونَ . وَلَقِيَ بِمِصْرَ أُيْدَمَرُ
التُّرْكِي^(١) وَالْبَهَاءُ زُهَيْرًا^(٢) وَجَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَطْرُوحٍ^(٣)

(١) الأمير الكبير عز الدين أيدير الظاهري الذي كان نائب دمشق في دولة غنودمه،
حبس مدة ثم أطلق، وتوفي سنة ٧٠٠ عن سن عالية . « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى صاحب المنشيء أبو الفضل وأبو العلاء
الأزدى المهلبى المسكى ثم القوصى ، الكاتب الشاعر الرقيق المشهور ، ولد
سنة ٥٨١ وكتب الانشاء للملك الصالح نجم الدين ييلاد المشرق، ثم لما ولي
السلطنة بلغه أعلى المراتب، وأنفذه رسولا، ثم لما مرض بالنصورية تغير عليه
وأبعده ، لأنه كان سريع التخيل والغضب، يعاقب على ما يتوهمه، ثم اتصل بهاء
زهير بالناصر صاحب الشام ، وله فيه مدائح عذبة رقيقة سهلة سلسلة، وكان
غامروء ومكارم أخلاق، وديوان شعره مشهور متداول. وفيه السهل الممتنع
وتوفي سنة ٦٥٦ ودفن بقرب الامام الشافعى رحمه الله « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) جمال الدين الأمير صاحب أبو الحسين يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن
مطروح المصرى الشاعر ، الرقيق الرائق الديباجة، ولد بأسبوط سنة ٥٩٢

وَأَبْنُ يَنْمُورَ^(١) وَغَيْرُهُمْ ، وَرَحَلَ صُحْبَةَ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ
الْعَدِيمِ^(٢) إِلَى حَلَبَ ، فَدَخَلَ عَلَى النَّاصِرِ صَاحِبِ حَلَبَ^(٣)

ونشأ هناك ، وتقلت به الأحوال والخدم والولايات حتى اتصل بخدمة الملك
الكامل بن الملك العادل بن أيوب . وكان اذ ذاك نائبا عن أبيه بالديار المصرية
ولما اتسعت مملكة الكامل بالبلاد الشرقية سير اليها ولده الملك الصالح نائبا
عنه ، فكان ابن مطروح في خدمته ، ولم يزل يتنقل في تلك البلاد حتى وصل
الملك الصالح مالكا لها في أواخر سنة ٦٣٧ فرتبه السلطان نائبا في
الحزاة في سنة ٦٣٩ ولم يزل يقرب منه ويحظى عنده الى ان ملك الصالح
دمشق سنة ٦٤٣ فكان ابن مطروح في صورة وزير لها ، ومضى اليها
فحسنت حاله ، وارتفعت منزلته ، ثم توجه اليها الصالح سنة ٦٤٦ وجهر عسكريا
الى حمص لاستنقاذها من نواب الملك الناصر ، فعزل ابن مطروح عن ولايته
بدمشق ، وسيره مع العسكر ، ثم بلغه أن الأفرنج قد اجتمعوا في جزيرة قبرس
على عزم القصد الى الديار المصرية ، فأرسل الى الجيش المحاصر مدينة حمص
وأمرهم بالعودة لحماية مصر والمدافعة عنها ، فعاد العسكر وابن مطروح في
الخدمة والملك الصالح متغير عليه لأمر يعلم منه ، ولما توفي الملك الصالح
وصل ابن مطروح الى مصر ، وأقام بداره الى أن توفي سنة ٦٤٩ وكان
ذا أخلاق مرضية ، وديوان شعره مشهور . « أحمد يوف نجاتي » (١) جمال
الدين موسى بن يغمور الباروقي ، ولد بالصعيد سنة ٥٩٩ وكان من جلة
الأمراء ، ولى مصر ونيابة الشام ، وتوفي سنة ٦٦٣ وتقدم تعريفنا به .
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) في الأصل « ابن القيم » وهو تصنيف ،
وهو صاحب العلامة كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي
جرادة العقيلي ، ناب في سلطنة دمشق ، وتوفي بمصر سنة ٦٦٠ وقد تقدم
تعريفنا به . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) هو الناصر صلاح الدين يوسف
ابن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين ، ولد سنة ٦٢٧
وتولى السلطنة بعد أبيه سنة ٦٣٤ طفلا ، ودير المملكة سيف الدين لولو ، ثم

فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا :

جُدْلِي بِمَا لَقِيَ الْخِيَالُ مِنَ الْكَرَى

لَا بُدَّ لِلضَّيْفِ الْعَلِمِ مِنَ الْقِرَى

فَقَالَ كَمَالُ الدِّينِ : هَذَا رَجُلٌ عَارِفٌ وَرَى بِمَقْصُودِهِ مِنْ
أَوَّلِ كَلِمَةٍ - وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ - فَاسْتَجْلَسَهُ ^(١) السُّلْطَانُ
وَسَأَلَهُ عَنْ بِلَادِهِ وَمَقْصُودِهِ بِرَحْلَتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَمَعَ كِتَابًا
فِي الْخُلَى الْبِلَادِيَّةِ وَالْعُلَى الْعِبَادِيَّةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَشْرِقِ
وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمَّاهُ « الْمَشْرِقُ فِي خُلَى الْمَشْرِقِ » وَجَمَعَ مِثْلَهُ فَسَمَّاهُ
« الْمَغْرِبُ فِي خُلَى الْمَغْرِبِ » فَقَالَ : نُعِينُكَ بِمَا عِنْدَنَا مِنَ الْخَزَائِنِ
وَتُوصِّلُكَ إِلَى مَا لَيْسَ عِنْدَنَا كَخَزَائِنِ الْمَوْصِلِ وَبَغْدَادَ ،
وَتُصَنِّفُ لَنَا الْمَغْرِبَ ، فَخَدَمَ عَلَى عَادَتِهِمْ ، وَقَالَ : أَمْرُ مَوْلَايَ
بِذَلِكَ إِنْعَامٌ وَتَأْنِيسٌ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ السُّلْطَانُ مُدَاعِبًا : إِنْ
شُعْرَاءُنَا مُتْلِقُونَ بِأَسْمَاءِ الطُّيُورِ ، وَقَدْ اخْتَرْتُ لَكَ لَقَبًا يَلِيقُ
بِحُسْنِ صَوْتِكَ وَإِرَادِكَ لِلشُّعْرِ ، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِهِ ، وَإِلَّا لَمْ
يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُنَا - وَهُوَ الْبَلْبَلُ ، فَقَالَ : قَدْ رَضِيَ الْعَمَلُوكُ

شب قدر الملكة أحسن تدبير، وكان حسن الأخلاق عيبا الى الرعية ، وفي
سنة ٦٥٩ . « أحمد يوسف نجاشي » (١) في الأصل « فاستجلسه » وأراها
مصحفة وهو ظاهر . « أحمد يوسف نجاشي » .

يَاخُونُدُ^(١) قَبَسَمَ السُّلْطَانُ، وَقَالَ لَهُ أَيْضًا يُدَاعِبُهُ: اخْتَرْ
وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ؛ إِمَّا الضِّيَافَةَ الَّتِي ذَكَرْتَهَا أَوَّلَ شِعْرِكَ،
وَإِمَّا جَائِزَةَ الْقَصِيدَةِ، وَإِمَّا حَقَّ الْأَسْمِ، فَقَالَ: يَاخُونُدُ، الْمَمْلُوكُ
يَمْنٌ لَا يَخْتَنِقُ بَعْشَرُ لُغْمٍ، لِأَنَّهُ مَغْرِبِيٌّ أَكُولٌ، فَكَيْفَ
بِثَلَاثٍ؟ فَطَرِبَ السُّلْطَانُ، وَقَالَ: هَذَا مَغْرِبِيٌّ ظَرِيفٌ، ثُمَّ
أَتْبَعَهُ مِنَ الدَّنَائِيرِ وَالْخَلْعِ وَالْتَوَاقِيعِ بِالْأَرْزَاقِ مَا لَا يُوصَفُ
وَلَقِيَ بِحَضْرَتِهِ عَوْنُ الدِّينِ الْعَجَمِيِّ^(٢) - وَهُوَ بِحُزْنٍ لَا تَنْزِفُهُ
الدَّلَاءُ - وَالشَّهَابُ التُّلَعْفَرِيُّ^(٣) وَالتَّاجُ بْنُ شَقِيرٍ، وَابْنُ نُجَيْمٍ
الْمَوْصِلِيُّ، وَالشَّرَفُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَرْبَلِيِّ^(٤) وَطَائِفَةٌ مِنْ بَنِي
الصَّاحِبِ^(٥). ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَدَخَلَ الْمَوْصِلَ وَبَعْدَادَ

(١) كلمة تركية معناها « أمير ، عظيم ، كبير ، سيد » (٢) أظنه عبد الملك
ابن العجمي الحلبي، كان فاضلاً أديباً شاعراً مجيداً رقيقاً، توفي سنة ٦٧٤ وابن
العجمي أبو طالب عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن
الحلبي، درس وأفتى، وعذبه التار على المال حتى مات سنة ٦٥٨ (٣) هو
شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني الأديب الشاعر
المشهور، مدح الملوك والأمراء، وسار شعره في الآفاق، وديوان شعره معروف
توفي سنة ٦٧٥ وهو منسوب إلى « التل الأعفر » موضع بنو أحيى الموصل
« أحمد يوسف نجاتي » (٤) في نسخة: ابن « بليان » وهو الأديب شرف الدين
سليمان بن سليمان بن أبي الجيش الأربلي الشاعر المشهور، كان أحد ظرفاء
العالم، توفي بدمشق سنة ٦٨٦ عن تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتي »
(٥) يريد صاحب كال الدين ابن العديم المتقدم، ومن بنيه الصاحب قاضي

وَدَخَلَ مَجْلِسَ السُّلْطَانِ الْمُعَظَّمِ ^(١) بِدِمَشْقَ ، وَحَضَرَ مَجْلِسَ
خُلُوتِهِ . وَكَانَ أَرْحَاحُهُ إِلَى بَغْدَادَ فِي عَقِبِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ فِي رِحْلَتِهِ الْأُولَى إِلَيْهَا ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، وَدَخَلَ أَرْجَانَ ^(٢) وَحَجَّ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَقَدْ
صَنَّفَ فِي رِحْلَتِهِ مَجْمُوعًا سَمَّاهُ « بِالْفَتْحَةِ الْمَسْكِيَّةِ فِي الرِّحْلَةِ
الْمَسْكِيَّةِ » وَكَانَ تَرْوُلُهُ بِسَاحِلِ مَدِينَةِ إِقْلِيدِيَّةِ ^(٣) مِنْ إفْرِيقِيَّةِ
فِي إِحْدَى مُجَادِي سَنَةِ ائْتَنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَاتَّصَلَ

القضاء مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن، كان صدرا مهيأ، على الهمة والرغبة
أديبا، توفي سنة ٦٧٧ والصاحب جمال الدين أبو غانم. محمد انتهت إليه رئاسة
الخط المنسوب، وتوفي سنة ٦٩٤ وقد سبق تعريفنا بالصاحب كمال الدين بن
القديم وبنيه وأسرتهم «أحمد يوسف نجاشي» (١) تقدم التعريف بالملك المعظم
عيسى بن العادل سلطان الشام المتوفى سنة ٦١٤ والملك المعظم غياث الدين
توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، أدركت معرفة الأدب كما أدركت
ابن المعتز فقد كان أديبا رقيقا ذكيا، وتوفي سنة ٦٤٨ «أحمد يوسف نجاشي»
والملك المعظم أبو الفاضل صلاح الدين توران شاه ولد سنة ٥٧٧ وكان كبير البيت
الأيوبي، وكان السلطان يحمله ويتأدب معه، سلم قلعة حلب لما عجز بالأمان، وأدركه
الموت أثر ذلك، فتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٦٥٨ «أحمد يوسف نجاشي» -
(٢) مدينة مشهورة بهارس، بينها وبين شيراز نحو ستين فرسخا، وكذلك
بينها وبين سوق الأهواز، فهي متوسطة بينهما، ويقرب منها شعب بوان الزره
الذي كان يعد من جنات الدنيا، وينسب إلى أرجان القاضي أبو بكر أحمد
ابن محمد بن الحسين الأرجاني الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٤٤ «أحمد
يوسف نجاشي» (٣) إقليدية حصن منيع بإفريقية قرب قرطاجنة مطل

بِخِدْمَةِ الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَنْصِرِ ^(١) ، فَقَالَ الدَّرَجَةُ
الرَّقِيعَةَ مِنْ حُطُوتِهِ ، حَدَّثَنِي شَيْخُنَا الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
الْحَكِيمِ أَنَّ الْمُسْتَنْصِرَ جَفَّاهُ فِي آخِرِ مُمَرِّهِ وَقَدْ أَسَنَّ لِحْجَاءِ
خِدْمَةِ مَا لِيَّةٍ أَسَدَهَا إِلَيْهِ - وَقَدْ كَانَ بَلَاءٌ ^(٢) مِنْهُ قَبْلَ جَفْوَةٍ
أَعْقَبَهَا أَنْتِشَالٌ وَعِنَايَةٌ - فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِنَظْمٍ مِنْ جُمْلَتِهِ « لَا
تُرْغِنِي بِالْجَفَا ثَانِيَةً » فَرَقَّ لَهُ ، وَعَادَ إِلَى حُسْنِ النَّظَرِ فِيهِ ، إِلَى
أَنْ تُوُفِيَ تَحْتَ بَرٍّ وَعِنَايَةٍ . وَمَوْلَاهُ بَغْرَ نَاطَةِ لَيْلَةٍ الْفَطْرَسَةَ
عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ ^(٣) وَوَفَّاهُ بِتُونُسَ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتَمَانِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ . أَنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ . وَذَكَرْتُ حِكَايَةَ إِجَازَةِ بَيْتِهِ فِي

على البحر ، قلوا لما أرادوا بناءه قُبوا في الجبل ، وجعلوا يقبلون حجارته في
البحر من أعلى الجبل ، فسمى إقليبية اه ياقوت (١) هو أبو عبد الله محمد
المستنصر بالله بن الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي
حفص عمر بن يحيى الهنتاني « من فروع الموحدين بالمغرب ، وجد هؤلاء
الملوك من أصحاب المهدي في العسرة الذين هبوا لبيعته ، وصحبوه في غربته »
وبعد وفاة أبيه سنة ٦٤٧ ودخل تونس في شهر رجب من هذه السنة
فجدد بيته بها ، وهو أول من تلقب من الحفصيين بألقاب الخلافة ، وانتهى أمره
إلى أن بويح له بمكة المعظمة ، وبعث بالبيعة إليه ، وكان ملكاً سائساً على
الهمة شديداً البأس جواداً ممدحاً ، وقام بالأمر بعده ابنه أبو زكريا يحيى بن محمد
واستولى على ما كان بيد أبيه من المغرب الأوسط بيجاية وقسنطينة ، وفتح
الجزائر ، وتوفي سنة ٦٧٥ « أحمد يوسف نجاشي » (٢) تجربة واختباراً
(٣) في كثير من المراجع أن مولداً بن سعيد كان في سنة ٦١٥ « أحمد يوسف نجاشي »

الترجس - وإن تقدمت - لاتصال الكلام - قلت: قد كنت
وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الأسفار، ونقلت
منه قوله من قصيدة يهني ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن
الحسين بقدومه^(١) من حركة هواراة:

أما واجبٌ ألا يحول وجيبٌ

وقد بددت دار وحن حبيب^(٢) ١٩

وليس أليف غير ذكر وحسرة

ودمع على من لا يرق صبيب^(٣)

وخفق فواد إن هفا البرق خافقاً

وشوق كما شاء الهوى ومحجب

ولعذلي من ليس يعرف ما الهوى

وعذل مشوق في البكاء عجيب

الأتيس اللوام في الحب، قد عموا

وصموا، ودأى ليس منه طيب

(١) هو محمد بن الحسين بن سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن
سعيد، وستأتي ترجمته - وهواراة من قبائل البربر (٢) وجب القلب يجب
وجيباً: اذا خفق واضطرب (٣) صبيب بمعنى مصبوب: أى مراق وسائل جار

يَرُومُونَ أَنْ يَنْتِي الْمَلَامُ صَبَابِي
 وَلَسْتُ إِلَى دَاعِي الْمَلَامِ أُجِيبُ
 وَقَالِي إِذَا مَا غِبْتُ عَنْكُمْ مُجَدِّدُ
 وَغَيْرِي ذُو غَدْرِ أَوْ أَنْ يَغِيبُ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي الْوَفَاءُ سَحِيحَةً
 لَكُنْتُ لِعَبْرَانِ الْحُسَيْنِ أَيْنَبُ (١)
 سَمَوَلُ هَذَا الْمَصْرِ حَاتِمُ جُودِهِ
 مُهْلِكُهُ إِنْ مَارَسَتْهُ حُرُوبُ (٢)
 فَتَى سَيْرِ الْأَمْدَاحِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
 أَبُو دُلْفٍ مِنْ دُونِهِ وَخَصِيبُ (٣)

(١) أرجع وأعود في النسب (٢) السموءل بن عادياء مضرب المثل في
 الوفاء، كحاتم الطائي في الكرم ، والمهلب بن أبي صفرة من أعظم قواد بني
 أمية وأخبرهم بأساليب الحرب ، وكان من أشجع الناس ، وهو الذي حمى
 البصرة من الخوارج ، ولهمهم وقائع مشهورة ، وكان سيدا جليلا نبيلًا ، وتوفي
 سنة ٨٢ هـ « أحمد يوسف نجاشي » (٣) أبو دلف العجلي هو القاسم بن
 عيسى بن ادريس بن معقل - ينتهي نسبه الى عجل بن لجيم بن صعب بن علي
 ابن بكر بن وائل - أحد قواد المأمون والمعتصم ، وكان كريما سريًا شجاعا
 مقدما جوادا ، مدحه كثير من الشعراء مثل « العكوك » علي بن جبلة
 وبكر بن النطاح ، وأبي عبد الله أحمد بن أبي فنن صالح مولى بني هاشم
 وغيرهم ، وله وقائع مشهورة ، وصنائع مأثورة ، وتوفي سنة ٢٢٦ ينفدا

إِذَا رَقِمَ الْقِرَطَاسَ قُلْتَ ابْنُ مُقَلَّةٍ
وَأِنْ نَظَّمَ الْأَشْعَارَ قُلْتَ حَبِيبٌ ^(١)
وَأِنْ نَثَرَ الْأَسْجَاعَ قُلْتَ سَمِيئُهُ
وَأِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قُلْتَ عَرِيبٌ ^(٢)

والحبيب بن عبد الحميد كان عامل الخراج بمصر زمن هرون الرشيد وقد قصده أبو نواس ومدحه بقصائد غراء « أحمد يوسف نجاشي »
(١) رقم: وشي وشش وزين ، وابن مقلة: هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور، استوزره الإمام المقتدر بالله الخليفة العباسي سنة ٣١٦ وتقلت به الأحوال والحوادث حتى وُزر للإمام القاهرة بالله سنة ٣٢٠ وبعد حوادث وخطوب استوزره الإمام الراضي بالله سنة ٣٢٢ ولاقى حوادث وأيام شدة ورخاء حتى توفي سنة ٣٢٨ وكان مولده سنة ٢٧٢ يفغداد، وكان مضرب المثل في جودة الخط وحسنه ، أدبياً بليغاً له كل معنى بديع في النظم والنثر، ومدحه ابن الرومي وغيره. وحبيب بن أوس هو أبو تمام الطائي الشاعر المشهور، توفي سنة ٢٣١ بالموصل « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) أبو مروان عريب بن محمد بن مطرف بن عريب من أهل قرطبة كان من أهل الأدب والمعرفة، حسن الإيراد للأخبار ، وله مختصر تاريخ الطبري، واستغنى بالفتنة على كورة رية، وقتل خطأ على باب داره سنة ٤٠٩ رحمه الله، ويريد بسميه آخر صدر البيت المسمى باسمه: وهو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن العميد الكاتب التقدير المشهور وزير ركن الدولة بن بويه، توفي سنة ٣٣٦ هذا وفي الأصل تصحيفان فاسدان، وقد جعل سمي « سمية » و « عريب » في آخر البيت « غريب » هكذا بنقط جعلت كل كلمة منهما عيباً أو عوراء . « أحمد يوسف نجاشي »

وَمَا أَحْرَزَ الصُّوْلِيُّ آدَابَهُ الَّذِي
إِذَا مَا تَلَاهَا لَمْ يُجِبْهُ أَدِيبٌ ^(١)
وَمِنْهَا :

وَأَمَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَخْجَدَ نَارَهَا
فَفِيهِ تَلَطَّى مَارِجٌ وَلَهِيْبٌ ^(٢)
فَكَمْ قَارِعَ الْأَبْطَالَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
نَحَاها، وَكَمْ لُفَّتْ عَلَيْهِ حُرُوبٌ
وَكَأَنَّ لَهُ بِالْغَرْبِ مِنْ مَوْقِفٍ لَهُ
حَدِيثٌ إِذَا يُثَلَّى تَطِيرُ قُلُوبٌ
بِمِرَاكِشٍ سَلَّ عَنْهُ تَعْلَمُ غَنَاءَهُ
وَقَدْ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ هُنَاكَ عَصِيْبٌ ^(٣)

(١) الصولي هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول
تكنى الكاتب المشهور، كان أحد الأدباء الفضلاء ذوى البلاغة والنظم والنثر
نادم من خلفاء بني العباس الراضى والمكتفى والمقتدر، وله التصانيف الممتعة
المشهورة فى الأدب، وكانت له رواية متسعة وعفوفات كثيرة، توفى سنة ٣٣٥
وعم والده هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكنى الأديب الكاتب
الشاعر المحيد، أشعر نظرائه الكتاب وأدقهم لساناً، توفى سنة ٢٤٣هـ والصولى
نسبة الى جده صول، أصله تركى، وكان ملك جرجان، وأسلم على يد يزيد بن
المهلب بن أبى صفرة أيام فتحه جرجان « أحمد يوسف نجاشى » (٢) المارج
الشفعة الساطعة ذات اللهب الشديد، وتلظى النار شدة تلهبها واشتعالها (٣) الغناء

إِذَا مَا مَنَى الرَّمَحَ الطَّوِيلَ كَانَهُ
 مُدِيرٌ لِعِصْنِ الْخَيْرِزَانِ لَعُوبٌ ^(١)
 وَإِنْ جَرَّهُ أَبْصَرَتْ نَجْمًا مُجَرَّرًا
 ذُوَابَتَهُ مِنْهُ الْكُمَاةُ تَذُوبٌ ^(٢)
 يَسِيمُ بِهِ ، مَا إِنْ يَزَالُ مُعَانِقًا
 لَهُ رَاكِمَاتٍ مَا تَحُوزُ كُعُوبٌ ^(٣)
 مُحَمَّدٌ ، لَا تُبَدِّدِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرٌ
 عَلَيْهِ ، وَخَفَ عَيْنًا عَلَاكَ نُصِيبُ

الكفاية والنفع ، وفي الأصل « غناء » مصحفة ، وعصيب : أى شديد يعصب فيه الريق : أى يحف (١) يقول انه لفرط شجاعته يستهين بالحرب حتى كأن طعنه بالرمح لعب بعصا خيرزان في يده . « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) أرلد بالنجم سن الرمح وبذؤابته قناته ، والكماة : الشجعان ، جمع كمي (٣) وعجز البيت في نسخة هكذا : له را كما فيما تحوز كعوب ، وأحسبه يريد أن يقول ان قنات الرمح وأنايبه تركع للدوح ، شبه انحناء الرمح وثنيته وميله اذا ثقله ابن عمه ركوعه خضوعامنه واجلالا له . والكعوب جمع كعب ، وهو عقدة ما بين الأنوبيين من القنات والقصب ، أو هو أنبوب بين كل عقدتين ، ويقال : قنات لينة الكعوب . وكل شيء علا وارتفع فهو كعب . وقد تكون « تحوز » مصحفة عن « تحوز » أى ترجع أى أنها لا تنفك عن ركوعها مع علوها ورفعتها ، ولعل هذا كناية عن دوام استعمال الرمح والطعن به وتوجيهه صوب الأعداء ، فجعل هذا ركوعه ولا يخفى ما في البيت من القلق والتكلف والتصف . « أحمد يوسف نجاشي »

فَوُذِّسَ هَامُ الْعَيْنِ أَوْ ذِي مُصْعَبٍ وَطَاحَ بِهِ بَعْدَ الشُّبُوبِ شَيْبٌ^(١)

(١) مصعب بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير بن العوام وعضده الأيمن، ولده أخوه عبد الله المدينة سنة ٦٥ وفي سنة ٦٧ ولده البصرة، ثم سار مصعب إلى المختار بن أبي عبيد الله فقتله، وكان مصعب أميراً على العراق من قبل أخيه سنة ٦٨ وفي سنة ٧١ سار عبد الملك بن مروان إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير، فكانت بينها وقائع مشهورة أبلت فيها مصعب بلاء حسناً حتى قتل مشحناً بالجراح رحمه الله، وقد أسلمه أهل العراق، وخذله أهل الكوفة، وابعوه بأجنس ثمن، وهو فارس مفوار، وبطل نجد، وشجاع مجرب، وفيه يقول الفرزدق من أبيات :
فما ظنكم بأبن الحواري مصعب إذا افترعن أنيابه غير ضاحك !؟

وكان أبوه الزبير أشجع قريش ، وقتل مع مصعب ابنه عيسى بن مصعب .
ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام كان فقيهاً محدثاً توفي سنة ١٥٧ - وخفيده مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت أبو عبد الله المدني روى الموطأ عن مالك وكان محدثاً ثقة توفي سنة ٢٣٣ - أما شيب بن يزيد فهو أمير الخوارج ومن فرسانهم المشهورين ، وكانوا قد بايعوه ولقبوه أمير المؤمنين ، ودخل الكوفة سنة ٧٦ ومعه زوجة غزاة ، وكانت ذات شجاعة وجراة، وكانت بينه وبين الحجاج حروب ظهرت فيها شجاعة الخوارج وشدة أميرهم شيب وقوة بأسه ، وبعث له الحجاج عتاب بن ورقاء الرياحي فلقبه شيب بسواد الكوفة فقتله وهزم جيشه، فجز له الحرث بن معاوية التقي، فقتله شيب أيضاً، وكذا قتل من وجه الحجاج إليه بعدهما، ففرق الحجاج وسار بنفسه، فاقتنوا، أشد قتال، وتكاثروا على شيب فانهزم، وقتلت زوجته غزاة بعد أن قاتلت قتالا عجز عنه فحول الشجعان، ونجا شيب بنفسه متقلداً من مكان إلى آخر، ثم عبر على نهر دجيل ، فقطع به الجسر ففرق وعليه الحدب الثقيل في سنة ٧٧ أو سنة ٧٨ - وأراد بالشبوب شهرة الذكر وارتفاع

أَلَا فَهَيْثَا أَنْ رَجَعْتَ لِتُونُسٍ
فَاطْلَعْتَ شَمْسًا وَالسَّفَارُ غُرُوبٌ^(١)
كَوَاكِهَهَا تَبْدُو إِذَا مَا تَرَكْتَهَا
وَقَدْ جَعَلْتَ مَهْمَا حَضَرْتَ تَغِيبُ^(٢)
إِذَا سُدْتَ فِي أَرْضٍ فَغَيْرُكَ تَابِعُ
عَلَاكَ، وَمَهْمَا سَادَ فَهُوَ مُرِيبُ^(٣)

وَمِنْهَا :

كَفَانِي أُنِّي أَسْتَظِلُّ بِظِلِّكُمْ
وَمَنْ هَابَ ذَاكَ الْمَجْدَ فَهُوَ مَهِيبُ
فَأَصْلُكَ أَصْلِي، وَالْفُرُوعُ تَبَايَنَتْ
بِعَيْدٍ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَقَرِيبُ

القدر، من شبت النار إذا انقادت وارتفع لها، ويقال: شبت نار فلان: إذا سار ذكره، وارتفع قدره، وعلا أمره - وطاح به أى هلك «أحمد يوسف نجاشي»
(١) السفار بمعنى السفر، وهو مصدر سافر، يريد أن بعده عن تونس غروب لشمسها، ووجوده فيها طلع لتلك الشمس، وفي الأصل وغيره «السفار» وهو تصحيف لامعنى له. «أحمد يوسف نجاشي» (٢) يكنى عن اشتداد الأمر وعظم الخطب، أو يريد معنى قول النابغة الذبياني للهمان بن المنذر: فانك شمس، والمباوك كواكب إذا طلعت لم يد منها كوكب
(٣) أراب: إذا كان موضعا للرب أى التهمة والظن والشك، يعنى أن غيره ليس أهلا للسيادة، وفي بعض المراجع «غريب» بدل «مریب» .

وَحَسْبِي فَخْرًا أَنْ أَقُولَ مُحَمَّدٌ
 نَسِيبُ عَلَى جَلٍّ مِنْهُ نَصِيبُ
 تَرَكْتُ جَمِيعَ الْأَقْرَبِينَ لِقَصْدِهِ
 عَلَى حِينٍ حَانَتْ فِتْنَةٌ وَخُطُوبُ
 رَأَيْتُ بِهِ جَنَاتِ عَدْنٍ، فَلَمْ أَبْلُ
 إِذَا أَوْصَلْتَنَا لِلْخُلُودِ شَعُوبُ (١)
 قَبَّلْتُ كَفًّا لَا أَغَابُ بِلِشْمِهَا
 وَأَيْدِي الْأَيْدَى لَشْمُهُنَّ وَجُوبُ (٢)
 وَكَيْفَ أَوْلَيْتُ الرُّأْسُ كَالرَّجُلِ؟ أَفَرَّقَتْ
 شِيَاتُ لَعَمْرِي يَبْنَا وَضُرُوبُ (٣)

(١) لم أبل : أصله « لم أبال » أجرى مجرى الأجوف « نحو لم أقم » تنزيلا لأنف فاعل الزائدة في بالي منزلة ألف أقام الأصلية فحذفت وجزم بسكون اللام - وذلك عمل سائع سائع بكثرة في هذه الكلمة « لم أبل » وشعوب علم على اللنية أى الموت « أحمد يوسف نجاشي » (٢) يريد بالأيدى العطايا والنعم واللز، كما تستعمل اليد مجازا أيضا بمعنى القدرة والقوة « أحمد يوسف نجاشي » (٣) شيات : جمع شية، وأصله فرند السيف ونقشه الذى في منته ، من وشى الثوب يشيه وشيا وشية اذا نمنه ونقشه وحسنه ، وشية الفرس : لون فيه يخالف معظم لونه ، وأظنه يريد ههنا الشيات الشعرات البيض - كما يدل البيت السابق المعروف منه أن ابن سعيد الشاعر شاب ، وابن عمه الرئيس المدوح كبير جلله المشيب - ومن المجاز وشى فيه

وَلَوْ كَانَ قَدْرِي مِثْلَ قَدْرِكَ فِي الْعَمَلِ
لَحَقَّ بِأَنْ يَمْلَأُوا الشَّبَابَ مَشِيبُ
وَلَوْ لَا الَّذِي أَسْمِعْتَ مِنْ مَكْرِ حَاسِدٍ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ وَهُوَ فِيهِ كَذُوبُ
لَمَا كُنْتُ مُحْتَاجًا لِقَوْلِي آفَقًا :
تَحَلَّيْتُ مِنْ ذَنْبٍ وَجِئْتُ أَثُوبُ
إِذَا كُنْتُ ذَا طَوْعٍ وَشُكْرِ وَغَبْطَةٍ
فَمِنْ أَيْنَ لِي يَا بْنَ الْكِرَامِ ذُئُوبُ ؟
لَقَدْ كُنْتُ مُعْتَادًا بِبَشَرٍ ، فَمَا الَّذِي
تَقْلُدُهُ حَتَّى يَزَالَ قُطُوبُ ؟^(١)

الشيب أى ظهر فيه كالشبة ، وقد يراد بالشيات والضروب للزاياء والفضائل
والمناقب التى مازت ابن عمه وفضله ، فكأنها شيات حسية وحلى ظاهرة
والضروب : الأنواع والصفات المختلفة - وفى بعض النسخ « شتات » ولعله
جمع شتيت « كطويل وطوال وظريف وظراف » فيكون الغرض أن
ابن عمه قد فضله ما تشرقى ، وضروب من الفضائل والمزايا متنوعة
« أحمد يوسف نجاشى » (١) فى بعض المراجع : لقد كنت تلقانى الخ ، ولعل
« يزال » مصحفة عن « يدال » أى أن القطوب كانت له الدولة بعد
البشر ، فبدل ابن سعيد قطوبا وعبوسا بعد بشر وايناس ، وهو من قول
الشاعر :

وكننت اذا ماجئت قربت مجلسى ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت راضيا الى بها فى سالف الدهر تنظر ؟

أَلَا رَفَعَ السُّلْطَانُ سَعْيِي بِقُرْبِكُمْ
 أَحْلًا عَنْ وَرْدِ لَكُمْ وَأَخِيبُ^(١) ؟
 فَأَحْسِبُ ذَنْبِي ذَنْبَ صُخْرٍ بَدَارَهَا
 إِلَى الْبَرِّ عِنْدَ الْخَائِرِينَ مَعِيبُ^(٢) ؟
 وَحَاشَاكَ مِنْ جَوْرِ عَلِيٍّ ، وَإِنَّمَا
 أَخَاطِبُ مَنْ أَصْفُو لَهُ فَيَشُوبُ^(٣)

وتقلد الذنب: جناء، وأدبل فلان من فلان: إذا كانت له الغلبة والدولة عليه
 «أحمد يوسف نجاشي» (١) حلاه عن الماء والورد: إذا منعه وطرده وذاده
 عنه ودفعه، وفي الأصل «أأخلا» وهو تصحيف وفساد على فساد قل
 أن تخلو صفحة منه «أحمد يوسف نجاشي» (٢) صخر: اسم لأخت لقمان بن
 عاد، عوقبت على الاحسان، فضرب بها للمثل، قليل: مالى ذنب الا ذنب صخر،
 ويقال ان لقمان خرج هو وابنه لقيم في اغارة، فأصابا ابلا، فسبق لقيم فأتى منزله
 فنحرت أخته صخر جزورا من غنيمته، وصنعت منه طعاما تتحف به أباهما
 وتكرمه اذا قدم، فلما قدم لقمان قدمت له الطعام - وكان يحسد لقيما - فلطمها
 ولم يكن لها ذنب، فضرب بها للمثل فيمن يعاقب على بره واحسانه. هذا وفي
 الأصل «صخر» بدل «صخر» بنقط الحاء، فصارت خاء معجمة أغلق بها
 المعنى - وكم كان في هذه القصيدة من تصحيف مفسد وتحريف مشوه
 نبهنا الى بعضه كما ترى - ومن هذا المعنى قول البحري :

إذا عاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي قفلى كيف أعتذر ؟
 هذا هو الشعر المطبوع ، لا النظم المتكلف والطريق المتعسف «أحمد
 يوسف نجاشي» (٣) أى يشوب صفو الوداد والرضا بكدر السخط والغضب
 وأظنه يعرض في هذا البيت لبعض أصحابه الذين كانوا سببا في تنفير ابن عمه

صِحَابُ هُمُ الدَّاءُ الدِّينُ، فَلَيْتَنِي
 وَلَمْ أَدْنُ مِنْهُمْ - لِلذَّنَابِ صَحُوبٌ ^(١)
 كَلَامُهُمْ شَهْدٌ، وَلَكِنَّ فَعْلَهُمْ
 كَسَمَّ لَهُ يَنْ الضُّلُوعِ دَيْبُ
 سَارَحَلُ عَنْهُمْ وَالتَّجَارِبُ لَمْ تَدَعِ
 يَقْلِي لَهُمْ شَيْئًا عَلَيْهِ أُثِيبُ ^(٢)
 إِذَا أُغْتَرِبَ الْإِنْسَانُ عَمَّنْ يَسُوهُ
 فَمَا هُوَ فِي الْإِبْعَادِ عَنْهُ غَرِيبُ
 فَدَارِكُ رِبَابٍ مِنْكَ مَا قَدْ خَرَقْتَهُ
 لِيَحْضُنَ مِنِّي مَشْهَدٌ وَمَغِيبُ ^(٣)

وفساد نيته، فهو يخلص لهم الود، وهم يشوبون صفوه بكدر السعاية والوشاية
 «أحمد يوسف نجاتي» (١) يفضل صحبة الذناب على بعض الأصحاب، وفي
 معناه قول أبي فراس الحمداني :

بمن يثق الانسان فيما ينوبه ؟ ومن أين للحر الكريم صحاب ؟
 وقد صار هذا الناس الاقلهم ذنابا على أجسادهن ثياب ؟
 وقال آخر :

ليت السباع لنا كانت مجاورة وليتنا لانرى فيعن نرى أحدا
 ان السباع تهذا في أما كنا والناس ليس بهادرهم أبدا
 ويشكو ابن سعيد من أصحابه الذين هم كالداء الدين، فهم الذين وشوا
 به الى ابن عمه، ودبت اليه عقاربهم من حيث لا يشعر «أحمد يوسف نجاتي»
 (٢) أكفى وأجازى خيرا (٣) رأب الصدع والأناة: أصلحه وشعبه، ورأب.

وَلَا تَسْمِعْ قَوْلَ الْوَشَاةِ ، فَإِنَّمَا
 عُدُوهُمْ يَبِينُ الْآثَامَ نَجِيبُ
 فَيَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ مُتَأَدِّبًا
 وَلَمْ يَكُنْ لِي أَصْلٌ هُنَاكَ رَسُوبُ (١)
 وَكُنْتُ كَبْعَضِ الْجَاهِلِينَ مُحِبًّا
 فَهَذَا أَنَا لِلَّهِمَّ الْغَلِيظِ حَبِيبُ (٢)
 وَمَا إِنِّ ضَرَبْتُ الدَّهْرَ زَيْدًا يَبْعُرُهُ
 وَلَمْ يَكُنْ لِي يَبِينُ الْكِرَامِ ضَرِيبُ (٣)
 أَأَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ ؟ فَمَا عَدَتُ
 عُدَاتِي حَتَّى حَانَ مِنْكَ وَثُوبُ
 سَأَشْكُرُ مَا وَلَّى ، وَأَصْبِرُ لِلَّذِي
 تَوَالَى ، عَلَى أَنَّ الْعَزَاءَ سَلِيبُ (٤)

ما يبينهم : أصلح ، والمشهد : الحضور ، ضد الغيبة (١) أي ثابت راسخ (٢) ويروى
 وكنت لبعض الجاهلين محباً فهذا أنا اللهم الغليظ حبيب
 بمعنى لو كان تابعا لبعض الجهلاء ، وجنب الفرس والأسير : قاده الى جنبه ، فهو
 جنب ومجنوب ومحجب (٣) مثل وشبيه ونظير ، وصدر البيت تبرئة لنفسه عن
 الغيبة والنجمة ، وتنزيهها عن الوشاية والسعاية (٤) مسلوب مفقود ، والعزاء :
 الصبر ، يريد أنه يشكر الأيادي الماضية ويصبر لما توالى بعدها من حوادث
 السخط ان قدر على الصبر ، ولكنه عيل صبره ، وخانه عزأؤه ، لمصائب يعز
 الصبر عليها ، ولا يلام الحر في الجزع منها ، وفي الأصل « أولى » بدل « ولى »
 وهو بمعنى ما تقدم . « أحمد يوسف نجاشي »

فَدُمَ فِي سُرُورٍ مَا بَقِيَتْ ، فَإِنِّي
وَحَقَّقْتُ مُذْ دَبَّ الْوُشَاةُ كَثِيبُ
قَالَ وَكَانَ سَبَبَ التَّغْيِيرِ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّي الرَّئِيسِ
الْمَذْكُورِ أَنَّ مَلِكَ إِفْرِيقِيَّةَ^(١) اسْتَوَزَرَ لِأَشْغَالِ الْمُوَحِّدِينَ

(١) يريد الأمير أبا زكريا يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاني الحفصي، وهو الذي استبد على بني عبد المؤمن بن علي، ودانت له عواصم ملكهم وقرارة عزهم، وقويت شوكته حتى تم له ملك المغرب، وبعث إليه بالطاعة سنة ٦٢٤ أهل اشبيلية وأهل سبتة، وبعث إليه أبو علي بن خلاص صاحب سبتة بهدية مع ابنه في أسطول أنشأه لذلك، ففرق عند اقلاعه من المرسى، وفي سنة ٦٢٧ استبد الأمير أبو زكريا بإفريقية، وخلع طاعة الموحدين وبايعه أهل مكناسة سنة ٦٤٣ بايعه بها الأمير أبو بكر بن عبد الحق المريني مع أن دولة بني أبي حفص أمحاب تونس وإفريقية إنما كانت فرعاً من دولة بني عبد المؤمن وشعبة منها « وهنتانة من صميم قبائل الصامدة وذؤابتها، وتوفي السلطان يحيى هذا سنة ٦٤٧. وكان الشيخ أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص الهنتاني في سنة ٦١٠ صاحب إفريقية، وكان أولاً وزيراً لبني يوسف يعقوب النصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الذي بويع بعد وفاة والده سنة ٥٨٠ وتوفي سنة ٥٩٥ وكان أبو يحيى بن أبي حفص كبير وزرائه. وفي سنة ٦١٨ توفي صاحب إفريقية الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، فبايع الموحدون بإفريقية ابنه أبا زيد عبد الرحمن ققام بالأمر، وأطفأ النائرة، وأفاض العطاء، ومهد النواحي، ورتب الأمور، حتى ورد كتاب السلطان يوسف المنتصر - الذي بويع سنة ٦١٠ وتوفي سنة ٦٢٠ من مراکش لثلاثة أشهر من ولايته - بتأخيره وتولية السيد أبي العلاء الأكبر مكانه - وهو أدريس بن يوسف بن عبد المؤمن - فقدم إفريقية أواخر سنة ٦١٨ وأقام بها حتى توفي بتونس سنة ٦٢٠ واستولى على إفريقية بعده ابنه أبو زيد (٤ - نفح الطيب - ثامن)

أَبَا أَلْهَى إِدْرِيسَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ جَامِعٍ^(١)
فَاشْتَمَلَ عَلَى، وَأَوْلَانِي مِنَ الْبَرِّ مَا قَيَّدَنِي وَأَمَالَ قَلْبِي إِلَيْهِ
مَعَ تَأْكِيدِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّي مِنَ الصُّحْبَةِ، فَلَمْ يَزَلْ
يَنْهَضُ بِي، وَيَرْفَعُ أَمْدَاحِي لِلْمَلِكِ، وَيُوصِلُ إِلَيْهِ رَسَائِلِي
مُنْبَهًا عَلَى ذَلِكَ مُرَشِّحًا، إِلَى أَنْ قَبَضَ الْمَلِكُ عَلَى كَاتِبِ عَسْكَرِهِ
وَكَانَ يَقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُتُبَ الْمَظَالِمِ فَاحْتِيجَ إِلَى مَنْ يَخْلُفُهُ
فِي ذَلِكَ، فَتَبَّهَ الْوَزِيرُ عَلِيٌّ، وَارْتَهَنَ فِي، مَعَ أَنِّي كُنْتُ مِنْ
كُتَّابِ الْمَلِكِ، فَقَلَّدَنِي قِرَاءَةَ الْمَظَالِمِ الْمَذْكُورَةِ، وَسَقَرَلِي
الْوَزِيرُ عِنْدَهُ فِي دَارِ الْكَاتِبِ الْمُؤَخَّرِ، فَأَنْعَمَ بِهَا، فَوَجَدَ
الْوُشَاةَ مَكَانًا مُتَّسِمًا لِلْقَوْلِ فَقَالُوا، وَزَوْرُوا مِنَ الْأَقْوِيلِ
الْمُخْتَلَقَةِ مَامَالَ بِهَا حَيْثُ مَالُوا، وَظَهَرَ مِنْهُ تَخَالُفٌ^(٢) التَّغْيِيرِ

إدريس، وساءت سيرته في الناس، وأقام على ذلك إلى دولة العادل - عبد الله بن المنصور الذي بويغ في صفر سنة ٦٢١ - صاحب مراکش، فعزله، وولى مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص «واستوزر أبا زيد عبد الواحد بن أبي حفص» ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى المتقدم، وتداول ملك إفريقيا بنوه من بعده، واقتطعوها عن نظر بني عبد المؤمن أصحاب مراکش، فلم تعد إليهم بعد «وتوفي أبو محمد العادل سنة ٦٢٤» «أحمد يوسف نجاشي» (١) وكان أبو سعيد بن جامع وزير أبي يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الذي بويغ بعد وفاة أبيه محمد الناصر سنة ٦١٠ وتوفي سنة ٦١٨ «أحمد يوسف نجاشي» (٢) علامات وأمارات، جمع غيلة

فَجَمَعْتُ أَدَارِيهِ وَأَسْتَعْطِفُهُ، فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ
إِلَى أَنْ سَعَى فِي تَأْخِيرِ وَالِدِي عَنِ الْكُتُبِ لِلْأَمِيرِ الْأَسْعَدِ
أَبِي يَحْيَى بْنِ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةَ^(١) ثُمَّ سَعَى فِي تَأْخِيرِي، فَأُخِّرْتُ
عَنِ الْكِتَابَةِ، وَعَنْ قِرَاءَةِ الْمَظَالِمِ، فَأَقْرَدْتُ بِالْكِتَابَةِ
لِلْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ، وَفَوَّضَ إِلَيَّ جَمِيعَ أُمُورِهِ، وَأَوْلَانِي مِنْ
الْتَأْنِيسِ^(٢) مَا أُنْسَانِي تِلْكَ الْوَحْشَةَ، وَمِنْ الْعِزِّ مَا أُتْقَدُّنِي
مِنْ تِلْكَ الدُّلَّةِ :

فَرَدَّ عَلَيَّ الْعَيْشَ بَعْدَ ذَهَابِهِ
وَأَنْسَنِي بَعْدَ أَنْفِرَادِي مِنَ الْأَهْلِ
وَقَالُوا إِذَا مَا الْوَبْلُ فَاتَكَ فَاقْتَنِعْ
بِمَا قَدْ تَسَنَّى عِنْدَكَ الْآنَ مِنْ طَلٍّ^(٣)
وَوَاللَّهِ مَا نِعْمَاهُ طَلٌّ، وَإِنَّمَا .
تَأْذِبُهُ غَيْثٌ يَجُودُ عَلَى الْكُلِّ

(١) كان الأمير أبو يحيى بن أبي زكريا صاحب سبته ، وكان والدا بن سعيد متعللا به (٢) الأُنس وازالة الوحشة (٣) الطل : المطر الضعيف أو أخف المطر وهو ماله أثر قليل - والوايل والوبل : المطر الشديد الضخم القطر وبلت السماء المكان تبل « كوعد » اذا أمطرت ، وتسنى الشيء : تيسر وسهل

رَأَى أَظْمًا فِي الْهَجِيرَةِ صَاحِبًا
 فَرَّقَ، وَآوَانِي إِلَى الْمَاءِ وَالظِّلِّ^(١)
 وَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ فِي أَسْرٍ حَالٍ مَالَهَا تَسْكِيرٌ، إِلَّا مَا يَبْلُغُنِي
 مِنْ أَنَّ ابْنَ عَمِّي لَا يَزَالُ يَسْعَى فِي حَقِّي بِمَا أَخْشَى مَعْبَتَهُ^(٢)
 وَخِفْتُ أَنْ يَطُولَ ذَلِكَ فَيُسْمَعَ مِنْهُ، وَلَا يَنْفَعُ دِفَاعُ الْوَزِيرِ
 الْمَذْكُورِ عَنِّي، فَرَغِبْتُ لَهُ فِي أَنْ يَرْفَعَ لِّلْمَلِكِ أَنِّي رَاغِبٌ
 فِي السَّرَاحِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِرِسْمِ الْحُجَّ:
 وَمَنْ بَلَّهُ الْغَيْثُ فِي بَطْنِ وَادٍ
 وَبَاتَ فَلَا يَأْمَنُ الشُّيُولا
 فَلَمْ يُسَمِّعْنِي فِي ذَلِكَ، وَلَا مَنِي عَلَى تَخَوُّفِي وَقِلَّةِ ثَقَلِي
 بِحِمَايَتِهِ، فَفَعْتُ لَهُ هَذِهِ الْقَمِيْدَةَ:
 هَلِ الْهَجْرُ إِلَّا أَنْ يَطُولَ التَّجَنُّبُ؟
 وَيَبْعُدَ مَنْ قَدْ كَانَ مِنْهُ التَّقَرُّبُ؟
 وَتُقَطَّعَ رُسُلُ بَيْنِنَا وَرَسَائِلُ وَيَمْنَعَ لُقْيَانَا نَوَى وَتَحْجَبُ

(١) الهجيرة: القيظ وشدة الحر، وضحا الرجل ضحوا وضحوا وضحيا: برز
 للشمس، وضحى «كسعى ورضى» أصابته الشمس، ومنه قوله تعالى:
 «وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى» أى لك أن تتصون من حر الشمس فلا
 ينالك أذاها «أحمد يوسف نجاشى» (٢) المغبة: العاقبة «أحمد يوسف نجاشى»

وَلَوْ أَنِّي أَدْرِي لِنَفْسِي زَلَّةً
 جَعَلْتُ لَكُمْ عُذْرًا لَمْ أَكُ أَغْتَبُ^(١)
 وَلَكِنَّكُمْ لَمَّا مَلَلْتُمْ^(٢) هَجَرْتُمْ
 وَذَبَبْتُمْ فِي الْحُبِّ مَنْ لَيْسَ يُذْنِبُ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غَدْرَكُمْ وَمَلَائِكُمْ^(٣)
 وَقَلْبًا لَهُ ذَاكَ أَلْتَعَذَّبُ يَعْذِبُ
 فَلَوْ أَنَّهُ يَجْزِيكُمْ بِفِعَالِكُمْ
 لَكَانَ لَهُ عَنْكُمْ مَرَادٌ وَمَطْلَبُ^(٤)
 وَلَكِنْ أَبِي أَلَّا يَحِنَّ لِغَيْرِكُمْ
 وَأَلَّا يُرَى عَنْكُمْ مَدَى الدَّهْرِ مَذْهَبُ
 فَهَلَا رَعَيْتُمْ أَنَّهُ فِي ذَرَاكُمْ
 غَرِيبٌ؟ أَوَلَيْسَ الْمَوْتُ إِلَّا التَّغَرُّبُ^(٥)؟

(١) الزلة : السقطة والعثرة (٢) في الأصل « ملككم » وهو تصحيف لا يظهر المعنى معه جلياً . « أحمد يوسف نجاشي » (٣) الملل : السآمة (٤) أخذته من قول النابغة الذبياني :

ولكنني كنت امرأاً إلى جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب
 وراد الكلاء إذا طلبه - يريد أنه كان يفارقهم إلى غيرهم ممن يعرفون قيمته ،
 ويقدرونه حق قدره ، فيكرمونه وفادته ، ويحسون مثواه « أحمد
 يوسف نجاشي » (٥) ذراه : حماء وكنفه وظله « أحمد يوسف نجاشي »

لَزِمْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ كَامِلًا
 جَمَالًا وَإِجْمَالًا ، وَذَاكَ يُحِبُّ^(١)
 وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَطُولَ اشْتِكَاؤُهُ
 لِمَنْ إِنْ أَتَى مَكْرًا فَلَيْسَ يُثْرِبُ^(٢)
 فَلَمْ أَسْعَ إِلَّا لِإِزْتِيَا حِ وَرَاحَةٍ
 وَغَيْرِي - وَقَدْ آوَأُهُ غَيْرُكَ - يَتَعَبُ
 فَأَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَرَحْمَتِي
 وَذُو الرِّجَمِ الدُّنْيَا لِنَارِي يَحْطُبُ^(٣)
 فَمَا مَرَّ يَوْمٌ لَا يُرِيدُ مُصِيبَةً
 عَلَيْكَ ، وَبِالتَّذْيِيرِ مِنْكَ يُحِبُّ^(٤)
 وَهَبَكَ ثُبُوتًا لَا تُحِيلُ ، أَمَا تَرَى
 مَجَرَّ حِبَالٍ فِي الْحِجَارَةِ يَرْسُبُ^(٥) ١٩

(١) أجمل : صنع الجليل ، والمعنى مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي :
 وقيدت نفسي في ذراك حبة ومن وجد الأحسان قيدا تقيدا
 ولكن شتان بين شعر أبي الطيب المتنبي ونظم ابن سعيد المغربي (٢) التثريب
 التعبير والاستقصاء في اللوم ، وثرب عليه فعله إذا قبحه وعابه ، ومنه قوله تعالى :
 « لا تثريب عليكم اليوم » (٣) أي يجمع لها الحطب ليزيدها اشتعالا ويديم توقدها
 (٤) في الأصل « يحب » وهو تصحيف : وفي نسخة « لا يدير » بدل « لا يريد »
 « أحمد يوسف نجاني » (٥) في الأصل « وهبه ثبوتا لا يحيل » والاحالة
 التغير ، يريد أنك مع ثباتك على الود وعدم تحوُّلك عنه يثبتي من تكرار

وَهَبَكَ لَهُ مُدًّا، فَكَمْ أَنْتَ حَاضِرٌ؟
 أَحَازِرُ خَرَقًا مِنْهُ أَنْ يَتَسَبَّبُوا^(١)
 وَمَا إِنِّ أَرَى إِلَّا الْفِرَارَ مُخْلَصًا
 وَمَا رَاغِبٌ فِي الضِّيمِ مَنْ عَنْهُ يَرْغَبُ
 فَإِنَّهُ إِلَى الْأَمْرِ الْعَلِيِّ شَكِيتِي
 وَأَنْ خُطُوبَ الدَّهْرِ نَحْوِي تَخْطُبُ
 وَلَا تُطْمِعُونِي فِي الَّذِي لَسْتُ نَائِلًا
 فَلَا أَنَا عَرْقُوبٌ، وَلَا أَنَا أَشْعَبُ^(٢)
 أَلَا فَلْتَمَنُّوا بِالسَّرَاحِ، فَإِنَّهُ
 لِرَّاحَةِ مَنْ يَشْقَى لَدَيْكُمْ وَيَنْصَبُ
 سَلُّوا الْكَاسَ عَنِّي إِذْ تُدَارُ، فَإِنِّي
 لَا أَشْرُكُهَا هَمًّا وَدَمْعِي أَشْرَبُ^(٣)

الوشاية عندك وتواليها على السمع، فإن جبال الضعيف يؤثر في الحجارة مع صلابتها إذا توالى (١) يريد أنك وإن كنت سدا حاجزا دوني ودون أذاه أخشى إذا لم تكن حاضرا أن يتسع الحرق منه، وأن يكون الوشاة والأعداء سببا في أحداث ذلك الحرق الذي قد يتسع بعد على من يروم سده. وفي نسخة «يتسببوا» بدل «يتسببوا» أي ينسابوا من هذا الحرق، وهو معنى مناسب «أحمد يوسف نجاتي» (٢) عرقوب مضرب المثل في خلف الوعد، وأشعب مشهور يضرب به المثل في الطمع، وقد يكون الأصل «فلا أنت عرقوب، ولا أنا أشعب». «أحمد يوسف نجاتي» (٣) مأخوذ من

وَلَا أَسْمَعُ الْأَلْحَانَ حِينَ تَهْزُنِي
وَلَوْ كَانَ نَوْحًا كُنْتُ أَصْنِي وَأَطْرُبُ
فَدَيْتُكُمْ كَمْ ذَا أَهْوَنُ بِأَرْضِكُمْ
أَهَذَا جَزَاءُ الَّذِي يَتَغَرَّبُ ؟
أَبْخَلُّ عَلَى أَنْ مَا سِوَاكَ يُصِيبُ لِي
فَهَلْ لِي مِمَّا كَدَّرَ الْعَيْشَ مَهْرَبُ ؟^(١)
تَقْلَصَ عَنِّي كُلُّ ظِلٍّ ، وَلَمْ أَجِدْ
كَمَا كُنْتُ أَنَا مِنْ أَوْدٍ وَأَصْحَبُ ؟^(٢)
أَذُو طَمَعٍ فِي الْعَيْشِ يَبْقَى وَحَوْلَهُ
مَدَى الدَّهْرِ أَفَمَيَّ لَا تَزَالُ وَعَقْرَبُ ؟
أَجْزَنِي لِأَنْجُو بِالْفِرَارِ ، فَإِنَّهُ
وَحَقَّقَ مِنْ نِعْمَاكَ عِنْدِي يُحْسَبُ ؟^(٣)

قول مہیار :

اذکرونا مثل ذکرانا لکم رب ذکرى قربت من نوحا
واذکروا صبا اذا غنى بکم شرب الدمع، وعاف القفا
وأرى أن ابن سعید يأخذ المعانى المسبوق بها فلا يحسن التعبير عنها حسنا
يرضى بلفاء الأدب وثقاد الشعر ، وأكثر معانيه فى قصائده كذلك .
« أحمد یوسف نجاشی » .

(١) أصاخ له اذا استمع وأصغى (٢) تقلص الظل : نقص أو زال وانحسر
والأنى الشئ وجهه (٣) فى الأصل « أجرنى أنجز » وأجازته كذا اذا سمح

فَلَا زِلْتَ يَا خَيْرَ الْكَرَامِ مُهَنَّاً
 فَعَبَشِي مِنْهُ الْمَوْتُ أَشْهَى وَأَطْيَبُ
 وَصَانِكَ مَنْ قَدْ صُنْتَ فِي حَقِّهِ دَمِي
 وَغَيْرُكَ مِنْ ثَوْبِ الْمُرُوءَةِ يُسْلَبُ
 وَلَمْ يَزَلِ الْوَزِيرُ - لَا أزالُ اللَّهُ عَنْهُ رِضَاءُ - يَحْنِي جَانِبِي إِلَى
 أَنْ أَصَابْتَنِي فِيهِ الْعَيْنُ ، فَأَصَابَهُ الْحَيْنُ ^(١)
 وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّهُ مَاتَ عِنْدَمَا
 تَنَاهَى ، وَلَمْ يَشْمَتْ بِهِ كُلُّ حَامِدٍ
 وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ كَانَ حَاكِماً
 عَلَيْهِ ، وَيَمْطُ الثَّارُ كُلُّ مُعَانِدٍ
 وَقُلْتُ أُرْثِيهِ :
 بَكَتْ لَكَ حَتَّى الْهَاطِلَاتُ ^(٢) السَّوَاكِبُ
 وَشَقَّتْ جُيُوبًا فِيكَ حَتَّى السَّعَائِبُ
 فَكَيْفَ يَمْنُ دَافَعَتْ عَنْهُ ، وَمَنْ بِهِ
 أَحَاطَتْ - وَقَدْ بُوْعِدَتْ عَنْهُ - الْمَصَائِبُ ؟ !

له به وسوغه وجعله جائزاً (١) اللوت والهلاك وانقضاء الأجل
 (٢) الهاطلات : السحب الكثيرة الهطل والانصباب ، وكذلك السواكِب

أَلَا فَانْظُرُوا دَمْعِي ، فَأَكْثَرُهُ دَمٌ
 وَلَا تَذْهَبُوا عَنِّي ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ
 وَقُولُوا لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَنْدُبُ بَعْدَهُ
 وَقَاوِلْهُ لَوْ قَامَتْ عَلَيْكَ النَّوَابِ
 لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ وَافٍ بِذِمَّةِ
 أَيْصَمْتُ إِدْرِيسٍ وَمِثْلِي يُحَاطَبُ؟^١
 دَعَوْتُكَ يَا مَنْ لَا أَقُومُ بِشُكْرِهِ
 فَهَلْ أَنْتَ لِي بَعْدَ الدُّعَاءِ مُجَابِبُ؟
 أَيَا مَسِيدًا قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 تُرَابٌ حَوَتْ ذِكْرَ الْكَمِينَةِ التَّرَائِبُ؟^(١)
 لِمَنْ أَشْتَكِي إِنْ جَارَ بَعْدَكَ ظَالِمٌ
 عَلَيَّ؟ وَإِنْ نَابَتْ جَنَابِي النَّوَابِ؟^١
 لِمَنْ أَرْتَجِي عِنْدَ الْأَمِيرِ بِمَنْطِقٍ
 تَخَفُ بِهِ حَوْلِي الثُّنَى وَالْمَوَاهِبُ؟^١
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَمِنْهَا قُبَيْلُ الْخَتَمِ

(١) الترائب عظام الصدر جمع تربة «أحمد يوسف نجاتي».

وَقَدْ كُنْتُ اخْتَارُ التَّرَحُّلَ قَبْلَ أَنْ
يُصِيبَكَ سَهْمٌ لِمَنِئَةٍ صَائِبٌ
وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ مِنْ ذَا يَرُدُّهُ ۱٩
فَصَبْرًا، فَقَدِيرُ رِضَى الزَّمَانِ الْمُعَاضِبِ

وَمِنْهَا - وَهُوَ آخِرُهَا :
فَوَإِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً
إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ عَلَى مَثَابٍ (١)
وَإِنْ لَمْ يَوْثِبْ مَنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْتِصَارَهُ
عَلَيْكَ فَلُطْفُ اللَّهِ نَحْوِي آتِبُ

قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَمَّا قَدِمْتُ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ
أَدْرَكْتَنِي فِيهِمَا وَخَشَةٌ، وَأَثَارِي تَذَكُّرُ مَا كُنْتُ أَعْهَدُ
بِحَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمُبْهَجَةِ الَّتِي قَطَعْتُ بِهَا
الْعِيشَ غَضًا خَصِيْبًا، وَصَحِبْتُ بِهَا الزَّمَانَ غُلَامًا، وَلَبِسْتُ
الشَّبَابَ بُرْدًا قَشِيْبًا (٢) فَقُلْتُ :

هَذِهِ مِصْرُ، فَأَيْنَ الْمَغْرِبُ ۱٩ قَدْ نَأَى عَنِّي، فَعَيْنِي تَسْكُبُ (٣)

(١) والعايب : النقائص (٢) جديدا ، وهو من قول أبي تمام :

ولقد أراك، فهل أراك بنبطة والعيش غص والزمان غلام ۱٩

(٣) ويروي عجز البيت : مذ نأى عني دموعي تسكب

فَارَقَتْهُ النَّفْسُ جَهْلًا ، إِنَّمَا يُعْرِفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ
أَيْنَ خَصْصُ ؟ أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا ؟! بَعْدَهَا لَمْ أَلَقْ شَيْئًا يُعْجِبُ
كَمْ بَعِيشٍ لِي بِهَا مِنْ لَذَّةٍ

حَيْثُ لِلنَّهْرِ خَرِيرٌ مُطْرِبٌ ^(١)
وَحَمَامُ الْأَيْكِ تَشْدُو حَوْلَنَا وَالْمَثَانِي فِي ذَرَاهَا تَصْخَبُ ^(٢)
أَيُّ عَيْشٍ قَدْ قَطَعْنَاهُ بِهَا ذِكْرُهُ مِنْ كُلِّ نَعْمَى أَطِيبُ
وَلَكُمْ بِالْمَرْجِ لِي مِنْ لَذَّةٍ

بَعْدَهَا مَا الْعَيْشُ عِنْدِي يَعْذُبُ ^(٣)
وَالنَّوَاعِيرُ الَّتِي تَذَكَّرُهَا
بِالنَّوَى عَنْ مُهْجَتِي لَا تُسَلِّبُ ^(٤)

(١) الحرر صوت الماء ، ويرى « كم تقضى لي بها الح - ويريد بحمص
مدينة اشبيلية ، وقال محمد بن عبدون يذكرها :

هل تذكر العهد الذي لم أنسه ومودة غدومة بصفاء ؟!

ومبيتنا في أرض حمص والحجي قد حل عقد حياه بالصبياء ؟!

ودموع طل الليل يخلق أعينا ترنو اليانمن عيون الماء ؟!

وقال ابن بسام: دخل جند من جنود حمص الشام الى الأندلس فسكنوا
اشبيلية فسميت بهم . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) الأيك : الشجر الكثير
للنصف ، وشدا: غنى ، والثاني يريد بها آلات الطرب كالعود ونحوه وأصل
المثاني من أوتار العود ، وتصخب : تصيح وتردد أصواتها لكثرةها (٣) أصل
المرج الموضع ترعى فيه الدواب وتمرج: أى تلعب وتمرح ، ويريد هنا المكان
بعينه (٤) النواعير يريد بها السواقي أو السواني « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَكُمْ فِي شَنْتَبُوسٍ مِنْ مَنَى

قَدْ قَضَيْنَاهُ وَلَا مَنْ يَعْتَبُ^(١)

حَيْثُ هَاتِيكَ الشَّرَاجِبُ الَّتِي

كَمْ بِهَا مِنْ حُسْنٍ بَدْرٍ مُغْصَبٍ^(٢)

وَعِثَاكِ كُلُّ ذِي فَقْرٍ لَهُ سَامِعٌ غَضَبًا وَلَا مَنْ يَفْصِبُ

بَلَدَةٌ طَابَتْ وَرَبٌّ غَافِرٌ لَيْتَنِي مَا زِلْتُ فِيهَا أَذْنِبُ

أَيْنَ حُسْنُ النِّيلِ مِنْ نَهْرٍ بِهَا كُلُّ نَعْمَاتٍ لَدَيْهِ تُطْرِبُ؟

كَمْ بِهِ مِنْ زُورِقٍ قَدْ حَلَّهَ قَمَرٌ سَاقٍ وَعُودٌ يَضْرِبُ

لَذَّةُ النَّظَرِ وَالسَّمْعِ عَلَى شَمِّ زَهْرٍ وَكُؤُوسٍ تُشْرَبُ

كَمْ رَكِينَاهَا فَلَمْ تَجْمَعْ بِنَا

وَلَكُمْ مِنْ جَامِصٍ إِذْ يُرْكَبُ

طَوَّعْنَا حَيْثُ اتَّجَهْنَا، لَمْ نَجِدْ تَعْبًا مِنْهَا إِذَا مَا تَتَعَبُ

قَدْ أَثَارَتْ عِثْرًا^(٣) يُشْبِهُ نَدْسِكَ فَوْقَ بُسْطٍ يُنْهَبُ

(١) شنتبوس جزيرة كانت من منازل بلاد الأندلس والمغرب، وكان بها منارة تضيء بالليل فتعكس أنوارها على صفحة النهر، فيكون لذلك منظر يديع يوحى الشعو ويسمو بالخيال. « أحمد يوسف نجاشي » (٢) الشراجب جمع شرجب وهو عندهم الدرازين من خشب فيه طاقات : يريد سور الجسر حيث يقف المتزهون ويطلون منه على النهر، كما ترى في جسور نهر النيل وقت الأصيل وبعده . وفي نسخة « مغصب » « أحمد يوسف نجاشي » (٣) العثر : الغبار

كُلَّمَا رَشَّنا لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ قَلَاعٍ ظَلَّتْ مِنْهَا تَعَجُّبُ
 كَطَيُورٍ لَمْ تَجِدْ رِيًّا لَهَا قَبْدَ اللَّعِينِ مِنْهَا مَشْرَبُ
 بَلْ عَلَى الْخَضِرَاءِ لَا أَنْفَكَ مِنْ زَفَرَةٍ فِي كُلِّ حِينٍ تُلْهَبُ^(١)
 حَيْثُ لِلْبَحْرِ زَيْدٌ حَوْلَهَا تُبْصِرُ الْأَغْصَانِ مِنْهُ تَرْهَبُ
 كَمْ قَطَعْنَا اللَّيْلَ فِيهَا مُشْرِقًا بِحَيِّبٍ وَمُدَامٍ يُسْكَبُ
 وَكَأَنَّ الْبَحْرَ ثَوْبٌ أَزْرَقُ فِيهِ لِلْبَدْرِ طِرَازٌ مُذْهَبُ
 وَإِلَى الْحُوزِ حَيْنِي دَائِمًا وَعَلَى شَنْيَلٍ دَمْعِي صَيْبُ^(٢)
 حَيْثُ سَلَّ النُّهْرُ عَضْبًا ، وَأَنْثَنَتْ

فَوْقَهُ الْقُضْبُ ، وَعَنَى الرَّبْرَبُ
 وَتَشَقَّتْ أَعْيُنُ الْعُشَّاقِ مِنْ حُورِ عَيْنٍ بِالْمَوَاضِي تُحْجَبُ
 مَلْعَبُ لِلَّهِوِ مُذْ فَارَقْتُهُ مَا ثَنَانِي نَحْوَ لَهْوٍ مَلْعَبُ
 وَإِلَى مَالِقَةٍ يَهْفُو هَوَى
 قَلْبُ صَبٍّ بِالنَّوَى لَا يُقْلَبُ
 أَيْنَ أَبْرَاجُ بِهَا قَدْ طَالَمَا
 حَتَّى كَأَنِّي فِي ذُرَاهَا كَوُكَبُ^١
 حَفَّتِ الْأَشْجَارُ عِشْقًا حَوْلَنَا تَارَةً ثَنَانِي ، وَطَوْرًا تَقْرُبُ

(١) يريد الجزيرة الخضراء (٢) سبق الكلام في الحوز. وفي نهر شنييل .

جَاءَتِ الرِّيحُ بِهَا ، ثُمَّ انْتَنَتْ أَتْرَاهَا حَذَرَتْ مَنْ يَرْقُبُ؟
وَعَلَى مُرْسِيَةٍ أَبْكَى دَمًّا مَنَزِلٌ فِيهِ نَعِيمٌ مُعْشَبٌ
مَعَ شَمْسٍ طَلَعَتْ فِي نَاطِرِي

ثُمَّ صَارَتْ فِي فُؤَادِي تَغْرُبُ
هَذِهِ حَالِي ، وَأَمَّا حَالَتِي فِي ذُرَى مِصْرَ فَيَكْرُهُ مُعْشَبٌ
سَمِعْتُ أُذِنِي مُحَالًا ، لَيْتَهَا لَمْ تُصَدِّقْ وَيُحْجَأْ مَنْ يَكْذِبُ
وَكَذَلِكَ الشَّيْءُ إِذَا غَابَ انْتَهَوْا فِيهِ وَصْفًا كَيْ يَمِيلَ الْغَيْبُ
هَآ أَنَا فِيهَا فَرِيدٌ مُهْمَلٌ وَكَلَامِي وَلِسَانِي مُعْرَبُ
وَأَرَى الْأَلْحَاطَ تَنْبُو عِنْدَمَا

أَكْتُبُ الطَّرْسَ^(١) أَفِيهِ عَقْرُبُ؟

وَإِذَا أَحْسِبُ فِي الدِّيَوَانِ لَمْ يَذَرُ كُتَابَهُمْ مَا أَحْسِبُ
وَأُنَادِي مَغْرِبِيًّا ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِلْغَرْبِ يَوْمًا أَنْسَبُ
نَسَبُ يُشْرِكُ فِيهِ خَامِلٌ وَنَبِيَّهُ ، أَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ؟
أَتُرَانِي لَيْسَ لِي جَدُّ لَهُ شُهْرَةٌ؟ أَوْ لَيْسَ يُدْرِي لِي أَبُ؟
سَوْفَ أَتْنِي رَاجِعًا ، لَا غَرَّيَ بَعْدَ مَا جَرَّبْتُ بَرْقَ خُلْبُ
وَقَالَ بِقَرْمُونَةٍ مُتَشَوِّقًا إِلَى غَرْنَاطَةٍ :

(١) الطرس : الصحيفة مطلقا . أو التي يحيت ثم كتبت « أحمد يوسف نجاني »

أَغْنِي إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْمُطَرَّبُ
 بِكَاسٍ يَهَاوَسُوْنَ فِكْرِي يُنْهَبُ
 وَمِلْ مَيْلَةً حَتَّى أَغَانِقَ أَيْكَةً
 وَأَلْتِمَ تَغْرًا فِيهِ لِلصَّبِّ مَشْرَبُ
 وَلَمْ أَرْ مَرْجَانًا وَدُرًّا خِلَافَهُ
 يُطِيفُ بِهِ وَرْدٌ مِّنَ الشَّهْدِ أَغْدَبُ
 فَدَيْتُكَ مِّنْ غُصْنٍ تَحْمَلُهُ نَقًّا
 تَطْلَعُ أَغْلَاهُ صَبَاحٌ وَغَيْهَبٌ ^(١)
 وَجَنَّتُهُ جَنَاتُ عَدْنٍ ، وَفِي لَطْفِي
 فُؤَادِي ، وَمَالِي مِّنْ ذُنُوبٍ تُعَذِّبُ
 وَبَعْدُ لِي الْعُدَالُ فِيهِ ، وَإِنِّي لَأَعْصِي عَلَيْهِ مَن يُلُومُ وَيَعْتَبُ
 لَقَدْ جَهِلُوا ، هَلْ عَنْ حَيَاتِي أَنْتَنِي
 إِذَا نَعَّمُوا أَقْوَالَهُمْ وَتَأَلَّبُوا ^(٢) ۱۹
 يَقُولُونَ لِي : قَدْ صَارَ ذِكْرُكَ مُخْلَقًا
 وَأَصْبَحَ كُلُّ فِي هَوَاهُ يُؤَنَّبُ ^(٣)

(١) يصف قده فوق ردفه، ويصف في عجز البيت وجهه وشعره (٢) تمنى
 حسن ووشى وزخرف، وتألبوا: اجتمعوا واتفقوا (٣) أخلق الثوب: رثوبلى

وَعَرَضُكَ مَبْدُولٌ، وَعَقْلُكَ تَالِفٌ
وَجِسْمُكَ مَسْلُوبٌ، وَمَالُكَ مُنْهَبٌ
فَقُلْتُ لَهُمْ: عِرْضِي وَعَقْلِي وَالْعُلَا
وَفَخْرِي لَا أَرْضَى بِهَا حِينَ يَغْضَبُ
جُنُوبُ أَبِي^(١) إِلَّا يَلِينَ لِعَازِمٍ
بِسِحْرِ بَايَاتِ الرُّقَى لَيْسَ يَذْهَبُ
فَقَالُوا: أَلَا قَدْ خَانَ عَهْدَكَ، قُلْتُ: لَمْ
يُخْنِ مَنْ إِذَا قَرَّبَتْهُ يَتَقَرَّبُ
وَكَمْ دُونَهُ مِنْ صَارِمٍ وَمُتَقَفٍ
فَيَأْمَنُ رَأْيَ بَدْرٍ يَهْدِيهِ يُحْجَبُ^(٢)
عَلَى أَنَّهُ يَسْتَسْهِلُ الصَّعْبَ عِنْدَ مَا
يَزُورُ، فَلَا يُجْدِي حِمَى وَتَرْقُبُ^(٣)
وَكَمْ حِيلَةٍ تَتَرَى عَلَى إِثْرِ حِيلَةٍ
وَذُو الْوُدِّ مَنْ يَحْتَالُ أَوْ يَتَسَبَّبُ^(٤)

(١) في الأصل « جفون أبت » يريد أن جنونه في الحب لا يلين لعزائم من يعزم بالرقى أو ينفث في عقد السحر « أحمد يوسف نجاتي » (٢) الصارم السيف ، والمتقف الرمح. وهذا مثل قول ابن النحاس الحلبي :

وعتجب بين الأسنة معرض وفي القلب من اعراضه مثل حجه
(٣) في الأصل « حمى مترقب » (٤) ترى : متوالية متتابعة. وفي الأصل
« على اثر حالة » « أحمد يوسف نجاتي »

عَلَى أَنَّهُ لَوْ خَانَ عَهْدِي لَمْ أَزَلْ
لَهُ رَاعِيًا ، وَالرَّغَى لِلصَّبِّ أَوْجَبُ
فَإِنَّ زَمَانُ لَمْ يَخُنِّي سَاعَةً
بِهِ! وَهُوَ مِنِّي فِي التَّعَمُّرِ أَرْغَبُ
وَلَا فِيهِ مِنْ بُحْلِ ، وَلَا بِي قَنَاعَةٌ
كَلَّانَا بِلَذَاتِ التَّوَاصُلِ مُعْجَبُ ^(١)
وَيَارُبَّ يَوْمٍ لَا أَقُومُ بِشُكْرِهِ
عَلَى أَنِّي مَا زِلْتُ أَتْنِي وَأُطْنِبُ
عَلَى نَهْرٍ شَدِيدٍ ، وَلِلْقُضْبِ حَوْلُنَا
مَنَابِرُ مَا زَالَتْ بِهَا الطَّيْرُ تَخْطُبُ
وَقَدْ قَرَعَتْ مِنْهُ سَبَائِكَ فِضَّةً
خِلَالَ رِيَاضٍ بِالْأَصِيلِ تُذْهَبُ ^(٢)
شَرَبْنَا عَلَيْهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً
غَدَتْ تَشْرَبُ الْأَلْبَابُ أَيَّانَ تُشْرَبُ

(١) هذا من قول الشاعر :

وحياة عصياني عليك عواذلي ان كانت القربات عندك تشفع
هل تذكرين لياليا بتنا بها لا أنت باخلة ولا أنا أقمع!
(٢) في الأصل « سبابك » بدل « سباتك » وهو تصحيف. وقد تكون
« قرعت » مصحفة عن « فرغت » ورفع سباتك نائب فاعله، يصف انسياب

كَانَ يَأْسِمِينَا وَسَطَ دُرٍّ ^(١) تَقَحَّتْ
 أَزَاهِرُهُ أَيْآنَ فِي الْكَاسِ تُسْكَبُ
 إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا لَيْلٍ مَسْرَةٍ تَبَسَّمُ عَنْ دُرِّهَا فَتُقَطَّبُ ^(٢)
 أَتَتْ دُونَهَا الْأَحْقَابُ حَتَّى تَخَالَهَا
 سَرَابًا بِأَفَاقِ الزُّجَاجَةِ يَلْعَبُ
 نَعِيمًا بِهَا وَالْيَوْمُ قَدْ رَقَّ بُرْدُهُ
 إِلَى أَنْ رَأَيْنَا الشَّمْسَ عَنَّا تَغْرُبُ
 فَقَالُوا: أَلَا هَاتُوا السَّرَاجَ، فَكُلُّ مَنْ
 دَرَى قَدْرَ مَا فِي الْكَاسِ أَقْبَلَ يَعْجَبُ
 وَقَالَ: أَلَا تَذَرُونَا فِي كُوْثُوسِكُمْ!!
 فَلَا كَأْسَ إِلَّا وَهُوَ فِي اللَّيْلِ كَوْ كَب ^(٣)
 كَوَا كِبُ أُمَسْتُ يَبْنَ شَرِبٍ، وَلَمْ نَخْلُ
 بِأَنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ تَدْنُو وَتَغْرُبُ

ماء النهر صافية الى الرياض في وقت الأصيل، الذي يخلع على صفحات الماء
 حلة ذهبية « أحمد يوسف نجاتي »

(١) في نسخة « ورد » (٢) أراد بالدر الفقاقيع. وقطب الشراب وأقطبه: مزجه،
 وشراب مقطب ومقطوب أى ممزوج - وقطب الشارب اذا زوى ما بين عينيه
 وعبس وكلح من شراب وغيره، في قوله « تقطب » تورية لأنها تحمل المعنيين كل هو
 ظاهر « أحمد يوسف نجاتي » (٣) أخذ معنى البيتين من أبى نواس وقصر عنه

ظَلَّلْنَا عَلَيْهَا عَاكِفِينَ وَلَيْلُنَا
 نَهَارٌ إِلَى أَنْ صَاحَ بِالْأَيْكِ مُطْرِبُ
 فَلَمْ تَنْ عَنِ دِينَ الصَّبُوحِ عِنَانًا
 إِلَى أَنْ غَدَا مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ يَنْدُبُ
 صُرْغَنَا، فَأَمْسَى يَحْسَبُ الشُّكْرَ قَدْ قَضَى
 عَلَيْنَا، وَذَاكَ الشُّكْرُ أَشْهَى وَأَعْجَبُ
 وَكَمْ لَيْلَةٍ فِي إِثْرِ يَوْمٍ وَعُذْلِي
 وَعُذْلُ مَنْ يُصْنِي لِقَوْلِي خَيْبُ

خَيَالَيْتَ مَاوَلَى مُعَادَ لَيْمُهُ! وَأَيُّ نَعِيمٍ عِنْدَ مَنْ يَتَّعِزُّ؟
 قَالَ: وَقُلْتُ بِإِشْبِيلِيَّةَ ذَا كِرَا لَوَادِي الطَّلَحِ - وَهُوَ
 بِشَرْقِ إِشْبِيلِيَّةَ، مُلْتَفُّ الْأَشْجَارِ، كَثِيرُ مَتَرَتِهِ الْأَطْيَارِ، وَكَانَ
 الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَادٍ كَثِيرًا مَا يَنْتَابُهُ مَعَ رُمَيْكِيَّتِهِ^(١) وَأَوَّلَى أَنْسِيهِ
 وَمَسَرَّتِهِ:

سَائِلُ بَوَادِي الطَّلَحِ رِيحَ الصَّبَا
 هَلْ مُخِرْتُ لِي فِي زَمَانِ الصَّبَا^(٢)؟

(١) قد سبق التعريف بالرميكية جارية للعتمد بن عباد وما قيل فيها، وتقدم
 التعريف بوادي الطلح « أحمد يوسف نجاتي » (٢) تقدمت هذه
 القصيدة وشرحها « أحمد يوسف نجاتي »

كَانَتْ رَسُولًا فِيهِ مَا يَنْتَنَّا لَنْ نَأْمَنَ الرُّسُلَ وَلَنْ نَكْتُبَا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَنْكَسَا إِذَا مَا اسْتَوْمِنُوا خَانُوا، فَمَا أَعْجَبَا
هَلَّا رَعَوْا أَنَا وَثَقْنَا بِهِمْ وَمَا اتَّخَذْنَا عَنْهُمْ مَذْهَبًا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْبُ مِنْ غَدْرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَاجِرَبَا
وَالَيْمُ^(١) لَا يَعْرِفُ مَا طَعْمُهُ إِلَّا الَّذِي وَاقَى لِأَنْ يَشْرَبَا
دَغْنِي مِنْ ذِكْرِ الْوُشَاةِ الْآلَى لَمَّا يَزَلْ فِكْرِي بِهِمْ مُلْهَبَا
وَإِذْ كُرْبُ بَوَادِي الطَّلَحِ عَهْدَانَا لِلَّهِ مَا أَحْلَى وَمَا أَطْيَبَا
بِحَايِبِ الْعُطْفِ وَقَدْ مَالَتْ أَا

أَغْصَانُ وَالزَّهْرَ يَبُثُّ الصَّبَا^(٢)

وَالطَّيْرُ مَازَتْ بَيْنَ أَلْحَانِيَا وَلَيْسَ إِلَّا مُعْجَبًا مُطْرَبَا
وَحَاثَنِي مَنْ لَا أَسْمِيهِ مِنْ شَحٍّ، أَخَافُ الدَّهْرَ أَنْ يُسْلِبَا^(٣)
قَدْ أَتْرَعَ الْكَاسَ، وَحَيَّا بِهَا وَقُلْتُ: أَهْلًا بِالْمَنَى مَرْحَبَا
أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِي شِئْتُهُ يَا بَدْرَتِي مُهْدِيَا كَوْكَبَا
لَكِنِّي آلَيْتُ أُسْقِي بِهَا أَوْ تُودِ عَنْهَا تَفَرُّكَ الْأَشْنَبَا
فَمَجَّيْ فِي الْكَاسِ مِنْ تَفَرِّهِ مَا حَبَّبَ الشُّرْبَ وَمَا أَطْيَبَا

(١) في الأصل « والهم » - واليم : البحر الواسع العميق أو لجمته « أحمد
يوسف نجاشي » (٢) بث الشيء : نشره وفرقه ، يريد أن النسيم ينثر عليهم
أزهار الأغصان التي يعيلها ويداعبها (٣) في الأصل « أن يصحبا »

فَقَالَ: مَا لَثَمِي ثَقْلًا، وَلَا تَشْمُ إِلَّا عَرْفِي الْأَطْيَبَا

فَأَقْطِفْ بِخَدِّي الْوَرْدَ وَالْآسَ وَالذَّ

نَسْرِينَ، لَا تَحْفِلْ بِزَهْرِ الرُّبَا

أُسْهِفْتَهُ^(١) غَضْنَا غَدًا مُثْمِرًا وَمِنْ جَنَاهُ مَيْسُهُ قَرَبَا

قَدْ كُنْتُ ذَا نَعْيٍ وَذَا لِامْرَةٍ حَتَّى تَبْدَى فَحَلَّتْ الْحُبَا^(٢)

وَلَمْ أَصُنْ عِرْضِي فِي حُبِّهِ وَلَمْ أُطِيعْ فِيهِ الَّذِي أَنبَا

حَتَّى إِذَا مَا قَالَ لِي حَاسِدِي:

تَرْجُوهُ وَالْكُوكَبَ أَنْ يَغْرُبَا

أَرْسَلْتُ مِنْ شِرْئِي سِحْرَالَهُ يُيسِّرُ الْمَرْغَبَ وَالْمَطْلَبَا

وَقَالَ: عَرَفْتُهُ بِأَنِّي سَاءُ تَالُ، فَمَا أَجْتَنِبُ الْمَكْتَبَا

فَزَادَ فِي شَوْقِي لَهُ وَعَدُهُ وَلَمْ أَزَلْ مُعْتَقِدًا^(٣) مَرْقَبَا

أُمِدُّ طَرْفِي ثُمَّ أَتْنِيهِ مِنْ خَوْفِ أَخِي التَّنْفِيسِ أَنْ يَرْفُبَا

أُصَدِّقُ الْوَعْدَ، وَطَوْرًا أَرَى تَكْذِيبَهُ، وَالْحُرَّ أَنْ يَكْذِبَا

أَتَى وَمَنْ سَخَّرَهُ بَعْدَ مَا أَيَّاسَ بَطْأً كَادَ أَنْ يُغْضِبَا

قَبِلْتُ فِي التُّرْبِ، وَلَمْ أُسْتَطِعْ مِنْ حَصْرِ اللَّقِيَا سِوَى مَرْحَبَا

(١) في نسخة « شغفته » وفي الأصل « أشغفته » ولعله من الشف بمعنى
الهنأ، يقال شف لك الشيء يافلان : اذا غبطته بشيء قلت له ذلك ، أى
هنته « أحمد يوسف نجاشي » (٢) حلجابه : كناية عن ترك التوقر (٣) قد
تكون « مقتعدا » أى جالسا فوق مكان عال أرقبه منه « أحمد يوسف نجاشي »

هَنَاتُ رَبِّى إِذْ غَدَا هَالَةً وَقُلْتُ: يَأْمَنُ لَمْ يُضِغْ أَشْعَبًا
بِاللهِ مِنْ مُعْتَقًا لَاثِمًا فَمَالَ كَالْفُضْنِ ثَنَّهُ الصَّبَا
وَقَالَ: مَا تَرْغَبُ؟ قُلْتُ: أَتَيْدُ أَدْرَكَتْ إِذْ كَلَّمْتَنِ الْمَرْغَبَا^(١)
فَقَالَ: لَا مَرْغَبَ^(٢) عَنْ ذِكْرِي مَا تَرْغَبُهُ، قُلْتُ: إِذَا مَرَّ كَبَا
فَكَانَ مَا كَانَ، فَوَاللهِ مَا ذَكَرْتُهُ دَهْرِي أَوْ أَغْلَبَا
قَالَ: وَقُلْتُ بِاقْتِرَاحِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نُورِ الدِّينِ صَاحِبِ
حِمَصٍ أَنْ أَكْتُبَ بِالذَّهَبِ عَلَى تَفَاحَةٍ عَنَبٍ قَدَمَهَا لِابْنِ عَمِّهِ
الْمَلِكِ الصَّالِحِ مَلِكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ^(٣) :

أَنَا لَوْنُ الشَّبَابِ وَالْخَالِ أَهْدِي مَتُ لِمَنْ قَدْ كَسَا الزَّمَانَ شَبَابَا
مَلِكِ الْعَالَمِينَ نَجْمُ بَنِي آيُوبَ لَا زَالَ فِي الْمَعَالِي شَهَابَا
جَنَّتْ مَلَأَى مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ

مِنْ شُكْرِ إِحْسَانِهِ وَالثَّوَابَا

لَسْتُ يَمُنُّ لَهُ خِطَابُ، وَلَكِنْ

قَدْ كَفَانِي أَرِيحُ عَرَفِي خِطَابَا

قَالَ: وَلَمَّا أَتَشَدَّ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنِ الْأَبَّارِ^(٤) كَاتِبُ مَلِكِ

إِفْرِيقِيَّةَ لِنَفْسِهِ :

(١) في نسخة «المأربا» والمعنى واحد (٢) في نسخة «لامذهب» أى لامعدل
ولامقر (٣) تقدمت هذه الأبيات والتعريف بالملكين الصالحين (٤) تقدم

لَهُ دُولَابٌ يَدُورُ كَأَنَّهُ فَلَكٌ وَلَكِنْ مَا ارْتَقَاهُ كَوَكَبٌ

هَامَتْ بِهِ الْأَحْدَاقُ لَمَّا نَادَمَتْ

مِنْهُ الْحَدِيقَةُ سَاقِيًا لَا يَشْرَبُ

نَصَبَتْهُ فَوْقَ النَّهْرِ أَيْدٍ قَدَرَتْ

تَرْوِيحَهُ الْأَرْوَاحَ سَاعَةً يُنْصَبُ

فَكَأَنَّهُ وَهُوَ الطَّلِيْقُ مُقَيَّدٌ وَكَأَنَّهُ وَهُوَ الْحَيْسُ مُسَيَّبٌ

لِلْمَاءِ فِيهِ تَصَعَّدُ وَتَحْدُرُ

كَالْمُزْنِ يَسْتَسْقِي الْبَحَارَ وَيَسْكَبُ

حَلَفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ ابْنُ عَمِّي أَنْ يَصْنَعَ

فِي ذَلِكَ شَيْئًا، فَقَالَ :

وَعَمِيَّةُ الْأَصْلَاعِ تَحْنُو عَلَى الثَّرَى

وَتَسْقِي نَبَاتَ الثَّرْبِ دَرَّ التَّرَائِبِ ^(١)

تَعْدُ مِنْ الْأَفْلَاكِ إِنْ مِيَاهَهَا

نُجُومٌ لِرَجْمِ الْمَحَلِّ ذَاتِ ذَوَائِبِ ^(٢)

وَأَعْجَبَهَا رَفْصُ الْفُصُونِ ذَوَابِلًا

فَذَارَتْ بِأَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاصِبِ ^(٣)

التعريف بابن الأبار القضاي ، وسيأتي حديث عنه « أحمد يوسف نجاتي »

(١) في نسخة : وعمية الأصلاب . . در السحاب « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) المحل : الجذب والقصط وخالو الأرض من النبات (٣) أي المواضي القواطع

وَتَحْسَبُهَا وَالرَّوْضَ سَاقٍ وَقَيْنَةً
فَمَا بَرَحَا مَا بَيْنَ شَادٍ وَشَارِبٍ
وَمَا خِلَتْهَا تَشْكُو بِتَحْنَانِهَا الصَّدَا
وَمِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا أُطْرَادُ الْمَذَانِبِ ^(١)
فَخَذَ مِنْ مَجَارِيهَا وَدُھْمَةً لَوْنَهَا
بَيَاضَ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ ^(٢)
ثُمَّ كُفِلَتْ فِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ - وَأَنَا أَعْتَذِرُ بِأَنْ هَذَيْنِ
لَمْ يَثْرُ كَالِي مَا أَقُولُ :
وَذَاتِ حَيْنٍ لَا تَرَالُ مُطِيقَةً ^(٣)

تَتَنُ وَتَبْكِي بِالْذُّمُّوعِ السَّوَاكِبِ
كَأَنَّ أَلِفًا بَانَ غَنَاهَا ، فَأَصْبَحَتْ بِمَرْبَعِهِ كَالصَّبِّ بَعْدَ الْحَبَائِبِ

(١) الصدى: العطش، والمذانب جمع مذهب « كبر » مسيل ما بين التلعتين أو مسيل الماء إلى الأرض، ومسيل إلى الحضيض ليس بخدواسع ، والمذهب: الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها فيفرق ماءها ، والتي يسيل عليها الماء مذهب أيضا ، قال امرؤ القيس :

وقد أغتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذهب
(٢) أخذه من قول أبي تمام :

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب
وفي بيت ابن سعيد لف ونشر مرتب واضح « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) في الأصل « مطيقة » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاتي » .

إِذَا ابْتَسَمَتْ فِيهَا الرِّيَاضُ شَمَاتَةً
 تَرْمُهَا بِأَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ^(١)
 فَكَمْ رَقَصَتْ أَغْصَانُهَا، فَرَمَتْ لَهَا
 نِثَارًا كَمَا بَدَدَتْ^(٢) حَلَى الْكَوَاعِبِ
 لَقَدْ سَخِطَتْ مِنْهَا الشُّجُورُ، وَأَرْضَتْ أَلَا
 قُدُودًا، وَلَمْ تَحْفَلِ بِتَرْيِبِ عَائِبِ^(٣)
 شَرِبْتُ عَلَى تَحْنَانِهَا ذَهَبِيَّةً
 ذَخِيرَةً كَسَرَى فِي الْمُصُورِ الذَّوَاهِبِ
 فَهَاجَتْ لِي الْكَاسُ أَدَّ كَارَ مُعَاضِبِ
 فَحَا كَيْثُهَا^(٤) وَجَدَّ ابْدَاكَ الْمُعَاضِبِ
 فَلَا تَدْعِ التَّبَرُّزَ فِي كَثْرَةِ الْهَوَى
 فَلَوْلَايَ كَانَتْ فِيهِ إِحْدَى الْعَجَائِبِ^(٥)
 قَالَ: وَقُلْتُ بِغَرَّ نَاطَةِ:
 بَاكِرِ اللَّهُمَّ، وَمَنْ شَاءَ عَتَبَ
 لَا يَلِدُ الْعَيْشُ إِلَّا بِالطَّرَبِ

(١) أراد بأمثال السيف الجداول، وجزم الفعل «ترعها» في جواب إذا
 ضرورة «أحمد يوسف نجاتي» (٢) في الأصل «بدت» مصحفة
 (٣) في نسخة «عائب» (٤) في الأصل «فهاجيتها» (٥) في نسخة
 «في كثرة الهوى * فلولا» «أحمد يوسف نجاتي»

مَا تَوَانَى مَنْ رَأَى الزَّهْرَ زَهَا
 وَالصَّبَا تَمْرُحُ فِي الرُّوضِ خَبَبٌ^(١)
 وَشَذَاهُ صَانُهُ حَتَّى اغْتَدَى
 بَيْنَ أَيْدِي الرِّيحِ غَضَبًا^(٢) يُنْتَهَبُ
 يَا نَسِيمًا عَطَّرَ الْأَرْجَاءَ : هَلْ
 بَعَثُوا صِنْنَكَ مَا يَشْفِي الْكُرْبَ؟
 هُمْ أَعْلَوْهُ ، وَهُمْ يَشْفُونَهُ
 لَا شَفَاءُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَصَبِ
 خَلَعَ الرُّوضُ عَلَيْهِ زَهْرَهُ
 حِينَ وَافَى مَنْ ذَرَاكُمْ فَعَلَ صَبِ
 فَأَبَى إِلَّا شَذَاهُ ، فَأَنْشَى
 حَامِلًا مِنْ عَرْفِهِ مَا قَدْ غَصَبِ
 لَسْتُ ذَا نُكْرٍ لِأَنْ يُشْبِهَكُمْ
 مَنْ بَعَثْتُمْ ، غَيْرُ ذَا مِنْهُ الْعَجَبِ
 غَالَبَ الْأَغْصَانِ فِي بَدَائِهِ ثُمَّ لَمَّا زَادَ أُعْطَتْهُ الْقَلْبِ

(١) الحجب: سرعة السير والعدو (٢) في الأصل « غصنا » أحمد يوسف نجاتي

فَبَكَى الطَّلُّ عَلَيْهَا رَحْمَةً
 أَوْ بَكَى مِنْ وَعْظِ طَيْرٍ قَدْ خَظَبَ
 كُلُّ هَذَا قَدْ دَعَانِي لِلَّتِي
 مَلَكَتْ رِقِّي عَلَى مَرِّ الْحَقَبِ
 قَهْوَةُ أَبْنِيمُ مِنْ عُجْبٍ لَهَا عِنْدَ مَا تَبْسِمُ حُجْبًا عَنْ حَبِّبٍ
 حَاكَتِ الْخُمْرَ ، فَلَمَّا شُعِشِعَتْ
 قُلْتُ : مَا لِلْخُمْرِ بِالْمَاءِ الْتَهَبُ^(١) ؟
 وَبَدَتْ مِنْ كَاسِهَا لِي فِضَّةٌ
 مُلِثَتْ إِذْ جَدَّتْ^(٢) ذَوْبَ الذَّهَبِ
 فَاسْقَيْنِيهَا مِنْ يَدَيِ مُشْبِهٍهَا
 بِالَّذِي يُخَوِّيه طَرْفُ وَشَنَبِ^(٣)
 لَا جَعَلْتُ الدَّهْرَ ثَقْلِي غَيْرَ مَا
 لَدَّيْ مِنْ رِيْقٍ تُقَرِّ كَالضَّرْبِ^(٤)

(١) شمع الشراب : مزجه بالماء (٢) في الأصل « خمدت » وهو تصحيف
 « أحمد يوسف نجاشي » (٣) الشنب : رقة وصفاء في الثغر مع برد وعدوبة
 (٤) الضرب : الشهد أو العسل الأبيض الغليظ، يذكر ويؤث ؛ قال
 أبو ذؤيب الهذلي :

وما ضرب بيضاء يأوى مليكها الى ظنف أعياء براق ونازل
 بأطيب من فيها اذا جئت طارقا وأشهى اذا نامت كلاب الأسافل

لَا جَعَلْتُ الدَّهْرَ رِيحًا فِي سِيَّ
مَا بِحَدِيدِهِ مِنَ الْوَرْدِ أَتَّخَبُ
لَمْ أَزَلْ أَقْطَعُ دَهْرِي هَكَذَا وَكَذَا أَقْطَعُ مِنْهُ الْمُرْتَقَبُ
حَبْدًا عَيْشٌ قَطَعْنَاهُ لَدَى مَعْطَفِ الْخَابُورِ مَا فِيهِ نَصَبٌ^(١)
مَعَ مَنْ لَمْ يَذَرِ يَوْمًا مَا الْجَفَا مَنْ أَرَا حَ الصَّبِّ فِيهِ مِنْ تَعَبٍ
كُلُّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ حَسَنٌ

لَمْ يُذِقْنِي فِي الْهَوَى مُرَّ الْقَضَبِ
أَيُّ عَيْشٍ سَمَحَ الدَّهْرُ بِهِ! كُلُّ نُعْمَى ذَهَبَتْ أَمَا ذَهَبَ
قَالَ: وَدَخَلْتُ بِثَوْنَسٍ مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْغَسَّائِيِّ سَحَابًا
فَنَظَرْنَا إِلَى غِلْمَانٍ فِي نِهَآيَةِ الْحُسْنِ وَلُغُومَةٍ الْأَبْدَانِ، فَقُلْتُ
مُخَاطِبًا لَهُ :

دَخَلْتُ سَحَابًا، وَقَصَدِي بِهِ تَنْعِيمُ جِسْمٍ، فَقَدَّ إِلَى عَذَابٍ
قُلْتُ: لَطَى، فَأَعْتَرَصَتْ حُورُهُ وَقُلْتُ: عَدَنُ، فَهَانِي التَّهَابُ
وَأَنْتَ فِي الْفَضْلِ إِمَامٌ، فَكُنْ

فِي الْحُكْمِ مِمَّنْ حَازَ فَضْلَ الْخُطَابِ

مليکھا یسویھا ، والطنف : حیدندر من الجبل قد أعيا بن یرقی و یمن
ینزل «أحمد یوسف نجائی» (١) معطف الخابور موضع «أحمد یوسف نجائی»

فَقَالَ :

لَا تَأْمَنِ الْخُلَامَ فِي فِعْلِهِ فَلَيْسَ مَا يَأْتِيهِ عِنْدِي صَوَابٌ
فَمَا أَرَى أَخْذَعَ مِنْهُ وَلَا
أَكْذَبَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّرَابُ
يُبْدِي لَكَ الْغَيْدَ^(١) كَحُورِ الدَّمَى^(٢)

وَيُلْبِسُ الشَّيْخَ بُرُودَ الشَّبَابِ
ظَنَّ بِهِ النَّارَ، فَلَا جَنَّةَ لِلْحُسْنِ إِلَّا مَا حَوَتْهُ الشَّيَابُ
وَمِنْ فَوَائِدِهِ - أَغْنَى ابْنَ سَعِيدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي
كِتَابِهِ الْمُحَلَّى بِالشَّعَارِ ثَقَلًا عَنِ الْقُرْطُبِيِّ قَضِيَّةُ بِنَاءِ الْهُدُوجِ
بِرَوْضَةِ مِصْرَ، وَهُوَ مِنْ مُتَنَزَّهَاتِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ الْعَظِيمَةِ
الْعَجِيبَةِ الْبِنَاءِ الْبَدِيعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ الْبَانِي لَهُ الْخَلِيفَةَ
الْأَمِيرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ^(٣) لِلْبَدْوِيَّةِ الَّتِي غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّهَا بِجَوَارِ
الْبُسْتَانِ الْمُخْتَارِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ كَثِيرًا، وَقُتِلَ وَهُوَ

(١) الغيد : جمع أغيد وغيداء : وهو الذي مالت عتقه ولانت أعطافه
والنسي : الصور من العاج ، جمع دمية (٢) هو أبو علي منصور المستعلي بالله أبي
القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بالله علي بن الحاكم بأمر
الله منصور بن العزيز بالله نزار بن العزيز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل
ابن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله الفاطمي ، ولى الأمر بمصر سنة
٩٤٦ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ « أحمد يوسف نجاشي »

مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ، وَمَا زَالَ مُتَنَزِّهًا لِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ . وَقَدْ أَكْثَرَ
النَّاسُ فِي حَدِيثِ الْبَدَوِيَّةِ وَأَبْنِ مِيَّاحٍ مِنْ بَنِي عَمَّهَا، وَمَا
يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَمْرِ حَتَّى صَارَتْ رَوَايَاتُهُمْ فِي هَذَا
الشَّانِ كَحَدِيثِ الْبَطَّالِ وَالْفِ لَيْلَةٍ وَمَا شَبَّهَ ذَلِكَ، وَالْإِخْتِصَارُ
مِنْهُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ كَانَ مُلِيَّ بِعِشْقِ الْجَوَارِي
الْعَرَبِيَّاتِ، وَصَارَتْ لَهُ عُيُونٌ فِي الْبَوَادِي، فَبَلَغَهُ أَنْ بِالصَّبْعِ
جَارِيَةً مِنْ أَكْمَلِ الْعَرَبِ وَأَظْرَفِهِمْ شَاعِرَةً حَمِيلَةً، فَيُقَالُ إِنَّهُ
تَرَيَّا بَزِيَّ بُدَاهِ^(١) الْأَعْرَابِ، وَكَانَ يَجُولُ فِي الْأَخْيَاءِ إِلَى أَنْ
أَنْتَهَى إِلَى حَيْثُمَا، وَبَاتَ هُنَاكَ، وَتَحَيَّلَ حَتَّى عَايَنَهَا هُنَاكَ، فَمَا
مَلَكَ صَبْرَهُ، وَرَجَعَ إِلَى مَقَرِّ مُلْكِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِهَا يَخِطُبُهَا
وَيُزَوِّجُهَا، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ صَعِبَ عَلَيْهَا مُفَارَقَةُ مَا عَتَدَتْ
وَأَحْبَبَتْ أَنْ تُسَرِّحَ طَرْفَهَا فِي الْفَضَاءِ، وَلَا تَنْقَبِضَ نَفْسُهَا تَحْتَ
حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَبَنَى لَهَا الْبِنَاءَ الْمَشْهُورَ فِي جَزِيرَةِ الْفُسْطَاطِ
الْمَعْرُوفِ بِالْهُودَجِ، وَكَانَ غَرِيبَ الشَّكْلِ عَلَى شَطِّ النَّيْلِ،
وَيَقِيتُ مُتَعَلِّقَةً الْخَاطِرِ بِأَبْنِ عَمِّ لَهَا رُئِيتَ مَعَهُ يُعْرِفُ
بِأَبْنِ مِيَّاحٍ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ مِنْ قَصْرِ الْأَمْرِ :

(١) بداء جمع باد : وهو ساكن البادية ، وفي الأصل « بداءة » مصحفة
« أحمد يوسف نجاتي » .

يَا بْنَ مِيَّاحٍ، إِلَيْكَ الْمُسْتَشْكَى مَالِكٌ مِنْ بَعْدِكُمْ قَدْ مَلَكَ
كُنْتُ فِي حَيٍّ طَلِيقًا أَمِيرًا نَائِلًا مَا شِئْتُ مِنْكُمْ مُدْرِكًا
فَأَنَا الْآنَ بِقَصْرِ مُوَصِّدٍ لَا أَرَى إِلَّا خَيْبًا ^(١) مُمَسِّكًا
كَمْ تَذَنَّبْنَا كَأَغْصَانِ النِّقَا حَيْثُ لَا نَخْشَى عَلَيْنَا دَرَكًا
فَأَجَابَهَا فَقَالَ :

بُنْتُ عَمَى وَأَتَيْتُ غَذِيَّتُهَا بِالْهَوَى حَتَّى عَلَا وَاحْتَبَكَ ^(٢)
بُحْتُ بِالشُّكْوَى، وَعِنْدِي ضِعْفُهَا

لَوْ غَدَا يَنْفَعُ مِنَّا الْمُسْتَشْكَى
مَالِكُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ يَشْتَكِي هَالِكٌ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ أَهْلَكَ ^(٣)
قَالَ: وَلِلنَّاسِ فِي طَلَبِ ابْنِ مِيَّاحٍ وَاخْتِفَائِهِ أُخْبَارٌ طَوِيلُ.
وَكَانَ مِنْ عَرَبِ طَيِّئٍ فِي عَصْرِ الْأَمْرِ طِرَادٌ بَنٌ مُهْلَهْلُ.
فَقَالَ- وَقَدْ بَلَغَتْهُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

أَلَا بَلَّغُوا الْأَمْرَ الْمُصْطَفَى مَقَالَ طِرَادٍ- وَنِعَمَ الْمَقَالَ:
قَطَعْتَ الْأَلْيَفَيْنِ عَنِ الْفَةِ بِهَا سَمَرٌ أَلْحَى حَوْلَ الرِّحَالِ
كَذَا كَانَ آبَاؤُكَ الْأَكْرَمُونَ

سَأَلْتُ ، فَقُلْ لِي جَوَابَ السُّؤَالِ

(١) في نسخه « جيسا » ولعلها أحسن . « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) أو « واحتسكا » (٣) في الأصل « هلكا » « أحمد يوسف نجاشي »

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ الْآمِرُ لَمَّا بَلَغَتْهُ الْآيَاتُ : جَوَابُ سُؤَالِهِ
 قَطْعُ لِسَانِهِ عَلَى فُضُولِهِ ، فَطُلِبَ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يُوجَدْ
 فَقِيلَ : مَا أَخْصَرَ صَفْقَةَ طَرَادِ بَاعِ عِدَّةِ آيَاتٍ ^(١) بِثَلَاثَةِ آيَاتٍ .
 وَكَانَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مَكِينُ الدَّوْلَةِ أَبُو طَالِبٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ
 الْمَجِيدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَدِيدٍ لَهُ مُرُوءَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَيَحْتَدِي
 أَفْعَالُ الْبَرَامِكَةِ ، وَلِلشُّعْرَاءِ فِيهِ أَمْدَاخٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَدَحُهُ
 ظَافِرُ الْخُدَّادِ ^(٢) وَأَمِيَّةُ أَبُو الصَّلْتِ وَغَيْرُهُمَا ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ
 يَتَفَرَّجُ فِيهِ بِهِ جُرْنٌ كَبِيرٌ مِنْ رُخَامٍ ، وَهُوَ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ
 يَتَحَدَّرُ فِيهِ الْمَاءُ ، فَيَبْقَى كَالْبُرْكَاتِ مِنْ كِبَرِهِ ، وَكَانَ يَرَى
 فِي نَفْسِهِ بِرُؤْيَا زِيَادَةً عَلَى أَهْلِ التَّنْعِيمِ وَالْمُبَاهَاةِ فِي عَصْرِهِ
 فَوُشِيَ بِهِ لِلْبُدَوِيَّةِ مَحْبُوبَةِ الْآمِرِ ، فَسَأَلَتْ الْآمِرَ فِي حَمْلِ
 الْجُرْنِ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ حَدِيدٍ فِي إِحْضَارِ الْجُرْنِ ، فَلَمْ
 يَجِدْ بُدْأً مِنْ حَمْلِهِ مِنَ الْبُسْتَانِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْآمِرِ أَمَرَ

(١) في نسخة « باع آيات الحى » (٢) هو أبو منصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغنى الجندى الأديب الاسكندرى الشاعر المشهور ، كان من الشعراء المجيدين فصيحاً فاضلاً بليغاً ، وله ديوانٌ أكثره جيد ، وشعره فى غاية الحسن ، ومدح جماعة من الصريين ، وروى عنه أبو طاهر السلفى وغيره من الأعيان ، وتوفى بمصر سنة ٥٢٩ هـ « أحمد يوسف نجاشى »
 (٦ - فتح الطيب - ثامن)

بِعَمَلِهِ فِي الْهُودَجِ، فَقَلِقَ ابْنُ حَدِيدٍ، وَصَارَتْ فِي قَلْبِهِ حَزَازَةٌ
مِنْ اخْذِ الْجُرْنِ، فَأَخَذَ يَخْدُمُ الْبَدَوِيَّةَ وَجَمِيعَ مَنْ يُلَوِّذُ بِهَا
بِأَنْوَاعِ الْخِدْمِ الْمُظِيْمَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْخُدِّ فِي الْكَثَرَةِ
حَتَّى قَالَتْ الْبَدَوِيَّةُ: هَذَا الرَّجُلُ أَخْجَلْنَا بِكَثَرَةِ تَحْفِهِ، وَلَمْ
يُكَلِّفْنَا قَطُّ أَمْرًا نَقْدِرُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مَوْلَانَا، فَلَمَّا
قِيلَ لَهُ عَنْهَا هَذَا الْقَوْلُ قَالَ: مَالِي حَاجَةٌ - بَعْدَ الدُّعَاءِ لِلَّهِ بِحِفْظِ
مَكَانِهَا وَطُولِ حَيَاتِهَا فِي عِزٍّ - غَيْرَ رَدِّ السَّقِيَّةِ^(١) الَّتِي قَلِمْتُ
مِنْ دَارِي الَّتِي بَنَيْتُهَا فِي أَيَّامِهِمْ مِنْ نِعْمَتِهِمْ، تُرَدُّ إِلَى مَكَانِهَا
فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَدَّهَا عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ حَصَلَتْ فِي حَدِّ
أَنْ خَيْرَ تَكِ الْبَدَوِيَّةُ فِي جَمِيعِ الْمَطَالِبِ، فَتَزَلَتْ هِمَّتُكَ إِلَى
قِطْعَةِ حَجَرٍ! فَقَالَ: أَنَا أَعْرِفُ بِنَفْسِي، مَا كَانَ لَهَا أَمَلٌ سِوَى
أَلَّا تُغْلَبَ فِي اخْذِ ذَلِكَ الْحَجَرِ مِنْ مَكَانِهِ، وَقَدْ بَلَغَهَا اللَّهُ
تَعَالَى أَمَلَهَا. وَكَانَ هَذَا الْمَكِينُ مُتَوَلَّى قَضَاءِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ
وَنَظَرَهَا فِي أَيَّامِ الْآمِرِ، وَبَلَغَ مِنْ عُلوِّ هِمَّتِهِ وَعَظِيمِ مُرُوءَتِهِ

(١) في نسخة «السقية» وهي جمع الماء، وهو لفظ اشتهر في الاستعمال

وعبارات الفقهاء، قل الشهاب الحجازي

هجوت فسيتكم عامدا لأنها في اللهو أصليه

أليس في فسق جمعهم؟! فحق أن تدعى بفسقيه

وهي كلمة ليست بعربية صميمة «أحمد يوسف نجاني»

أَنَّ سُلْطَانَ الْمُلُوكِ حَيْدَرَةَ أَخَا الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ بْنِ الْبَطَّاحِيِّ^(١)
لَمَّا قَلَدَهُ الْأَمْرَ وَوَلَايَةَ نَعْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ
وخمسين سنةً وَأَصَافَ إِلَيْهَا الْأَعْمَالَ الْبَحْرِيَّةَ، وَوَصَلَ إِلَى الشَّغْرِ -
وَصَفَ لَهُ الطَّيِّبُ دُهْنَ الشَّمْعِ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي الْمَذْكُورِ
فَأَمَرَ فِي الْحَالِ بَعْضَ غِلْمَانِهِ بِالْمَضِيِّ إِلَى دَارِهِ لِإِخْضَارِ دُهْنِ
الشَّمْعِ، فَمَا كَانَ أَكْثَرُ مِنْ مَسَافَةِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَقَدْ أَخْضَرَ
حَقًّا مَخْتُومًا، فَنَفَكَ عَنْهُ، فَوُجِدَ فِيهِ مِنْدِيلٌ لَطِيفٌ مُذْهَبٌ
عَلَى مُدَافِ بَلُورٍ، فِيهِ ثَلَاثَةُ بُيُوتٍ، كُلُّ يَتٍّ عَلَيْهِ قُبَّةٌ
ذَهَبٍ مُشَبَّكَةٌ مَرَصَعَةٌ بِبِاقُوتٍ وَجَوْهَرٍ؛ يَتُّ دُهْنٍ
يَمْسُكُ، وَيَتُّ دُهْنٍ يَكْفُورُ، وَيَتُّ دُهْنٍ يَتَّبِرُ طَيِّبٌ،
وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مَصْنُوعٌ لَوْ قَتِهَ، فَعِنْدَمَا أَخْضَرَهُ الرَّسُولُ
تَعَجَّبَ الْمُؤْتَمِنُ وَالْحَاضِرُونَ مِنْ عُلُوِّ هِمَّتِهِ، فَعِنْدَمَا شَاهَدَ
الْقَاضِي ذَلِكَ بَالِغَ فِي شُكْرِ إِنْعَامِهِ، وَحَلَفَ بِالْحَرَامِ أَنْ عَادَ
إِلَى مَلِكِهِ، وَكَانَ مِنْ جَوَابِ الْمُؤْتَمِنِ: قَدْ قَبِلْتُهُ مِنْكَ

(١) هو أبو عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطاحي « نسبة إلى البطائح موضع بين واسط والبصرة » استوزره الأمر بأحكام الله بعد قتل الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، فلم يحمّد سيرته كثيرًا، حتى قبض عليه الأمر سنة ٥١٩ وعلى أخيه أحمد اللؤمي وسائر أخوته - وكانوا خمسة - مع ثلاثين رجلاً من أهلهم وخواصه، وصادر أمواهم، ثم قتل في سنة ٥٢٢ وصلبه وقتل أخوته، وكان قدامهم هو وأخوه بالتدبير في القبض على الأمر « أحمد يوسف نجاتي »

لَا لِحَاجَةَ إِلَيْهِ وَلَا نَظَرَ فِي قِيَمَتِهِ ، بَلْ لِإِظْهَارِ هَذِهِ الْهِمَّةِ
وَإِذَاعَتِبَهَا . وَذُكِّرَ أَنَّ قِيَمَةَ هَذَا الْمُدَافِ وَمَا عَلَيْهِ خَمْسُمِائَةَ
دِينَارٍ . فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى مَنْ يَكُونُ دُهْنُ الشَّمْعِ
عِنْدَهُ فِي إِنْكَافِ قِيَمَتُهُ خَمْسُمِائَةَ دِينَارٍ وَدُهْنُ الشَّمْعِ لَا يَكَادُ
أَكْثَرُ النَّاسِ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ - فَمَاذَا تَكُونُ ثِيَابُهُ وَخَلْيُ نِسَائِهِ
وَفُرُشُ دَارِهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّجَمُّلاتِ ؟ ! وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ حَالُ
قَاضِي الإسْكَندَرِيَّةِ ، وَمَنْ قَاضِي الإسْكَندَرِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ بِالْحَضْرَةِ ؟ وَمَا نِسْبَةُ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ - وَإِنْ
عَظُمَتْ أَحْوَالُهُمْ - إِلَى أَمْرِ الْخِلَافَةِ وَأُثْبَتَتْهَا إِلَّا يَسِيرُ حَقِيرُهُ .
وَمَا زَالَ الْخَلِيفَةُ الْآمِرُ يَتَرَدَّدُ إِلَى الْهُودَجِ الْمَذْكُورِ إِلَى
أَنْ رَكِبَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
وَحَمْسُمِائَةٍ يُرِيدُ الْهُودَجَ - وَقَدْ كَمَنَ لَهُ عِدَّةٌ مِنَ النَّزَارِيَّةِ ^(١)
عَلَى رَأْسِ الْجُسْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّوضَةِ - فَوَثَبُوا عَلَيْهِ ، وَأُخْضَوْهُ
بِالْجِرَاحَةِ ، وَجُمِلَ فِي الْعُشَارَى ^(٢) إِلَى اللَّوْلُوءَةِ ^(٣) فَمَاتَ بِهَا .

(١) يريد الاسماعيلية أو الباطنية كما في أبي الفداء وغيره « أحمد يوسف
نجاشي » (٢) ضرب من السفن (٣) منظرة اللؤلؤة بناها الخليفة العزيز
بالله ، وجدها الظاهر لأعزاز دين الله بعد أن هدمها أبوه الحاكم ، ومكانها
الآن حيث مدرسة الفرير بشارع الشعرا في البراني على رأس شارع الخرنفش

وَقِيلَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا - وَقَدْ خَرِبَ هَذَا الْهُودَجُ، وَجُحِلَ
مَكَانُهُ مِنَ الرُّوضَةِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ. نَقَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ
الْحَافِظُ الْقَمَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ الثُّورِيُّ بْنُ سَعِيدٍ - وَمِنْ
خَطِّهِ نَقَلْتُ: لَمَّا نَزَلْنَا بِتَلْعَفَرٍ ^(١) حِينَ خَرَجْنَا مِنْ سِنْجَارٍ ^(٢)
إِلَى الْمَوْصِلِ سَأَلْتُ أَحَدَ شُيُوخِنَا عَنْ وَالِدِ شِهَابِ الدِّينِ
التَّلْعَفَرِيِّ، فَقَالَ: أَنَا أَدْرِكُهُ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّجَوُّلِ، وَأَنْشَدَنِي
لِنَفْسِهِ فِي عِيدٍ أَدْرَكَهُ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ:

يَتَهَيَّجُ النَّاسُ إِذَا عَيَّدُوا وَعِنْدَ سَرَاهِمِهِمْ أَكْمَدُ
لِأَنِّي أَبْصُرُ أَحْبَابَهُمْ وَمُقَلَّتِي مَحْبُوبَهَا تَفْقِدُ
قَالَ: وَخَرَجَ ابْنُهُ الشَّهَابُ أَجُولَ مِنْهُ شَخْصًا وَشِعْرًا -
وَصَدَّقَ فِيمَا قَالَهُ وَأَنْشَدَ ابْنُ سَعِيدٍ لِلشَّهَابِ التَّلْعَفَرِيِّ قَوْلَهُ:

لَكَ ثَغْرٌ كُلُّوْهُ فِي عَقِيقِ
وَرُضَابُ كَالشَّهْدِ أَوْ كَالرَّحِيقِ

من قسم الجمالية، وكانت نزهة الخلفاء الفاطميين، وبها كانت قصورهم «أحمد
يوسف نجاشي» (١) يريد تل أعفر أو تل يعفر بلد الشهاب التلعفري -
وقيل أن أصله التل الأعفر للونه، فغير بكثرة الاستعمال وطلب الحفة «أحمد
يوسف نجاشي» (٢) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة في لطف جبل عال

وَجُفُونُ لَمْ يُعَشَّقْ سَيْفُهَا إِذَا
لَا لِمُعَرَّى بِقَدِّكَ الْمَشُوقِ^(١)
تَهْتَ عَجَبًا بِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الْحُسْنِ
نِ جَلِيلٍ وَكُلِّ مَعْنَى دَقِيقٍ
وَقَرَّرْتَ بِالْجَمَالِ الَّذِي خَلَا لَكَ مُسْتَوْحِشًا بِغَيْرِ رَفِيقٍ
بِالْحَاطِئِ الَّتِي بِهَا لَمْ تَزَلْ تَرَى
شُقَّ قَلْبِي ، وَبِالْقَوَامِ الرَّشِيقِ
لَا تُغْرِ بِالْعَوِيرِ - إِذْ تَتَنَّى
فِيهِ - أَعْطَافَ كُلِّ غُصْنٍ وَرَيْقِ^(٢)
وَأَنْنِ مُحَمَّرٍ وَرَدِّ خَدَّيْكَ ، وَأُسْتُرُ

هُ ، وَإِلَّا يَنْشَقُّ قَلْبُ الشَّقِيقِ^(٣)
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَحَظِيَ الشَّهَابُ التَّلَعُّرِيُّ بِمُنَادَمَتِهِ
الْمُلُوكَ ، وَكَوْنِهِمْ يُقَدِّمُونَهُ ، وَيُقْبَلُونَ عَلَى شِعْرِهِ ، وَعَهْدِي بِهِ
لَا يُنْشِدُ أَحَدٌ قَبْلَهُ فِي مَجْلِسِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ - عَلَى كَثَرَةِ
الشُّعْرَاءِ وَكَثَرَةِ مَنْ يَمْتَنِي بِهِمْ - وَلَمَّا جَمَعْتُ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ

(١) أى الأهيف اللطيف المعتدل ، وامتنق الحسام استله (٢) التوير : موضع على الفرات ، وماء بأرض السجوة بين العراق والشام ، والوريق المورق الناضر يقول : لا تجعلها تنار اذا رأت فذلك أحسن تشبها منها « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) الشقيق ورد أحمر مشهور معروف « وكأن في لفظ الشقيق تورية »

كِتَاب « مُلُوكِ الشَّعْرِ » جَعَلَتْ مُلِكَ شِعْرِ الشَّهَابِ الْبَيْتَ
الرَّابِعَ مِنَ الْمَقْطُوعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُهُ
وَيُنَوِّهُ بِهِ . وَالتَّقْنِي مِنْ ذِكْرِ الشَّهَابِ وَحَاسِنِ شِعْرِهِ لَهُ
مَكَانٌ بِكِتَابِ « الْغُرَّةِ الطَّلَالَةِ فِي فُضْلَاءِ الْيَمَاءَةِ السَّابِعَةِ »^(١)
وَهُوَ الْآنَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ صَاحِبِ حِمَاةٍ^(٢) قَدْ عَلَتْ
سِنُّهُ ، وَمَا فَارَقَهُ غَرَامُهُ وَدَنُهُ^(٣) . انْتَهَى . وَلَمَّا أَجْرَى ابْنُ
سَعِيدٍ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ ذِكْرَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ بْنِ أَيُّوبَ
قَالَ مَا نَفْسُهُ : وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ السَّلَاطِينِ دَهَاءً وَحَزْمًا ، وَكَانَ
يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي إِفْسَادِ الْقُلُوبِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَإِصْلَاحِهَا
لَهُ ، وَيُحْكَى أَنَّهُ بَشَّرَهُ شَخْصٌ^(٤) بِأَنَّهُ أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَفْضَلِ^(٥)
ابْنِ صَلَاحِ الدِّينِ فَسَدَ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ مَا لَا جَزِيلًا ، وَأُرْسِلَ
مُسْتَخْفِيًّا إِلَى الْمَذْكَورِ يَزِيدُهُ بِصِيرَةً فِي الْأَنْحِرَافِ عَنِ

(١) هو كتاب لابن سعيد المترجم ، وهناك كتاب بهذا الاسم أيضا جمعه
الأديب محمد بن علي بن هاني السبكي المتوفى سنة ٧٢٣ أخذ اسم كتابه من ابن
سعيد ، أو توارد خاطراهما على الاسم « أحمد يوسف نجاشي » (٢) هو ناصر
الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن تقي الدين بن
عمر شاهنشاه بن أيوب ، تملك بعد أبيه سنة ٦٤٢ وله عشر سنين رعاية لأمه
الصاحبة ابنة الكامل ، وتوفى سنة ٦٨٣ « أحمد يوسف نجاشي » (٣) توفى
الشهاب التلعفري سنة ٦٧٥ وسيأتي زيادة تعريف به « أحمد يوسف نجاشي »
(٤) الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهو أكبر

الْأَفْضَلِ ، وَيَعِدُّهُ بِمَا يُفْسِدُ الصَّالِحَ ، فَكَيْفَ الْفَاسِدُ ؟ قَالَ
وَكَانَ يَمْنَعُ حَتَّى يُوصَفَ بِالْبُخْلِ ، وَيَجُودُ فِي مَوَاضِعِ الْجُودِ
حَتَّى يُوصَفَ بِالسَّمَّاحِ . وَكَانَ صَلاَحُ الدِّينِ وَهُوَ السُّلْطَانُ
يَأْخُذُ بِرَأْيِهِ ، وَقَدَّمَ لَهُ أَحَدُ الْمُصَنِّفِينَ كِتَابًا مُصَوِّرًا فِي
مَكَائِدِ الْحُرُوبِ وَمُنَازِلَةِ الْمُدُنِ وَهُوَ حِينَئِذٍ عَلَى عَكَا مُحَاصِرًا
لِلْفَرَنْجِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ وَمَعَنَا أَخُونَا
أَبُو بَكْرٍ . وَكَانَ كَثِيرَ الْمُدَارَاةِ وَالْحَزْمِ ، وَمِنْ حِكَايَاتِهِ
فِي ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ الْأَشْيَاحِ مِنْ خَوَاصِهِ قَالَ لَهُ يَوْمًا - وَهُوَ
عَلَى سِمَاطِهِ يَاكُلُ : يَا خُونَدُ ، مَا وَفَيْتَ مَعِيَ ، وَلَا رَعَيْتَ سَابِقَ
خِدْمَتِي ، وَكَلَّمَهُ بِدَالَةِ السِّنِّ وَقَدَّمَ الصُّحْبَةَ قَبْلَ الْمَلِكِ
فَقَالَ لِمَمَالِكَهِ : انْظُرُوا وَسَطَهُ ، فَحَلُّوا ^(١) الْكَمْرَانِ ، وَقَالَ : خُذُوا
الْصُّرَّةَ الَّتِي فِيهِ ، فَوَجَدُوا صُرَّةً ، فَقَالَ : افْتَحُوهَا ، فَفَتَحُوهَا فِإِذَا فِيهَا

أولاد صلاح الدين ، ولد بمصر سنة ٥٦٥ وأعطاه والده الشام
سنة ٥٨٢ وتوفي سنة ٦٢٢ وكان فاضلاً أديباً شاعراً حسن الخط قليل الخط
غير مسعود في حركاته ، ومن شعره ما كتبه الى الخليفة لما خرج من دمشق
واتفق عليه للملك العادل عمه والعزير أخوه :

مولاي ان أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول
أبو بكر عمه العادل ، وعثمان أخوه العزيز « أحمد يوسف نجاشي »

(١) في نسخة « نجسوا » « أحمد يوسف نجاشي »

ذَرُّوهُ، فَقَالَ الْعَادِلُ: كُلٌّ مِنْ هَذَا الدُّرُورِ، فَتَوَقَّفَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مُطْلَعٌ
عَلَى أَنَّهُ سُمِّىَ، فَقَالَ: كَيْفَ نَسَبْتَنِي إِلَى قِلَّةِ الْوَفَاءِ وَأَنَا مُنْذُ
سِنِينَ أَعْلَمُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَسْمِيَ بِهِذَا السُّمِّ؟ وَقَدْ جَعَلَ لَكَ
الْمَلِكُ الْفُلَانِي عَلَى ذَلِكَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ، فَلَا أَنَا أَمْكُتُكَ
مِنْ نَفْسِي، وَلَا أَشْعُرُكَ لِثَلَا يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ
وَرَرَكْتُكَ عَلَى حَالِكَ، وَأَنَا مَعَ هَذَا لَا أُغَيِّرُ عَلَيْكَ نِعْمَةً أَثُمَّ
قَالَ: رُدُّوْا سُمَّهُ إِلَى كَرَامَتِهِ، لَا أَتَّبِعُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ إِنْ قَدَرَ
وَأَتَّبِعُ عَلَى، فَجَعَلَ يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَقُولُ: هَكَذَا وَاللَّهِ كَانَ،
وَأَنَا تَائِبٌ لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ جَدَّدَ تَوْبَةً، وَأَسْتَأْنَفَ أَدْبَا
آخَرَ وَخِدْمَةً أُخْرَى، وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ مِنْ إِحْدَى عَجَائِبِ
الْعَادِلِ. قَالَ: وَكَانَ كَثِيرَ الْمُصَانَعَاتِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَصُوغُ
الْحُلِيَّ الَّذِي يَصْلُحُ لِنِسَاءِ الْفَرَنْجِ، وَيُوجِّهُهُ فِي الْخَلْفَةِ إِلَيْهِنَّ
حَتَّى يُمْسِكَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ عَنِ الْحُرَاكَةِ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مَعَ مُلُوكِ
الْإِسْلَامِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ. وَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ أُخِيهِ الْمُعِزُّ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ^(١) بِالْيَمَنِ، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ بِالْخِلَافَةِ

(١) الملك المعز اسماعيل بن سيف الاسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب
صاحب اليمن وابن صاحبها، ولى الملك باليمن بعد وفاة أبيه سنة ٥٩٣هـ وكان

وَكَتَبَ لَهُ أَنْ يُيَايِمَهُ وَيَخْطُبُ لَهُ فِي بِلَادِهِ - كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ
مَنْ أَشَارَ إِلَى النُّظَرِ فِي تَوْجِيهِ عَسْكَرٍ لَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَإِثْقَانِ الْأَمْوَالِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَا مَ أَمْرُهُ ، فَضَحِكَ ، وَقَالَ : مَنْ
يَكُونُ عَقْلُهُ هَذَا الْعَقْلَ لَا يُخْرِجُ خَصْمَهُ إِلَى كَبِيرِ مَوْثَنَةٍ
أَنَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَفْسِدُ عَلَيْهِ حَالَهُ فِي بِلَادِهِ ، فَضَّلَا عَنْ أَنْ
يَتَطَرَّقَ فَسَادُهُ لِبِلَادِي ، ثُمَّ إِنَّهُ وَجَّهَ فِي السَّرِّ لِأَصْحَابِ دَوْلَتِهِ
بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِمَقُولِكُمْ أَنَّ هَذَا
لَا يَسُوعُغُ لِي ، فَكَيْفَ يَسُوعُغُ لَهُ ؟ وَقَدْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي أَمْرِ
لَا يُخْرِجُ مِنْهُ إِلَّا بِهَلَاكِهِ فَاحْذَرُوا أَنْ تَهْلِكُوا مَعَهُ
وَالْعَظُومُ بِالْآيَةِ « وَلَا تَرَوْا كُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ
النَّارُ » وَمَا لِهَذَا عَقْلٌ يُدَبِّرُ بِهِ نَفْسَهُ ، فَكَيْفَ يَفْضُلُ عَنْ
تَذْيِيرِ خَاصَّتِهِ إِلَيْكُمْ ؟ ! « وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ » فَعِنْدَ
مَا وَعَتْ أَسْمَاعُهُمْ هَذَا وَتَذَبَّرُوهُ بِمَقُولِهِمْ قَبَضُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ
وَعَادَتِ الْبِلَادُ لِلْعَادِلِ ، وَقَالَ لِلْمُشِيرِينَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ
بِتَجْهِيزِ الْعَسْكَرِ : قَدْ كُفِينَا الْمَوْثَنَةَ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ مِنْ أَلْمَالِ

سِيءِ الْأَعْمَالِ مَدْمَنَاظِلًا ، وَادَّعَى أَنَّهُ أُمَوِي ، وَخَرَجَ وَعَزَمَ عَلَى الْخِلَافَةِ ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ
أَخْوَانٌ مِنْ أَمْرَائِهِ فَقَتَلَاهُ سَنَةَ ٥٩٨ هـ وَوَلَّى بَعْدَهُ أَخٌ لَهُ صَبِي اسْمُهُ النَّاصِرُ
أَيُّوبُ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاتِي »

وَأَوْ حَوْلَانَاهُ بِمَا أَسْرْتُمْ بِهِ لَمْ تَقُمْ خَزَائِنُ مُلْكِنَا بِالْبُلُوغِ
إِلَى غَايَتِهِ . وَكَانَ عَلَى مَا بَلَغَهُ مِنْ عَظَمَةِ السُّلْطَانِ وَاتِّسَاعِ
الْمَمَالِكِ يَحْكِي مَا جَرَى لَهُ فِي زَمَانِ خُلُوهٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُحِبُّ
الِاسْتِمَاعَ لِنَوَادِرِ أَنْذَالِ الْعَالَمِ ، وَأَشْتَهَرَ فِي خِدْمَتِهِ مَسَاخِرُ
أَشْهَرُهُمْ خُضَيْرُ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الرُّبُوعَةِ بِغُوطَةِ
دِمَشْقَ ، وَمِنْ نَوَادِرِهِ الْخَاضِرَةُ ^(١) مِنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَوْمًا وَهُوَ
يَقُولُ فِي وُضُوئِهِ « اللَّهُمَّ حَاسِبِنِي حِسَابًا يَسِيرًا ، وَلَا تُحَاسِبْنِي
حِسَابًا عَسِيرًا » فَقَالَ لَهُ : يَا خُونْدُ ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يُحَاسِبُكَ
حِسَابًا عَسِيرًا ؟ إِذَا قَالَ لَكَ : أَيْنَ أَمْوَالُ الْخَلْقِ الَّتِي أَخَذْتَهَا ؟
فَقُلْ لَهُ : تَرَاهَا بِأَمَاتِيهَا فِي الْكَرْكِ . وَكَانَ قَدْ صَنَعَ بِهَذَا
الْمَعْقِلِ « الْحُسَرَاتِ » مُمَيِّتٌ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَنْ رَأَاهَا يَتَحَسَّرُ
إِذَا نَظَرَهَا ، وَلَا يَسْتَطِيعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بِحِيلَةٍ ، وَهِيَ جَوَابُ ^(٢)
مَقْرُوعَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، تُرِكَتْ بِمَرَأَى مِنَ النَّاطِرِينَ
لِيَشْتَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأَفَاقِ . وَقَالَ الْعَادِلُ مَرَّةً . وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ

(١) في نسخة « الحارة معه » (٢) جمع جابية : وهي حوض ضخم يجبي فيه
الماء ، ومنه قوله تعالى : وَجُفَانُ كَالْجَوَابِ - أو خواب ، جمع خاية : وهي الحب
« أي الزبر المعد للماء » وفي الأصل « خراب » وهو تصحيف فاسد ما
أكثر أمثاله في الأصل « أحمد يوسف نجاتي »

الْبَرَامِكَةِ وَأَمْنَاهُمْ يَمِّنْ ذِكْرٍ فِي كِتَابٍ « الْمُسْتَجَادِ فِي
حِكَايَاتِ الْأَجْوَادِ ^(١) » - : إِنَّمَا هَذَا كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ مِنَ الْوَرَّاقِينَ
وَمِنَ الْمُؤَرِّخِينَ ، يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يُحَرِّكُوا هِمَّ الْمُلُوكِ
وَالْأَكَابِرِ لِلْسَّخَاءِ وَتَبْذِيرِ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ خُضَيْرٌ : يَا خُونَدُ
وَلَايَ شَيْءٍ مَا يَكْذِبُونَ عَلَيْكَ ! قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : مَنْ وَقَفَ
عَلَى حِكَايَاتِ أَبِي الْعَيْنَاءِ ^(٢) مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ يَجِدُ مِثْلَ
هَذِهِ الْحِكَايَةِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَوَجَدْتُ الشَّهَابَ الْقَوْصِيَّ ^(٣)

(١) كتاب « المستجاد من فعلات الأجواد » لأبي علي الحسن بن علي
التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ « أحمد يوسف نجاشي » (٢) هو
أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خالد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء
الفرير مولى أبي جعفر المنصور ، صاحب النوادر والشعر والأدب ، وكان من
ظرفاء العالم ، ومن أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وأحضرهم بديهة ، وفيه
من اللسن وسرعة الجواب والدكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله أخبار
حسان وأشعار ملاح مع أبي علي الفرير ، وحضر يوماً مجلس الوزير عبيد
الله بن سليمان بن وهب ، فتفاوضوا في حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه
من الجود وسعة العطاء والبذل ، فقال الوزير لأبي العيناء - وكان قد بالغ في
وصفهم وما كانوا عليه من الأنفال ومنح الصلات - : قد أكثر من ذكرهم
ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين ، فقال له أبو العيناء :
فلم لا يكذب الوراقون على الوزير ؟ فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من
اقدامه عليه - ولد أبو العيناء بالأهواز سنة ١٩١ ونشأ بالبصرة ، وسكن بغداد
مدة ، وعاد إلى البصرة ، وبها توفي سنة ٢٨٣ « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) هو أبو الحامد وأبو العرب وأبو الفداء وأبو الطاهر اسمعيل بن حامد

قَدْ ذَكَرَ السُّلْطَانُ الْعَادِلُ « فِي كِتَابِ الْمَعَالِمِ » وَأَبْتَدَأَ الْكِتَابَ
الْمَذْكُورَ بِمَحَاسِنِهِ وَالنَّشَاءِ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ عَنْهُ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ
عَنِ الْخَافِظِ الْأَسْلَفِيِّ . وَتَمَثَّلَ فِيهِ عِنْدَ وَقَاتِهِ :

أَلَا مَ عَلَى مُبْكَائِي خَيْرَ مَلِكٍ وَقَلَّ لَهُ مُبْكَائِي بِالنَّجِيعِ ^(١)
بِهِ كَانَ الشَّبَابُ جَمِيعَ عُمرِي

وَدَهْرِي كُلُّهُ زَمَنَ الرَّبِيعِ
فَفَرَّقَ يَبْنِنَا زَمَنُ خُثُونٍ لَهُ شَفَقٌ بِتَفْرِيقِ الْجَمِيعِ
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَدُفِنَ الْعَادِلُ بِمَدْرَسَتِهِ الْعَادِلِيَّةِ بِدِمَشْقَ
وَكَانَ أَنْشَاهَا لِلشَّافِعِيَّةِ ، وَهِيَ فِي نِهَآيَةِ الْحُسْنِ ، وَبِهَا خِزَانَةُ
كُتُبٍ فِيهَا « تَارِيخُ ابْنِ عَسَاكِرَ » وَذَبِيلُ هَذَا التَّارِيخِ وَأَخْتَصَرَهُ
أَبُو شَامَةَ ^(٢) سَمِعْتُ عَلَيْهِ مِنْهُ هُنَاكَ مَا تَيْسَّرَ أَيَّامَ إِقَامَتِي

ابن عبد الرحمن بن المرجى بن المؤمل بن محمد بن علي بن ابراهيم بن نفيس
ابن سعد بن سعد بن عبادة بن الصامت « الصحابي رضى الله عنه » الفقيه
الشافعي الأنصاري الحزرجي القوصي ، كان وكيل بيت المال بالشام ، ولد بمدينة
قوص سنة ٥٧٤ هـ ورحل الى القاهرة سنة ٥٩٠ هـ ثم قلم الى دمشق سنة ٥٩١ هـ
واستوطنها ، وسمع الكثير يبلاد متعددة ، واتصل بالصاحب صني الدين بن
شكر ، وخرج لنفسه معجاً في أربع مجلدات كبار ، وكان أديبا أخباريا فصيحاً
مفوهاً ، وتقدم عند الملوك ، ودرس بجامعة دمشق . وتوفي بهاسنة ٦٥٣ هـ ودفن
بداره التي وقفها دار حديث « أحمد يوسف نجاتي » (١) النجيع : الدم
الأحمر (٢) « تاريخ دمشق » للامام الحافظ أبي الحسن علي بن حسن المعروف

بِدِمَشْقَ . وَأَوْلَادُ الْعَادِلِ مُلُوكُ الْبِلَادِ فِي صَدْرِ هَذِهِ أَلَمَائَةِ
السَّابِقَةِ ؛ مِنْهُمْ الْكَامِلُ ، وَالْمُعَظَّمُ ، وَالْأَشْرَفُ ^(١) ، وَهُوَ وَلَاءُ

بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ وهو موسوعة أدبية ومعجم حافل
مشهور ، واختصره الامام أبو شامة عبد الرحمن بن اسمعيل الدمشقي المتوفى
سنة ٦٦٥ « أحمد يوسف نجاشي » (١) السلطان الملك العادل سيف الدين
أبو بكر محمد بن الأمير أبي الشكر نجم الدين أيوب أخو السلطان صلاح الدين
الأيوبي ، ولي الأمر بعد خلع الملك للنصور محمد بن الملك العزيز عثمان بن
صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتسلطن مكانه في شوال سنة ٥٩٦ « وكان
السلطان صلاح الدين يعول عليه كثيرا ، وحضر معه فتوحاته ، واستتابه بمصر
مدة ، ثم أعطاه حلب ، ثم أخذها منه ، وأعطاه ولده الظاهر ، ومنحه قلعة
الكرك عوضا ثم حران ، وتقل في الملك في حياة صلاح الدين وبعد وفاته ،
ثم استقل بالديار المصرية ، وكان دخوله الى القاهرة في شهر ربيع الآخر
سنة ٥٩٦ وملك مع ذلك البلاد الشامية والشرقية ، وصفت له الدنيا ، ثم ملك
اليمن سنة ٦١٢ وسير اليها ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر
يوسف بن الملك الكامل محمد ، وكان ولده الملك الأوحى نجم الدين أيوب
ينوب عنه في ميافارقين وتلك النواحي ، ولما تمهدت له البلاد قسمها بين
أولاده ؛ فأعطى الملك الكامل محمد الديار المصرية ، وأعطى الملك المعظم
عيسى البلاد الشامية ، وأعطى الملك الأشرف موسى البلاد الشرقية ، وبلغ من
سعاده أن أنجب أولادا كانوا أعظم نعم الله عليه ، لم يخلف أحد من الملوك
أمثالهم في نجاحهم وبسالهم ومعرفتهم وعلاهمتهم ، ودانت لهم العباد ، وملكوا
البلاد . ومدحه الشاعر المشهور أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن
الحسين بن عيين الأنصاري المتوفى سنة ٦٣٠ بقصائد طنانة ، منها في مديح
أولاده :

وله البنون بكل أرض منهم ملك يقود الى الأعادى عسكرا
من كل وضاح الجيين ، تخاله بدرا ، وان شهد الوغى ففضنفر!

الثَلَاثَةُ شَهْرُوا بِالْفَضْلِ وَحُبُّ الْفَضْلَاءِ وَقَوْلِ الشُّعْرَاءِ .
أُنْتَهَى . وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي تَرْجَمَةِ الرَّئِيسِ صَفِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ

متقدم ، حتى اذا النقع انجلى بالبيض عن سبي الحرم تأخرا
قوم زكوا أصلا ، وطابوا محتدا وقدقوا جودا ، وراقوا منظرا
وهي طويلة جيدة ، وتوفي الملك العادل سنة ٦١٥ وكان أصغر الاخوة ، وأطولهم
عمرا ، وأعمقهم فكرا ، وأبصرهم في العواقب ، وأعرفهم بقيمة المال ، وأحزمهم
في تدبيره . وكان له عدة أولاد ؛ منهم شمس الدين مودود ، وتوفي في حياة
أبيه ، وهو والد الملك الجواد يونس ، ومنهم السلطان الكامل ناصر الدين .
محمد صاحب الديار المصرية ، توفي سنة ٦٣٥ والأشرف مظفر الدين موسى
صاحب الشرق وبلاد خلاط . بعد أخيه الأوحده أبيوب المتوفى في حياة أبيه ،
ومنهم الفائز ابراهيم الملقب سابق الدين ، وشهاب الدين غازي صاحب
ميفارقين ، والملك العزيز عماد الدين عثمان ، والملك الأبعد مجد الدين
حسن توفي في حياة والده ، والملك الحافظ نور الدين علي أرسلان شاه صاحب
قلعة جعبر ، والملك الصالح عماد الدين اسمعيل صاحب بصرى ودمشق ،
والملك المغيث عمرو - توفي في حياة والده ، وخلف ولدا صغيرا - وهو الملك
المغيث شهاب الدين محمود - وعمر الدين يعقوب ، والملك الأبعد تقي الدين
عباس ، وتوفي بدمشق سنة ٦٦٩ في سلطنة الملك الظاهر ، وهو آخرهم موتا ،
والملك المفضل قطب الدين أحمد ، توفي بمصر في أيام الملك الكامل ، والقاهر
اسحق ، والملك الناصر صلاح الدين خليل - وكان له عدة بنات ؛ أفضلهن
صفية خاتون صاحبة حلب أم الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك
الظاهر غازي والد الملك الناصر يوسف الذي أسر في حوادث التار
سنة ٦١٥ ، وتوفي المعظم عيسى صاحب دمشق سنة ٦٢٤ وتوفي الملك
الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى سنة ٦٣٥ « أحمد يوسف نجاتي »

أَبْنِ سَعِيدٍ الْمَرْذُغَانِيَّ وَهُوَ مِنْ بَنَاتِ وَرَارَةَ وَرِيَّاسَةَ بِدِمَشْقَ :-
إِنْ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ بِفِرَاقِي ؟
وَفِرَاقِي الْأَخْبَابِ مُرُّ الْمَذَاقِ !
لَوْ عَلِمْتُمْ بِلَوْعَتِي وَصَبَابَا

تِي وَوَجْدِي وَزَفَرَتِي وَأَخْتِرَاقِي
لَرَأَيْتُمْ لِمُسْتَهَامِ الْمَعْنَى وَوَفَيْتُمْ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَقَفْتُ عَلَى ذِكْرِ هَذَا الرَّئِيسِ فِي كِتَابِ
« تَاجِ الْمَعَاجِمِ » وَوَجَدْتُ صَاحِبَةَ الشَّهَابِ الْقُوصِيَّ قَدْ قَالَ :
أَخْبَرَنِي بِدِمَشْقَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ مِنْهَا إِلَى مِصْرَ
لِأَمْرِ صَاقَ بِهِ صَدْرُهُ ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ فِي النَّوْمِ ، وَأَنشَدَهُ :
يَا أَحْمَدُ ، أَفَنَعِ بِالَّذِي أُعْطِيَتْهُ

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَدَعِ الشُّكَاثُرَ فِي النَّفْيِ لِمَعَاشِرِ

أَضْحَوْا عَلَى جَمْعِ الدَّرَاهِمِ وَلَهَا (١)

(١) جمع واله ، من وله بالشيء يوله ولها : وهو الشغف وشدة الوجد الى

حد ذهاب العقل « أحمد يوسف نجاشي »

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلِّهَا
فَمَا نَتَنَّى عَزْمُهُ عَنِ الْخُرُوكَةِ، ثُمَّ بَلَغَ مَا أَثْلَهُ دُونَ سَفَرٍ .
وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي تَرْجَمَةِ الْمُتَخَبِّ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْكَبِيرِ
الْمَدِشَقِيُّ الْمَعْرُوفِ بِدِفْرِخُوَانَ - وَهُوَ الَّذِي يَقْرَأُ الدَّقَاتِرَ
بَيْنَ أَيْدِي الْمُلُوكِ وَالْأَكَابِرِ - : إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الدَّقَاتِرَ بَيْنَ
يَدَيِ الْعَادِلِ بْنِ أَيُّوبَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ بِالْأَشْعَارِ فِي الْمَوَاسِمِ
وَالْفُصُولِ، فَيُنَالُ مِنْ خَيْرِهِ، وَكَتَبَ لَهُ مَرَّةً وَقَدْ أَطْلَعَ الشِّتَاءَ
فِي دِمَشْقَ فَقَالَ :

مَوْلَايَ ، جَاءَ الشِّتَاءُ وَالْكَيْسُ مِنْهُ خَلَاءُ
لَا زَالَ يَجْرِي بِمَا تَرَى تَضِي خُلَاكَ الْقَضَاءُ
وَكُلُّهُ كَافٍ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ فِيهِ التَّوَكُّلُ (١)

(١) يشير إلى كافات الشتاء السبعة المعروفة لدى الأدباء التي جمعها الشاعر
ابن سكرة الهاشمي في قوله :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجتنا جبا
كن وكيس وكانون وكاسن طلا ثم الكباب و... ناعم وكسا
وزاد ابن مسعود عليه كفا ثامنة، فقال :

وكم ليلة في شهر كانون بها أعتاق من حبي بها الدبعص والفضا
سمعت من الكافات فيها ثمانيا فاشتت من مرأى أنيق حوى الحسناء
(٧ - نفع الطيب - ثامن)

فَقَالَ لَهُ الْعَادِلُ: هَذَا الضَّيِيرُ الَّذِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَلَى
مَاذَا يَعُودُ؟ قَالَ: بِحَسَبِ مَكَارِمِ السُّلْطَانِ، إِنْ شِئْتَ عَلَى
الدَّرَاهِمِ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الدَّنَائِيرِ، فَضَحِكَ، وَقَالَ: هَاتِ كَيْسَكَ
فَأَخْرَجَ لَهُ كَيْسًا يَسَعُ قَدْرَ مِائَةِ دِينَارٍ، فَمَلَأَهُ لَهُ، وَقَالَ:
أَظْنُوهَ كَانَ مُعَدًّا عِنْدَكَ، فَقَالَ: مِثْلُ السُّلْطَانِ مَنْ يَكُونُ
جُودُهُ مَظْنُونًا- وَكَتَبَ إِلَيْهِ مِرَّةً وَقَدْ أَمْلَقَ:

أَنْظُرْ إِلَى بَعِينِ جُودِكَ مِرَّةً

فَلَعَلَّ مَحْرُومَ الْمَطَالِبِ يُرْزَقُ

طَيْرُ الرَّجَاءِ عَلَى غُلَاكَ مُخَلَّقٌ

وَأَظْنُوهَ سَيَعُودُ وَهُوَ مُخَلَّقٌ^(١)

فَأَعْطَاهُ جُمْلَةَ دَنَائِيرٍ، وَقَالَ لَهُ: اشْتَرِ بِهِذِهِ مَا تُخَلِّقُ بِهِ
طَيْرَ رَجَائِكَ. أَتَتْهُ. وَأَنْشَدَ ابْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِبَعْضِ
الْمَغَارِبَةِ- وَهُوَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُرْوَانَ الرَّبَاطِيُّ^(٢) الْكَاتِبُ:

كبابا وكيزانا وكيسا وكعبا كساء وكوبا والكوانين والكننا
النعص: الكتيب، يريد الردف: والكنن: البيت، والتواء الأمر تعسره
«أحمد يوسف نجاشي» (١) مخلق: أي مطيب بالخالق: وهو العطر والطيب
(٢) لعله منسوب إلى رباط الفتح: مدينة بالمغرب قرب سلا على نهر بالقرب من
البحر المحيط، بناها الأمير المنصور يعقوب بن تاشفين على هيئة الاسكندرية
وفي نسخة «الزناطي» ولعله يريد «الزناقي» «أحمد يوسف نجاشي»

أَنْسُ أَخِي الْفَضْلَ كِتَابَ أَتَيْتُ
أَوْ صَاحِبُ يُعْنَى بُوْدٍ وَتَيْقُ
فَإِنَّ تُمْرَهُ دُونَ رَهْنٍ بِهِ
تَخْسَرُهُ أَوْ تَخْسَرُ وَدَادَ الصَّدِيقِ
وَرَبَّمَا تَخْسَرُ هَذَا وَذَا

فَاسْمَعِ - رَعَاكَ اللَّهُ - نَصَحَ الشَّفِيقُ

قَالَ وَأَجَابَهُ الْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَهُوَ ابْنُ الرُّيْبِ ^(١)
بِثَرِ نَصْهِ: مِثْلُكَ يُفِيدُ تَجْرِبَةً قَدْ تَقَى ^(٢) عَلَيْهَا عُمَرُ، وَضَلَّ
عَنْ قَوَائِدِهَا غَرُّ عُمَرِ ^(٣) وَقَدْ أَتَقَذْتُ رَهْنًا لَا يُسْمَحُ بِإِخْرَاجِهِ
مِنْ أَلَيْدٍ إِلَّا لِأَيْدِكَ ^(٤) فَتَفَضَّلَ بِتَوْجِيهِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ قَائِلًا أَعْلَمُ
أَنَّهُ عِنْدَكَ مِثْلُ وَلَدِكَ. قَالَ فَوَجَّهَهُ وَمَعَهُ بَطَاقَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا:
يَا أَخِي، إِنْ عَرَضْتَ بَوْلَدِي فَكَذَلِكَ كُنْتُ مَعَ وَالِدِي،
وَقَدْ تَوَارَثْنَا الْمَقُوقَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَكُنْ شَاكِرًا

(١) هو أبو علي الحسين بن محمد التيمي القيرواني، كان في أواسط القرن
الخامس، وكان بينه وبين أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن
ابن سعيد بن حزم القرطبي مكاتبات أدبية «وتوفي أبو المغيرة بن حزم سنة ٤٣٨هـ»
«أحمد يوسف نجاتي» (٢) نقد وضاع وفي (٣) النثر: ذو الغفلة من لم يحرب الأمور
وكذلك النمر (٤) في الأصل «اللا يدك» وهو تصحيف يضيع معه
السمع المقصود «أحمد يوسف نجاتي»

فَإِنِّي صَابِرٌ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَتَقَامُ (١) أَمْرُ وَلَدِهِ ، فَقَيَّدَهُ
بِقَيْدِ حَدِيدٍ ، وَقَالَ فِيهِ :

لِي وَلَدٌ يَأْلَيْتُهُ لَمْ يَكُ عِنْدِي يُخْلَقُ
يَجْهَدُ فِي كُلِّ الَّذِي يُرْغَمُ وَهُوَ يَعْشَقُ
وَإِنْ أَكُنْ قَيَّدُهُ دَمْعِي عَلَيْهِ مُطْلَقُ
وَذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّ الْكَاتِبَ أَبَا الْحَسَنِ الْمَذْكُورَ
كَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِيرُ الْكُتُبَ ، فَإِذَا طُلِبَتْ مِنْهُ فَكَانَهَا
مَا كَانَتْ ، فَذَكَرَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَهُوَ ابْنُ الرَّيِّبِ الْمَوْرُخِ -
أَنَّ عِنْدَهُ نُسخَةً جَلِيلَةً مِنْ تَارِيخِ عَرِيبٍ (٢) الَّذِي لَخَصَ
فِيهِ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ، وَأَسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ شَرْطِهِ ، وَذَيْلَ
مَا حَدَّثَ بَعْدَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي اسْتِعَارَتِهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
يَا أَخِي ، سَدَّدَ اللَّهُ آرَاءَكَ ، وَجَعَلَ عَقْلَكَ أَمَامَكَ لَا وَرَاءَكَ ،
مَا يَلْزَمُنِي مِنْ كَوْنِكَ مُضِيعًا أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ ، وَالنُّسخَةُ
الَّتِي رُمِتَ إِعَارَتُهَا هِيَ مُؤَنِّسِي إِذَا أَوْحَشَنِي النَّاسُ ، وَكَاتِمُ
سِرِّي إِذَا خَاؤُنِي ، فَمَا أُعِيرُهَا إِلَّا بِشَيْءٍ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَذَادَى
بِفَقْدِهِ إِذَا قُبِدَ جُزْؤُهُ مِنَ النُّسخَةِ ، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

(١) عظم واشتد (٢) عريب بن محمد القرطبي توفي سنة ٥٠٩ هـ وتقدم التعريف

أَنْسُ أَخِي الْفَضْلَ كِتَابُ أَنْيَقَ إِلَى آخِرِهِ

وَأَنْشَدَ لِلْكَاتِبِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمَذْكُورِ :

إِنَّ ذَاكَ الْعِذَارَ قَامَ بِمُذَرِّي وَفَشَا فِيهِ لِلْعَوَازِلِ سِرِّي

مَا رَأَيْتُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مَسْكًا صَاغَ مِنْهُ إِلَّا لَهُ هَالَةٌ^(١) بَذَر

أَيُّ آسٍ مِنْ حَوْلِ جَنَّةٍ وَزِدْ

لَيْسَ مِنْهُ آسٍ مَدَى الدَّهْرِ يُبْرِي^(٢)

وَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ بَيْنَ تَلْسَانٍ وَقَاسَ قَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ

وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

أَلَا رَحِمَ اللَّهُ حَيًّا دَعَا لِمَيْتٍ قَضَى بِالْفَلَا نَجْبَةً

تَمُرُّ السَّوَافِي عَلَى قَبْرِهِ قَهْدِي لِأَحْبَابِهِ ثُرْبَةً^(٣)

وَلَيْسَ لَهُ عَمَلٌ يُرْتَجَى وَلَكِنَّهُ يَرْتَجَى رَبَّهُ

أُنْتَهَى .

« رَجِعْ » إِلَى نَظْمِ ابْنِ سَعِيدٍ الْمُتَرْجِمِ بِهِ ، فَنَقُولُ : وَقَالَ لَمَّا

(١) الهالة : دائرة القمر (٢) الآس الأول : الریحان المعروف ، والثاني الآسى

وهو الطيب ؛ من أسأل الجرح بأسوه : إذا عالج به (٣) السوافي جمع سافية : وهي

الرياح تنسف التراب وتذروه « أحمد يوسف نجاتي »

سَارَ الْمُعْظَمُ^(١) مِنْ حِصْنِ كَيْفَا^(٢) وَآلَ أُمْرُهُ إِلَى الْمَلِكِ ،
ثُمَّ الْقَتْلِ وَالتَّهْلِكِ :

لَيْتَ الْمُعْظَمَ لَمْ يَسِرْ مِنْ حِصْنِهِ

يَوْمًا ! وَلَا وَاقَى إِلَى أُمْلَاكِه !

(١) هو السلطان الملك المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين محمد أبي بكر بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي الأيوبي الكردي سلطان الديار المصرية وآخر ملوك بني أيوب بمصر، تسلطن بعد موت أبيه الملك الصالح في سنة ٦٤٨ وكان حين وفاة والده في شعبان سنة ٦٤٧ بحصن كيفا ، فبوع له في غيبته حتى حضر الى المنصورة في أول المحرم من سنة ٦٤٨ وكان الملك المعظم هذا نائباً لأبيه الملك الصالح على حصن كيفا وغيرها من ديار بكر . . . وبعد حوادث بدت من الملك المعظم أشياء انفض الناس بها من حوله ، وفرت قلوبهم عنه فانفقوا على قتله ، واتفقت معهم على ذلك الملكة شجرة الدر زوج والده فضربه بعض عماليك أبيه البحرية بالسيف ، ورموه بالنشاب ، ثم قطعوه ارباً وذلك في المحرم سنة ٦٤٨ شهر توليته ، وتسلطن بعده زوج أبيه أم خليل شجرة الدر بائناً للأمراء ، وخطب لها على المنابر بمصر ، فكانت ولاية الملك المعظم على مصر دون الشهر « أحمد يوسف نجاشي » (٢) اسم بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، يشقها نهر دجلة فيقسمها قسمين ، وكانت في زمن ابن سعيد لصاحب آمد من ولد داود ابن سقان بن أرئق ، وكان صاحبها في أواخر القرن السادس نور الدين محمد بن قرا أرسلان توفي سنة ٥٨٠ وترك ابنه ظهير الدين سكران صغيراً عمره عشر سنين ، واستولى عليها سنة ٦٣٩ الملك الكامل من صاحبها الملك المسعود بن الملك الصالح أبي الفتح محمود بن نور الدين محمد بن غفر الدين قرا

إِنَّ الْمَنَاصِرَ إِذْ رَأَتْهُ مُكَمَّلًا

حَسَدَتْهُ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَى إِهْلَاكِهِ ^(١)

وَمِمَّا نَقَلْتُهُ مِنْ دِيْوَانِهِ الَّذِي رَبَّيْتُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ
قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقُلْتُ بِالْقَاهِرَةِ عَلَى لِسَانٍ مَنْ كَلَّفَنِي ذَلِكَ:

شَرَفَ الدِّينِ، ابْنِ لِي مَا السَّبَبُ

فِي انْقِلَابِ الدَّهْرِ لِي عِنْدَ الْغَضَبِ!!

فَلْتَدُمُ غَضَبَانِ أَظْفَرُ بِالْعَنَى

لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَرْبٍ

إِنَّمَا ظَهَرْتُكَ عِنْدِي قِبَلَهُ

وَوُضُوئِي الدَّهْرَ مِنْ ذَلِكَ الشَّنْبِ ^(٢)

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلِ الْكَذِبِ. قَالَ وَقُلْتُ بِإِسْبِيلِيَّةٍ:

أرسلان بن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقمان بن أرتق
ثم عصي حسن كيفا، فأرسل الملك الكامل إليه أخاه الأشرف سنة ٦٣٠
فقتله بعد خطوط (١) يشير إلى ما كان من قاتليه، وكانوا قد جمعوا في قتله
ثلاثة أشياء: السيف والنار والماء، لأنه بعد ما ضرب بالسيف فقتله يده
فقطع بعض أصابعه دخل البرج الحشب الذي كان قد عمل هناك بفارسكور
فأوقدوا التيران حوله، ورموه بالنشاب، ثم قطعوه قطعاً، وبقي على جانب
البحر ثلاثة أيام منتفخاً لا يجسر أحد أن يدفنه، حتى شفع فيه رسول الخليفة
فحمل إلى ذلك الجانب فدفن به - رحمه الله تعالى - «أحمد يوسف نجاشي»
(٢) الشنب: ماء ورقة تجرى على الثمر مع برد وعذوبة في الفم «أحمد يوسف نجاشي»

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَالصُّبْحُ لَمَّا رَضِيتَ صُبْحُ
فَهْتُونِي بِارْتِجَاجِ الْمُنَى

لَوْلَا الرُّضَا مَا بَرَحَ الْبَرْحُ^(١)

يَا أَوْرُقًا يَا غُصْنًا يَا ثَقًّا يَا ظَنِيَّةً بِاللَّيْلِ يَا صُبْحُ^(٢)

يَصْحُو جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ سُكْرِهِمْ

وَأَنْتَ مِنْ سُكْرِكَمْ أَصْحُو

بَلَغْتَ فِيهِ غَايَةَ لَمْ يُبَيَّنْ غَايَتَهَا التَّفْسِيرُ وَالشَّرْحُ

وَيَنْصَحُ الْعَدَالُ مَنْ لِي بِأَنْ يَمْدُلَنِي عَنْ غَيْكِ النُّصْحُ^(٣)!

وَقُلْتُ بِإِشْبِيلِيَّةَ :

وَضَحَّ الصُّبْحُ ، فَأَيْنَ الْقَدْحُ ؟

يَعْرِفُ اللَّذَاتِ مَنْ يَصْطَبِحُ^(٤)

مَا تَرَى اللَّيْلَ كَطَرِفِ أَدْهَمٍ وَضِيَاءِ الْفَجْرِ فِيهِ وَضَحُ^(٥)!

(١) البرح: الشدة والأذى والشر ، وريح: فارق وزال (٢) لعله يريد بأورق

جمع ورق «وان لم يسمع» وورق القوم: حسنهم وجمالهم ، والورق جمال الدنيا وبهجتها ، وحسنها ونفرتها ، ونعيمها وزينتها ، والورقة: الشجرة الخضراء

الحسنة الأوراق كثيرتها - والثقا: الكتيب التراكم من الرمل

(٣) الاصطباح: شرب الصبوح صباحا (٤) الطرف: الجواد الكريم، والوضح:

البياض والضوء. والدمه: السواد «أحمد يوسف نجاتي»

وَالَّذِي دَبَّجَهُ دُرُّ اللَّذَى وَعَلَى الْأَغْصَانِ مِنْهُ وَشَحْ^(١)
وَمُدِيرُ الرِّاحِ لَمْ يَمُدُّ أَلْمَنَى كُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ مُقْتَرَحْ^(٢)
فِي بَطَاحِ الْمَرْجِ قَدْ نَادَمَنِي رَشَاءٌ مِنْ سُكْرِهِ يَنْبَطِخُ
جَعَلَ الْمِسْوَالُكِ سِتْرًا لِلْمَنَى فَكَأَنَّ قَبْلَ فَاهُ قُزْحُ
كُلُّ مَا شِئْتُ الَّذِي قَدْ شَاءَهُ فَحَثَا لِي كَاسَهُ أَفْتِشِ^(٣)
مَا أَبَالِي أَنْ رَأَى كَاشِخَ^(٤) أَمْ رَأَى مِنْ لَدَيْهِ نَصْحُ
هَكَذَا الْعَيْشُ، وَدَعِ عَيْشَ الَّذِي

خَافَ مِنْ تَقْدِيرِ إِذَا يَفْتَضِخُ

وَقُلْتُ بِشْرِيشَ :

طَابَ الشَّرَابُ لِمَعْشَرٍ سَلَبُوا الْمَرْوَةَ فَاسْتَرَاخُوا
لَا يَعْرِفُونَ تَسْتَرًا الشُّكْرُ عِنْدَهُمْ مُبَاحُ
مُتَهَتِّكُونَ لَدَى أَلْمَنَى وَفَسَادُهُمْ فِيهَا صَلَاحُ

(١) دبجه: نقشه ووشاه وزينه وحسنه. والوشح: جمع وشاح: وهو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر ، وشبه قلادة بنسج من أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشعها (٢) عداء: أى فاته وتجاوزته ، والمقترح: المطلوب (٣) حثاله عثو: إذا أعطاه شيئاً يسيراً ، وفي نسخة « فحشاني » (٤) الكاشخ : العدو الذى يطن العداوة ويضمهرها فى كشعه « أحمد يوسف نجاشى »

سَاقِيهِمْ مُتَبَذِّلٌ هَلْ يُمْنَعُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ^(١) ؟
 غُصْنٌ يَمِيلُ بِهِ الصَّبَا رَدَّتْهُ طَوْعَ الرَّاحِ رَاحٌ^(٢)
 طَوْعُ الْأَمَانِي ، كُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ فَهُوَ اقْتِرَاحُ
 مَا إِنْ نُبَالِي إِنْ بَدَا أَلَّا يَلُوحَ لَنَا الصَّبَاحُ
 مَا زِلْتُ أَرْشُفُ ثَغْرَهُ وَعَلَيْهِ مِنْ عَضْدِي وَشَاحُ
 وَالْقَلْبُ يَهْفُو طَائِرًا وَلَمَّا ، وَلَا يُخْشَى افْتِضَاحُ
 وَلَوْ أَنَّا نَخْشَاهُ كَمَا نَ لَنَا مِنَ الظَّلَامِ جَنَاحُ^(٣)
 لَمَكِنَّا فِي عُصْبَةٍ مَا فِي تَهْتِكِهِمْ جُنَاحُ^(٤)
 لَا يُنْكِرُونَ سِوَى تَقِيٍّ لِي لَا يَمِيلُ بِهِ مُزَاحُ
 أَفَنِيَ الَّذِي قَدْ جَعَّمُوهُ هَالِكًا سِوَى الْإِلَاحِ^(٥)
 وَقُلْتُ بِمُرَاكِشٍ^(٦) :

(١) متبذل: أي يسمح بما يطلب منه، والقراح: الصرف الخالص (٢) الراح الأول جمع راحة: وهي الكف، والراح الثانية: الحمر (٣) سترو غطاء، وكنف (٤) اثم وذنب (٥) في نسخة « والقدح للملاح » وألاح الشيء: التمع وظهر واضحاً مشرقاً (٦) في نسخة أخرى: « بأركش » وحسن أركش بالقرب من قرطبة، وبه توفي أبو بكر عبد العزيز بن خلف بن عبد الله بن مديبر الأزدی سنة ٥٤٤ هـ ، ومن أهل أركش أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبيد بن فحلون السكسكي، وسكن شرش ، وتوفي سنة ٥٩١ هـ « أحمد يوسف نجاشي »

ثُمَّ هَاتِيَا ، لَاحَ الصَّبَاحُ مَا أَلَيْشُ إِلَّا الْأَصْطَبَاحُ
 مَعَ فِتْنَةٍ مَا دَأَبُهُمْ إِلَّا الْمُرُوءَةُ وَالسَّمَاخُ
 جَرَّبَتْهُمْ ، فَوَجَدْتُهُمْ مَا لِلْمَتَى عَنْهُمْ بَرَاخُ
 يَنْتَنِيهِمْ نَحْوُ الصَّبَا تَقْرُ الْمَثَانِي وَالْعِرَاحُ^(١)
 مَا نَادَمُوا شَخْصًا فَكَأ نَ لَهُمْ بِخِدْمَتِهِ اسْتِزَاحُ
 بَلْ يَعْرِفُونَ مَكَانَهُ فَلَهُ إِذَا شَاءَ اقْتِرَاحُ
 هُمْ يَتَمَبَّوْنَ ، وَضَيْفُهُمْ مَا دَامَ عِنْدَهُمْ يُرَاحُ
 مَا إِنْ يَمْلُونَ النَّزِي لَ وَبِالرِّضَا مِنْهُ أَسْرَاحُ
 يَدْعُونَهُ بِأَجَلٍ مَا يُدْعَى بِهِ الْحُرُّ الصَّرَاحُ^(٢)
 حَتَّى إِذَا مَا بَانَ كَذ دَرَعِيَّتُهُمْ مِنْهُ أَنْزَاحُ^(٣)
 فَعَلَى مِثَالِهِمْ يُبَا حُ لِي أَلْدَامِعُ وَالنُّوَاحُ
 كَرَّمَا فَقَدْتُهُمْ ، فَحَا لِي بَعْدَ بُعْدِهِمْ أَرْتِيَاخُ
 اللَّهُ شَوْقِي إِنْ هَفَّتْ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِمُ الرِّيَاخُ
 فَهَنَّاكَ قَلْبِي طَائِرُ لَهُمْ وَمِنْ شَوْقِي جَنَاحُ
 قَالَ وَقُلْتُ بِمَدِينَةِ ابْنِ السَّلِيمِ فِي وَصْفِ كَلْبٍ صَيْدٍ
 أَسْوَدَ فِي عُنُقِهِ بَيَاضٌ :

(١) المراح : الحفة والنشاط وشدة الفرح والتوسع فيه حتى يجاوز حده

(٢) الخالص الكريم النسب (٣) بعد وفراق « أحمد يوسف نجاني »

وَأَذْهَمَ دُونَ حَلِي ظَلَّ حَالِي كَانَ لَيْلًا يُقْلِدُهُ صَبَاحُ
يَطِيرُ وَمَالَهُ رِيَشٌ، وَلَكِنْ مَتَى يَهْفُو فَأَرْبَعُهُ جَنَاحُ
تَكِيلُ الطَّيْرُ مَهْمَا نَارَعَتْهُ وَتَحْسُدُهُ إِذَا مَرَقَ الرِّيحُ
لَهُ الْأَلْحَاطُ مَهْمَا جَاءَ سِلْكُ وَمَهْمَا سَارَ فَهِيَ لَهُ وَشَاحُ
وَقُلْتُ فِي نِيلٍ مِصْرَ:

يَا نِيلَ مِصْرٍ، أَيْنَ حِصْنُ وَهْرُهَا

حَيْثُ الْمَنَاطِرُ أَنْجُمُ تَلْتَاخُ^(١)

فِي كُلِّ شَطْطٍ لِلنَّوَاطِرِ مَسْرَحُ

تَدْعُو إِلَيْهِ مَنَازِحُ وَبِطَاحُ^(٢)

وَإِذَا سَبَحْتُ فَلَسْتُ أَسْبَحُ خَائِفًا

مَا فِيهِ تَيَّارٌ وَلَا تَمْسَاحُ^(٣)

قَالَ وَقُلْتُ وَقَدْ حَضَرْتُ مَعَ إِخْوَانِي لِي بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ

بِالسُّلْطَانِيَّةِ عَلَى نَهْرِ إِشْبِيلِيَّةٍ وَقَدْ مَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ:

رَقَّ الْأَصِيلُ ، فَوَاصِلِ الْأَقْدَا

وَأَشْرَبُ إِلَى وَقْتِ الصَّبَاحِ صَبَاحًا

(١) البطاح جمع بطحاء وأبطح : مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى ..

والمنازح جمع منزحة : الدلو وشبهها مما تنزع به البئر (٢) في الأصل « مافيه

تياح » بدل « تيار » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاشي » .

وَأَنْظُرْ لِسَمْسِ الْأَفْقِ طَائِرَةً وَقَدْ
 أَلْقَتْ عَلَى صَفْحِ الْخَلِيجِ جَنَاحًا
 فَأَظْفَرَ بِصَفْوِ الْأَفْقِ قَبْلَ غُرُوبِهَا
 وَأَسْتَنْطِقِ الْمَتَى، وَحُثِّ الرِّاحَا^(١)
 مَتَّعْ جُفُونَكَ فِي الْحَدِيقَةِ قَبْلَ أَنْ
 يَكْسُو الظَّلَامُ جَمَالَهَا أُمْسَا^(٢)
 وَقُلْتُ بِمُرْسِيَةٍ:

أَفْلَقَهُ وَجَدُهُ، فَبَاكَ وَزَادَ تَبْرِيحُهُ فَنَاحَا^(٣)
 وَرَامَ يَنْثِي الدُّمُوعَ لَمَّا جَرَتْ، فَرَادَتْ لَهُ جَمَاحَا
 يَأْمَنُ جَفَاً فَارْفَقَنُ عَلَيْهِ مُسْتَعْبِدًا لَا يَرَى السَّرَاحَا
 يُكَابِدُ الْمَوْتَ كُلَّ حِينٍ لَوْ أَنَّهُ مَاتَ لَا سَتَرَاحَا
 يَنْزُو إِذَا مَا الرِّيحُ هَبَّتْ كَأَنَّهُ يَعْشَقُ الرِّيحَا^(٤)
 يَسْأَلُهَا عَنْ دُبُوعِ حِفْصٍ لَمَّا نَمَا عَرَفُهَا وَفَاحَا
 كَمْ قَدْ بَكَى لِلْجَمَامِ كَيْمَا يُصِيرُهُ نَحْوَهَا جَنَاحَا

(١) الثنى: من أوتار عود الغناء، والراح: الحرق - يحث على السماع والشراب
 (٢) جمع مسح: الكساء من شعر أسود (٣) التبريح: بشدة الوجد
 وبلوغ الجهد من الإنسان (٤) ينزو: يثب ويضطرب من شدة القلق

قَالَ وَخَرَجْتُ مَرَّةً مَعَ أَبِي إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَهْلٍ
الْإِسْرَائِيلِيِّ^(١) إِلَى مَرْجِ الْفِضَّةِ بِنَهْرِ إِشْبِيلِيَّةَ ، فَتَشَارَكْنَا
فِي هَذَا الشَّعْرِ :

غَيْرِي يَمِيلُ إِلَى كَلَامِ اللَّاحِي
وَيَمُدُّ رَاحَتَهُ لِنَعِيرِ الرِّاحِ^(٢)
لَا سِيِّمًا وَالْقُصْنُ يَزْهُو زَهْرُهُ
وَيَمِيلُ عِطْفَ الشَّارِبِ الْمُرْتَاحِ
وَقَدْ اسْتَطَارَ الْقَلْبُ سَاجِعُ أَيِّكِهِ
مِنْ كُلِّ مَا أَشْكُوهُ لَيْسَ بِصَاحِي
قَدْ بَانَ عَنْهُ جَنَاحُهُ ، عَجَبًا لَهُ
مِنْ جَانِحٍ لِلْعَجْزِ خَلْفَ جَنَاحِ^(٣)
يَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَدْ غَدَا فِي مَأْتَمٍ وَتَحَالَهُ قَدْ ظَلَّ فِي أَفْرَاحِ
الْقُصْنُ يَمْرَحُ تَحْتَهُ ، وَالنَّهْرُ فِي
قَصْفٍ تُرْجِيهِ يَدُ الْأَزْوَاجِ^(٤)

(١) إبراهيم بن سهل الأسرائيلي الشاعر الرقيق الغزل الطريف ، توفي سنة ٦٤٩ وقيل سنة ٦٥٩ وسيأتي ذكره بعد (٢) لحاج يلحاه : اذا لامه وعابه (٣) جنح اليه : مال واستسلم ، وفي نسخة «حلف جناح» أي صاحب جناح ، أو ملازم له لا ينهض إلا به (٤) القصف بمعنى اللهب واستعمله المؤلفون

وَكَأَنَّمَا الْأَنْشَامُ فَوْقَ جَنَانِهِ
 أَغْلَامٌ خَزَى فَوْقَ مُنْمِرٍ رِمَاحٍ^(١)
 لَا غَرَوْا إِنْ قَامَتْ عَلَيْهِ أَسْطُرُهُ
 لَمَّا رَأَتْهُ مُدْرَعًا لِكِفَاحٍ^(٢)
 فَإِذَا تَتَابَعَ مَوْجُهُ لِدِفَاعِهِ
 مَالَتْ عَلَيْهِ ، فَظَلَّ حِلْفَ صِيَاخٍ
 قَالَ وَقُلْتُ بِمَالَقَةٍ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ :

في أشعارهم ، وأصل معناه كسر غصن صغير ، ورعد قلصف : في صوته تكسر
 ومنه قيل لصوت المعازف قصف ، وتجوز به في كل لهو ، ولعفيف الدين
 التلساني يصف البان :

تبسم زهر البان عن طيب نشره وأقبل في حسن يحل عن الوصف
 هلموا اليه بين قصف وللة فان غصون البان تصلح للقصف
 وترجيته : تدفعه وتسوقه وتستحبه . والأرواح : جمع ريح « أحمد يوسف نجاشي » .
 (١) في الأصل « وكأنا الأنسام » وفي بعض النسخ « الأنشام » ولعله جمع نشم
 وهو شجر تتخذ منه القسي ، ونشم الثور : اذا كان فيه نقط بيض ونقط
 سود ، ولعل « جنانه » في صدر البيت مصخفة عن « حفافه » والحفاف :
 الجانب ، والاحداق بالشئ : الاطافه به (٢) يريد أن النهر مدرع بما على
 سطحه من الدروع والزرذ التي سردت الريح نسجها ، وأظنه يريد بالأسطر
 ما على شاطئيه « حفافيه » من أشجار كأنها صفوف « أسطر » جيش - وتقدم
 مثل هذا المعنى في تخيل الحرب القائمة بين مناظر هذه الطبيعة « أحمد
 يوسف نجاشي »

يَأْسِيًا مِنْ نَحْوِ تِلْكَ النَّوَاحِي
 كَيْفَ بِاللَّهِ نَوْرُ تِلْكَ الْبَطَاحِ ؟
 أَسْقَمَهَا الْغَمَامُ رِيًّا ، فَلَا حَتَّ
 فِي رَدَاءٍ وَمِثْرٍ وَوِشَاحِ ؟
 أَمْ جَفَّتْهُ فَصَيَّرَتْهُ هَشِيمًا
 تَرَكْتَهُ تُذَرُّهُ هُوجُ الرِّيحِ ؟^(١)
 يَا زَمَانِي بِالْحَاجِيَّةِ ، إِنِّي
 لَسْتُ مِنْ سُكْرِ مَأْسُومٍ بِصَاحِي
 أَوْ مِمَّا لَقِيتُ بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ
 مِ شَوْقٍ وَغُرْبَةٍ وَأَنْتِزَاحِ ۥ
 أَيْنَ قَوْمُ الْفِتْمِمْ فِيكَ لَمَّا قَرَّبَ الدَّهْرُ آذَنُوا بِالرَّوَّاحِ ؟
 تَرَكُونِي أَسِيرَ وَجْدٍ وَشَوْقٍ
 مَا لِقَلْبِي مِنَ الْجَلْوَى مِنْ سَرَّاحِ
 أَسْلَمُونِي لِلْوَيْلِ حَتَّى^(٢) تَوَلَّوْا
 وَأَصَاخُوا ظُلْمًا لِقَوْلِ الْإِلَاحِ

(١) هوج الرياح جمع أهوج وهوجاء : أى العاصفة الشديدة المهبوب ،
 والبيت من قوله تعالى « . . . هشيأ تذرؤه الرياح » أى تطيره وتذهب به
 (٢) ويحوز « حين » وأصاخ : أضغى واستمع ، والإلاحي : اللائم « أحمد
 يوسف نجاتي »

أَعْرَضُوا، ثُمَّ عَرَّضُونِي لِشَوْقِي
 تَرَكَ الْقَلْبَ مُفْخَنًا بِجِرَاحٍ ^(١)
 أَسْهَرُ اللَّيْلِ لَسْتُ أَغْنِي لِصُبْحِ
 أَتَرَى النَّوْمَ ذَاهِبًا بِالصَّبَاحِ ^(٢)
 قَدْ بَدَأَ يُظْهِرُ النُّجُومَ حُلِيًّا وَهُوَ مِنْ لِبْسَةِ الصَّبَاحِ بِرَاحِ
 مُسْبِلًا سِتْرَهُ، مُنْعِمَ بَالٍ وَجُفُونِي مِنْ شَهْدِهِ فِي كِفَاحِ
 أَيُّهَا اللَّيْلُ، لَا تُؤَمِّلْ خُلُودًا
 عَنْ قَرِيبٍ يَمْحُو ظِلَامَكَ مَا حِي
 وَيَلُوحُ الصَّبَاحُ مُشْرِقُ نُورٍ فِيهِ لِلْمُسْتَهَامِ بَدْءُ نَجَاحِ
 إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ بَدَدَ شَمْلِي طَائِرًا لَيْتَهُ يَغِيرُ جَنَاحِ
 حَالِكُ اللَّوْنِ شِبْهَ لَوْنِكَ - فَأَعْرِفْ
 عَنْ عِيَانِي - يَا شِبْهَ طَيْرِ النَّزَاحِ ^(٣)
 وَإِذَا مَا بَدَأَ الصَّبَاحُ فَمَا يُشْبِهُهُ إِلَّا لَوْنُ الْخُدُودِ الْمَلَاحِ
 وَقُلْتُ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ :
 قَدْ رُفِعَتْ رَايَةُ الصَّبَاحِ تَدْعُو النَّدَامَى لِلِاصْطِبَاحِ

(١) أُنْخِنَ بِالْجِرَاحِ : أَي أَوْهَنَهُ بِكَثْرَتِهَا (٢) غَنَى الرَّجُلُ يَغْنَى « كَرِضَى »
 وَأَغْنَى : إِذَا نَعِسَ أَوْ نَامَ (٣) النَّزَاحُ : الْبَعْدُ وَالْفِرَاقُ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي »
 (٨ - نَفْعُ الطَّيْبِ - ثَامِن)

فَبَادِرُوا لِلصُّبُوحِ ، إِنِّي قَدْ بَعْتُ فِي غَيْهِ صَاحِي
وَلَا تَمِيلُوا عَنْ رَشْفِ ثَغْرِ وَسَمِعَ شَدْوٍ ، وَشَرِبَ رَاحِ
وَأَنْتَ يَا مَنْ يَرُومُ نُصْحِي قَدْ يَسَّ الْقَوْمُ مِنْ فَلَاحِي
فَلَسْتُ أَصْنِي إِلَى نَصِيحٍ مَا نَهَضَتْ بِالْكُؤُوسِ رَاحِي
قَالَ وَقُلْتُ أُمْدَحُ مَلِكَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاهْنِيهِ بِقَتْلِ ثَائِرٍ مِنْ
زَنَاتِهِ يَدْعِي أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ يَعْقُوبَ الْمَنْشُورِ :
بَرَحَ بِي مَنْ لَيْسَ عَنْهُ بَرَّاحٌ وَمَنْ رَأَى قَتْلِي حَلَالًا مُبَاحٌ ^(١)
مَنْ ضَرَجَ الدَّمْعَ بِحُبِّي لَهُ وَمَا لِقَلْبِي عَنْ هَوَاهُ سَرَّاحٌ ^(٢)
طَبِي عَدِمْتُ الصَّبِيحَ مُذْ صَدَّنِي وَكَيْفَ لَا يُعْدِمُ وَهُوَ الصَّبَاحُ
مَوَرَّدُ الْخَدِّ ، شَيْءُ اللَّيِّ

مُنْعَمُ الرَّدْفِ ، جَدِيبُ الْوِشَاحِ ^(٣)

تَطَنُّهُ مِنْ قَلْبِهِ جَلْمَدًا وَمِنْهُ لِمَاءٌ بِحَفْنِي أَنْسِيَا
لَرَدْفُهُ أَضْعَفُ مِنْ صَبِيهِ وَلَمْ أَزَلْ مِنْ لَحْظِهِ فِي كِفَاحِ
نَشْوَانٍ مِنْ رِيْقَتِهِ ، عَرَبَدَتْ أَجْفَانُهُ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّفَاحِ

(١) برح به الأمر : اذا أتبعه وأجهدته ونال منه مشقة وشدة ، والبراح الزوال
والانطلاق (٢) ضرجه : أي صبغه بجمرة الدم ، وفي نسخة «من صرح القلب»
(٣) اللي : صبرة في الشفة تستحسن ، ومنعم الردف كناية عن ثقله وعظمه .
وجدب الوشاح : كناية عن نحافة خصره وضموره «أحمد يوسف نجاتي»

فَهَا أَرِنِي خَافِتٌ مِثْلَ مَا أَنَا أَسِيرٌ مُثَخِّنٌ بِالْجِرَاحِ
يَا قَاتِلِي صَدًّا ، أَمَا تَسْتَحْيِي

أَنْ تَلْزِمَ الْبُخْلَ بِأَرْضِ السَّمَاحِ؟!

مَنْ ذَا الَّذِي يَبْخُلُ فِي ثَوْنِ

وَالْمِلْحُ فِيهَا صَارَ عَذْبًا قَرَّاحٌ؟!

وَأَصْبَحَتْ أَرْجَاؤُهَا جَبَّةً

مُبَيَّضَةً الْأَبْرَاجِ خُضَرَ الْبِطَاحِ

لَوْلَا نَدَى يَحْيِي وَتَذِيرُهُ مَا بَرَّجَتْ تَقَبَّرُ مِنْهَا النَّوَاحِ^(١)

لَكِنْ يَدَاهُ سُحْبٌ ، كَلَّمَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ حَلَّ فِيهَا النَّجَاحُ

هَذَا ، وَقَدْ آمَنَ مَنْ حَلَّمَا وَخَفَّهَا مِنْ غُرْبَةٍ وَأَنْتَرَاخُ

كَمْ شَتَّتُوا مِنْ قَبْلِ تَأْمِيرِهِ

وَحُكِّمَتْ فِيهِمْ عَوَالِي الرِّمَاحِ

يَا سَائِرًا يَرْجُو مُبْلُوغَ الْمُنَى

بَاكِرٌ ذَرَى يَحْيِي ، وَقُلْ : لَا رَوَاحُ

وَحْيِهِ بِالْمَدْحِ ، فَهُوَ الَّذِي يَهْتَزُّ كَالِهِنْدِيِّ حِينَ امْتِدَاحِ

(١) القراح : الخالص النقي (٢) اغبرار النواحي كناية عن الجذب وعدم النبات وسوء الحال ، وفي الأصل « تعبر » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاشي »

بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ غَدَاذِ كُرُهُ يَحْتِثُ مِنْ حَمْدٍ وَشُكْرِ جَنَاحِ
 سَاعِدُهُ السَّعْدُ، وَأَضْحَتْ لَهُ أَا أَمَّا لَا تَجْرِي بِغَيْرِ اقْتِرَاحِ
 وَيَسِّرَ اللَّهُ لَهُ مُلْكَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُشْهَرَ فِيهِ السَّلَاحِ
 وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِهِ ذَا مَتْعَةٍ أَمْسَى بِهِ مُسْتَبَاحِ
 وَكَمْ جُمُوحٍ عِنْدَمَا قَامَ بِأَا أَمْرٍ رَأَى الْقَهْرَ فَظَلَّ الْجَمَاحِ
 كَفَّ بِكَفِّ اللَّئِدَى وَالرَّدَى بِهَامَعَانٍ وَهِيَ خُرْسٌ فَصَاحِ
 حَتَّى لَقَدْ أَحْسَنَ ^(١) مِنْ سَعْدِهِ تَجْرِي عَلَى مَا يَرْتَضِيهِ الرِّيحُ
 قُولُوا لِمَعْقُوبَ: فَمَاذَا جَنَى؟ وَأَبْنِ أُنَى حِمْرَةَ مَاذَا أَسْتَبَاحِ؟!

قَدْ أَصْبَحَا مِنْ فَوْقِ جَذَعَيْنِ، لَا

يُؤْنِسُهُمْ غَيْرُ هُبُوبِ الرِّيحِ

وَأَسْأَلُ عَنِ الدَّاعِي الدَّعِي الَّذِي

حَاوَلَ أَمْرًا كَانَ عَنْهُ انْضِرَاحٌ ^(٢)

أَكَانَ مَنْ صَيَّرَهُ وَالِدًا بِزَعْمِهِ أَمَلٌ فِيهِ فَلَاحُ؟!

شُكْرًا لِسَعْدٍ لَمْ يَدَعِ فُرْقَةً

قَدْ صَيَّرَ الْمُلُوكَ كَضَرْبِ الْقِدَاحِ

(١) قد تكون «أحسب» (٢) ضربه عن الأمر «كنمه»: دفعه ونحاه وأبعد، ومطاوعه انضرح، وفي الأصل «الصراح» «أحمد يوسف نجاة»

رَأْمُوا بِلَا جَاهٍ وَلَا مَعْنَدٍ
 مَاخُزْتَ بِالْحَقِّ، فَكَانَ أَفْضَحُ^(١)
 زَنَاتُهُ إِيَّاهُنَّكُمْ فَعَلُّكُمْ عَاجَلَكُمْ تَأْتِرُكُمْ بِاجْتِيَا^(٢)
 كَفَرَ مَا قَدَّمْتُمْ آخِرُ وَالْخَيْرُ لَنْ يَبْرَحَ لِلشَّرِّ مَا^(٣)
 عَهْدِي بِهِ فِي مَوْكِ أَمْلِكُ مَا
 يَنْتَكُمُ نَشْوَانُ مِنْ غَيْرِ رَاخٍ
 يَحْسِبُ أَنَّ الْأَرْضَ مِلْكُ لَهُ
 وَرَوْحُهُ مِلْكُ لِسُرِّ الرِّمَاحِ
 غَدًا بِعِزِّ أَمْلِكُ، لَكِنَّهُ
 أَهْوَنُ تَمْلُوكِ عَلَى الْأَرْضِ رَاخٍ
 جَاءُوا بِهِ يَمْزِجُ فِي عِزِّهِ وَهُمْ أَزَالُوا عَنَهُ ذَاكَ الْمَرَاخِ
 تَوَقَّعُوا فِي الْقُرْبِ مِنْهُ الرَّدَى
 مِنْ صُحْبَةِ الْأَجْرَبِ يَحْشَى الصَّخَاخِ
 فَأَسْرَعُوا يَمْوَلُّكَ يَنْوُونَ مَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَظْفَةٍ وَالْتِمَاحِ
 فَنَادَرُوهُ جَانِبًا غَدْرُهُ لِبَاطِرِ الْبَيْنِ عَلَيْهِ نِيَاخِ

(١) المحتد: الأصل ، وفي نسخة « بلاناه » بدل « بلجاه » « أحمد يوسف

نجاني » (٢) هلاك واستتصال (٣) في الأصل « كنى » بدل « كفر »

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مَا سَنَى لَكَ السَّعْدُ بِرَغَمِ اللُّوَاخِ
مِثْلَكَ لَا يَنْفَدُ مَا شَادَهُ

فَلَسْتَ تَأْتِي الدَّهْرَ إِلَّا صَلَاحٍ
لَا زِلْتَ فِي عِزٍّ وَفِي مُكْنَةٍ وَفِي سُرُورٍ دَائِمٍ وَأَنْفِسَاجٍ
قَالَ وَقُلْتُ يَنْبُوءُ نَشَ مَوْضِعِ الْفُرْجَةِ بِسَبْتَةٍ :

إِشْرَبْ عَلَى بَنُيُونِشٍ بَيْنَ السَّوَانِي وَالْبِطَاحِ (١)
مَعَ فِتْنَةٍ مِثْلِ النُّجُومِ إِذَا مَرُّوا جَحَاحٍ
سَاقِيهِمْ مُتَبَدِّلٌ لَا يُنْمَعُ الْمَاءُ الْفَرَاخِ
كُلُّ يَمْدٍ عَيْنَةٍ مَا فِي الَّذِي يَأْتِي جُنَاحِ
هَبُّوا عَلَيْهِ كَلِمًا مَبَّتْ عَلَى الرُّوضِ الرِّيَاحِ
طَوَّعُ الْأَمَانِي كُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ فَهَوَ الْفَرَاخِ
عَاقَبَتُهُ حَتَّى تَرَكَتْ بَخْصِرُهُ أَثَرَ الْوِشَاحِ
وَقُلْتُ بِإِشْبِيلَةٍ :

أَوْجَهُ صُبْحٍ أَمِ الصَّبَاحِ؟ وَلَحْظَهَا أَمْ ظُلْمَا الصَّفَاحِ؟
وَتَغَرُّهَا أَمْ نَظِيمُ دُرٍّ؟ وَرَيْقَهَا أَمْ سُلَافُ رَاحِ؟
وَقَدَّهَا أَمْ قَوَامُ غُصْنٍ؟ وَعَرَفَهَا أَمْ شَذَا الْبِطَاحِ؟

(١) السواني : جمع سانية : آلة تسقي بها الأراضي «وهي الساقية أو الناعورة»

يَا حَبْدَا زَرَوْهُ تَأْتَتْ مِنْهَا عَلَى غَفْلَةِ اللُّوَاخِ
 فَلَمْ أَصْدُقْ بِهَا سُرُورًا وَظَلْتُ نَشْوَانَ دُونَ رَاحِ
 أَمَا مُنِعْتُ السَّلَامَ دَهْرًا وَلَا رَسُولٌ سِوَى الرِّيَاحِ؟
 قَالَتْ: أَلَا فَانَسَ مَا تَقْضَى فَمَنْ يَدْعُ مَا مَضَى اسْتِرَاحِ
 يَا حَبْدَاهَا وَقَدْ تَأْتَتْ مِنْ دُونَ وَعْدٍ وَلَا اقْتِرَاحِ
 زَارَتْ وَمِنْ نُورِهَا دَلِيلٌ وَاللَّيْلُ قَدْ أَسْبَلَ الْجُنَاحِ
 أَخْفَتُ سُرَاهَا، فَبَاحَ نَشْرُ لَهَا بِعَرَفٍ فَشَا وَفَاحِ
 وَافَتْ، فَأَمْسَى فِي مُدَامَا وَسَاعِدَايَ لَهَا وَشَاحِ
 كَأَنَّمَا بَتُّ بَيْنَ رَوْضٍ وَالنُّصْنِ وَالْوَرْدِ وَالْأَفَاحِ
 فَيَنِمَا الشَّنَلُ فِي انْتِظَامٍ إِذْ سَمِعْتُ دَاعِيَ الْفَلَاحِ
 فَمَادَرْنِي، فَقُلْتُ: غَدْرًا! قَالَتْ: أَمَا تَحْذَرُ أَفْصِيحًا؟
 وَلَّتْ! وَمَا خِلْتُ مِنْ صَبَاحٍ يَبْدُو عَلَى إِثَرِهِ صَبَاحِ
 قَالَ وَقُلْتُ بُتُوسَ:

لَا مَرْحَبًا بِالثَّانِي لَمَّا بَدَا

يُسْحَبُ مِنْ لَيْلٍ عَلَيْهِ الْوُشَاحِ
 مُزَّقُ الْجِلْبَابِ، يَخْشَى ضَحْيَ هَامَةِ زَنْجِي عَلَيْهَا جِرَاحِ

وَإِنْ تُصَحِّفْهُ فَلَا حَبْدًا
 مَا قَدْ أَتَى تَصْحِيفُهُ بِإِنْتِزَاحٍ^(١)
 وَقُلْتُ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ - وَقَدْ كُفِّتُ ذَلِكَ:
 غَرَامِي بِأَقْوَالِ الْعِدَا كَيْفَ يُنْسَخُ!
 وَعَهْدِي وَقَدْ أَخْكَمْتُهُ كَيْفَ يُفْسَخُ!
 كَلَامُكُمْ لَا يَدْخُلُ السَّمْعُ نُصْحُهُ
 وَلَكِنْ إِذَا حَرَضْتُمْ فَهَوَى رَسَخُ
 وَبِي بَدْرٌ تَمَّ قَدْ ذَلَّتْ لِحْصِنُهُ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي فِيمَا أَتَيْتُ يُوبِخُ!
 إِذَا خَاصَمُونِي فِي هَوَاهُ خَصَمْتُهُمْ
 وَيَبْغُونَ تَنْقِصِي بِذَاكَ فَاشْمَخُ
 أَرَى أَنَّ لِي فَضْلًا عَلَى كُلِّ عَاشِقٍ
 فَقِصَّتًا فِي الدَّهْرِ مِمَّا يُورَخُ
 فَمَا بَشَرٌ مِثْلُ لَهُ فِي جَمَالِهِ
 وَوَجْدِي بِهِ فِي الْعِشْقِ لَيْسَ لَهُ أُخُ
 وَقُلْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَقَدْ تَعَذَّرَ عَلَيَّ الْحُجُّ عِنْدَ وُصُولِي

(١) تصحيف لفظ «تين» هو «بين» وهو البعد والفرق «أحمد يوسف نجاتي»

إِلَيْهَا سَنَةٌ تِسْعٌ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ :
قُرْبُ الْمَزَارِ ، وَلَا زَمَانٌ يُسَعِدُ
كَمْ ذَا أَقْرَبُ مَا أَرَاهُ يَبْعُدُ^(١)
وَارْحَمَهُ لِمَتِّمْ ذِي غُرْبَةٍ ! وَمَعَ التَّغْرِبِ قَاتَهُ مَا يَقْصِدُ
قَدْ سَارَ مِنْ أَقْصَى الْمَغَارِبِ قَاصِدًا
مَنْ لَدَّ فِيهِ مَسِيرُهُ إِذْ يَجْهَدُ
فَلَكُمْ بِحَارٍ مَعَ قِفَارٍ جُبْتَهَا
تَلْقَى بِهَا الصَّنْصَمَ دُغْرًا يُرْعَدُ^(٢)
كَابِدَتْهَا غُرْبًا وَرُومًا ، لَيْتَنِي
إِذْ جُزْتُ صَبَبَ صِرَاطِهَا لَا أُطْرِدُ !
يَا سَائِرِينَ لِيَتْرَبِ - بُلْعْتُمُو -
قَدْ عَاقَنِي عَنْهَا الزَّمَانُ الْآنَكَدُ
أَعْلِمْتُمُو أَنَّ طِرْتُ دُونََ حَاحِلَهَا
سَبَقًا ! وَهَا أَنَا إِذْ تَدَانِي مُقْعَدًا
يَا عَادِلِي فِيمَا أَكَابِدُ ؛ قَلَّ فِي مَا أَبْتَغِيهِ صَبَابَةٌ وَسَهْدُ
لَمْ تَلَقَ مَا لَاقَيْتُهُ ، فَعَذَلْتَنِي لَا يَعْذِرُ الْمُشْتَقُ إِلَّا مَكْمَدُ

(١) في نسخة « فيبعد » (٢) يضطرب ويفزع « أحمد يوسف نجاتي »

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَنْ أَرْوَمُ دُنُوهُ
 مَا كُنْتَ فِي هَذَا الْغَرَامِ تَفَنَّدُ^(١)
 لَا طَابَ عَيْشِي أَوْ أَجَلٌ بِطَيْبَةٍ
 أَفْقٌ بِهِ خَيْرٌ أَلَّا نَامَ مُحَمَّدُ
 صَلَّى عَلَيْهِ مَنْ بَرَأَهُ خَيْرَةٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَهُوَ الْجَمِيعُ الْمُفْرَدُ
 يَا لَيْتَنِي بُلَّغْتُ لَكُمْ تَرَاهِ
 فَيُرَادُ سَعِيدًا مَنْ يُنْعَمَى يَسْعَدُ
 فَهَذَاكَ - لَوْ أُعْطِيَ مُنَايَ - عَجَلَةٌ
 مِنْ دُونِهَا حَلَّ الشَّهَاءِ وَالْفَرْقَدِ^(٢)
 عَيْنِي شَكَتْ رَمَدًا وَأَنْتَ شِفَاؤُهَا
 مِنْ دَأْسِهَا ذَاكَ الْتَرَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(٣)
 يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، مَهْمَا غِبْتُ عَنْ
 عُلْيَا مَشَاهِدِهَا فَقَلْبِي يَشْهَدُ
 مَا بِاخْتِيَارِ الْقَلْبِ يَتْرُكُ جِسْمَهُ
 غَيْرُ^(٤) الزَّمَانِ لَهُ بِذَلِكَ تَشْهَدُ
 نَاجِيَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي قَدْ جُتِّهَتْ
 مِنْ دُونِ بَابِكَ لِلْجَحِيمِ تَوْقُدُ

(١) فندم: عابه ولامه ووبخه (٢) نجان مشهوران (٣) الكحل (٤) غير
 الزمان: حوادثه وصروفه للتخيرة « أحمد يوسف نجاشي »

صَرَمَ التَّوَّاصِلَ ذُبُلًا وَصَوَارِمَ مَا لِلْجَلِيدِ عَلَى تَقَحُّمِهَا يَدٌ^(١)
 فَلَيْتَ حُرْمَتُ بُلُوغَ مَا أَمَلْتُهُ
 فَلَدَى ذِكْرَى لَا تَزَالُ تُرَدُّ
 فَلْتَبْشُرُوا مِنِّي الدَّمَاءَ^(٢) بِذِكْرِهِ
 مَا دُمْتُ عَنْ تِلْكَ الْعَالَمِ أَبْعَدُ
 لَوْلَاهُ مَا بَقِيَتْ حَيَاتِي سَاعَةً
 هُوَ لِي إِذَا مِتُّ أَشْنِيَا قَا مَوْلَاهُ
 ذِكْرُهُ يَلِيهِ مِنَ الثَّنَاءِ سَحَابٌ
 أَبَدًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ يُحَدِّدُ
 مَنْ ذَا الَّذِي نَرْجُوهُ لِلْيَوْمِ الَّذِي
 يُقْصَى الظُّمَاءُ بِهِ وَيُخَمَّى الْمَوْرِدُ؟
 يَا لَهْفَ مَنْ وَافَى هُنَاكَ وَمَالَهُ مِنْ حُبِّ ذُخْرٍ بِهِ يَتَزَوَّدُ
 مَا أُرْتَجَى عَمَلًا، وَلَكِنْ أُرْتَجَى ثِقَتِي بِهِ، وَلَنْحَسِبُ مَنْ يَتَزَوَّدُ
 مَا صَحَّ إِيمَانُ خَلَا مِنْ حُبِّهِ أَيْلَارِي أَشِّ يَسْتَعِدُّ مَهْنَدُ؟

(١) صرمة: قطعه، والذبل: الرماح، والصوارم: السيوف « يريد الحرب »
 والجليد: القوى الشديد، وتقحم الأمر: واقترحه: إذا كابد مصاعبه وقاسى
 شدائده. وفي الأصل « تحقما » وهو تصحيف فاسد « أحمد يوسف نجاشي »
 (٢) الدماء: بقية الروح في الجسم « أحمد يوسف نجاشي »

عَنْ ذِكْرِهِ لَا حُلَّتْ عَنْهُ لَحْظَةٌ
 وَمَدِيحَةٌ فِي كُلِّ حَقْلٍ أُسْرُدُ
 يَا مَادِحًا يَبْنِي ثَوَابًا زَائِلًا
 فَثَوَابَ مَدْحِي فِي الْجَنَانِ أَخْلَدُ
 لَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ نَذِرِ الْهَدَى
 وَبِهِ غَدَا نَرْجُو النَّجَاةَ وَتَسْمُدُ
 يَارَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ابْتُغْتِ وَالَّذِ
 دُنْيَا يَجْنَحُ الْكُفْرَ لَيْلٌ أَرْبَدُ^(١)
 أَطْلَعْتَ صُبْحًا سَاطِعًا، فَهَدَيْتَ لِإِ
 بَاعَانَ إِلَّا مَنْ يَحِيدُ وَيَجْحَدُ
 لَمْ تَخْشَ فِي مَوْلَاكَ لَوْمَةً لَأَمَّ
 حَتَّى أَقَرَّ بِهِ الْكَفُورُ الْمُلْحِدُ
 وَنَصَرْتَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُخَازِرِ
 وَدَعَوْتَ فِي الْأُخْرَى الْآلَى قَدْ أَصْعَدُوا
 وَلَقِيتَ مِنْ حَرْبِ الْأَعَادِي شِدَّةً
 لَوْ كَابَدُوهَا سَاعَةً لَتَبَدَّدُوا

أَيَّانَ لَا أَحَدٌ عَلَيْهِمْ عَاصِدٌ
 إِلَّا الْإِلَٰهَ، وَلَمْ يَخُنْ مَنْ يَعْصِدُ^(١)
 فَحَمَاكَ بِالْفَارِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَدَلِّ
 لِمِ الْمُعْجِزَاتِ، وَخَابَ مَنْ يَتَرَصَّدُ
 وَوَقَاكَ مِنْ سُمِّ الدَّرَاعِ بِلُطْفِهِ
 كَيْمَا يُنَاطُ بِكَ أَلَمِدَا وَالْحَسَدُ^(٢)
 وَالْجَذْعُ حَنَّ إِلَيْكَ، وَالْمَاءُ أَنْهَى
 مَا بَيْنَ خَمْسِكَ، وَالصَّحَابَةُ شَهِدُ
 وَالذَّبُّ أَنْطَقَ لِلَّذِي أَضْحَى بِهِ
 يَهْدِي إِلَى سُبُلِ النَّجَاحِ وَيُرْشِدُ
 وَبَلِيلَةَ الْإِسْرَا حَبَاكَ، وَسُمِّيَ الصَّ
 صِدِّيقَ مَنْ أَضْحَى لِقَوْلِكَ يَسْعَدُ
 وَحَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَمُعْجِزِ الْ
 كَلِمِ الَّذِي يَهْدِي بِهِ إِذَا يُورَدُ

(١) عضده بعضده: نصره وقواه وأعانه وساعده، وقد تكون «لم يخن» مصحقة عن «لم يخب» أو «لم يخم» خام عن الحرب مثلاً إذا نكس وجبن، يعني أن من نصره مولاه لا يهن ولا يضعف «أحمد يوسف نجاشي» (٢) يشير إلى ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم أهديت إليه ذراع مسمومة فلم ينل أعداؤه منه ما رواه «أحمد يوسف نجاشي»

وَبُئِثَ بِالْقُرْآنِ غَيْرَ مُعَارَضٍ
 فِيهِ ، وَأَمْسَى مِنْ نَحَاهُ يُعْرَدُ^(١)
 فَتَوَالَتْ الْأَحْقَابُ وَهُوَ مُبْرَأٌ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثَالٌ يُوجَدُ
 وَلَكُمْ يَلْبِغُ جَالُ فَصْلٍ خِطَابِهِ
 وَالشَّرْحُ فِي ضَوْءِ الْفَرَاقِ تَهْمِدُ^(٢)
 زُوَيْتَ لَكَ الْأَرْضُ الَّتِي لَا زَالَ يَوْمُ
 مَ الْخَشْرِ رَبُّكَ فِي ذَرَاهَا يُعْبَدُ^(٣)
 وَتَصِرْتَ بِالرَّغْبِ الَّذِي لَمَّا يَزَلْ
 يَتَرَى ، كَأَنَّ مَاعِينَ شَخْصِكَ تُفْقَدُ
 فَمَتَى تَعْرِضَ طَاعِينَ ، أَوْ حَادَ عَنْ
 حَرَمِ الْهِدَايَةِ فَالْحَسَامُ مُجَرَّدُ

(١) عرد الرجل: فر وهرب، وعرد عن قرنه: اذا أحجم ونكل ، والتعريد أيضا: سرعة الذهاب في الهزيمة ، وعرد الرجل: اذا ترك القصد من الطريق وانحرف عنها وانهمز، وفي الأصل «يعدد» وهو تصحيف «أحمد يوسف نجاشي»
 (٢) خدمت النار « كنصر وجمع » سكن لها ولم يطفأ جرها ، وهدمت همودا اذا طفي مجرها بالتمه والهمود: طفوء النار وذهابها حتى لا يبقى لها أثر (٣) يشير الى الحديث: «زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها» زوى الشيء: زويه زيا اذا جمعه وقبضه، وفي الأصل «رؤيت». وهو تصحيف «أحمد يوسف نجاشي»

يَا مَنْ تُخَيِّرُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
نِعَمَ الْفَخَّارِ لَهَا وَلِنِعَمِ الْمُحْتَدِ^(١)
لِسَنَّاكِ حِينَ بَدَأَ بِآدَمَ أَقْبَلَتْ رَغِيًّا لِأَخْرَاجِهِ الْمَلَائِكُ تَسْجُدُ
لَمْ أَسْتَطِيعْ حَضْرًا لِمَا أُعْطِيَتْهُ
فَذَكَّرْتُ بِمَضَا، وَأَعْتَذَرِي مُنْشِدِ^(٢)
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَصَفْتُ مُحَمَّدًا نَقْدَ الْكَلَامِ وَوَصْفَهُ لَا يَنْقُدُ
فَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
مِنِّي التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ السَّرْمَدُ
قَالَ وَقُلْتُ بِإِشْبِيلِيَّةَ :
هَلْ تَمْنَعُ النَّهْدُ مَا أَبَدَتْ الْخُدُودُ؟
نَعَمْ ، وَكَمْ طَعِينٍ بِطَعْنِهَا شَهِيدُ
يَارَبَّةَ الْمُحْيَا حَفَّتْ بِهِ السُّعُودُ
لَمْ تُسْكِرِ الْحُمَيَّا بَلْ رَيْقُكَ الْبُرُودُ
لِلَّهِ يَا عَذُولِي مَا تَكُمُّ الْبُرُودُ^(٣)
مَا زِلْتُ فِيهِ أَفْنَى وَالْوَجْدُ مُسْتَزِيدُ

(١) ذُؤَابَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ ، وَالْمُحْتَدُ : الْأَصْلُ (٢) السَّرْمَدُ : الدَّائِمُ وَالْبَاقِي الْحَالَهُ

(٣) الْحُمَيَّا : الْوَجْهَ ، وَالْحُمَيَّا : الْحُمْرُ أَوْ سُورَتُهَا . وَالْبُرُودُ : الْبَرْدُ الْعَنِيبُ ، وَالْبُرُودُ

يَا هَلْ تَرَى زَمَانًا مَضَى لَنَا يَمُودُ؟
لَدَى الْغُرُوسِ سَقَّتْ جَنَابَهَا الْعُمُودُ^(١)
حَيْثُ الْفُصُونُ مَالَتْ كَأَنَّهَا قُدُودُ
وَزَهْرُهَا نَظِيمٌ كَأَنَّهُ عَقُودُ
حَمَامُهَا يُغْنِي أَغْطَافُهَا تَمِيدُ^(٢)
وَبِالنَّسِيمِ شُقَّتْ لَيْلُهَا بَرُودُ
خُرُوعُهُ سُيُوفٌ وَسُورُهُ بُودُ^(٣)
هُنَاكَ كَمْ دَعَيْتِي إِلَى الْوُرُودِ رُودُ^(٤)
فَنِلْتُ كُلَّ سُؤْلِ يَفْنَى بِهِ الْحُسُودُ
قَضَيْتُ فِيهِ عَيْشًا مَا بَعْدَهُ مَزِيدُ
أَضْحَى بِهِ وَأُمِسِي مُرَنِّعًا أَمِيدُ
كَأَنِّي يَزِيدُ كَأَنِّي الْوَلِيدُ^(٥)

جمع برد ، يريد بمانتكم البرود « جسمها » « أحمد يوسف نجاني »
(١) الغروس جمع غرس ، وفي نسخة « العروس » وهو اسم موضع
« أحمد يوسف نجاني » (٢) تتمايل وتتثنى (٣) جمع بند : وهي الأعلام
(٤) الرود: الشابة الفتية الحدة السن الحية الحفرة ذات الدل والجمال
(٥) يزيد بن معاوية ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
وقد يكون في لفظ « الوليد » تورية ظاهرة « أحمد يوسف نجاني » .

يَجْزِي الزَّمانُ طَوْعِي بِكُلِّ مَا أُريدُ
أَتَلَمَّزُ مَلَكْتِي فَأَلْخَلِقُ لِي عَمِيدُ
يَحِقُّ لِي إِذَا مَا أَبْصَرْتُهَا جُودُ^(١)
فَهَا أَنَا إِذَا مَا فَقَدْتُهَا فَقِيدُ
يَأْمَنُ يَلُومُ بَعِيًا أَلْمَدَلُ لَا يُفِيدُ
إِذَا عَدِمْتُ كَأْسِي فَلَيْسَ لِي وَجُودُ
قَالَ وَقُلْتُ بِإِسْذِيلِيَّةَ :

أَوْ مَا نَظَرْتُ إِلَى الْحَمَامَةِ تُنْشِدُ !

وَأَلْفَضْنُ مِنْ طَرَبٍ بِهَا يَتَأَوَّدُ^(٢) !

وَنَبَّارُهُ تَلْقَاهُ جَائِرَةٌ لَهَا لَمَّا زَلَّ يَدِ النَّسِيمِ يُبَدِّدُ^(٣)

أَلْقَى عَلَيْهَا الطَّلُ بُرْدًا سَابِغًا

فَتَنَّاوُهُ طُولَ الزَّمانِ يُرَدِّدُ^(٤)

أَتَرَى الْحَمَامَةَ مِنْ مَحَبِّ مُخْلِصٍ أَوْ لِي بِشُكْرِ حِينَ تَعْمُرُهُ يَدُ

فَلَا تُنِينَ عَلَيْكَ مَا أَثْنَى بِأَاءِ

لِي أَلْفَضْنُ حَتَّانُ الْهَدِيلِ مُعَرِّدُ^(٥)

(١) في نسخة «سجود» فاعل « يحق » وهو معنى سخي، ومبالغة بمقوثة

« أحمد يوسف نجاشي » (٢) يتنى ويتأيل (٣) تثار النصن : الزهر الذي يبدده

النسيم (٤) السابغ : الطويل الضافي (٥) الهديل : تعريد الحمامة وصوتها ، وفي

كَمْ نِعْمَةٍ لِي فِي جَنَابِكَ أَكْمَأُكَ
بِدُ جُهْدَهَا أَيَّانَ بَرِّكَ يُجْهِدُ
وَقَالَ :

أَرَى النَّيْنَ مِنِّي تَحْسُدُ الْأُذُنَ كُلَّمَا
جَرَتْ مِدْحَةُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ
أَحَقُّ أَنْبَاءَ وَلَمْ أَرْ صُورَةَ
كَتَحْقِيقِ الْأَخْبَارِ عَنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ
فَمَنْ عَلَى عَيْنِي بَلَقِيكَ ، إِنِّي
أَخَذْتُ لَهَا أَمْنًا بِذَلِكَ مِنَ الشَّهْدِ
قَالَ وَقُلْتُ أَمْدَحُ ابْنَ عَمِّي وَأَشْكُرُهُ^(١) عَلَى مَا
أَذْكُرُهُ :

أَهْ مِمَّا تُكِنُّ فِيكَ الْجَوَانِحُ ! وَدُمُوعِي عَلَى نَوَالِكِ سَوَافِحِ
وَأَشْتَفَاءِ مِنَ الْعَدُوِّ بَيْنِ
كَدَّرَ الْعَيْشَ ، أَيُّ عَيْشٍ لِنَازِحِ^(٢) !

الأصل « جنان المذبل » وهو تصحيف مفسد ، وتحريف مشوه « أحمد يوسف
نجاشي » (١) في نسخة « وأشكوه » (٢) أ ك ن الشيء : أخفاه وأضمره ، وطواه
وستره ، والجوانح : الضلوع ، وسوافح : منسكبات مصبوبات . والنازح : البعيد ،
وفي الأصل « ميين » بدل « ييين » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاشي »

يَا أَتَمَّ الْأَنَامِ حُسْنًا ، أَمَا تُحْنُ سِنٌ حَتَّى يَتِمَّ إِطْرَافُ مَا دَخِ ١٩
يَا زَمَانَ الْوَصَالِ ، عَوْدًا ، فَإِنِّي
طَوَّحْتُ لِي لَمَّا غَدَرْتَ الطَّوَارِخَ ٢٠
أَيْنَ عَيْشُ الْعُرُوسِ إِذْ يَنْطَحُ الشُّكْرُ
رُحَيْبِي مَا بَيْنَ تِلْكَ الْأَبَاطِخِ ٢١
وَالْأَمَانِي تَتَرَى ، وَلَا أَحَدٌ يَنْ
صَحَّ إِذْ لَا يُصْنَعُ إِلَى قَوْلٍ نَاصِحٍ
وَزَمَانَ الشُّرُورِ سَمَحٌ مُطِيعٌ وَرَسُولُ الْخَيْبِ غَادٍ وَرَائِخِ
وَلَكُمْ لَيْلَةٌ أَتَانِي بِلَا بَلَدٍ
مِوَلَكِينَ يُزْرِي بِأَذَى الرُّوَائِخِ
هُوَ ظَنِّي ، فَلَيْسَ يَحْتَاجُ طِيبًا
قَدْ كَفَاهُ عَرَفٌ مِنَ الْعَيْسِكِ فَإِخِ

(١) طوحت به: رمت به وأبعدته. والطوارخ: الدواهي والمصائب (٢) في الأصل «اذ يبطح البكر» وفي نسخة «ينطح البكر» وأرى كلتيهما مصحفة عما ذهبت إليه «يبطح السكر» وقد تقدم له مثل هذا المعنى :
في بطاح المروج قد نادمني رشاً من سكره يَنْطَحُ
ولا تكاد صفحة من الأصل تخلو من عدة كلمات مصحفة أو محرفة
«أحمد يوسف نجالي»

مِثْلُ عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ ؛ لَمْ تَكُنْ كَسَهْ
 بَاءً ، وَمَالًا يَكُونُ فِي الطَّبْعِ فَاصِحٌ
 يَا كَرِيمًا أَنَّى مِنَ الْجُودِ مَالًا
 كَانَ يُدْرَى ، فَوَحَّدَتْهُ الْمَدَائِحُ ^(١)
 وَعَلَا كُلُّ ذِي عِلَاءٍ ، وَأَضْحَى
 نَحْوَ مَالًا يَرُومُهُ النَّاسُ طَامِحٌ
 قَدْ أَتَانِي إِحْسَانُكَ الْغَمْرُ فِي إِذٍ
 رِسْوَاهُ ، فَكُنْتُ أَكْمَلَ مَا دَحُ ^(٢)
 فَاضَ بَحْرُ النِّوَالِ مِنْكَ ، وَلَا سَا
 حِلَّ يَبْدُو ، وَلَمْ أَزَلْ فِيهِ سَائِجٌ
 حُلُلٌ مِثْلُ مَا كَسَوْتُكَ فِي الْمَدِّ
 حُجْمِيْتُ الْعِدَا وَمَالٌ وَسَائِجٌ ^(٣)

(١) أَظُنُّهُ يَرِيدُ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

ولولا خلال سنها الشعر مادري بناة المعالي كيف تبني المكارم
 ولعل « فوجدته » مصحفة عن « فأوجدته » « أحمد يوسف نجاشي »
 (٢) الغمر: الكثير الفائض (٣) الظاهر أنه يريد « بالسائح » أو « السابح »
 فرسا بما أهداه إليه ابن عمه الممدوح ، من سابح في الأرض يسبح إذا جرى
 فيها ذاهبا متقلبا ، وفرس « سابح » وسبوح إذا كان حسن الملبدين في جريه ،
 فهو يسبح يديه في سيره ، وهي صفة غالباً للخيول . وسبح الفرس : جريه وعدوه

أُورِدَ الْوَرْدُ مَنْطِقِي كُلِّ شُكْرِ
 حِينَ أَضْحَى طَوْعَ الْبَنَانِ مُسَامِحٌ^(١)
 لَوْ نُ خَدَّ الْحَبِيبِ حِينَ كَسَوَهُ
 حُلَّةَ الْحُسْنِ بِالْعَيْنِ اللَّوَامِحِ
 شَفَقْتُ سَالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ صُبْحٌ
 حُسْنُهُ قَيَّدَ اللَّحَاطَ السَّوَارِحِ^(٢)
 لَمْ أَجِدْ فِيهِ مِنْ جَمَاحٍ، وَلَكِنْ
 نَ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا زَالَ جَامِعٌ^(٣)
 لَكَ يَا بَنَ الْحُسَيْنِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ
 صَيَّرَ الْكُلَّ نَحْوَ بَابِكَ جَانِحِ
 قَدْ هَدَى نَحْوَكَ الثَّنَاءُ كَمَا يَهْدِي
 لِي إِلَى الرُّوضِ نَاسِمَاتُ النَّوَافِحِ^(٤)

(١) الورد من الخيل : بين الكيت والأشقر ، والورودة : حمرة
 تضرب الى صفرة (٢) يقول ان لون هذا الفرس أحمر وبين عينيه بياض،
 يعني أنه أغر تسرح الألفاظ في حسنه، فيقيدها، حتى لا تنصرف عنه، ولا تنصرف
 دونه « أحمد يوسف نجاتي » (٣) جمع الفرس بصاحبه « كنع » جمحا
 وجموحا وجماحا: اذا ذهب يجرى جريا غالبا، واعتز فارسه وغلبه، وفسر
 جموح: لا يثني رأسه ولا يطيع راكبه (٤) نفح الطيب « كنع » اذا أريج.
 ونفحت الريح: هبت: أي نسمت وتحركت أو اثلها. والناسمات جمع ناسمة، من

فَاعْذِرِ النَّاسَ إِنْ أَتَوْا لَكَ أَفْوًا
 جَا، فَكُلُّهُ بِقَصْدٍ فَضْلِكَ رَابِعُ
 مَا هَدَيْتَهُمْ إِلَيْكَ إِلَّا الْأَمَانِي
 لَمْ تُحِلَّهُمْ إِلَّا عَلَيْكَ الْقَرَائِخُ
 قُلْ لِيَدِي الْمَفْخَرِ الْحَدِيثُ: تَأَخَّرَ
 لَيْسَ مُهْرٌ فِي شَأْوِهِ مِثْلَ قَارِحِ^(١)
 أَيُّ أَصْلٍ وَأَيُّ فَرْعٍ أَقَامَا شَرَفًا ظَلَّ لِلنُّجُومِ يَنْطَاحُ
 قَدْ حَوَتْ مَذْجُجٌ مِنَ الْفَخْرِ لَمَّا
 كُنْتَ مِنْهَا مَا لَيْسَ بِخَوِيهِ شَارِحِ^(٢)
 أَفْقٌ مَجْدٍ قَدْ زَانَهُ مِنْكَ بَذْرُ
 فِي ظَلَامِ الْخُطُوبِ مَا زَالَ لَا يَخُ
 بَذْرُ تَمَّ حَفَّتْ بِهِ هَالَةٌ مِنْ
 يَنْتِ مَجْدٍ عَلَاوُهَا الدَّهْرَ وَاصِحُ

نَسَمْتُ الرِّيحَ إِذَا هَبَتْ خَفِيفًا، وَمَعْنَى الْبَيْتِ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :
 تَنَاءَ كَعْرِفِ الطَّيْبِ يَهْدِي لِأَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنِي بَرْمَكٍ أَهْلُ
 وَالرُّوْضِ يَهْدِي إِلَيْهِ طَيْبُ النِّسَمَاتِ الْأَرْجَةُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ. وَفِي الْأَصْلِ «بِاسْمَاتِ»،
 تَصْحِيفٌ «أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي». (١) الْقَارِحُ: مَا كَلَمْتَ سَنَهُ، وَهُوَ مِنْ
 ذِي الْحَاظِرِ يَمْتَزِلُهُ الْبَازِلُ مِنَ الْإِبِلِ (٢) مَذْجُجٌ: شَعْبٌ عَظِيمٌ فِيهِ قِبَائِلٌ وَأَغْثَازٌ
 وَيَطُونُ. وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ أَدَدَ، أَوْ مَالِكُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ، وَتَقْدِيمُ
 الْقَوْلِ فِي قِبَائِلِ مَذْجُجٍ «أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي»

يَا سِمَاكَ بِمَسْكِهِ الْقَلَمِ الْآءِ
 لِي بَدَائِينَ أَنْجُمِ أَلْمَلِكِ رَامِحِ^(١)
 رَفَعَ اللَّهُ لِلْكِتَابَةِ قَدْرًا
 بَعْدَ مَا كَابَدَتْ تَوَالِي الْفَضَائِحِ
 يَا أَعَزَّ الْأَنَامِ نَفْسًا، وَأَعْلَا هُمُ مَحَلًّا، لَا زَالَ أَمْرُكَ رَاجِحِ
 أَيْنَ أَعْدَاؤُكَ الَّذِينَ رَعَى سَيِّ
 فُكَ فِيهِمْ، فَأَشْبَهُوا قَوْمَ صَالِحِ؟
 أَفْسَدَ اللَّهُ هُرُ حَالَهُمْ ، لِيُرى حَا
 لُكَ رَغْمًا بِمَنْ يُنَاوِيكَ صَالِحِ^(٢)
 دُمْتَ فِي عِزِّهِ وَسَعْدِ مَدَى اللَّهِ
 هُرٍ، وَلَا زَالَ طَارُثُ مِنْكَ سَانِحِ^(٣)
 وَأَبْنُ عَمِّهِ الْمَذْكُورُ قَالَ فِي حَقِّهِ فِي الْمَغْرِبِ مَامْلُخَصَّةُ:
 أَنَّهُ الرَّئِيسُ الْأَعْلَى، ذُو الْفَضَائِلِ الْجَمَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) يشير الى السامكين الأعزل والرامي ، وتقدم القول فيهما ، يريد انه بامساكه القلم كاتباً للملك شرف قدر الكتابة ، ورفع من قيمة الأقلام ، فصار أعزها راحاً ، وقويها ضعيفا « أحمد يوسف نجاتي »
 (٢) في الأصل « طامح » وهو تصحيف مفسد « أحمد يوسف نجاتي »
 (٣) السنج : اليمن والبركة ، قال :

الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ
ابْنِ سَعِيدٍ، قَالَ : وَاجْتَمَعَ نَسَبَنَا مَعَ هَذَا الرَّئِيسِ فِي سَعِيدِ بْنِ
خَلْفٍ، وَهُوَ الْآنَ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مَلِكُ إِفْرِيقِيَّةَ اشْتِمَالَ
الْمُقَلَّةِ عَلَى إِنْسَانِهَا ، وَقَدَّمَهُ فِي مُهِمَّاتِهِ تَقْدِيمَ الصَّعْدَةِ^(١)
لِسِنَانِهَا ، وَأَقَامَ لِنَفْسِهِ مَدِينَةً حِذَاءَ حَضْرَةِ ثُوْنَسَ ، وَأَعَزَّلَ
فِيهَا بَعْسَكَرَ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ صَيَّرَهُمُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ إِلَى
نَظَرِهِ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْفَتْحُ صَاحِبُ الْقَلَائِدِ : فَقَدْ جَاءَ آخِرُهُمْ
فَجَدَّدَ مَفَاخِرَهُمْ ، وَمِنْ نَظْمِهِ - وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مَنْ قَدَّمَ لَهُ
مَشْرُوبًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ غَلِيظًا وَخَرُوبًا وَزَيْبًا أَسْوَدَ وَزَيْبًا
كَثِيرَ الْفُصُونِ جَاءَتْ بِهِ عَجُوزٌ فِي طَبَقٍ ، فَقَالَ :

وَيَوْمَ نَزَلْنَا بِعَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَا قَدَسَ اللَّهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ
سَقَانَا شَرَابًا كَلَوْنِ الْهِنَاءِ وَتَقَلْنَا بِقُرُونِ الْعُنُوزِ
وَجَاءَتْ عَجُوزٌ فَأَهْدَتْ لَنَا زَيْبًا كَفَيْلَانَ خَدَّ الْعَجُوزِ^(٢)

أقول والطير لنا سائح يجرى لنا أيمنه بالسعود

والسائح : مامر من الطير من مياسرك الى ميامنك فولاك ميامنه. وفي الأمثال
« من لى بالسائح بعد البارح » أى بالبارك بعد المشؤوم. وكان السائح أحسن
حالا من البارح عندهم « أحمد يوسف نجاشي » (١) الصعدة: القناة المستوية
التي تنبت كذلك لاحتياج الى تثفيف (٢) الهناء : القطران ، والعنوز جمع

وَنَزَلَ السُّلْطَانُ أَبُو يَحْيَى فِي بَعْضِ حَرَكَاتِهِ بِمَوْضِعٍ
فِيهِ نَهْرٌ وَعَلَى شَطْطِهِ نَوْرٌ، فَقَالَ الرَّئِيسُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
الْحُسَيْنِ يَصِفُهُ - أَوْ أَمَرَ بِذَلِكَ :

وَنَهْرٍ يَرِفُ الزَّهْرُ فِي جَنَابَتِهِ
وَيَنْثِي النَّسِيمُ قُضْبَهُ ، فَتَأْطُرُ ^(١)
يَسِيلُ كَمَا عَنِ الصَّبَاحِ بِأَفْقِهِ
وَالْإِ كَمَا شِيمَ الْحُسَامُ الْمُجَوَّهَرُ ^(٢)
عَلَيْهِ لِيَحْيِيَ قُبَّةً ، هَلْ سَمِعْتُمْ
بِقُرْصَةِ شَمْسٍ حَلَّ فِيهَا غَضَنُفَرُ ^(٣) !
فَإِنْ قَلْتَ هَذِي قُبَّةً ^(٤) لِعُقَاتِهَا
فَقُلْ ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي سَالَ كَوْتَرُ ^(٥)

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ سَعِيدٍ الْمُبَرِّقُ اللَّخْمِيُّ
النَّشَابِيُّ ^(٥) فِي ذَلِكَ :

عز، يريد بقرون العنوز الحروب، والحيلان جمع خال : وهي الشامة والنقطة
السوداء في الخد (١) كذا في نسخة، وفي الأصل «ويقنطر» والأطر عطف الشيء
تقبض على أحد طرفيه فتوجهه، أطره وأطره فتأطر : أي عطفه فانعطف وانثنى
كالعود تراه مستدير إذا جمعت بين طرفيه (٢) عن : ظهر ولاح، وشام الحسام : استله
وأخرجه من غمده (٣) لعل «قبة» مصحفة عن «جنة» بدليل المعنى ولفظ «كوتر»
آخر البيت «أحمد يوسف نجاشي» (٤) العفاء جمع عاف : من عفاه إذا قصده سائلا
معروفه وطلب إليه (٥) كذا بالأصل. وفي نسخة «أحمد بن مالك بن سيد اللخمي

وَأَرْضٍ مِنَ الْخَضَاءِ قَدَجَرَتْ
 جَدَاوِلُ مَاءٍ دُونَهَا تَتَفَجَّرُ
 كَمَا سَبَحَتْ تَبْنِي الْحَيَاةَ أَرَاقِمُ
 عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا الْأَقَاحُ الْمُنُورُ
 وَإِلَّا كَمَا شَقَّتْ سَبَائِكُ فِضَّةٍ
 بِسَاطًا عَلَى حَافَاتِهِ الدُّرُّ يُنْثَرُ
 وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ يُونُسُ:
 أَنْظِرْ إِلَى مَنْظَرِ يَسِيكَ مَنْظَرُهُ
 وَيَزْدَهِيكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَخْبَرُهُ
 وَمُعْجَبٌ مُعْجَبٌ لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ
 خَرِيرُ مَاءٍ تَمِيرُ ثُمَّ مَنَهَرُهُ
 كَأَنَّمَا فُرِشَتْ بِالْأَدْرِ صَفْحَتُهُ
 فَالْمَاءُ يَنْظِمُهُ طَوْرًا، وَيَنْثَرُهُ
 كَأَن خُلِجَانَهُ قُدَّتْ عَلَى قَدَرٍ
 بِمَائِهَا قَسَمٌ يَجْرِي مُفَجَّرُهُ
 أَحَلَّ سَيِّدُنَا الْأُمَامُونَ قُبَّتَهُ
 بِحَوْزِهِ، فَقَدْ أَيْزَدَانُ جَعْفَرُهُ (١)
 « رَجِعْ » إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ أَخْبَارِ الرَّئِيسِ ابْنِ

الشافعي « فلعله نسبة إلى «شابة» اسم جبل أو موضع بنجد، واسم قرية بالقيوم
 (١) الجعفر : الجدول والنهر الصغير « أحمد يوسف نجاشي »

الْحُسَيْنِ فَنَقُولُ : رَأَيْتُ بِالْمَغْرِبِ آخِرَ كِتَابِ رُوحِ السَّحْرِ
مِنْ نُسخَةِ مُلُوكِيَّةٍ كُتِبَتْ لَهُ أَيْنَانًا عَلِقَ بِحِفْظِ مِنْهَا الْآنَ
مَا نَصَهُ :

تَمَّ رُوحُ السَّحْرِ نَسْخًا ، فَأَتَى
مُضْجَبًا بِالْيَمَنِ وَالْفَخْرِ الْبَعِيدِ
لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْتَقِي
فِي ذُرَا الْمَجْدِ الرَّئِيسِ ابْنِ سَعِيدِ
وَلَمْ أَحْفَظْ تَمَامَ الْأَيَّاتِ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ :
كُتِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَيْنَاتِ بِحَضْرَةِ ثَوْنَسَ وَقَدْ ثَقُلَ إِلَيْهِ بَعْضُ
الْحُسَادِ مَا أَوْجَبَ تَغْيِيرَهُ :

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا قَدْ أَتَيْتُ بِزَلَّةٍ
أَمَّا حَسَنُ الْأَتَضِيقِ بِهَا صَدْرًا !

وَعِلْمُكَ حَسْبِي بِالْأُمُورِ ، فَإِنِّي
عَهْدُكَ تَذَرِي سِرَّ أَمْرِي وَالْجَهْرَا
وَقَدْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأُمُورَ بِسَعْيِكُمْ
وَنَيْتِكُمْ صُلْحًا عَلَى الْبَشَرِ وَالْبُشْرَى

وَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا رِضَاكَ، فَإِنْ بِهِ
 كَتَبْتَ وَلَوْ حَرْفًا أَطَبْتَ لِي الْعُمُرَا
 فَبَقِيتَ كَهْفًا لِلْجَمِيعِ وَمَوْئِلًا
 وَلَا زِلْتَ مَا دَامَ الزَّمَانُ لَنَا سِتْرًا
 فَكُتِبَ إِلَيَّ هَذِهِ الْأَيَّاتُ - وَكَانَ مُتَمَرِّضًا - وَبَعَثَ إِلَيَّ بِمَا
 يُذَكِّرُ :

أَكُفُّ الصَّبَا حَفَّتْ جَنَى زَهْرِ الرُّبَا
 سُؤَالُكَ عَنْ مُضْنَى يُسَامِي بِكَ الزُّهْرَا^(١)
 بَعَثَتْ بِمِثْلِ الزُّهْرِ فِي مِثْلِ صَفْحَةٍ
 لِذَلِكَ مَا قَلَدَتْهَا الشَّدَرُ وَالْذُّرَا^(٢)
 مَعَانٍ لَهَا أَغْنُو، وَأُغْنِي بِهَا، فَكَمْ
 وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْعَيْنَ وَالسَّمْعَ وَالْفِكَرَا^(٣)
 فَلَوْ غُرِضَتْ لِلْبَحْرِ لَمْ يَلْفِظِ الذُّرَا
 وَلَوْ عَارِضَتْ هَارُوتَ لَمْ يَنْفُثِ السَّحْرَا

(١) يريد بالزهر النجوم، جمع أزهر وزهراء (٢) الشدر: قطع من الذهب تلفظ من معدنه بلا اذابة، وبما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر، أو خرز يفصل به النظم، وهو اللؤلؤ الصغار، واحده شنرة (٣) عنا يعنو اذا خضع واقاد « أحمد يوسف نجاشي »

أَبَا حَسَنِ، هُنْتُتَ مَا قَدْ مُنِحْتَهُ
 ضُرُّو بَايَمِنَ الْأَذَابِ تُحْلِي بِهَا الدَّهْرَا
 وَدُونَكَ بِحَرَامَيْنِ وَدَادِي تَلَا طَمَتَ
 بِهِ زَاخِرَاتُ الْمَدِّ لَا يَعْرِفُ الْجُزْرَا
 فَإِنْ خَطَرْتَ فِي جَانِبٍ مِنْكَ هَفْوَةٌ
 فَلَا تَحْسَبَنَّ أَنِّي أَضِيقُ بِهَا صَدْرَا
 يَرِلُّ جَوَادٌ عِنْدَ مَا يَبْلُغُ الْمَدَى
 وَيَعْتَرِ بِالرَّمْثِ النَّسِيمُ إِذَا أَسْرَى^(١)
 فَدَعْ ذَا، وَخُذْهَا شَائِبَاتٍ قُرُونُهَا
 عَرُّو بِالْعُوبَا جَائِرًا حُكْمُهَا بَكْرَا^(٢)
 وَلَوْ غَادَرَتْ أَوْصَافُهَا مُتَرَدِّمًا
 لَشَنَّفَتْ مِنْ أَشْعَارِهَا أُذُنَ الشُّعْرَى^(٣)

(١) الرمث: مرعى للابل، وهو من الحمض شجر يشبه النض لا يطول، ولكنه ينسطورقه، وهو شبيه بالأشنان، وله هدب طوال دقاق، وهو مع ذلك كله كلاء تعيش فيه الابل والتم وان لم يكن معها غيره، وربما خرج فيه عسل أبيض كأنه الجمان، وهو شديد الحلاوة، ويكون الرمث مع قعدة الرجل ينبت نبات الشيخ، وقد يرتفع دون القامة (٢) لعله يصف خمرأ أهدها لأبي الحسين بن سعيد، وكفى «بشائبات قرونها» عن قدمها وطول عهداها، والقرون في الأصل: المرأة للتحية الى زوجها المطيعة له، والحكم الجائر النافذ. ولا بأس أن تكون «جائرا حكمها» (٣) يشير الى قول عنترة أول معلقته :

أَلَا فَاحْجُبْنَهَا عَنْ صَدِيقٍ مُعَمَّمٍ
فَإِنَّ قُصَارَى النُّعْمَانِ يَبْكِي النُّعْمَانَ (١)
وَمَنْ كَانَ ذَا حِجْرٍ وَتُبِّلَ وَرَقَةً
فَلَا يَخْلُونِ إِلَّا عَلَى الْخُمْرَةِ الْحُمْرِ (٢)
قَرَنْتُ بِهَا صَفْرَاءَ لَمْ تَعْرِفِ الْهَوَى
وَلَا أَلْفَتْ وَصَلًا وَلَا عَرَفَتْ هَجْرًا
وَلَا ضُمَّخَتْ نَضْحَ الْعَبِيرِ، وَإِنْ غَدَتْ
تُوَخَّرُهُ لَوْنًا ، وَتَفْضُحُهُ نَشْرًا (٣)

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
والتردم: تلوضع الذي يرقع منه. وتردم ثوبه: رقعته. وثوب متردم اذا خلق.
وتردم الثوب اذا أخلق واسترقع: يقول عنتره: ماترك الشعراء لغيرهم من
مستصلح: أى من كلام يلصق بعضه ببعض ويليق، أى قد سبقونا الى القول
فلم يدعوا مقالا لقائل، فابن سعيد يقول لابن عمه: لو كان الشعراء السابقون
قد تركوا موضعا لغيرهم فى نعت الحجر ووصف مزاياها لأتيت فى ذلك
بأشعار تصلح أن تكون قرطا فى أذن الكواكب، وحلية تزدان بها نجوم
السماء، وراعى جناس الاشتقاق بين الأشعار والشعرى فأثر ذكرها
(١) قصاره: غايته وجهده ومدها ونهاية أمره، والغمر: القبيح الجاهل غير
المجرب. يقول له: صنه ولا تسمع بها لمثل هذا الأحق الذى يقضى حياته غافلا
عن السرور باكيا عمره. وقد يريد « الغمر » أى الكرم السخى الواسع
الخلق، فهو يقول ان نهايته حلول الأجل والموت، فعليه أن يتنزه فرص
السرور وخلص العيش وغفلات الدهر، قبل أن يفقد عمره ويبيك تصرمه
(٢) الحجر: العقل واللب (٣) تضيخ بالطيب اذا لطف جسمه به حتى كأنه

فَإِنْ خَلَّتْهَا بِنْتُ الظَّلِيمِ أَظْلَمَهَا
 فَقَدَفَرَشَ الْإِذْخِرَ مِنْ تَحْتِهَا تَبْرًا^(١)
 لَهَا نَسَبٌ بَيْنَ الثَّرِيَّاءِ أَوْ الثَّرَى
 وَسَلَّ يَرْبَاهَا^(٢) الْمُزْنَ وَالْعُصْنَ النَّضْرَا
 فَشَرِبَا دِهَاقًا، وَأَنْتَشَقَّا، وَلَا تَرَمُ
 عَنِ الْيَتِّ فِتْرًا أَوْ تُقِيمَ بِهِ شَهْرًا^(٣)
 وَلَهُ فِي الْخَشْكَالَانِ :
 هُوَ الْأَهْلَةُ لَكِنْ يَدْعُونَهُ خَشْكَالَانَا
 فَإِنْ تَفَاءَلْتَ صَحَّفَ تَجِدُ « حَبِيكَ لَا نَا »^(٤)
 أَنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ

يقطر. ونضجه ينضجه نضجاً: رشه ، وكذا نضخه « كمنعه » والنضخ أيضاً:
 الأثر يبقى في الثوب وغيره من الطيب ونحوه كالزعفران وغيره ، والعبير:
 الزعفران، أو أخلاط من الطيب، ونوع منه ذولون يجمع من أخلاطه
 والنشر: الريح الطيبة (١) الإذخر: الحشيش الأخضر، وأحداثه إذخرة، وهو
 نبت طيب الريح تسقف به البيوت فوق الخشب، وإذا جف الإذخر ابيض
 (٢) في نسخة « وسل بأبيها » (٣) دهق الكأس « كجمل » ملائها ،
 كأدهقها ، وكأس دهاق : ممتلئة مترعة ، أو متتابعة على شاربها، من
 الدهق الذي هو متابعة السير ، وماء دهاق كثير - ونشقه « كفرج »
 وانتشقه إذا شمّه. ورام المكان يرميه: إذا بارحه وفرقه (٤) يعني أنه بصحيف
 حروف « خشكلان » تأتي العبارة « حبيك لان » بإزالة النقطة من

وَحَظِيَ الْمَذْكُورُ جِدًّا عِنْدَ السُّلْطَانِ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةِ أَبِي
زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ، وَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ
الْمَذْكُورُ^(١) وَحَدَّثَتْ فِتْنَةٌ بِمَوْتِهِ وَاخْتِلَافٌ، ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ
الدَّوْلَةُ لِابْنِهِ الشَّهِيرِ الْكَبِيرِ الْقَدْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَنْصِرِ^(٢)

الحاء ، ووضع ثلاث قطع الشين من تحتها لتنتج ياء وباء . والحشكان :
تكلمت به العرب قديما (١) كانت وفاته سنة ٦٤٧ هـ « أحمد يوسف نجاشي ،
(٢) أبو عبد الله المستنصر بالله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص
عمر المهنثاني الحفصى ، تملك تونس سنة ٦٤٧ بعد أبيه ، ثم قتل عميه ، وقتل
جماعة من الخوارج ، وتوطد له الملك ، وكان بينه وبين السلطان المنصور
بالله يعقوب بن عبد الحق الريني ملك المغرب مراسلة سنة ٦٥٦ - ولما عزم
السلطان يعقوب على منازلة مراکش كتب الى أبي عبد الله المستنصر يخبره
بذلك ويستعده ، وتوفي المستنصر سنة ٦٧٥ ، وبويع ابنه أبو زكريا يحيى
المدعو بالوائق ، فاقتنى سنن أبيه في اتصال المودة والمهاداة بينه وبين السلطان
يعقوب ، وبعث اليه هدية حافلة مع قاضى بجاية أبي العباس النجارى سنة ٦٧٧
فعظم موقعها من السلطان يعقوب . وكان لأبي العباس النجارى هذا بالمغرب
ذكر تحدث الناس به دهرا ، وقطع السلطان يعقوب لأول أمره الدعوة
الى الحفصيين بعد أن كان يدعو اليها هو واخوته من قبله تأليفا لأهل المغرب ،
واستجلابا لرضاهم ، وبعثا لهم من ناحية أهواهم ، إذ كانت صبغة الدعوة
الوحدية قد رسخت في قلوبهم ، فلودعوا الى غيرها من أول الأمر لحاصوا
عنها حصصة حمر الوحش ، وأما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا في
ارتفاع ، ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالأمر وتمسكن له السلطان لم يلبث
أن قطع الدعوة للحفصيين كما تقدم « أحمد يوسف نجاشي »

مَدُوحِ حَازِمٍ ^(١) بِالْمَقْصُورَةِ وَقَاتِلِ ابْنِ الْأَبَّارِ ^(٢)
 الْقُضَاعِيَّ سَخِطَ عَلَى الرَّئِيسِ ابْنِ الْحُسَيْنِ الْمَذْكُورِ، وَقَبَضَ
 عَلَى دِيَارِهِ وَأَمْوَالِهِ، وَصَيَّرَهُ كَالْمَجْبُوسِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً
 يَطْلُبُ الْأَجْتِمَاعَ بِهِ فِي مَصْلَحَةِ الدَّوْلَةِ، فَأَخْضَرَهُ، وَسَأَلَهُ
 فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ أَبَاهُ صَنَعَ دَارًا عَظِيمَةً تَحْتَ الْأَرْضِ، وَأَوْدَعَ فِيهَا
 مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ وَالسَّلَاحِ مَا جَعَلَهُ عُدَّةً وَذَخِيرَةً لِسُلْطَانِهِ،
 وَلَمْ يَتْرِكْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ لَهُ عِلْمٌ بِهَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي
 أَوْدَعَهُ تَقَائِسَ أَمْوَالِهِ غَيْرِي، وَأَوْصَانِي أَنَّهُ إِذَا انْتَقَلَ إِلَى
 جَوَارِرِهِ - إِذَا تَوَقَّعَ أَنْ تَقَعَ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَقَارِبِهِ - أَنَّهُ إِذَا انْقَضَتْ
 سَنَتُهُ، وَأُسْتُقِرَّ الْأَمْرُ لِأَحَدٍ مِنْ وَلَدِي، أَوْ مِنْ يُتَبَيَّنُ أَنَّهُ يُصْلِحُ
 لِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاطْلِعْنِي عَلَى هَذِهِ الذَّخَائِرِ، فَرُبَّمَا فِينَتْ
 الْأَمْوَالُ بِالْفِتْنَةِ، فَلَا يَجِدُ الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ مَا يُصْلِحُ بِهِ الدَّوْلَةَ
 إِذَا تَقَرَّرَغَ لِلتَّذْيِيرِ وَالسِّيَاسَةِ، فَقَرَّحَ السُّلْطَانُ، وَبَادَرَ إِلَى

(١) تقدم التعريف بأبي الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم التتوي في سنة ٦٨٤
 « أحمد يوسف نجاشي » (٢) هو الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد
 الله القضاعي الأندلسي البليسي الكاتب الأديب، أحد أئمة الحديث والتاريخ
 والأثر، وبرع في البلاغة والنظم والنثر، وكان ذا جلالة ورياسة، قتله صاحب
 تونس المستنصر ظلما في المحرم من سنة ٦٥٨ عن ثلاث وستين سنة - رحمه
 الله تعالى « أحمد يوسف نجاشي » .

تِلْكَ الدَّارِ، فَرَأَى مَا مَلَأَ عَيْنُهُ وَسَرَّ قَلْبُهُ، وَخَرَجَ الرَّئِيسُ ابْنُ
الْحُسَيْنِ وَالْخَيْلُ تُجَنَّبُ أَمَامَهُ، وَبَدَرُوا الْأَمْوَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَعَادَهُ
إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ، وَجَعَلَهُ وَزِيرًا لَدَيْهِ كَمَا كَانَ أَبُوهُ مُفَوَّضًا
أُمُورَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ السُّلْطَانُ: إِنَّ مِنْ أَوْجَبِ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى
أَنْ أُفْتِشِحَ الْمَالُ بِأَنْ أُودِيَ مِنْهُ لِلرَّعِيَّةِ الَّذِينَ نُهَيْتُ دُورَهُمْ
وَأُخْرِقَتْ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقَارِبِي مَا خَسِرْتُهُ،
وَأَمَرَ بِالنَّدَاءِ فِيهِمْ، وَأَخْضَرَهُمْ، وَكُلُّ مَنْ حَلَفَ عَلَى شَيْءٍ قَبَضَهُ
وَأَنْصَرَفَ. وَكَانَ السُّلْطَانُ الْمُسْتَنْصِرُ الْمَذْكُورُ فِي بَعْضِ
مُتَصَيِّدَاتِهِ، فَكَتَبَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّئِيسِ الْمَذْكُورِ
يَأْمُرُهُ بِإِخْضَارِ الْأَجْنَادِ لِأَخْذِ أَرْزَاقِهِمْ بِقَوْلِهِ:

لِيَخْضُرَ كُلُّ يَتٍّ ذِي مَنَالٍ

زَكَاءَ قَرَعًا^(١) لِإِسْدَاءِ التَّوَالِ

(١) رَأَيْتُ فِي بَعْضِ النُّسخِ هَكَذَا « زَكَافِدَا » فَفُهِمْتُ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ مَعْنَى
« جَمِيعًا » فَإِنَّ الْعَرَبَ تَطْلُقُ لَفْظَ « الزَّكَاءِ » عَلَى الشُّعْعِ مِنَ الْعِدَدِ وَالزَّوْجِ
مِنْهُ، وَلَفْظَ « الْحَسَا » عَلَى الْفَرْدِ مِنْهُ، وَقِيلَ لِلشُّعْعِ « زَكَ » لِأَنَّ الزَّوْجَيْنِ
أَزْكَى مِنْ وَاحِدٍ وَأَعْنَى مِنْ فَرْدٍ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ:

مَكَارِمَ لَا تَحْصَى إِذَا نَحْنُ لَمْ نَقُلْ خَسَا وَزَكَ فَمَا نَعُدُّ خِلَالَهَا

وَقَالَ رُوَيْبَةُ:

حِيرَانٌ لَا يَشْعُرُ مِنْ حَيْثُ آتَى عَنْ قَبْضٍ مِنْ لَاقَى أَخْطَأَ زَكَ

غَدَاً يَوْمُ الْخَلِيسِ، فَمَا شَغِلْنَا
بِأَسَدِ الْوَحْشِ عَنْ أَسَدِ الرَّجَالِ
وَحِكِي أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَذْكُورَ عَرَضَ مَرَّةً أَجْنَادَهُ،
وَقِيلَ بَلْ سَلَّمَ عَلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ يَوْمَ عِيدِ بُتُونَسَ - وَفِيهِمْ
شَابٌّ وَسِيمٌ أَسْمُ جَدِّهِ النُّعْمَانُ، فَسَأَلَهُ السُّلْطَانُ عَنْ أَسْمِهِ
وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ، فَخَجِلَ، وَاحْمَرَّتْ وَجْهُهُ، وَازْدَادَ حُسْنًا، فَقَالَ
السُّلْطَانُ هَذَا الْبِصْرَاعُ * كَلَّمْتُهُ فَكَلَّمْتُ^(١) صَفْحَةَ خَدِّهِ *
وَسَأَلَ مِنَ الْخَاضِرِينَ الْإِجَازَةَ، فَلَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ، فَقَالَ السُّلْطَانُ
مُجِيزًا شَطْرَهُ * فَتَفَتَّحَتْ فِيهَا شَقَائِقُ^(٢) جَدِّهِ * وَهَذَا مِنْ
الْبَدِيعِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّوْرِيَةِ وَالتَّجْنِيسِ . وَمِمَّا نَسَبَهُ لَهُ
أَبُو حَيَّانٍ بِسَنَدِهِ إِلَيْهِ :

« أَيْ لَا يَشْعُرُ أَفْرَدٌ هُوَ أَوْ زَوْجٌ » وَ « خَسَا زَكَ » حِكَايَةُ مَرْكَبًا مِثْلَ خَمْسَةِ
عَشَرَ لَا يَنْوَنَانِ، وَقَدْ يَنْوَنَانِ عِنْدَ بَعْضٍ، وَلَا يَدْخُلُهُمَا الْأَلْفُ وَالْإِمَامُ - فَلَمَّا لَمْ
يَطْعَمِ الْوِزْنَ لَوْ قَالَ فِي الشَّعْرِ « زَكَ خَسَا » أَوْ « خَسَا زَكَ » عَدَلَ إِلَى
الْمَعْنَى الْمُرَادِفِ فَقَالَ « زَكَ فَرْدًا » أَيْ وَاحِدًا، وَاحِدًا، وَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ،
أَوْ بِمَعْنَى جَمِيعًا، هَذَا احْتِمَالٌ لَاحِظٌ لِمَا رَأَيْتُهُ فِي هَذِهِ النُّسخَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى
عَلَى مَا هُنَا مَفْهُومًا وَاحِدًا « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » (١) كَلِمَةُ « كَضْرِبُهُ » : جَرَحَهُ
(٢) يُرِيدُ « شَقَائِقُ النُّعْمَانِ » وَيَعْنِي حِمْرَةَ وَجْهِتِهِ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي »

مَالِي عَلَيْكَ سِوَى الدُّمُوعِ مُعِينُ
 إِنْ كُنْتَ تَعْدِرُ فِي الْهَوَى وَتَخُونُ
 مَنْ مُنْجِدِي غَيْرِ الدُّمُوعِ؟! وَإِنَّهَا
 لَمُعِيَّةٌ مَهْمَا أُسْتَعَانَ حَزِينُ
 وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنْ مَا حَمَلْتِي
 صَغَبٌ، وَلَكِنْ فِي رِضَاكَ يَهُونُ
 وَكَانَ لِلسُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ سَعْدٌ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، حَتَّى
 إِنَّهُ كَتَبَ لَهُ السُّلْطَانُ صَاحِبُ مَكَّةَ الْبَيْعَةِ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ
 سَبْعِينَ الْمُتَصَوِّفِ ^(١) كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ خَلْدُونِ فِي تَارِيخِهِ
 الْكَبِيرِ، وَسَرَدَنَصَهَا، وَهِيَ مِنَ الْفَرَائِبِ، وَمِنْ سَعْدِهِ أَنْ
 الْفَرَنْسِيْسَ الَّذِي كَانَ أُسِرَ بِمِصْرَ ^(٢) وَجُعِلَ فِي دَارِ ابْنِ لُقْمَانَ

(١) تقدم القول في ذلك في ترجمة ابن سبعين (٢) هجمت الفرنج مدينة دمياط
 في شهر ربيع الأول من سنة ٦٤٧ واستهلت سنة ٦٤٨ والفرنج على المنصورة
 والجيوش الإسلامية بازاءهم وقد طال القتال بين الفريقين أشهراً، فضعف حال
 الفرنج لاقطاع اليرة عنهم « وذلك في أول سلطنة الملك المعظم توران شاه على
 مصر كما تقدم » ووقع في خيلهم وباء وموت، وعزم ملكهم على أن يركب في أول
 الليل ويسير الى دمياط، فعلم المصريون بذلك، وكان الفرنج قد عملوا جسراً
 على النيل، وسهوا عن قطعه، فعب جيش مصر منه في الليل الى برهم، وخيامهم
 وقملهم على حالهم، وأحرق المصريون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلاً وأسراً،
 فالتجأوا الى قرية تسمى منية أبي عبد الله « على الشاطئ الشرقي لفرع النيل

وَالطَّوَّاشِي صَبِيحٌ يَحْزُمُهُ لَمَّا سَرَحَ جَاءَ مِنْ أُمِّ النَّصْرَانِيَّةِ
لِيلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا لَمْ يَحْتَمِعْ قَطُّ مِثْلَهُ، حَتَّى قِيلَ لَهُمْ كَانُوا
أَلْفَ أَلْفٍ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ مِنْ نَظْمِ ابْنِ مَطْرُوحٍ
الْقَصِيدَةَ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي مِنْهَا:

الشرق فرع دمياط، وتعرف اليوم باسم ميت الحولى عبد الله احدى قرى
مركز فارسكور» وتحصنوا بها، ودار المصريون بها، وظفروا بأسطول
الفرنج، فطلب الفرنسيون الطواشي رشيد الدين والأمير سيف الدين القيمري،
فغصروا، فطلب منهما الأمان، فأجاباه، وعز ذلك على الفرنج، فكانت بينهم وبين
المصريين موقعة انتهت بهزيمتهم، ولم يبق منهم سوى اثنين مائة غرقا - وحبس
الفرنسيين بالمنصورة بدار ابن لقمان « وهى دار الحكومة التى كان ينزل
بها القاضي خفر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء « كاتب الكتاب »
اذا جاء الى المنصورة ، ولا تزال هذه الدار معروفة بالمنصورة، وقد أبقى
الزمان جزءا منها هو الذى فيه الباب قائما بجوار جامع الشيخ المواقى ،
ووضعت لجنة حفظ الآثار العربية على بابها لوحا من الرخام تفيد أن هذه
الدار هى التى سجن فيها القديس لويز التاسع ملك فرنسا « وهو المسمى
هنا الفرنسيين » فى سنة ٦٤٨ هـ الموافقة سنة ١٢٥٠ م. وكان القائم بحفظه
الطواشى جمال الدين صبيح المعظمى، فبقي مكرما غاية الكرامة ، وبقي فى
الاعتقال حتى قتل الملك المعظم، فأطلق طمعا فى المال الذى بذله، فركب البحر
« وكان من حسن السياسة ألا يطلق » وأخذ فى الاستعداد والعودة الى
دمياط، فقال صاحب جمال الدين بن مطروح هذه القصيدة ، وندم الأمراء
على اطلاقه ولات حين مندم، ولكن الحين لم يمهله، وكان بعد ذلك ما هو
مذكور هنا، وما هو معروف فى تواريخ الحروب الصليبية « أحمد يوسف نجاشى »

قُلْ لِلْفِرَنسِيِّسِ إِذَا جِئْتَهُ مَقَالَةً مِنْ ذِي لِسَانٍ فَصِيحٌ ^(١)
إِلَى أَنْ قَالَ :

دَارُ ابْنِ لُقْمَانَ عَلَى حَالِهَا وَمِصْرُ مِصْرٍ، وَالطَّوَأَشِي صَبِيحٌ
وَالْقَصِيدَةُ مَشْهُورَةٌ، فَلِذَلِكَ لَمْ أُسْرُدْهَا ، فَصَرَفَ
الْفِرَنسِيِّسُ جُيُوشَهُ إِلَى تُونِسَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَدْبَاءِ
دَوْلَةِ الْمُسْتَنْصِرِ ^(٢) :

أَفِرَنسِيِّسُ، تُونِسُ أَخْتُ مِصْرٍ فَتَاهَبْ لِمَا إِلَيْهِ تَصِيرُ

(١) ويروى : مقال صدق من قؤول فصيح ، ويروى : مقال صدق عن
قؤول نصيح - وبعده :

من قتل عباد يسوع المسيح	آجرك الله على ماجرى
تحسب أن الزمر ياطبل ربح	أتيت مصرا تبغى ملكها
ضاق به عن ناظر بك الفسيح	فساكك الحين الى أدم
بحسن تدبيرك بطن الضريح	وكل أصحابك أودعهم
الا قتلا أو أسيرا جريح	خسون ألفا لا ترى منهم
لعل عيسى منكم يستريح	وقسك الله لأمثالها
فرب غش قد آتى من نصيح	ان كان باباكم بذرا راضيا
لأخذ ثار أو لعقد صحيح	وقل لهم ان أضربوا عودة

ويروى «أو لقصد صحيح» : دار ابن لقمان الخ. وأراد بالأدم القيد، والفرح :
القبر. والله درجال الدين بن مطروح، فقد أحسن الاجابة عن مصر، وما قصر
في السفارة بينها وبين من أرادها بسوء قصصه الله ، مع اللطف والبلاغة
وحسن التركيب والصياغة « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو شاب من
أهل تونس يسمى أحمد بن اسمعيل الزيات « أحمد يوسف نجاتي » .

لَكَ فِيهَا دَارٌ ابْنُ لُقْمَانَ قَبْرُ

وَطَوَاشِيكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ

فَقَضَى اللَّهُ مَبْجَعَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ مَاتَ فِي حَرَكَتِهِ لِتَوْنُسَ،
وَعَنِمَ الْمُسْتَنْصِرُ غَنِيمَةً مَأْسُوعٍ بِمِثْلِهَا قَطُّ، وَيُقَالُ إِنَّهُ دَسَّ
إِلَيْهِ سَيْفًا مَسْمُومًا مِنْ سَلَّةِ أَثَرٍ فِيهِ سَمُهُ، وَقَلَدَهُ رَسُولًا إِلَيْهِ
بَعْدَ أَنْ جَعَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ التَّفِيْسَةَ مَا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ عِنْدَ
غَيْرِهِ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ إِنْ الْفَرَنْسِيْسَ رَجُلٌ كَثِيرُ الطَّمَعِ، وَلَوْلَا
ذَلِكَ مَا عَاوَدَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أُسْرِهِ، وَإِنَّهُ سَيَرَى السَّيْفَ
وَيُكَبِّرُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ ذَلِكَ فَاتْرَعَهُ مِنْ عُنُقِكَ
وَقَبْلَهُ، وَقُلْ لَهُ: هَذَا هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلَيْكَ، لِأَنَّ مِنْ آدَابِنَا مَعَ
مُلُوكِنَا أَنْ كُلُّ مَا وَقَعَ نَظَرُ الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَعَاوَدَ النَّظَرَ إِلَيْهِ
بِالْقَصْدِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَيَحْرُمُ عَلَيْنَا أَنْ نُمْسِكَهُ، لِأَنَّ
مَا أَحَبَّهُ الْعَوَالِي عَلَى الْعَبِيدِ حَرَامٌ^(١) وَتَكَرَّرَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ
دَلِيلٌ عَلَى حُبِّهِ لَهُ، فَفَرِحَ النَّصْرَانِي بِذَلِكَ، وَأَسْرَعَ الرَّسُولُ
الْعَوْدَ إِلَى سُلْطَانِهِ، فَسَلَّ النَّصْرَانِي السَّيْفَ، فَتَمَكَّنَ فِيهِ السَّمُّ

(١) من قول أحمد بن يوسف - أو غيره - للثامون :

كل ما يصلح للمو إلى على العبد حرام

بِالنَّظَرِ ، فَمَاتَ فِي الْحَيْنِ ، وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْمُسْلِمِينَ .
 « رَجَعْتُ » إِلَى أَخْبَارِ أَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ . قَالَ ابْنُ
 الْعَدِيمِ فِي تَارِيخِ حَلَبَ : أَنْشَدَنِي شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ
 أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ التِّيفَاشِيُّ ^(١) بِالنَّقَاهِرَةِ فِي أَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ

(١) نسبة الى تيفاش مدينة قديمة بإفريقية ، كانت شائعة البناء ذات عيون
 ومزارع كثيرة ، وهى فى سفح جبل . وكان أبو العباس التيفاشى اماما جليلا
 أدبيا ، وله شعر رائع ، ومن قوله فى أهرام مصر :

أَلَسْتُ تَرَى الْأَهْرَامَ دَامَ بِنَاؤُهَا وَفَنَى لَدَيْنَا الْعَالَمُ الْأَنْسُ وَالْجِنُّ ؟
 كَأَنِّي رَحَى الْأَفْلَاكِ أَكْوَارَهَا طَى قَوَاعِدُهَا الْأَهْرَامُ وَالْعَالَمُ الطَّحْنُ
 وقال :

خَلِيلِي ، لَا بَاقَ عَلَى الْحَدَثَانِ مِنْ الْأَوَّلِ الْبَاقِ فَيَحْدُثُ ثَانِي
 إِلَى هَرَمِي مِصْرَ تَنَاهَتْ قُوَى الْوَرَى وَقَدْ هَرَمْتُ فِي دَهْرِهَا الْهَرَمَانِ
 فَلَا تَعْجِبْ أَنَّ قَدْ هَرَمْتُ ، فَإِنَّمَا رَمَانِي يَفْقَدَانِ الشَّبَابَ زَمَانِي
 بِوَعُوجِهَا بِقِرْطَلَجَةٍ فَانْظُرَا بِهَا جَنَائِقِي الْعَادِينَ تَنْتَجِبَانِ
 وَإِيَّانَ كَسْرِي فَانْظُرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَخْبِرُكَمَا بِالصَّدَقِ كُلِّ أَوَانِ
 فَلَا تَعْجَبْ أَنَّ الْفَنَاءَ يَخْصِي أَلَّا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَانِي
 وقال :

قَدْ كَانَ لِلْمَاضِينَ مِنْ سَكَانِ مِصْرَ هَمِّ
 فَالْفَضْلِ عَنْهُمْ فَضْلَةٌ وَالْعِلْمِ فِيهِمْ عِلْمُ
 ثُمَّ انْقَضَتْ أَعْلَامُهُمْ وَعِلْمُهُمْ وَاحْتَطَمُوا
 وَانْظُرْ تَرَاهَا ظَاهِرًا بَادَ عَلَيْهَا الْمَهْرَمُ

وكان التيفاشى بمصر زمان ابن سعيد ، وله فيها شعر وأخبار تؤثر « أحمد
 يوسف نجاشى »

مُوسَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الْفَرَّاطِيُّ يُشِيرُ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الَّذِي
جَمَعَهُ فِي مَحَاسِنِ الْمَغْرِبِ وَسَمَّاهُ الْمَغْرِبُ:
سَعِيدُ الْمَغْرِبُ، وَازْدَهَى الشَّرْقُ عُجْبًا

وَأَبْتَهَاجًا بِمَغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ
طَلَعَتْ شَمْسُهُ مِنَ الْمَغْرِبِ تُجَلِّي

فَأَقَامَتْ قِيَامَةَ التَّقْيِيدِ

لَمْ يَدْعُ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَقَالًا لَا وَلَا لِلرُّوَاةِ بَيْتَ نَشِيدٍ
إِنْ تَلَّاهُ عَلَى الْحَمَامِ تَغَنَّتْ مَا عَلَى ذَافِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدٍ
وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيُّ لِنَفْسِهِ فِيهِ:

يَا طَيْبَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ الزَّكِيِّ كَمَا

يَبْدُو جَنَى ثَمَرٍ مِنَ أَطْيَبِ الشَّجَرِ

وَمَنْ خَلَّاهُ مِثْلُ النَّسِيمِ إِذَا

يَهْفُو عَلَى الزَّهْرِ حَوْلَ النَّهْرِ فِي السَّحَرِ

وَمَنْ مُحْيَاهُ - وَاللَّهُ الشَّهِيدُ - إِذَا

يَبْدُو إِلَى بَصَرِي أَبْعَى مِنَ الْقَمَرِ

أَتَقَلَّتْ ظَهْرِي بِرٍّ لَا أَقُومُ بِهِ

لَوْ كُنْتُ أَتْلُوهُ قُرْآنًا مَعَ السُّورِ

أَهْدَيْتَ لِي الْغَرْبَ مَجْمُوعًا بِعَالِمِهِ
 فِي قَابِ قَوْسَيْنِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 كَأَنِّي الْآنَ قَدْ شَاهَدْتُ أَجْمَعَهُ
 بِكُلِّ مَنْ فِيهِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ
 نَعَمْ وَلَاقَيْتُ أَهْلَ الْفَضْلِ كُلَّهُمْ
 فِي مُدَّتِي هَذِهِ وَالْأَعْصَرِ الْآخِرِ
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَهُمْ فِي الصَّدْرِ مِنْ مُهْرِي
 فَقَدَرْدَدْتُ عَلَى الصَّدْرِ مِنْ مُهْرِي ^(١)
 وَكُنْتُ لِي وَاحِدًا فِيهِمْ جَمِيعَهُمْ
 مَا يُعْجِزُ اللَّهُ جَمْعُ الْخَلْقِ فِي بَشَرٍ ^(٢)
 جُزِيَتْ أَفْضَلَ مَا يُجْزَى بِهِ بَشَرٌ
 مُفِيدٌ مُهْرٍ جَدِيدِ الْفَضْلِ مُبْتَكِرٍ
 اَتَّعَى

وَمِنْ نَظْمِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ قَوْلُهُ :
 وَعَشِيَّةٍ بَلَغَتْ بَنَاءَ أَيْدِي النَّوَى
 مِنْهَا حَامِسَاتُ جَامِعَاتٍ لِلنُّخَبِ

(١) في هذا البيت من المحسنات البديعة اللفظية رد العجز على الصدر

(٢) يشير الى معنى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فَحَدَائِقُ مَا يَنْهَنُ جَدَاوِلُ
وَبَلَابِلُ فَوْقَ الْغُصُونِ لَهَا طَرْبٌ^(١)
وَالنَّخْلُ أَمْثَالُ الْعَرَائِسِ لِبُسْهَا
خَزٌّ، وَحِلْيَتُهَا فَلَا يُدُ مِنْ ذَهَبِ
وَمِنْ نَظْمِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - فِي حَلَبَ قَوْلُهُ :
حَادِي الْعَيْسِ اكْمُ تُنْبِخُ الْمَطَايَا !
سُقْ، فَرَوْحِي مِنْ بَعْدِهِمْ فِي سِيَاقِ
حَلَبُ إِنَّهَا مَقَرُّ غَرَامِي وَمَرَامِي وَقِبْلَةُ الْأَشْوَاقِ
لَا خَلَا جَوْسَقُ وَبِطْيَاسُ وَالسَّهْ
دَاءُ مِنْ كُلِّ وَابِلٍ غَيْدَاقٍ^(٢)
كَمْ بِهَا مَرْتَعٌ لِطَرْفٍ وَقَلْبِ
فِيهِ يُسْقَى الْمُنَى بِكَاسٍ دِهَاقِ
وَتَقْنَى طَيْبُورِهِ لِارْتِيَاكِجِ وَتَشْنَى غُصُونِهِ لِلْعِنَاقِ

(١) يروى صدر البيت : حَدَائِقُ مَا يَنْهَنُ وَجَدَاوِلُ « أحمد بن يوسف بن جاني »
(٢) جوسق اسم لعدة أما كن ، منها جوسق الذي يعنيه قرب حلب ،
وبطياس : قرية من قرى حلب الشهباء ، كان بها قصر لعلي بن عبد الملك بن
صالح الذي كان أمير حلب ، وقد خربت القرية والقصر فيها بعد ، وفيها يقول
أبو بكر الصنوبري الحلبي :

وَعُلُوُّ الشَّهْبَاءِ حَيْثُ اسْتَدَارَتْ
أَنْجُمُ الْأَفْقِ حَوْلَهَا كَالنُّطَاقِ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي حِمَاةَ :

حَمَى اللَّهُ مِنْ شَطْطِ حِمَاةَ مَنَاظِرًا
وَقَفَّتْ عَلَيْهَا السَّمْعُ وَالْفِكَرُ وَالطَّرْفَا
تَفَنَّى حِمَامٌ ، أَوْ تَمِيلُ حَمَائِلُ
وَتُرْهَى مَبَانٍ تَمْنَحُ الْوَاصِفَ الْوَصْفَا
يُلُومُونَ أَنْ أَغْصَى التَّصَوُّنَ وَالنَّهْيَ
بِهَا ، وَأُطِيعَ الْكَاسُ وَاللَّهُوُ وَالْقَصْفَا

انى طربت الى زيتون بطياس
من ينس عهدما يوما فقلت له
ياموطنان كان من خير المواطنين لى
وقائل لى: أفق يوما، فقلت له:
لا أشرب الكاس الا من يدي رشاً
مورد الخد في قصص ماردة
قل للذي لام فيه: هل ترى خلفاً؟!
وقال البحرى :

حلب فأطى القصر من بطياس
فى كل ضاحية ومجنى الآس
حشدت على فأكثر اناسي
« قويق: نهر مدينة حلب، وماؤه أعذب ماء وأصح، الا أنه فى الصيف ينشف
فلا يبقى الا زور قليلة، وأما فى الشتاء فهو حسن النظر طيب المخبر. وقد وصفه

إِذَا كَانَ فِيهَا التَّهْرُ عَاصٍ فَكَيْفَ لَا
 أَحَا كِيهِ عِصْيَانًا وَأَشْرَبَهَا صِرْفًا^(١)!
 وَأَشْدُو لَدَى تِلْكَ النَّوَاعِيرِ شَدْوَهَا
 وَأَغْلِبَهَا رَقْصًا ، وَأَشْبِهَهَا عَزْفًا!
 تَتَنُّ وَتُذْزِرِي دَمْعَهَا ، فَكَأَنَّهَا تَيْمِيمُ بَيْرَآهَا وَتَسَالُهَا الْعَطْفَا
 وَقَوْلُهُ فِي وَدَاعِ ابْنِ عَمِّهِ وَكَتَبَ بِهِمَا إِلَيْهِ :

شعراء حلب بما ألحقه بنهر الكوثر ، وبالنوا في ذلك » وقال البحري أيضا:
 نظرت وضمت جانبي التفاتة وما التفت المشتاق الا لينظرا
 الى أرجواني من البرق كلما تنمر علوى السحاب تعصفرا
 يضيء غماما فوق بطياس وانحما بيض ووروا تحت بطياس أخضرا
 وقد كان محبوبا الى لوانه أضاء غزالا عند بطياس أحورا
 تنمر : أشبه لون النمر . وتعصفر : أشبه لون العصفور - والسعدى قرية بحلب
 أيضا ، وهناك قرستان كلتاها بحلب سفلى وعليها تسمى السعدية - والغيداق
 الغدق الكثير للماء ، والغيداق : الرجل الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير
 العطية ، وبه سمى أحد عمومته صلى الله عليه وسلم لكثرة عطائه « غيداقا »
 وغيدق الطير : اذا كثر ، وماء غيداق : كثير عام ، وعام غيداق : مخصب ، وغيث
 غيداق : كثير الماء ، وعيش غيدق وغيداق : واسع مخصب ، وهم في غدق من
 العيش وغيداق « أحمد يوسف نجاشي » (١) العاصي : اسم نهر حماة وحمص
 ويعرف بالملماس ، منبعه من بحيرة قدس ، ومصبه في البحر قرب أنطاكية
 « أحمد يوسف نجاشي » .

وَدَاعُ كَمَا وَدَّعْتَ فَضْلَ رَيْسِ
يُفْضُ ضُلُوعِي أَوْ يُفِيضُ دُمُوعِي (١)

لَئِنْ قِيلَ فِي بَعْضٍ يُفَارِقُ بَعْضَهُ
فَإِنِّي قَدْ فَارَقْتُ مِنْكَ جَمِيعِي
قَالَ فَارْسَلْ إِلَى إِخْسَانَا وَاعْتَذِرْ، وَلِسَانُ حَالِهِ يُنْشِدُ عَنْهُ :
أُحِبُّكَ فِي الْبُتُولِ وَفِي أَيْيَهَا وَلَكِنِّي أُحِبُّكَ مِنْ بَعِيدٍ
وَقَوْلُهُ - وَقَدْ أَفْلَتَ الْمَرْكَبُ الَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ الْعُدُوِّ - :
انْظُرْ إِلَى مَرْكَبِنَا مُنْقَذًا مِنْ الْعِدَا مِنْ بَعْدِ إِحْرَازِ
أَفْلَتَ مِنْهُمْ ، فَعَدَا طَائِرًا كَطَائِرٍ أَفْلَتَ مِنْ بَازِي
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لَمَّا خَرَجَ مِنْ حُدُودِ إِفْرِيقِيَّةَ :

رَفِيقِي ، جَاوَزْنَا حُدُودَ مَوَاطِنِ
صَحْبِنَا بِهَا الْأَيَّامَ طَلَقًا مُحْيَاها
وَمَا إِنْ تَرَكْنَاهَا لِجَهْلٍ بِقَدْرِهَا
وَلَكِنْ ثَنَّتْ عَنَّا أَعْتَةً سُقْيَاهَا
فَعِيرَنَا نَحْنُ أَلَسِيرَ عَنْهَا لِعَيْرِهَا
إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ يَوْمًا بِلُقْيَاهَا

(١) فض الشيء : اذا فرقه بعد اجتماعه ، وفض ختم الكتاب : كسره . وفي
نسخة «تفض» . وقض الشيء : دقه وكسره « أحمد يوسف نجاشي »

وَكَانَ وُصُولُهُ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ فِي أَسَابِعِ وَالْعِشْرِينَ
 مِنْ رَيْسِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّبَاثَةِ . وَقَالَ
 - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : أَخَذْتُ مَعَ وَالِدِي يَوْمًا فِي اخْتِلَافِ
 مَذَاهِبِ النَّاسِ وَأَنَّهُمْ لَا يُسَلِّمُونَ لِأَحَدٍ فِي اخْتِيَارِهِ ، فَقَالَ :
 مَتَى أَرَدْتَ أَنْ يُسَلِّمَ لَكَ أَحَدٌ فِي هَذَا التَّلَافِيفِ - أَغْنَى الْمُرَبَّ -
 وَلَا يَفْتَرِضُ أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ بَاطِلًا ، وَطَلَبْتَ غَايَةً لَا تُدْرِكُ ،
 وَأَنَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا : يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ عُقَلَاءِ النَّاسِ
 كَانَ لَهُ وَلَدٌ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : يَا أَبِي إِمَّا لِلنَّاسِ يَنْتَقِدُونَ عَلَيْكَ
 أَشْيَاءٌ ؛ وَأَنْتَ عَاقِلٌ ، وَلَوْ سَعَيْتَ فِي مُجَابَبَتِهَا لَسَلِمْتَ مِنْ
 تَقْدِيرِهِمْ ؟ فَقَالَ : يَا بَنِي ، إِنَّكَ غَيْرُ لَمْ تُجَرِّبِ الْأُمُورَ ، وَإِنَّ رِضَا
 النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ ، وَأَنَا أُوقِفُكَ عَلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ ، وَكَانَ
 عِنْدَهُ حِمَارٌ ، فَقَالَ لَهُ : أُرِكَبْ هَذَا الْحِمَارَ وَأَنَا أَتَّبِعُكَ مَا شِئْنَا ،
 فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ : أَنْظِرْ مَا أَقْلَ أَدَبَ هَذَا
 الْعِلَامِ ! يَرُكِبُ وَيَمْشِي أَبُوهُ وَأَنْظِرْ مَا أَشَدَّ تَخَلُّفَ وَالِدِهِ
 لِكُونِهِ يَتْرُكُهُ لِهَذَا ! فَقَالَ لَهُ : أَنْزِلْ أُرِكَبْ أَنَا وَأَمْشِ
 أَنْتَ خَلْفِي ، فَقَالَ شَخْصٌ آخَرُ : أَنْظِرْ هَذَا الشَّخْصَ ، مَا أَقْلَ
 شَفَقَتَهُ ! أُرِكَبْ وَتَرَكَ ابْنَهُ يَمْشِي ! فَقَالَ لَهُ : أُرِكَبْ مَعِيَ ،

فَقَالَ شَخْصٌ: أَشَقَّاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى! أَنْظِرْ كَيْفَ رَكِبَا عَلَى الْحِمَارِ
وَكَانَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا كِفَايَةٌ! فَقَالَ لَهُ: أَنْزِلْ بِنَا، وَقَدِّمَاهُ وَلَيْسَ
عَلَيْهِ رَاكِبٌ، فَقَالَ شَخْصٌ: لَا خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا! أَنْظِرْ
كَيْفَ تَرَكَا الْحِمَارَ فَارِغًا! وَجَعَلَا يَمْشِيَانِ خَلْفَهُ! فَقَالَ: يَا بَنِيَّ
سَمِعْتُ كَلَامَهُمْ؟! وَعَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْلَمُ مِنْ أُعْتِرَاضِ النَّاسِ
عَلَى أَىِّ حَالَةٍ كَانَ أُعْتِرَاضُهُمْ؟! أَنْتَهَى. وَقَالَ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ
الْمُغْرِبِ مَا نَصَّهُ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَدَبَ أَفْضَلَ
مَا أُكْتَسِبَ، وَأَفْضَلَ مَا أُتُّخِبَ، إِذْ هُوَ ذُخْرٌ لَا يَخَافُ
كَسَادُهُ، وَكَزْرٌ لَا يُضْشَى ائْتِقَاصُهُ وَفَقَادُهُ، وَإِنْ كَثُرَ طَالِبُهُ
وَمُؤْتَدُهُ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

رَأَيْتُ جَمِيعَ الْكَسْبِ يَفْقِدُهُ الْفَقَى

وَتَبَقِيَ لَهُ أَخْلَاقُهُ وَالتَّأْدِبُ

إِذَا حُلِّ فِي أَرْضٍ أَقَامَ لِنَفْسِهِ بِأَدَابِهِ قَدْرًا بِهِ يَتَكَسَّبُ
وَأَوْمًا كُلُّ نَحْوِهِ، وَلَعَلَّهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ النَّبَاهَةِ يُنْسَبُ

وَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ لِبَعْضِ الْمَغَارِبَةِ:

فَأَثْبَتَتْ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ هِمَّةً

إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ الَّذِي كَانَ مُطَرِّحَ

وَصَيَّرَتْ مَنْ قَدْ كَانَ بِالنَّظْمِ جَاهِلًا
يُحَاوِلُهُ كَيْمَا تَجُودَ لَكَ الْمِدَحُ
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْخُطْبَةِ : وَبَعْدُ فَهَذَا كِتَابُ رَاحَةٍ قَدْ
تَعَبْتُ فِي جَمْعِهِ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْكَارُ، وَكُلُّ عَنَاءٍ سَهْلٌ
إِذَا أَنْجَحَ الْقَصْدُ، وَقَدْ بَدِئْتُ فِيهِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ
وَمُنْتَهَاهُ إِلَى غُرَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

عبد الملك
ابن سعيد

قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ كَانَ السَّبَبُ فِي ابْتِدَاءِ هَذَا الْكِتَابِ جَدُّ
وَالِدِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ صَاحِبُ قُلْعَةِ بَنِي سَعِيدٍ
تَحْتَ طَاعَةِ عَلِيِّ بْنِ يُونُسَ بْنِ تَاشَفِينَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مَلِكِ
الْبَرْبَرِ، إِلَى أَنْ اسْتَبَدَّ بِهَا سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ
وَقَصَدَهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ حَافِظُ الْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَجَّارِيِّ وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابَ «الْمُنْهَبِ
فِي غَرَائِبِ الْمَغْرِبِ» فِي نَحْوِ سِتَّةِ أَسْفَارٍ، وَابْتَدَأَ فِيهِ مِنْ فَتْحِ
الْأَنْدَلُسِ إِلَى التَّارِيخِ الَّذِي ابْتَدَأَهُ فِيهِ، وَهُوَ سَنَةُ ثَلَاثِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ، ثُمَّ تَرَأَى فِي خَاطِرِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهِ
مَا أَغْفَلَهُ الْحَجَّارِيُّ، وَتَوَلَّى بِمُطَالَعَتِهِ أَبْنَاءَهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدٌ

وَأَصَافًا لَهُ مَا اسْتَفَادَاهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُ إِلَى أَنْ اسْتَبَدَّ بِهِ مُحَمَّدٌ
 فَأَعْتَى بِهِ أَشَدَّ اعْتِنَاءً، ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِهِ وَالِدِي، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ
 بِهَذَا الشَّانِ . وَبَلَغَ مِنْ أَجْتهَادِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنِّي
 أَذْكُرُهُ يَوْمًا وَقَدْ نَوَّهَ بِهِ ابْنُ هُوْدٍ وَهُوَ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ،
 وَوَلَاةُ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ فَأَعْلَمَهُ شَخْصٌ أَنَّ عِنْدَ أَحَدِ الْمَنْسُوبِينَ
 إِلَى بَيْتِ نَبَاهَةَ ^(١) كَرَارِيسَ مِنْ شِعْرِ شُرَائِهَا، وَأَخْبَارِ
 رُؤُسَائِهَا، الَّذِينَ تَحْتَوِي عَلَيْهِمْ دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، فَأَرْسَلَ
 إِلَيْهِ رَاغِبًا فِي اسْتِعَارَتِهَا، فَأَبَى وَقَالَ: عَلَى يَمِينٍ أَلَّا تَخْرُجَ عَنْ
 مَنْزِلِي، وَقَالَ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ يَأْتِي عَلَى رَأْسِهِ - وَكَانَ جَاهِلًا -
 فَلَمَّا سَمِعَ وَالِدِي ضَحِكَ، وَقَالَ لِي: سِرْ مَعِيَ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ:
 وَمَنْ يَكُونُ هَذَا حَتَّى تَمُشِيَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّي
 لَا أَمْشِي لَهُ، وَلَكِنْ أَمْشِي لِلْفُضَلَاءِ الَّذِينَ تَصَمَّنْتَ الْكَرَارِيسُ
 أَشْعَارَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ، أَتَرَاهُمْ لَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ مُجْتَمِعِينَ فِي

موسى بن سعيد
والد ابن سعيد
صاحب الترجمة

(١) من بيت نباهة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن التباهي الجذامي، من
 أهل مالقة وأعيانها وقضاتها، وهو جد بني الحسن الملقين، وبنيته بيت قضاء.
 وعلم ورياسة، لمز الوارثون ذلك كإبراعن كابر، واستقضى جده المنصور بن
 أبي عامر وتوفي سنة ٤٧٢ هـ وتقدم حديث عنه « أحمد يوسف نجاتي »

مَوْضِعٍ أَنْفَتُ أَنْ أَمْشِيَ إِلَيْهِمْ؛ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّ الْأَثَرَ يَنْبُو
عَنِ الْعَيْنِ، فَمَشِينَا إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَفَنَا فِي اللِّقَاءِ،
فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْهَا الْغَرَضَ صَرَفَهَا إِلَيْهِ وَالِدِي، وَشَكَرَهُ، وَقَالَ:
هَذِهِ فَائِدَةٌ لَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ غَيْرِكَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا، ثُمَّ
أَنْفَصَلَ وَقَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنِّي سُرِرْتُ بِهِذِهِ الْفَائِدَةِ
أَكْثَرَ مِنَ الْوَلَايَةِ، وَإِنَّ هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ السَّعَادَةِ وَعُنْوَانُ
نَجَاحِهَا .

وَالْقَلْعَةُ الَّتِي كَانَ بِهَا بَنُو سَعِيدٍ تُعْرَفُ بِهِمْ ، فَيُقَالُ
لَهَا قَلْعَةُ بَنِي سَعِيدٍ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ قَبْلُ بِقَلْعَةِ أَسْطَلِيرٍ، وَهُوَ
عَيْنُ لَهَا. وَقَالَ الْمَلَا حِي^(١) فِي تَارِيخِهِ: إِنَّهَا تُعْرَفُ بِقَلْعَةِ يَحْصَبَ
قَبِيلٍ مِنَ الْيَمَنِ نَزَلَ بِهَا عِنْدَ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ، وَبِهَا كَمَا مَرَّ
صَنَّفَ الْحَجَّارِيُّ كِتَابَ « الْمُنْهَبِ » لِصَاحِبِهَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
سَعِيدٍ، وَفِي بَنِي سَعِيدٍ يَقُولُ الْحَجَّارِيُّ:

قَوْمٌ لَهُمْ فِي فَخْرِهِمْ شَرَفُ الْحَدِيثِ مَعَ الْقَدِيمِ
وَرِثُوا النَّسَبَ وَالْبَاسَ وَأَهْلِيًا كَرِيمًا عَنْ كَرِيمِ

(١) أَبُو الْقَاسِمِ الْمَلَا حِي سَيَّاتِي ذَكَرَهُ بَعْدَ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نِجَاقِي »

مِنْ كُلِّ وَضَّاحٍ بِهِ يُجَلَّى دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مِنْ وَلَدِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ
- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَمَّارٍ، وَقَدْ
ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانَ فِي مُقْتَبَسِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ صَاحِبَ الْأَنْدَلُسِ آخِرَ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ
بِالْمَشْرِقِ كَتَبَ إِلَيْهِ ^(١) أَنْ يُدَافِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ
الْمُرَوَّاتِي الدَّخِلَ لِلْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ أَمِيرًا عَلَى الْيَمَانِيَّةِ
مِنْ جُنْدِ دِمَشْقٍ، وَإِنَّمَا رَكَنَ إِلَيْهِ فِي مُحَارَبَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِمَا
بَيْنَ بَنِي عَمَّارٍ وَبَنِي أُمَيَّةٍ مِنَ الثَّارِ، بِسَبَبِ قَتْلِ عَمَّارٍ بِصَفِّينَ
عَلَى يَدِ عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَكَانَ عَمَّارٌ
مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - .

عبد الله بن
سعد أول جد
لابن سعيد
دخل الاندلس

وَقَالَ الْحَجَّارِيُّ أَنَشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ^(٢) صَاحِبُ
أَعْمَالٍ غَرَّ نَاطِلَةٍ فِي مُدَّةِ الْمَلَثِّينَ لِنَفْسِهِ، فِيمَا يَلِيقُ بِجِنْسِهِ :

أبو بكر محمد
ابن سعيد

(١) في الأصل كتب الله بدل كتب اليه وهو تصحيف فاسد « أحمد
يوسف نجاشي » (٢) في الأصل بكر بن محمد بن سعيد « أحمد يوسف نجاشي »

إِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَلَاءِ أَهْلًا بِمَا تَرَاهُ فَمَنْ يَكُونُ ؟
وَكُلُّ مَا أَبْتَنِيهِ دُونِي وَلِي عَلَى هِمَّتِي دُيُونُ
وَمَنْ يَرُمُ مَا يَقُلُّ عَنْهُ فَذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ جُنُونُ
فَرَعَّ بِأَفْقِ السَّمَاءِ سَامٍ وَأَصْلُهُ رَامِسُخٌ مَكِينُ
وَمِنْ نَظْمِهِ قَوْلُهُ أَيْضًا :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَحِبُّ كَسْبَ الْمَعَالِي
وَلِئِمَّا أَتَوَاتَى عَنْهَا لِسُوءِ الْمَالِ
تَحْتَاجُ لِلْكَدِّ وَالْبَذِّ لِوَاصِطِنَاعِ الرِّجَالِ (١)
دَعِ كُلَّ مَنْ شَاءَ يَسْمُو لَهَا بِكُلِّ اخْتِيَالِ
فَصَالُهُمْ بِالنِّمَاسِ فِيهَا وَحَالِي حَالِي (٢)

وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ تَرْجَمَةَ الْكَاتِبِ
الرَّئِيسِ الْمُجِيدِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْفَسَّانِي كَاتِبِ مَلِكِ
إِفْرِيقِيَّةَ قَالَ : بِمَاذَا أَصِفُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَصِيرُ لِي ثَرًا لَمَا
كُنْتُ أَنْصِفُهُ ، وَكَفَاكَ أَنِّي اخْتَبَرْتُ الْفُضَّلَاءَ مِنَ الْبَحْرِ

(١) في الأصل « واصطفاة الرجال » وهو مصحف سخيف « أحمد
يوسف نجاشي » (٢) من الحلى وهو الزينة « أحمد يوسف نجاشي »

الْمُحِيطِ إِلَى حَضْرَةِ الْقَاهِرَةِ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَلَا أَفْضَلَ
عَشْرَةَ مِنْهُ ، وَلَمَّا فَارَقْتُهُ لَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِرِسَالَتِهِ قَدْ وَافَقَتْنِي
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنْ تُونِسَ ، وَفِيهَا قَصِيدَةٌ فَرِيدَةٌ مِنْهَا :
إِلَيْهِ أَبَا الْحَسَنِ ، أَسْتَمِعْ شَدْوِي ، فَقَدْ

يُصْنِي الْحَمَامُ إِذَا الْحَمَامُ تَرَنَّمَا
ثُمَّ سَرَدَ بَعْضًا مِنَ الْقَصِيدَةِ ، وَسَتَأْتِي قَرِيبًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى - بِزِيَادَةٍ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْهَا فِي الْمَغْرِبِ .

« رَجَعُ » وَجِدَ بِخَطِّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - آخِرَ الْجُزْءِ
عُودَ إِلَى سِدَّةِ
ابْنِ سَعِيدٍ
مِنْ كِتَابِ الْمَغْرِبِ مَا نَصَّهُ : أَجَزْتُ الشَّيْخَ الْقَاضِيَ الْأَجَلَ
أَبَا الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنَ الشَّيْخِ الْقَاضِيَ أَبِي يَعْقُوبَ الشَّيْخَاشِيَّ أَنَّ
يُرْوَى عَنِّي مُصَنَّفِي هَذَا وَهُوَ « الْمَغْرِبُ فِي مُحَاسِنِ الْمَغْرِبِ »
وَيُرْوَاهُ مَنْ شَاءَ ، ثِقَةً بِفَهْمِهِ ، وَأَسْتِنَامَةً إِلَى عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ
أَجَزْتُ لِفَتَاةِ النَّبِيِّ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
ابْنِ خَطْلَخِ الْفَارِسِيِّ الْأَرْمَوِيِّ ^(١) أَنَّ يُرْوَاهُ عَنِّي وَيُرْوَاهُ

(١) نسبة إلى أرمية : اسم مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، وكانت مدينة
حسنة كثيرة الخيرات واسعة الفواكه والبساتين صحيحة الهواء كثيرة الماء ،

مَنْ شَاءَ، وَكَتَبَهُ مُصَنَّفُهُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ سَعِيدٍ فِي تَارِيخِ الْفَرَاغِ مِنْ نَسَخِ هَذَا السُّفْرِ أُنْتَهَى .
وَقَالَ فِي وَسِيمٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجَمِ صَحْبَهُ فِي الطَّرِيقِ مِنْ
حَلَبَ إِلَى بَغْدَادَ، فَمَاتَ وَكَانَ ظَرْفًا أَدِيمًا :

لَهْمِي عَلَى غُصْنِ ذَوَى	أَقْدَتُهُ لَمَّا أَسْتَوَى
رِيَّانُ مِنْ مَاءِ الصُّبَا	وَمِنْ أَلْمَدَامِيعِ مَا أُرْتَوَى
لَا تَعْدِلُونِي إِنْ نَطَقَ	تُ الدَّهْرِ فِيهِ عَنِ الْهَوَى
كَمْ ضَلَّ صَاحِبُهُ بِسَحْ	رِ اللَّحْظِ مِنْهُ، وَكَمْ غَوَى ^(١)
أَنَا لَا أُفِيقُ الدَّهْرَ فِيهِ	ه مِنْ الصُّبَابَةِ وَالْجَوَى
إِنَّ الْهَوَى حَيًّا وَمَيَّ	تًا لَا يَزَالُ بِهِ مَيَّوَى
كَمْ قَدْ نَوَيْتُ بِهِ النِّعَ	يْمَ فَقَدَّرَ اللَّهُ النُّوَى
دَارَ السَّلَامِ حَوَيْتُ مَنْ	كُلَّ الْمَحَاسِنِ قَدْ حَوَى

وينسب إليها جماعة من الفضلاء منهم أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن
محمد بن الشيوخ الأرموي، نزل مصر وتوفي بها سنة ٤٦٠هـ - ومنهم أبو الفضل
محمد بن عمر بن يوسف الأرموي البغدادي، ولى القضاء بمدينة الفاو
وتوفي سنة ٥٤٧هـ - ومنهم مظفر بن يوسف الأرموي المؤدب، وابنه يونس
ابن مظفر كان كاتباً فاضلاً من حذاق كتاب الديوان، وولى إشراف الديوان
ببغداد للناصر لدين الله «أحمد يوسف نجاشي» (١) من قوله تعالى :
«ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى» «أحمد يوسف نجاشي»

مَجْمُوعُ حُسْنِ قَدْ تَوَى فِي جَنَّةٍ وَبِهَا تَوَى^(١)

وَوُلِدَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ
 الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامَ عَشْرِ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَهُوَ
 عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ
 ابْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحُسَيْنِ
 ابْنِ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ
 - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - .

وَقَالَ فِي الْمَغْرِبِ لَمَّا عَرَفَ بَوَالِدِهِ الْكَاتِبَ الشَّهِيرَ
 أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ مَا
 مُلَخَّصُهُ : لَوْلَا أَنَّهُ وَالِدِي لَأُطْبِئْتُ فِي ذِكْرِهِ ، وَوَفَيْتُهُ
 مِنْ الْوَصْفِ حَقَّ قَدْرِهِ ، لَكِنْ كَفَاهُ وَصْفًا مَا أَثْبَتُ لَهُ فِي
 هَذِهِ التَّرْجَمَةِ ، وَمَا مَرَّ لَهُ وَيَمُرُّ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَكَوْنُ
 كُلِّ مَنْ اشْتَغَلَ بِهَذَا التَّأْلِيفِ نَهْرًا وَهُوَ بَحْرٌ ، وَأَشْهَارُهُ فِي
 حِفْظِهِ التَّأْرِخِ وَالْإِعْتِنَاءِ بِالْأَدَابِ فِي بِلَادِهِ بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ

(١) توى : مات ، وتوى : « أحمد يوسف نجاشي »

إِلَى تَنْبِيهِ وَلَا إِطْنَابٍ، وَلَهُ مِنَ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ مَا نَضِجُ الْأَقْلَامُ
مِنْ كَثْرَتِهِ، وَيَسْتَمِدُّ الْقَطَرُ مِنْ دِرَّتِهِ^(١)، وَمِمَّا شَاهَدْتُ
مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ عَاشَ سَبْعًا وَمِائَتَيْنِ سَنَةً وَلَمْ أَرَهُ يَوْمًا تَحُلِّيَ
عَنْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ، أَوْ كَتَبَ مَا يُخَلِّدُهُ، حَتَّى إِنَّ أَيَّامَ الْأَعْيَادِ
لَا يُخْلِيهَا مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ عِيدٍ وَهُوَ
فِي جَهْدٍ عَظِيمٍ مِنَ الْكُتُبِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي! أَيْ هَذَا
الْيَوْمَ لَا تَسْتَرِيحُ؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُغْضَبِ وَقَالَ: أَطْنُوكَ لَا تُفْلِحُ
أَبَدًا! أَتَرَى الرَّاحَةَ فِي غَيْرِ هَذَا؟ وَاللَّهِ لَا أَحْسَبُ رَاحَةً تَبْلُغُ
مَبْلَغَهَا، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضَاعِفُ مُعْمَرِي حَتَّى أَتِمَّ
كِتَابَ الْمُعْرَبِ عَلَى غَرَضِي، قَالَ فَأَمَّا رَ ذَلِكَ فِي خَاطِرِي أَنَّ
صِرْتُ مِثْلَهُ؛ لَا أَتَذُّ بِنَعِيمٍ غَيْرِ مَا أَتَذُّ بِهِ مِنْ هَذَا الشَّانِ،
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا بَلَغَ هَذَا التَّأْلِيفُ إِلَى مَا تَرَاهُ، وَكَانَ أَوْلَعَ النَّاسِ
بِالتَّجَوُّلِ فِي الْبُلْدَانِ، وَمُشَاهَدَةِ الْفُضَلَاءِ، وَاسْتِفَادَةِ مَا يَرَى
وَمَا يَسْمَعُ، وَفِي تَوَلُّعِهِ بِالتَّقْيِيدِ وَالْمُطَالَعَةِ لِلْكِتَابِ يَقُولُ:

(١) فِي نَسَخَةٍ: وَتَسْتَمِدُّ «الْفُطْنُ» وَدَرَةُ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوُهُمَا: كَثْرَتُهُ
وَسَيِّلَانَهُ، وَدَرُ اللَّبَنِ وَالسَّمْعِ يَدْرُ «بِضَمِّ الدَّالِ وَكُسْرُهَا» وَدَرْتُ النَّاقَةُ: إِذَا
حَلَبْتَ فَأَقْبَلَ عَلَى الْحَالِبِ مِنْهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَالْأَسْمُ الدَّرَةُ، وَدَرْتُ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ
وَكَذَا السَّحَابَ، وَدَرُ الْحَرَّاجِ: إِذَا كَثُرَتْ أَثَاؤُهُ وَفِيهِ «أَحْمَدُ يَوْسُفَ نَجَاتِي»

يَا مُفْنِيَا مُعْمَرُهُ فِي الْكَاسِ وَالْوَرِّ
وَرَاغِيَا فِي الدُّجَى لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
يَسْكِي حَيِيًّا جَفَاهُ، أَوْ يُنَادِمُ مَنْ
يَهْفُو لَدَيْهِ كَغُضْنِ بَاسِمِ الزُّهْرِ
مُنْعَمًا بَيْنَ لَدَاتٍ يُحَقِّقُهَا^(١) وَلَا يُخَلِّدُ مِنْ فَخْرِ وَلَا سِيرٍ
وَعَاذِلَا لِي فِيمَا ظَلْتُ أَكْتُبُهُ
يُبْدِي التَّعَجُّبَ مِنْ صَبْرِي وَمِنْ فِكْرِي
يَقُولُ: مَا لَكَ قَدْ أَفْنَيْتَ مُعْمَرَكَ فِي
حَبْرٍ وَطَرَسٍ عَنِ الْأَغْصَانِ وَالْحَبْرِ^(٢) ١٢
وَوَلَّتْ تَسَهَّرُ طُولَ اللَّيْلِ فِي تَعَبٍ
وَلَا تَنِي أَبَدَ الْأَيَّامِ فِي ضَجَرٍ^(٣)
أَقْصِرْ، فَإِنِّي أَذْرِي بِالَّذِي طَمَحْتَ
لِأَفْقِهِ حِمَّتِي، وَاسْأَلْ عَنِ الْأَثَرِ

(١) عقه - بالتخفيف والتشديد - : أبطله وعماه حتى لم يبق منه شيء ،
ومحق الله الشيء : ذهب يركته وخيره ورثه (٢) الطرس : الصحيفة يكتب
فيها ، والحبر جمع حبرة « كعنبه » ضرب من برود الين ذو نقط وخطوط
ووشى : والحبرة « بفتح الحاء والباء » - السرور والجور ، وبين « حبر »
و« حبر » جناس ظاهر (٣) يقال لا يني فلان يفعل كذا : أي لا يزال ، قال :

وَأَسْمَعَ لِقَوْلِ اللَّهِ تُتْلَىٰ مُحَامِسُهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا صَارَ مِثْلَ الثُّرْبِ كَالسُّورِ^(١) :
 «جَمَالَ ذِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ فِي الْحَيَاةِ، وَهُمْ
 بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالَ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ»
 أَنْتَهَى .



وَوُلِدَ أَبُو عَمْرٍاءَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ فِي الْخَامِسِ مِنْ رَجَبِ
 عَامٍ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتَوُفِّيَ بِشَعْرِ الْأِسْكَندَرِيَّةِ
 يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الثَّامِنِ مِنْ شَوَّالٍ عَامِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،



وَوُلِدَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ صَاحِبُ أَعْمَالٍ غَرْنَاطَةَ
 وَأَعْمَالِ إشبيلية عَامِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتَوُفِّيَ بِشَعْبَانَ

فما ينون اذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

وفي نسخة: ولاتنى أمد الأيام « أحمد يوسف نجاشي »

(١) يريد أبا العلاء المعري صاحب البيت الأخير الذي ضمنه ابن سعيد

قصيدته ، وقصيدة أبي العلاء التي منها هذا البيت أولها :

ياساهر البرق أيقظ راقدا السمر لعل بالجزع أعوانا على السهر

عَامَ تِسْمَةِ وَمَمَائِنَ وَخَمْسِمَائَةٍ بِفَرْنَاطَةٍ . وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ وَزِيرًا جَلِيلًا بَعِيدَ الصِّبْتِ عَلَيَّ اللَّهُ كَرِ رَفِيعَ

وان بخلت عن الأحياء كلهم
ويا أسيرة جعلها أرى سفها
ماسرت الاوطيف منك يصحني
لو حط رحلى فوق النجم رافعه
يود أن ظلام الليل دام له
لو اختصرتم من الاحسان زركم
والحسن يظهر في شيتين روضه
لا تطويا السر عني يوم نائبة
والحل كالماء يندى لى ضائره
يا بن الألى غير زجر الحيل ما عرفوا

فلسق المواطر حيا من بنى مطر
حمل الحلى لمن أعيان عن النظر
سرى أمانى وتأويا على أثرى
وجدت ثم خيالا منك منتظري
وزيد فيه سواد القلب والبصر
والعذب يهجر للافراط فى الحصر
بيت من الشعر أوييت من الشعر
فان ذلك ذنب غير مغفر
مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
اذ تعرف العرب زجر الشاء والعكر

« العكر جمع عكرة وهي قطعة من الابل من نحو ٦٠ - ٨٠ »

والقائديها مع الأضياف تتبعها
جمال ذى الأرض كانوا الح والاف الحيل : أمهارها وأولادها ، واللام :
الشخص ، يريد العبيد ، أوجع لأمة وهي عدة السلاح كاملة ، يعنى انهم يهون
الحيل تتبعها مهارها مع الأتوف من العبيد وعدة السلاح وبدر الأموال
للموقدون بنجد نار بادية
ملجت نيمر ، فهاجت منك ذا لبد
دع اليراع لقوم يفخرون به
فهن أقلامك اللاتي اذا كتبت
والنجم تستغفر الأبصار رؤيته
والمرء مالم تضد نفا اقلتمه
وسقنا كثير من القصيدة لأنهما من أبيات الشواهد فى البلاغة « أحمد يوسف نجاشى »

لا يحضرون ، وققد العز فى الحضر
والليث أفتك أفضالا من النمر
وبالطوال الردينيات فافتخر
مجدا أتت بمداد من دم هدر
والدنب للطرف لا للنجم فى الصغر
غيم حى الشمس لم تمطر ولم يسر

الهِمَّةَ كَثِيرَ الْأَمْوَالِ، وَذَكَرَهُ ابْنُ صَاحِبِ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِهِ
«تَارِيخَ الْمُؤَحِّدِينَ» وَنَبَّهَ عَلَى مَكَاتِهِ مِنْهُمْ فِي الْحُظُوتِ وَالْأَخْذِ
فِي أُمُورِ النَّاسِ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَهُ السَّهْبِيُّ^(١) فِي شَرْحِ
السِّيَرَةِ الشَّرِيفَةِ - حَيْثُ ذَكَرَ الْكِتَابَ الْمَوْجَّهَ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ
عَايَنَهُ عِنْدَ أَذْفُونِشْ مُكْرَمًا مُفْتَخِرًا بِهِ . وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ
وَمَدَحَةُ الرُّصَافِيِّ^(٢) بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

ذِهْنًا يَفِضُّ وَخَاطِرًا مُتَوَقِّدًا

مَاذَا عَسَى يُثْنَى عَلَى عِلْمِ الْبُزْجِيِّ

(١) تقدم التعريف بالامام السهبي صاحب «الروض الأنف» في شرح
السيرة النبوية للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام للمعارفي الحميري البصري
الأصل المتوفى بمصر سنة ٢١٣ - وتوفي الامام الفقيه المحدث عبدالرحمن بن
عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخنمى السهبي بمدينة مراکش سنة ٥٨٣
ويأتى حديث عنه «أحمد يوسف نجاشي» (٢) أبو عبد الله محمد بن غالب
الرصافي الرافعي من رصافة ببلنسية ، وسكن مالقة ، شاعر أندلسي مشهور
سيأتى كثير من بديع شعره في الوصف والفرح ، وكان معاصرا للامام
السهبي ، وكان يلقب ابن روى الأندلس ، وهو شاعر وقته بها المعترف له
بالاجادة ، وسكن غرناطة زمنا ، وامتدح واليا ، وكان مع هذا ذا عفاف وعلو
همة وعزة نفس ، وكان من الرقة وسلاسة الطبع وتنقيح القريض وتجويده
على طريقة متحدة ، وخرج صغيرا من وطنه ، فكان يكثر الحنين اليه ، ويقصر أكثر
منظومه عليه ، وتوفي سنة ٥٧٢ وقبره بمدينة مالقة رحمه الله «أحمد يوسف نجاشي»

وَلَمَّا أَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ فِيهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :
لِمَحَلِّكَ التَّرْفِيعُ وَالْعَظِيمُ
وَلِوَجْهِكَ التَّقْدِيسُ وَالْكَرِيمُ
حَلَفَ لَا يَسْمَعُهَا ، وَقَالَ : عَلَى إِجَازَتِكَ ، وَلَكِنَّ طِبَاعِي
لَا تَحْمِلُ مِثْلَ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ الرُّصَافِيُّ : وَمَنْ مِثْلَكَ يَسْتَحِقُّ
هَذَا فِي الْوَقْتِ غَيْرُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : دَغْنِي مِنْ خِدَاعِكَ ، أَنَا وَمَا
أَعْلَمُهُ مِنْ قَلْبِي . وَأَنْشَدَ لَهُ فِي الطَّلَاعِ السَّعِيدِ (١) :
فَلَا تَظْهَرَنْ مَا كَانَ فِي الصَّدْرِ كَامِنًا
وَلَا تَرَكْبَنْ بِالْفَيْضِ فِي مَرْكَبٍ وَغَرِ
وَلَا تَبْحَثَنَّ فِي عُذْرِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا
فَلَيْسَ كَرِيمًا مَنْ يُبَاحِثُ فِي الْعُذْرِ (٢)
وَوَلِيَ لِلْمُؤَحِّدِينَ أَعْمَالًا كَثِيرَةً بِمَرَاكُشَ وَسَلَا
وِإِسْبِيلِيَّةَ وَغَرَ نَاطَةَ ، وَاتَّصَلَتْ وَلَايَتُهُ عَلَى أَعْمَالِ غَرَ نَاطَةَ ،
وَكَانَ مِنْ شُيُوخِهَا وَأَعْيَانِهَا . وَكُتِبَ عَلَيْهِ عَقْدُ أَنْ فِي

(١) كتاب « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد » لصاحب الترجمة أبي الحسن
ابن سعيد ، ذكر فيه تاريخ بلده وأهل بيته ، وفي نهج الطيب نقل كثير منه
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) في معناه :

إذا ما مروء من ذنبه جاء تائبًا إليك ولم تغفر له فلك الذنب

دَارِهِ مِنَ الْخُلَى وَأَصْنَانِهِ مَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي دَارِ الْمَلِكِ ، وَأَنَّهُ
 إِذَا رَكِبَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ شَوَّشَ عَلَيْهِ ^(١) وَنَبَّاحُ الْكِلَابِ
 فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَعَلَى ابْنِ عَمِّهِ صَاحِبِ أَعْمَالِ
 إِفْرِيقِيَّةَ أَبِي الْحُسَيْنِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ
 رَضِيَ عَنْهُمَا ، وَأَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَكْتُبَ بِحُطَّةِ
 كُلِّ مَا أَخَذَ مِنْهُ ، فَصَرَفَهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَغَرِمَ
 لَهُ مَا فَاتَ مِنْهُ ، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ سَعْدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
 الْمَذْكُورِ وَنَبَاهَةِ قَدْرِهِ . وَحَسَبُهُ مِنَ الْفَخْرِ مَذْخُ أُدَيْبِ
 الْأَنْدَلُسِ وَشَاعِرِهَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرُّصَافِيِّ ، لَهُ وَهُوَ يَمْنُ يَمْدَحُ
 الْخُلَفَاءَ فِي ذَلِكَ الْمَعْرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

عبد الملك
ابن سعيد

وَوُلِدَ أَبُوهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ عَامَ سِتَّةٍ وَتِسْعِينَ
 وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتَوَفَّى بِحَضْرَةِ مَرَاكُشَ عَامَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ
 وَخَمْسِمِائَةٍ . قَالَ الْحَجَّارِيُّ : لَمَّا مَاتَ يَحْيَى بْنُ غَانِيَةَ ^(٢)
 أَمَلْتُمُ مَلِكَ الْأَنْدَلُسِ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ - وَكَانَ وَزِيرَهُ

(١) هنا يباين مقدار سطر سقط من نسخة بخط المؤلف لا يمكن للطابعون من
 قراءته فترك (٢) في سنة ٥٤٣ هـ ملك الموحدون مدينة قرطبة وكان بها يحيى بن علي

وَمُدَبَّرَ دَوْلَتِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ - بِأَدْرِ الْفِرَارَ لِعِرْنَاطَةَ
عِنْدَ مَا سَمِعَ بِمَوْتِهِ إِلَى قَلْعَتِهِ، وَتَارَ بِهَا، وَطَلَبَهُ خَلِيفَةُ يُحْيَى
ابْنِ غَانِيَةَ طَلْحَةَ بْنُ الْعَنْبَرِ، فَوَجَدَهُ قَدْ فَاتَهُ^(١). وَقَدْ قَدَّمْنَا
أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي
أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ» ثُمَّ تَمَّهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ تَمَّ
مَا بَقِيَ مِنْهُ ابْنُهُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ أَرَبَى عَلَى الْكُلِّ فِي إِتْمَامِهِ
أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الَّذِي قَصَدْنَاهُ بِالترجمة فِي هَذَا
الْكِتَابِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَحْوَالِهِ مُجْمَلَةً كَافِيَةً.



وَمِنْ فَوَائِدِ ابْنِ سَعِيدٍ أَبِي الْحَسَنِ مَا حَكَاهُ عَنْ صَاحِبِ

السَّكَّامِ عَلَى
فَسْطَاطِ مِصْرَ

للسوفي المعروف بابن غانية مقيما لدعوة المرابطين، فلما دخل الموحدون
الأندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الفرنجة الفرصة في البلاد
وضايقوا ابن غانية بقرطبة، وألح طاعيتهم على جهاته حتى نزل له عن بعض
المدن، وتطلب على كثير منها ومن حصونها، فأرسل ابن غانية الى بدران بن
محمد السوفي أمير الموحدين، واجتمعا بمدينة أستجة، وضمن له بدران ألام
الخليفة عبد المؤمن بن علي للمعونة على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة
ففعّل، ثم هلق بغرناطه وبها ميمون بن بدر المتوفى في جماعة من المرابطين،
وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدين وأن يكتمهم من غرناطه كما
فعل هو بقرطبة، فتوفى بغرناطه في شعبان من سنة ٥٤٣ هـ ودفن في القنصة
بازاء قبر باديس بن جبوس الصنهاجي. وقد سبق أن عرفنا ببني غانية
وحوادثهم ونهاية أمرهم «أحمد يوسف نجاتي» (١) في نسخة: قدمت

كِتَابِ الْكَمَامِ ؛ وَهُوَ : قَامًا فُسْطَاطُ مِصْرَ فَإِنَّ
مَبَانِيهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مُتَّصِلَةً بِمَبَانِي مَدِينَةِ عَيْنِ شَمْسٍ ،
وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَبِهَا بَنَاهُ يُعْرَفُ بِالْقَصْرِ حَوْلَهُ مَسَاكِينُ ،
وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ نَزَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ
حَيْثُ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ لَمَّا فَتَحَهَا
قَسَمَ الْمَنَازِلَ عَلَى الْقَبَائِلِ ، وَنُسِبَتِ الْمَدِينَةُ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ
فُسْطَاطُ عَمْرٍو ، وَتَدَاوَلَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَلَاءُ مِصْرَ
فَاتَّخَذُوها سِرِيرَ السُّلْطَانَةِ ، وَتَضَاعَفَتْ عِمَارَتُهَا ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَيْهَا ، وَقَصَرُوا أَمَايَهُمْ عَلَيْهَا ، إِلَى أَنْ رَسَخَتْ
بِهَا دَوْلَةُ بَنِي طُولُونَ ، فَبَنَوْا إِلَى جَانِبِهَا الْمَنَازِلَ الْمَعْرُوفَةَ
بِالْقَطَائِعِ ، وَبِهَا كَانَ مَسْجِدُ ابْنِ طُولُونَ الَّذِي هُوَ الْآنَ
إِلَى جَانِبِ الْقَاهِرَةِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ يَمُرُّ النَّيْلُ مَعَ
طُولِهَا ، وَتَحْطُ فِي سَاحِلِهَا الْمَرَكَبُ الْآتِيَةُ مِنْ شِمَالِ
النَّيْلِ وَجَنُوبِهِ بِأَنْوَاعِ الْفَوَائِدِ ، وَبِهَا مُتَنَزِّهَاتٌ ، وَهِيَ فِي
الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ ، وَلَا يَنْزِلُ فِيهَا مَطَرٌ إِلَّا فِي النَّادِرِ ، وَتُرَابُهَا
ثَبِيرُهُ^(١) الْأَرْبُجُلُ ، وَهُوَ قَبِيحُ اللَّوْنِ ، تَكَدَّرُ مِنْهُ أَرْجَاؤُهَا

«(١) في الأصل «بنن» بدل «ثبیره» وهو تصحيف سخيف «أحمد يوسف نجاشي»

وَسَوْءٌ بِسَبَبِهِ هَوَاؤُهَا ، وَلَهَا أَسْوَاقُ صَنْحَةٍ إِلَّا أَنَّهَا صَيِّقَةٌ
وَمَبَانِيهَا بِالْقَصَبِ وَالطُّوبِ طَبَقَةٌ عَلَى طَبَقَةٍ ، وَمُذْ بُنِيَتْ
الْقَاهِرَةُ صَغُفَتْ مَدِينَةُ الْفُسْطَاطِ ، وَفُرِطَ فِي الْإِعْتِنَاءِ بِهَا
بَعْدَ الْإِفْرَاطِ ، وَيَنْتَهَمَا نَحْوَ مِيلَيْنِ ، وَأُنْشِدْتُ فِيهَا لِلشَّرِيفِ
الْعَقِيلِيِّ (١) :

(١) هو الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي
من أعيان بني مصر وأدبائها في الدولة الفاطمية في عصر المستنصر
بالله أبي تميم معد بن الظاهر لأعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله « الذي
قام بالأمر من سنة ٤٢٨ - سنة ٤٨٧ » وكان الشريف العقيلي شاعرا
معيدا ، ومن شعره قوله :

لنا أخ يحسن أن يحسنا رضاء للجاني عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه بأنها تثبت زهر الغنى
إذا تبدى وجه احسانه تزهرت فيه عيون التي
وقال يصف بركة :

وبركة قد أفادنا عجبا مالمج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة قد انحنى ظهر مائها تعباً
وله :

وأدهم من خيول الجوفى فتار من الضباب له غبار
إذا أبدى صهيل الرعد منه لوحش المحل داخله نفاًر
أشبهه ولمع البرق فيه بمخراق ثمشت فيه نار
وله :

وروضة الجلم فيها من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه روض له من الماء خد

أَجِنُّ إِلَى الْفُسْطَاطِ شَوْقًا ، وَإِنِّي
لَأَدْعُو لَهَا أَلَّا يَحُلَّ بِهَا الْقَطْرُ
وَهَلْ فِي الْحَيَا مِنْ حَاجَةٍ لِحَبَابِهَا
وَفِي كُلِّ قَطْرٍ مِنْ جَوَانِبِهَا نَهْرٌ ؟
تَبَدَّتْ عَرُوسًا ، وَأَلْمَقَطُ تَاجُهَا
وَمِنْ نَيْلِهَا عِقْدٌ كَمَا أُنْتَظَمَ الذُّرُ
وَقَالَ عَنْ كِتَابٍ إِجَارٌ ^(١) : وَالْفُسْطَاطُ هُوَ قَصَبَةٌ مِصْرَ

وكان من عادة الخليفة المستنصر في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء
والحشم الى بعض المنزهات يقضى به يوم لهُو ، وأنشده مرة الشريف العقيلي
في يوم عرفة :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ولا تضح ضحى الا بصباه
أدرك حبيج الندامى قبل نفرهم الى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكرا فطف بها حول ركن العود والحاء
فأراد الخليفة أن يجعل خيال الشاعر حقيقة ، قال ابن دحية : فخرج في ساعته
بروايا الحرزجي بنجات حدادة اللاهى وتساق ، حتى أتناخ بعين شمس في كبكة
من الفساق ، فأقام بها سوق الفسوق على ساق ، وفي ذلك العام « سنة ٤٥٧ »
أخذه الله تعالى وأهل مصر بالسنين ، حتى بيع في أيامه الرغيف بالثمن الثمين ،
وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالفسلين ، ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا
محفوفين بحور عين اه « أحمد يوسف نجاشي » (١) أظنه يريد كتاب
« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذى ألّفه الشريف محمد بن محمد
الأدرسي الصقلى للملك « رجار » أو « اجار » صاحب صقلية المتوفى بآخر
سنة ٥٤٨ هـ « أحمد يوسف نجاشي »

وَالْجَبَلُ الْمُقَطَّمُ شَرْقِيَّهَا، وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِجَبَلِ الزُّمُرْدِ . وَقَالَ
عَنْ كِتَابِ ابْنِ حَوْقَلٍ ^(١) : الْفُسْطَاطُ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ عَظِيمَةٌ
يَنْقَسِمُ النَّيْلُ لَدَيْهَا، وَهِيَ كَبِيرَةٌ، وَمَقْدَارُهَا نَحْوُ قَرَسَخٍ عَلَى
غَايَةِ الْعِمَارَةِ وَالطَّيِّبِ وَاللَّذَّةِ، ذَاتُ رَحَابٍ فِي مَحَالِّهَا وَأَسْوَاقٍ
عِظَامٍ فِيهَا ضِيقٌ، وَمَتَاجِرَ فِخَامٍ، وَلَهَا ظَاهِرٌ أُنِيقٌ وَبَسَاتِينُ
نَضِرَةٌ، وَمَنْتَزَهَاتٌ عَلَى مَمَرٍ الْأَيَّامِ خَضِرَةٌ، وَفِي الْفُسْطَاطِ
قَبَائِلُ وَخِطَطٌ لِلْعَرَبِ تُنْسَبُ إِلَيْهَا كَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ
إِلَّا أَنَّهَا أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ سَبِيحَةُ الْأَرْضِ غَيْرُ تَقِيَّةِ التُّرْبَةِ
وَتَكُونُ الدَّارُ بِهَا سَبْعَ طَبَقَاتٍ وَخَمْسًا وَسِتًّا، وَرُبَّمَا يَسْكُنُ
فِي الدَّارِ الْمِثْلَانِ مِنَ النَّاسِ، وَمُعْظَمُ بُنْيَانِهِم بِالطُّوبِ،
وَأَسْفَلُ دُورِهِمْ غَيْرُ مَسْكُونٍ، وَبِهَا مَسْجِدَانِ لِلْجُمُعَةِ؛ بَنَى
أَحَدُهُمَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي وَسْطِ الْفُسْطَاطِ، وَالْآخَرُ عَلَى
الْمَوْقِفِ ^(٢)، بَنَاهُ ابْنُ طُولُونَ، وَكَانَ خَارِجَ الْفُسْطَاطِ أَبْنِيَّةً

(١) ابن حوقل النصيبى العالم الرحالة فى القرن الرابع « أحمد يوسف نجاشى »

(٢) حلة كانت بمصر وبقعة مشهورة فى خطط الفسطاط، ولما ولى على مصر
ابراهيم بن صالح بن على عبد الله بن العباس من قبل ابن عمه المهدي سنة ١٦٥
ونزل للعسكر على عادة أمراء مصر فى الدولة العباسية ابنتى دارا عظيمة
بالموقف من العسكر، وفى سنة ٢٩٢ ولى مصر عيسى بن محمد الأمير أبو
موسى النوشرى ولاء الخليفة للمكتفى، فنزل فى الدار التى كانت سكنى بدر الحامى

بَنَاهَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ مِيلًا فِي مِيلٍ يَسْكُنُهَا جُنْدُهُ، وَتُعْرَفُ
بِالْقَطَائِعِ - كَمَا بَنَى بَنُو الْأَغْلَبِ خَارِجَ الْقَيْرَوَانِ رَقَادَةَ ^(١) -
وَقَدْ خَرِبَتْ فِي وَقْتِنَا هَذَا، وَأَخْلَفَ اللَّهُ بَدَلَ الْقَطَائِعِ بِظَاهِرِ
مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ الْقَاهِرَةِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَلَمَّا اسْتَقَرَّرْتُ
بِالْقَاهِرَةِ تَشَوَّقْتُ إِلَى مُعَايَنَةِ الْفُسْطَاطِ ، فَسَارَ مَعِيَ إِلَيْهَا
أَحَدُ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ ، فَرَأَيْتُ عِنْدَ بَابِ زُوَيْلَةَ ^(٢) مِنْ الْحَمِيرِ
الْمَعْدَّةِ لِرُكُوبِ مَنْ يَسِيرُ إِلَى الْفُسْطَاطِ جُمْلَةً عَظِيمَةً
لَا عَهْدَ لِي بِعِثْلِهَا فِي بَلَدٍ ، فَرَكَبَ مِنْهَا حِمَارًا ، وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ
أُرْكَبَ حِمَارًا آخَرَ ، فَأَنْفَتُ مِنْ ذَلِكَ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ مَا خَلَفْتُهُ
فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ غَيْرُ مَعِيْبٍ عَلَى أَعْيَانِ مِصْرَ ،
وَعَايَنْتُ الْفُقَهَاءَ وَأَصْحَابَ الْبَزَّةِ وَالشَّارَةَ الظَّاهِرَةَ يَرُكَبُونَهَا
فَرَكَبْتُ ، وَعِنْدَمَا اسْتَوَيْتُ رَأَيْتُ كِبَاً أَشَارَ الْمَكَارِي إِلَى الْحِمَارِ

بالموقف، وإلى الموقف ينسب أبو جبرير الموقفي ، يروى عن محمد بن كعب القرظي ؛
وروى عنه عبد الله بن وهب وسعيد بن كثير وعفرو وغيرهم « أحمد يوسف نجاشي »

(١) تقدم التعريف ببني الأغلب وبمدينة رقادة « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) زويلة اسم قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القاضمين المغرب .
وكان جوهر لما نزل اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها، فبنت زويلة البايين
العروفين بباني زويلة، وكانا بابي القاهرة ، ولما قسم المعز إلى القاهرة دخل
من أحدهما ، وقد زال هذان البايين ، وبني أمير الجيوش بدر الجمالي

فَطَارَ بِي، وَأَثَارَ مِنَ الْغُبَارِ الْأَسْوَدِ مَا أَعْمَى عَيْنِي، وَدَنَسَ ثِيَابِي
وَعَايَنْتُ مَا كَرِهْتُهُ، وَلَقَلَّةَ مَعْرِفَتِي بِرُكُوبِ الْحِمَارِ وَشِدَّةِ
عَدُوهِ عَلَى قَانُونٍ لَمْ أَعْهَدُهُ وَقَلَّةِ رِفْقِ الْمُكَارِي وَقَعْتُ فِي
تِلْكَ الظُّلْمَةِ الْمُنَارَةِ مِنْ ذَلِكَ الْمَجَاجِ، فَقُلْتُ :

لَقِيتُ بِمِصْرَ أَشَدَّ الْبَوَارِ

رُكُوبِ الْحِمَارِ وَكُحْلِ الْغُبَارِ

وَخَلَفِي مُكَارٍ يَهْوُقُ الرِّيَا

حَ لَا يَعْرِفُ الرِّفْقَ مَهْمَا اسْتَطَارَ

أُنَادِيهِ مَهْلًا، فَلَا يَرَعُو

إِلَى أَنْ سَجَدْتُ سُجُودَ الْعِثَارِ

وَقَدْ مُدَّ قَوْقِي رُوقًا الثَّرَى وَالْحَدَّ فِيهَا ضِيَاءُ النَّهَارِ^(١)

وزير المستنصر بالله بدهلي سنة ٨٥٤ هـ باب زويلة الكبير القائم الى اليوم - وتسميه العامة « بوابة التولى » حيث كان يجلس متولى حلبة القاهرة . وقال ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة : ان باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار ابن المعز ، وتممه أمير الجيوش . وأنشد لعلى بن محمد النيلي :

يا صاح لو أبصرت باب زويلة لعلت قدر محله بنيانا

باب تآزر بالحجرة ، وارتدى الك شعرى ، ولا ت برأسه كيوانا

لو أن فرعوننا بناه لم يرد صرحا ولا أوصى به هامانا

لا ت : أى لف وأدار ، وكيوان : اسم لكوكب زحل المعروف « أحمد يوسف نجاشى »

(١) البوار : الهلاك ، واستطار الأمر : عظم واشتد ، والبيت الثالث كناية

قَدَفْتُ إِلَى الْمَكَارِي أُجْرَتَهُ، وَقُلْتُ لَهُ : إِحْسَانُكَ
 أَنْ تَتْرُكَنِي أَمْشِيَ عَلَى رِجْلِي، وَمَشَيْتُ إِلَى أَنْ بَلَغْتُهَا، وَقَدَرْتُ
 فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ الْفُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ وَحَقَّقْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ
 مِائَتَيْنِ ، وَلَمَّا أَقْبَلْتُ عَلَى الْفُسْطَاطِ أَدْبَرْتُ عَنِّي الْمَسْرَةَ ،
 وَتَأَمَّلْتُ أَسْوَارًا مُثَلَّمَةً سَوْدَاءَ وَآفَاقًا مُغْبِرَةً ، وَدَخَلْتُ
 مِنْ بَابِهَا ، وَهُوَ دُونَ غَلَقٍ ، يُفْضِي إِلَى خَرَابٍ مَعْمُورٍ بِمَبَانٍ
 مُنَشَتَّةٍ الْوَضْعِ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةِ الشَّوَارِعِ ، قَدْ بُنِيَتْ مِنْ
 الطُّوبِ الْأَذْكَنِ وَالْقَصَبِ وَالنَّخِيلِ طَبَقَةً فَوْقَ طَبَقَةٍ ،
 وَحَوْلَ أَبْوَابِهَا مِنَ التُّرَابِ الْأَسْوَدِ وَالْأَزْبَالِ مَا يَقْبِضُ
 نَفْسَ النَّظِيفِ ، وَيَنْفُضُ طَرَفَ الظَّرِيفِ ، فَسِرْتُ وَأَنَا مُعَايِنٌ
 لِمَتَصْنَعَابِ تِلْكَ الْحَالِ ، إِلَى أَنْ صِرْتُ فِي أَسْوَاقِهَا الضَّيِّقَةِ
 فَقَاسَيْتُ مِنْ أَزْدِحَامِ النَّاسِ فِيهَا لِحَوَائِجِ الشُّوقِ وَالرَّوَايَا
 الَّتِي عَلَى الْجَمَالِ مَا لَا تَنِي بِهِ إِلَّا مُشَاهَدَتُهُ وَمُقَاسَاةُ ، إِلَى
 أَنْ أُنْتَهَيْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَعَايَنْتُ مِنْ ضَيْقِ الْأَسْوَاقِ
 الَّتِي حَوْلَهُ مَا ذَكَرْتُ بِهِ صِدَّةً فِي جَامِعِ إِشْبِيلِيَّةٍ وَجَامِعِ

عن سقوطه ، والثرى : التراب ، ويصف في البيت الرابع القبار الثائر الذي
 حجب ضوء الشمس « أحمد يوسف نجاشي »

مُرَّا كِشَ ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَعَايَنْتُ جَامِعًا كَبِيرًا قَدِيمَ الْبِنَاءِ
غَيْرَ مُزَخْرَفٍ وَلَا مُخْتَفَلٍ فِي حُضْرِهِ الَّتِي تَدُورُ مَعَ بَعْضِ
حِيطَانِهِ وَتَبْسِطُ فِيهِ ، وَأَبْصُرْتُ أَلَمَامَةَ رِجَالًا وَنِسَاءً قَدْ
جَعَلُوهُ مَعْبَرًا بِأَوْطَانَةِ أَقْدَامِهِمْ ، يَجُوزُونَ فِيهِ مِنْ بَابٍ إِلَى
بَابٍ لِيَقْرُبَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ ، وَالْيَبَاعُونَ يَبِيعُونَ فِيهِ
أَصْنَافَ الْمُكْسَرَاتِ وَالْكَعْكَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ ، وَالنَّاسُ
يَأْكُلُونَ فِي عِدَّةٍ أُمَكْنَةِ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَشِمِينَ ؛ لَجَرَى الْعَادَةِ
عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ ، وَعِدَّةٌ صَبِيَانٍ بِأَوَانِي مَاءٍ يَطُوفُونَ عَلَى كُلِّ
مَنْ يَأْكُلُ ، قَدْ جَعَلُوا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْهُ رِزْقًا ، وَفَضَلَاتُ
مَا كُلِّهِمْ مَطْرُوحَةٌ فِي صَحْنِ الْجَامِعِ وَفِي زَوَايَاهُ ،
وَالْمُنْكَبُوتُ قَدْ عَظُمَ نَسْجُهُ فِي السَّقْفِ وَالْأَرْضِ كَانَ وَالْحِيطَانِ
وَالصَّبِيَانُ يَلْعَبُونَ فِي صَحْنِهِ ، وَحِيطَانُهُ مَكْتُوبَةٌ بِالْفَحْمِ
وَالْحُمْرَةِ بِخُطُوطٍ قَبِيحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ كِتَابِ فَقَرَاءِ أَلَمَامَةِ ،
إِلَّا أَنْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْبُرُوتِ وَحُسْنِ
الْقَبُولِ وَأَنْبَسَاطِ النَّفْسِ مَا لَا تَجِدُهُ فِي جَامِعِ إِشْبِيلِيَّةٍ مَعَ
زَخْرَفَتِهِ وَالْبُسْتَانِ الَّذِي فِي صَحْنِهِ . وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ مَا وَجَدْتُ

فِيهِ مِنَ الْأَرْيَاحِ وَالْأَنْسِ دُونَ مَنْظَرٍ يُوجِبُ ذَلِكَ، فَعَلِمْتُ
 أَنَّ ذَلِكَ سِرٌّ مُودَعٌ مِنْ وَقُوفِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
 عَنْهُمْ - فِي سَاحَتِهِ عِنْدَ بَنَائِهِ ^(١)، وَاسْتَحْسَنْتُ مَا أَبْصَرْتُهُ
 مِنْ حَلْقِ الْمُتَصَدِّقِينَ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ فِي
 عِدَّةٍ أَمَا كُنْ، وَسَأَلْتُ عَنْ مَوَادِّ أَرْزَاقِهِمْ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّهَا مِنْ
 فُرُوضِ الزَّكَاةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، ثُمَّ أُخْبِرْتُ أَنَّ اقْتِضَاءَ ذَلِكَ
 يَصْغُبُ إِلَّا بِالْجَاهِ وَالْتَعَبِ. ثُمَّ انْفَصَلْنَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى سَاحِلِ
 النِّيلِ، فَرَأَيْتُ سَاحِلًا كَثِيرَ الثَّرْبَةِ غَيْرَ نَظِيفٍ وَلَا مُتَسِّعٍ
 السَّاحَةِ وَلَا مُسْتَقِيمٍ الْإِسْطِطَالَةَ وَلَا عَلَيْهِ سُورٌ أَيْضُ إِلَّا
 أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرُ الْعِمَارَةِ بِالْمَرَكَبِ وَأَصْنَافِ الْأَرْزَاقِ
 الَّتِي تَصِلُ مِنْ جَمِيعِ أَفْطَارِ النِّيلِ، وَلَتُنْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَبْصِرْ
 عَلَى نَهْرٍ مَا أَبْصَرْتُهُ عَلَى ذَلِكَ السَّاحِلِ فَإِنِّي أَقُولُ حَقًّا؛
 وَالنِّيلُ هُنَاكَ صَيِّقٌ، لِيَكُونَ الْجَزِيرَةُ الَّتِي بَنَى بِهَا سُلْطَانُ
 الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْآنَ قَلْعَتُهُ قَدْ تَوَسَّطَتْ الْمَاءَ، وَمَالَتْ إِلَى
 جِهَةِ الْفُسْطَاطِ، وَبِحُسْنِ سُورِهَا الْمَيِّضِ الشَّامِخِ حَسُنَ
 مَنْظَرُ الْقُرْجَةِ فِي ذَلِكَ السَّاحِلِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ ابْنَ حَوْفَلٍ

(١) في الأصل « عند بابه » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاشي »

الْجِسْرَ الَّذِي يَكُونُ مُتَمَدًّا مِنَ الْفُسْطَاطِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَهُوَ
غَيْرُ طَوِيلٍ ، وَمِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ إِلَى الْبَرِّ الْغَرَبِيِّ الْمَعْرُوفِ
بِبَرِّ الْجَزِيرَةِ جِسْرٌ آخَرُ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ جَوَازِ
النَّاسِ بِأَنْفُسِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ فِي الْمَرَاكِبِ ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ الْجِسْرَيْنِ
قَدْ احْتَرِمَا لِحُصُولِهِمَا فِي حَيْزِ قَلْعَةِ السُّلْطَانِ ، وَلَا يَجُوزُ
أَحَدٌ عَلَى الْجِسْرِ الَّذِي بَيْنَ الْفُسْطَاطِ وَالْجَزِيرَةِ رَاكِبًا احْتِرَامًا
لِمَوْضِعِ السُّلْطَانِ . وَبَدَأَ فِي لَيْلَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِطَيَّارَةٍ مُرْتَفِعَةٍ
عَلَى جَانِبِ النَّيْلِ ، فَقُلْتُ :

تَرَلْنَا مِنَ الْفُسْطَاطِ أَحْسَنَ مَنَزَلٍ

بِحَيْثُ امْتَدَّادُ النَّيْلِ قَدْ دَارَ كَالْعَقْدِ

وَقَدْ جُمِعَتْ فِيهِ الْمَرَاكِبُ سُحْرَةً

كَسِرْبٍ قَطَأَ اضْحَى يَرْفُ عَلَى وَرْدٍ ^(١)

وَأَصْبَحَ يَطْنِي الْمَوْجُ فِيهِ وَيَرْتَمِي

وَيَطْرَبُ أَحْيَانًا وَيَلْعَبُ بِالنَّزْدِ ^(٢)

(١) السرب: الجماعة. والقطا: هذا الطائر المعروف، جمع قطاة. ورف الطائر: بسط جناحيه وهو في الهواء فلا يبرح مكانه، ورف ورفرف: إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، وزف الطائر في طيرانه زفًا: إذا تراهى بنفسه، أو بسط جناحيه وحركهما طائرًا - والورد: مورد الماء للشرب والسقيا (٢) اللعب بالنزد كناية عن القفاعات والزبد الذي يعالو

حَلَا مَآوُهُ كَالرِّيقِ مِمَّنْ أَحْبَهُ
فَمُدَّتْ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَى أَخْذُ^(١)
وَقَدْ كَانَ مِثْلَ النَّهْرِ مِنْ قَبْلِ مَدَّةِ
فَأَصْبَحَ لَمَّا زَادَهُ الْمَدُّ كَالْوَرْدِ
وَقُلْتُ هَذَا لِأَنِّي لَمْ أَذُقْ فِي الْمِيَاهِ أَحْلَى مِنْ مَائِهِ، وَإِنَّهُ
يَكُونُ قَبْلَ الْمَدِّ الَّذِي يَزِيدُ بِهِ وَيَفِيضُ عَلَى أَقْطَارِهِ أَيْضًا
فَإِذَا كَانَ عُكَبَابُ النَّيْلِ صَارَ أَحْمَرَ . وَأَنْشَدَنِي عَلَمُ الدِّينِ فَخْرُ
الْثَّرَكِ أَيْدَمَرُ^(٢) عَتِيقُ وَزِيرِ الْجَزِيرَةِ فِي مَدْحِ الْفُسْطَاطِ
وَأَهْلِيهَا :

سطح الماء متابعا (١) يصف حمرة الماء أيام الفيضان مع حسن تعليل
ولطف تخيل « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) هو الأمير العالم المنشئ الناظم النائر البليغ علم الدين « أيدمر المحيوى »
نشأ في عصر الدولة الأيوبية، وامتدح بعض سلاطينها، وعاصر فيها صاحب
بهاء الدين زهيراً وجمال الدين بن مطروح وغيرهما، وهو عتيق عمي الدين
محمد بن محمد بن سعيد بن ندى، وقد ذكره ابن سعيد المغربي في كتابه
« المشرق في أخبار المشرق »، وأنه عليه، وذكر شيئاً من شعره يرد بعضه
في نفح الطيب . ولما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الحصينة التي في
جزيرة الروضة سنة ٦٤٦ مدحه الأمير أيدمر بقصيدة بليغة بغراء مطلعها :

الروض مقبل الشبية موقن خضل، يكاد غضارة يتدفق

ذكر فيها القلعة والروضة والأبنية التي أنشئت بجزيرة مصر، والبرج المجدد
على المقياس، ويذكر يوم التخليق: أي يوم فتح الخليج، وكان عادتهم أن

جَبَدَا الْفُسْطَاطُ مِنَ وَالِدَةٍ جَنَّبَتْ أَوْلَادَهَا دَرَّ^(١) الْجَفَا
يَرُدُّ النُّيْلُ إِلَيْهَا كَدِرًا فَإِذَا مَازَجَ أَهْلِيهَا صَفَا
لَطْفُوا، فَالْمُزْنُ لَا تَأْلَفُهُمْ خَجَلًا لَمَّا رَأَتْهُمْ أَلْفَا
وَلَمْ أَرِ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ أَلْفَ مِنْ أَهْلِ الْفُسْطَاطِ، حَتَّى
إِنَّهُمْ أَلْفَ مِنْ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ، وَيَنْتَهَمَا نَحْوُ مِائَتَيْنِ، وَجُمْلَةُ^(٢)
أَحْلَالِ أَنَّ أَهْلَ الْفُسْطَاطِ فِي نِهَآيَةِ مِنَ اللَّطَافَةِ وَاللِّينِ فِي
الْكَلَامِ، وَتَحْتَ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَقِ^(٣) وَفَلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِرِعَايَةِ
قَدَمِ^(٤) الصُّحْبَةِ وَكَثْرَةِ الْمَازَجَةِ وَالْأَلْفَةِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ.
وَأَمَّا مَا يَرُدُّ عَلَى الْفُسْطَاطِ مِنْ مَتَاجِرِ الْبَحْرِ الْإِسْكَندَرَانِيِّ
وَالْبَحْرِ الْجَزَائِيِّ فَإِنَّهُ فَوْقَ مَا يُوصَفُ، وَبِهَا يَجْمَعُ ذَلِكَ
لَا بِالْقَاهِرَةِ، وَمِنْهَا يُجَهَّزُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَسَائِرِ الْبِلَادِ.

ينهبوا الى المقياس ويخلقوا عموده أى يعطروه بالخلوق وأنواع الطيب
وقد طبعت دار الكتب المصرية ديوان شعر لأيدمر فيه كثير من القصائد
التي منح بها ملوك بنى أيوب وأمراء الدولة ، وفيه شيء من الموشحات
البديعة الرقيقة « أحمد يوسف نجاتي » (١) فى الأصل « دار » وما هنا
أنسب بذكر الوالدة « أحمد يوسف نجاتي » (٢) لفظ و « جملة » ساقط
من الأصل (٣) الملق : الود واللطف الشديد ، وأن تعطى باللسان ما ليس
فى القلب ، ومنه الحديث « ليس من خلق المؤمن الملق » والملق : الذى يعدك
ويخلفك فلا ينفى ، ويتزين بما ليس عنده (٤) فى الأصل « ورعاية قدر
الصحبة » والتصحيح من خطط المقرئ وغيره « أحمد يوسف نجاتي »

وَبِالْفُسْطَاطِ مَطَايِخُ الشُّكْرِ وَالصَّابُونَ وَمُعْظَمُ مَا يَجْرِي
هَذَا الْمَجْرَى؛ لِأَنَّ الْقَاهِرَةَ بُنِيَتْ لِلِاخْتِصَاصِ بِالْجُنْدِ، كَمَا
أَنَّ جَمِيعَ زِيَّ الْجُنْدِ بِالْقَاهِرَةِ أَعْظَمُ مِنْهُ بِالْفُسْطَاطِ، وَكَذَلِكَ
مَا يُنْسَجُ وَيُصَاغُ وَسَائِرُ مَا يُعْمَلُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الرَّفِيعَةِ
السُّلْطَانِيَّةِ، وَالتَّخْرَابُ فِي الْفُسْطَاطِ كَثِيرٌ، وَالْقَاهِرَةُ أَجْدُ
وَأَعْمَرُ وَأَكْثَرُ زُحْمَةً؛ بِاعْتِبَارِ انْتِقَالِ السُّلْطَانِ إِلَيْهَا وَسُكْنَى
الْأَجْنَادِ فِيهَا، وَقَدْ نَفِخَ رُوحُ الْإِعْتِنَاءِ وَالنُّمُوِّ فِي مَدِينَةِ
الْفُسْطَاطِ الْآنَ؛ لِمُجَاوَرَتِهَا لِلْجَزِيرَةِ الصَّالِحِيَّةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ
الْجُنْدِ قَدْ انْتَقَلَ إِلَيْهَا لِلْقُرْبِ مِنَ الْخِدْمَةِ، وَبُنِيَ عَلَى سُورِهَا
جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مَنَاطِرٌ تُبْهِجُ النَّاطِلَ. انْتَهَى.

قَالَ الْمَقْرِزِيُّ: يَعْنِي ابْنُ سَعِيدٍ مَا بُنِيَ عَلَى شُقَّةٍ مِصْرَ مِنْ
جِهَةِ النَّيْلِ. انْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَذْكُورُ فِي «الْمَغْرِبِ
فِي حُلِيِّ الْمَغْرِبِ» مَا مُلَخَّصُهُ: الرُّوضَةُ أَمَامَ الْفُسْطَاطِ فِيمَا
بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنَاطِرِ الْجَزِيرَةِ، وَبِهَا مِقْيَاسُ النَّيْلِ، وَكَانَتْ مُنْزَعًا
لِأَهْلِ مِصْرَ. فَاخْتَارَهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ بْنُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ
سَرِيرًا لِسُلْطَتِهِ، وَبُنِيَ فِيهَا قَلْعَةٌ مُسَوَّرَةٌ بِسُورٍ سَاطِعِ
الْلَوْنِ مُحْكَمِ الْبِنَاءِ عَالِي السَّمَاءِ، لَمْ تَرَ عَيْنِي أَحْسَنَ مِنْهُ.

وَفِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ كَانَ الْهُودَجُ الَّذِي بَنَاهُ الْخَلِيفَةُ الْأَمِيرُ
لِزَوْجَتِهِ الْبَدَوِيَّةِ الَّتِي هَامَ فِي حُبِّهَا ، وَالْمُخْتَارُ بُسْتَانُ
الْإِخْشِيدِ وَقَصْرُهُ ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي شِعْرِ تَيْمِ بْنِ الْمَعِزِّ
وغيرِهِ . وَلِشُعْرَاءٍ مِصْرِيٍّ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَشْعَارٌ مِنْهَا قَوْلُ
أَبِي الْقَتَحِ بْنِ قَادُوسَ الدِّمِيَّاطِيِّ (١) :

(١) الأديب أبو الفتح القاضي محمود بن قادوس من أعيان الدولة المصرية
وآدابها في القرن السادس، كان كاتباً شاعراً ظريفاً، ومن كلامه يمدح الوزير
المأمون البطاحي « أبا عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك
ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى وزير الخليفة الأمر
بأحكام الله » عند مثوله بين يديه وقد زيد في نعوته :

قَالُوا : أَنَاهُ النَّمْتُ ، وَهُوَ السِّيدُ الـ مأمون حقا والأجل الأشراف
ومفيث أمة أحمد ومجيرها مازادنا شيئا على مانعنا

وتوفى الوزير المأمون البطاحي سنة ٥٢٢ . وقال محمود بن قادوس يهجو
القاضي الرشيد « أبا الحسين أحمد بن القاضي الرشيد أبي الحسن علي بن
القاضي الرشيد أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الوزير الغساني
الأسواني » المتوفى سنة ٥٦٣ - وكان أسود الجلدة، وإن كان سيد البلدة :

يَاشِبُهُ لَهَامٌ بِلا حِكْمَةٍ وخاسرا في العلم لاراسخا
سلخت أشعار الوري كلها فصرت تدعى الأسود السالخوا

وله :

وَلَيْلَةٌ كَاغْتِاضِ الْجَفْنِ قَصْرَهَا وصل الحبيب ولم تقصر عن الأمل
وَكَلِمَا رَامَ نَطْقًا فِي مَعَاتِبِي سددت فاه بنظم اللثم والقبل
وَبَاتَ بِدْرِ تَمَامِ الْحَسَنِ مَعْتَقِي والشمس في فلك الكسفات لم تحل
فَبَتَ مِنْهَا أَرَى النَّارَ الَّتِي سَجَدَتْ لها الجوس من الأبريق تسجدلى
وقد ترجمنا لابن قادوس في كتابنا ترجمة أدبية كافية « أحمد ديوسف نجاشي »

أَرَى سُرُجَ الْجَزِيرَةِ مِنْ بَعِيدٍ كَأَخْدَاقٍ تُغَارِلُ فِي الْمَنَازِلِ
كَأَنَّ مَجَرَّةَ الْجُوزَاءِ حَطَّتْ وَاثْبَتَتِ الْمَنَازِلَ فِي الْمَنَازِلِ
قَالَ: وَكَنتُ أَيْتُ بَعْضَ اللَّيَالِي بِالْفُسْطَاطِ، فَبَزَّ دِهْنِي
صَحِيحُ الْبَدْرِ فِي وَجْهِ النَّيْلِ مَعَ سُورِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الدَّرِّيِّ
الْلُّونِ، وَلَمْ أَفْصِلْ عَنْ مِصْرَ حَتَّى كَمَلَ سُورُ هَذِهِ الْقَلْعَةِ،
وَفِي دَاخِلِهِ مِنَ الدُّورِ السُّلْطَانِيَّةِ مَا أَرْتَفَعَتْ إِلَيْهِ هِمَّةُ بَانِيهَا
وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ السُّلَاطِينِ فِي الْبِنَاءِ، وَأَبْصَرْتُ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ لُجُوسٍ لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثَالَهُ، وَلَا يُقَدَّرُ مَا أَفَقَّ عَلَيْهِ،
وَفِيهِ مِنْ صَحَائِفِ الذَّهَبِ وَالرُّخَامِ الْآبُوسِيِّ وَالْكَافُورِيِّ
وَالْمُجَرَّعِ مَا يَذْهَلُ الْأَفْكَارَ، وَيَسْتَوْفِقُ الْأَبْصَارَ. وَيَفْضُلُ
عَمَّا أَحَاطَ بِهِ السُّورُ أَرْضٌ طَوِيلَةٌ فِي بَعْضِهَا حِطَّارٌ حُصِرَ فِيهِ
أَصْنَافُ الْوُحُوشِ الَّتِي يَتَفَرَّجُ عَلَيْهَا السُّلْطَانُ، وَبَعْدَهَا
مُرُوجٌ تَقْطَعُ فِيهَا مِيَاهُ النَّيْلِ فَتَنْظُرُ فِيهَا أَحْسَنَ مَنْظَرٍ.
قَالَ: وَقَدْ تَفَرَّجْتُ كَثِيرًا فِي طَرَفِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِمَا لِي
أَثَرُ الْفُسْطَاطِ، فَقَطَعْتُ بِهِ عَشِيَّاتٍ مُذْهَبَاتٍ^(١)، لَمْ تَزَلْ

(١) أذهب الشيء وذهبه: طلاه بالذهب، استعاره للعشية: يريد وصفها بالصفاء

والحسن والرونق «أحمد يوسف نجاشي»

لَأَخْزَانَ الْعُرْبَةِ مُذْهِبَاتٍ . وَإِذَا زَادَ النَّيْلُ فَصَلَ بَرَّهَا عَنْ
بَرِّ الْقُسْطَاطِ مِنْ جِهَةِ خَلِيجِ الْقَاهِرَةِ ، وَيَبْقَى مَوْضِعُ الْجِسْرِ
تَكُونُ فِيهِ الْمَرَكَبُ . أَنْتَهَى . وَأُورِدَ الصَّفْدِيُّ فِي
تَذَكُّرَتِهِ لِابْنِ سَعِيدٍ الْمَدَنِيِّ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ :

أَنْظُرْ إِلَى سُورِ الْجَزِيرَةِ فِي الدُّجَى

وَالْبَدْرُ يَلْزَمُ مِنْهُ تُغْرَا أَشْنَبًا (١)

تَضَاهَكَ الْأَنْوَارُ فِي جَنَابَتِهِ

فَقُرَيْكَ فَوْقَ النَّيْلِ أَمْرًا مُعْجِبًا

يَبِينَا تَرَاهُ مُفَضَّضًا فِي جَانِبِ

أَبْصَرْتَ مِنْهُ فِي سِوَاهُ مُذْهِبًا

لِلَّهِ مَرَأَى مَا رَأَاهُ نَاطِرِي إِلَّا خَلَعْتُ لَهُ الْمَقَامَ تَطَرُّبًا

وَقَالَ فِي الْمَغْرِبِ نَقْلًا عَنْ بَعْضِهِمْ مَا صُورَتْهُ : وَأَمَّا

مَدِينَةُ الْقَاهِرَةِ ، فَهِيَ الْحَالِيَةُ الْبَاهِرَةُ ، الَّتِي تَقَنَّ فِيهَا الْفَاطِمِيُّونَ

وَأَبْدَعُوا فِي بِنَائِهَا ، وَاتَّخَذُوهَا قُطْبًا لِخِلَافَتِهِمْ وَمَرْكَزًا

لِأَرْجَائِهَا ، فَتَسَى الْقُسْطَاطُ ، وَزُهِدَ فِيهِ بَعْدَ الْإِغْتِيَاظِ . وَسُمِّيَتْ

الْقَاهِرَةُ لِأَنَّهَا تَقْهَرُ مَنْ شَذَّ عَنْهَا وَرَامَ مُخَالَفَةَ أَمِيرِهَا . قَالَ ابْنُ

(١) لَمْ فَلَهَا يَلْزَمُهُ « كَسَمْع » وَرَبَّمَا جَاءَ مِثْلُ « ضَرْب » : إِذَا قَبِلَهُ ، وَالْأَشْنَبُ :

سَعِيدٍ: هَذِهِ الْمَدِينَةُ أَكْبَرُ مِنْهَا ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ فِي تَرْتِيبِهَا وَمَبَانِيهَا عَلَى خِلَافِ مَا عَايَنْتُهُ ؛ لِأَنَّهَا مَدِينَةٌ
بَنَاهَا الْمَعِزُّ أَكْبَرُ خُلَفَاءِ الْعَبِيدِيِّينَ ، وَكَانَ سُلْطَانُهُ قَدْ عَمَّ
جَمِيعَ طُولِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَوَّلِ الدَّيَّارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ :
وَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

وَهَبَّتْ هُبُوبُ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَلَا سِيَّمًا وَقَدْ عَايَنَ مَبَانِي آيِهِ الْمَنْصُورِ فِي مَدِينَةِ
الْمَنْصُورِيَّةِ ^(١) إِلَى جَانِبِ الْقَيْرَوَانِ ، وَعَايَنَ الْمَهْدِيَّةِ ^(٢) مَدِينَةَ

ذو الشنب: وهو ماء ورقة تجري على الثغر ، وبرد وعدوبة في الفم
(١) المنصورية: مدينة بقرب القيروان من نواحي إفريقية، استحدثها المنصور بن
القائم بن المهدي سنة ٣٣٧ هـ وعمر أسواقها واستوطنها، ثم صارت منزلا لملوك
العباسيين بعده، ولم تزل مقرا لملوك إفريقية من بني باديس حتى خربها العرب
لما دخلت إفريقية وخربت بلادها بعد سنة ٤٤٢ هـ فكانت هي فيما خربت
في ذلك الوقت « أحمد يوسف نجاشي » (٢) مدينة بإفريقية منسوبة إلى
المهدي، بينها وبين القيروان مرحلتان، والقيروان في جنوبها، بناها المهدي
وجعلها دار مملكته، وحصنها بالسور المحكم والأبواب الحديد المصمت، شرع
في اختطاطها سنة ٣٠٣ هـ وانتقل إليها سنة ٣٠٨ هـ ولم تزل دار مملكة لهم إلى
آن وإلى الأمر اسمعيل بن أبي القاسم، فأخذ مدينة صبرة واستوطنها بعد أبيه
معد - ولما تناقصت أحوال ملوكها بعد أنفذ الملك روجار صاحب صقلية
إليها في سنة ٥٤٣ هـ فأخلاها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن
باديس، وخرج هاربا حتى لحق ببعد المؤمن بن علي التي قدم سنة ٥٥٥ هـ
إلى إفريقية، فاسترد المهدي « أحمد يوسف نجاشي »

جَدُّهُ عُبَيْدُ اللَّهِ الْمُهَدِّي، لَكِنَّ الْهِمَّةَ السُّلْطَانِيَّةَ ظَاهِرَةٌ عَلَى
قُصُورِ الْخُلَفَاءِ بِالقَاهِرَةِ، وَهِيَ نَاطِقَةٌ إِلَى الْآنَ بِالنَّسْلِ الْآثَارِ
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

يَهْمُ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا

مِنْ بَعْدِهِمْ فَيَالِ النَّاسِ الْبُتْيَانِ

إِنَّ الْبَنَاءَ إِذَا تَعَاطَمَ شَأْنُهُ أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
وَتَهَمُّ مِنْ بَعْدِهِ الْخُلَفَاءُ الْمِصْرِيُّونَ فِي الزُّيَادَةِ فِي تِلْكَ
الْقُصُورِ. وَقَدْ عَايَنْتُ فِيهَا إِيوَانًا يَقُولُونَ إِنَّهُ بُنِيَ قَدْرَ إِيوَانِ
كِسْرَى الَّذِي بِالْمَدَائِنِ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِيهَا خُلَفَاؤُهُمْ، وَلَهُمْ
عَلَى الْخَلِيجِ - الَّذِي بَيْنَ الْقُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ - مَبَانٍ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ
الْآثَارِ، وَأَبْصَرْتُ فِي قُصُورِهِمْ حَيْطَانًا عَلَيْهَا طَاقَاتٌ عَدِيدَةٌ
مِنَ الْكِلْسِ وَالْجَنْسِ، ذُكِرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُجَدِّدُونَ تَبْيِضَهَا
فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَالْمَكَانُ الْمَعْرُوفُ بِالقَاهِرَةِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ
هُوَ مِنَ التَّرْتِيبِ السُّلْطَانِيِّ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ سَاحَةً مُتَّسِعَةً
لِلْعَسْكَرِ وَالْمُتَفَرِّجِينَ مَا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، وَلَوْ كَانَتْ الْقَاهِرَةُ
كُلُّهَا كَذَلِكَ كَانَتْ عَظِيمَةً الْقَدْرِ، كَامِلَةً الْهِمَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ

وَلَكِنَّ ذَلِكَ أَمْدٌ قَلِيلٌ، ثُمَّ تَسِيرُ مِنْهُ إِلَى أَمْدٍ ضَيِّقٍ وَتَمُرُّ
 فِي مَمَرٍ كَدِيرٍ حَرَجٍ بَيْنَ الدَّكَائِنِ إِذَا أُرْدَحَتْ فِيهِ الْخَيْلُ
 مَعَ الرِّجَالِ كَانَ مِمَّا يَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ وَتَسْخُنُ مِنْهُ الْعُيُونُ،
 وَلَقَدْ عَايَنْتُ يَوْمًا وَزِيرَ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمْرَاءُ وَهُوَ فِي
 مَوْكِبٍ جَلِيلٍ، وَقَدْ لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ عَجَلَةً بَقَرٍ تَحْمِلُ حِجَارَةً
 وَقَدْ سَدَّتْ جَمِيعَ الطَّرِيقِ بَيْنَ يَدَيْ الدَّكَائِنِ، وَوَقَفَ
 الْوَزِيرُ، وَعَظُمَ الْإِزْدِحَامُ، وَكَانَ فِي مَوْضِعٍ طَبَاخِينَ وَالْدُخَانُ
 فِي وَجْهِ الْوَزِيرِ وَكَأَنَّهُ ثِيَابُهُ، وَقَدْ كَادَ يَهْلِكُ الْمَشَاءُ، وَكَدَتْ
 أَهْلُكَ فِي جُلَّتِهِمْ. وَأَكْثَرُ دُرُوبِ الْقَاهِرَةِ ضَيِّقَةٌ مُظْلِمَةٌ
 كَثِيرَةُ الثَّرَابِ وَالْأَزْبَالِ، وَالْمَبَانِي عَلَيْهَا مِنْ قَصَبٍ وَطِينٍ
 مُرْتَفِعَةٌ قَدْ ضَيَّقَتْ مَسَلَكَ الْهَوَاءِ وَالضَّوْءِ بَيْنَهَا، وَلَمْ أَرِ فِي
 جَمِيعِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ أَسْوَأَ مِنْهَا حَالًا فِي ذَلِكَ، وَلَقَدْ كُنْتُ
 إِذَا مَشَيْتُ فِيهَا يَضِيقُ صَدْرِي وَتُذَرِكُنِي وَخْشَةٌ عَظِيمَةٌ
 حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ. وَمِنْ عُيُوبِ الْقَاهِرَةِ أَنَهَا فِي
 أَرْضِ النَّيْلِ الْأَعْظَمِ وَيَمُوتُ الْإِنْسَانُ فِيهَا عَطَشًا لِبُعْدِهَا عَنْ
 مَجْرَى النَّيْلِ لِثَلَا يُصَادِرُهَا وَيَأْكُلُ دِيَارَهَا، وَإِذَا أَحْتَاجَ
 الْإِنْسَانُ إِلَى فُرْجَةٍ فِي نَيْلِهَا مَشَى فِي مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ بَظَاهِرِهَا

بَيْنَ الْمَبَانِي الَّتِي خَارِجَ السُّورِ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْمَقْسِ^(١)، وَجَوَّهَا
لَا يَبْرَحُ كَدِرًا مِمَّا تُثِيرُهُ الْأَرْضُ مِنَ الثَّرَابِ الْأَسْوَدِ ،
وَقَدْ قُلْتُ فِيهَا حِينَ أَكْثَرْتُ عَلَى رِفَاقِي مِنَ الْحُصِّ عَلَى الْعَوْدِ فِيهَا:
يَقُولُونَ: سَافِرٌ إِلَى الْقَاهِرَةِ! وَمَالِي بِهَا رَاحَةٌ ظَاهِرَةٌ
زِحَامٌ وَضِيقٌ وَكَرْبٌ وَمَا تُثِيرُ بِهَا أَرْجُلُ سَافِرَةٍ
وَعِنْدَمَا يُقْبِلُ الْمُسَافِرُ عَلَيْهَا يَرَى سُورًا أَسْوَدَ كَدِرًا ،
وَجَوًّا مُعْتَبَرًا ، فَتَنْقَبِضُ نَفْسُهُ ، وَيَفِرُّ أَنْفُسُهُ ، وَأَحْسَنُ مَوْضِعٍ فِي
ظَوَاهِرِهَا لِلْفُرْجَةِ أَرْضُ الطَّبَّالَةِ^(٢) وَلَا سِيَّمَا أَرْضُ الْقِرْطِ
وَالْكَتَّانِ . وَقُلْتُ :

(١) كان المكان المعروف بالمقس أو المكس اسما لقرية واقعة على شاطئ
النيل حين كان النيل يجري في عهد الدولة الفاطمية في المكان الذي يشغله
الآن شارع عماد الدين وميدان محطة مصر وما بعده الى الشمال بشارع
الملكة نازلي ، وكان قبل فتح العرب مصر يسمى أم دنين ، ويقع في موضعه
الآن جامع أولاد عنعان وشارع كامل وحديقة الأزبكية «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) كانت هذه الأرض على جانب الخليج العربي بجوار المقس ، وكانت من
أحسن منزهات القاهرة ، ير النيل الأعظم من غربها عند ما يندفع من
ساحل المقس ، وهما الخليفة المستنصر بالله أبو تيم معد الفاطمي لمغنية له
سمية بالطبالة فعرفت بها ؛ وذلك أن الأمير أبا الحرث أرسلان البساسيري لما
غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباس ، وخرج من بغداد يريد الالتئام الى
الدولة الفاطمية بمصر أمده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله
عبد الرحمن اليازوري حتى استولى على بغداد ، وأزال دولة بني العباس منها

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا كُلَّمَا زُرْتُ رَوْضَهَا كَسَاهَا وَحَلَّاهَا يَنْظُرُهُ الْقِرْطُ

وأخذ قصر الخلافة ، وأقام الدولة الفاطمية هناك ، وسير عمامة القائم وثيابه وشباكه الذى كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الأموال والتحف الى القاهرة فى سنة ٤٥٠ هـ فسر الخليفة المستنصر سرورا عظيما ، وزينت القاهرة وقصورها ومدينة مصر والجزيرة ، فوقفت «نسب» طبالة المستنصر وكانت امرأة مرحلة تنف تحت القصر فى المواسم والأعياد ، وتسير أيام المواكب وحولها طافتها وهى تضرب بالطل وتشد ، فأشدت وهى واقفة تحت القصر ذلك اليوم :

يا بنى العباس ردوا ملك الأمر معد
ملككم كان معارا والعوارى تسترد

فأعجب المستنصر بذلك منها إعجابا شديدا ، واقترح عليها أن تسمى ، فطلبت أن تمنح الأرض المجاورة للقص ، فوهبها لها ، فبنت فيها المبانى حتى كانت من ملح القاهرة وبهجتها . وأنشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى كانت تعرف بتربة نسب «أو طرب» - ولشمس الدين بن الصائغ فى أرض الطبالة وبركة الرطل :

فى أرض طبالتنا بركة مدهشة للعين والعقل
ترجح فى ميزان عقل على كل بحار الأرض بالرطل

وموضها الآن المنطقة ما بين شارع الظاهر وشارع الفجالة وبركة الرطل وشارع الخليج ، وكانت رؤية هذه الأرض فى تلك الأيام منظرا بديعا ومرأى عجيبا ، ولاسيا أيام الربيع اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وفيها يقول سيف الدين على بن قزل المشد :

الى طبالة يعزون أرضا لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الشقيق بهاسطورا وأحسن شكلها للطل نقط
رياض كالعرائس حين تجلى يزين وجهها تاج وقرط

تَجَلَّتْ عَرُوسًا، وَالْمِيَاهُ عُقُودُهَا
 وَفِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَوَانِبِهَا قُرْطٌ^(١)
 وَفِيهَا خَلِيجٌ لَا يَزَالُ يَضَعُفٌ بَيْنَ خُضْرَتِهَا حَتَّى يَصِيرَ
 كَمَا قَالَ الرَّصَافِيُّ:
 مَا زَالَتْ الْأَلْحَالُ تَأْخُذُهُ
 حَتَّى غَدَا كَدُؤَابَةِ النَّجْمِ^(٢)
 وَقُلْتُ فِي نُوَارِ الْكَتَّانِ عَلَى جَانِبِي الْخَلِيجِ:
 أَنْظُرْ إِلَى النَّهْرِ وَالْكَتَّانُ يَرْمُقُهُ
 مِنْ جَانِبَيْهِ بِأَجْفَانٍ لَهَا حَدَقُ

وقد كان النصف الغربي وما جاوره من هذه المنطقة الى عهد قريب أرضا زراعية تزرع فيها الخضروات وأخصها الفجل، فاشتهرت تلك الأرض باسم غيط الفجالة نسبة لزراعتها، ولما عمرت تلك الجهة بالمساكن سميت الجهة القبلية من هذا الحقل الزراعي باسم «شارع الفجالة» والقرط «بكسر القاف» نوع من الكراث يعرف بكراث المائدة، والقرط «بضم القاف» نبات كالرطوبة إلا أنه أجل منها وأعظم ورقا تعتقه الدواب «أحمد يوسف نجاتي» (١) القرط الشنف «الحلق» وقيل الشنف في أعلى الأذن، والقرط في أسفلها، وأهو المعلق في شحمة الأذن (٢) الأعال جمع عل وهو الجذب، والتشبيه بذؤابة النجم في الدقة والاستطالة مع الأشراق والصفاء بين زرقة السماء الصافية أو خضرة الرياض الناضرة «أحمد يوسف نجاتي»

رَأَتْهُ سَيْفًا عَلَيْهِ لِلصَّبَا شُطْبٌ^(١)
فَقَابَلَتْهُ بِأَحْدَاقٍ بِهَا أَرْقُ
وَأَصْبَحَتْ فِي يَدِ الْأَزْوَاجِ تَنْسِجُهَا
حَتَّى غَدَتْ حَلَقًا مِنْ قُوَّهَا حَلَقُ
فَلَمْ تَزُرْهَا وَوَجْهَ الْأَرْضِ مُصْطَبِحُ
أَوْ عِنْدَ صَفْوَتِهِ إِنْ كُنْتَ تَعْتَبِقُ^(٢)
وَأَعْجَبَنِي فِي ظَاهِرِهَا بِرَكَّةِ الْفِيلِ؛ لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ كَالْبَدْرِ،
وَالْمَنَاظِرُ فَوْقَهَا كَالنُّجُومِ، وَعَادَةُ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْكَبَ فِيهَا
بِاللَّيْلِ، وَيُسْرِجُ أَصْحَابُ الْمَنَاظِرِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ،
فَيَكُونُ لَهَا بِذَلِكَ مَنْظَرٌ عَجِيبٌ، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:
أَنْظُرْ إِلَى بِرَكَّةِ الْفِيلِ الَّتِي أُكْتِفَتْ
بِهَا الْمَنَاظِرُ كَالْأَهْدَابِ لِلْبَصَرِ
كَأَنَّهَا هِيَ وَالْأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا
كَمَا كَبُّ قَدْ أَدَارُوهَا عَلَى الْقَمَرِ

(١) الشطب جمع شطبة « بتثنية الشين ، أو شطبة ، بضم ففتح » وهي طرائق السيف في مته (٢) الاعتباق : شرب النوق وهو كل ما يشرب بالمشى . وهو خلاف الصبوح « أحمد يوسف نجاشي »

وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ قَابَلَتْهَا الشَّمْسُ بِالْعُدُودَةِ فَقُلْتُ :
أُنْظُرْ إِلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ الَّتِي فَجَّرَتْ
لَهَا الْغَزَالََةَ فَجَرًّا مِنْ مَطَالِعِهَا^(١)

وَحَلَّ طَرَفَكَ مَجْنُونًا يَهْجَتُهَا
يَهِيمٌ وَجَدًّا وَحُبًّا فِي بَدَائِعِهَا
وَالْفُسْطَاطُ أَكْثَرُ أَرْزَاقًا وَأَرْخَصُ أَسْعَارًا مِنَ الْقَاهِرَةِ
لِقُرْبِ النَّيْلِ مِنَ الْفُسْطَاطِ . وَالْمَرَكَبُ الَّتِي تَصِلُ بِالْخَيْرَاتِ
تَحْطُ هُنَاكَ ، وَيُكَاغُ مَا يَصِلُ فِيهَا بِالْقُرْبِ مِنْهَا ، وَلَيْسَ يَتَفَقَّ
ذَلِكَ فِي سَاحِلِ الْقَاهِرَةِ لِأَنَّهُ يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ . وَالْقَاهِرَةُ
هِيَ أَكْثَرُ عِمَارَةٍ وَأَحْتِرَامًا وَحِشْمَةً مِنَ الْفُسْطَاطِ ، لِأَنَّهَا أَجَلُّ
مَدَارِسَ وَأَضْحَمَ خَانَاتٍ وَأَعْظَمَ دِيَارًا لِسُكْنَى الْأَمْراءِ فِيهَا
لِأَنَّهَا الْمَخْصُوصَةُ بِالسُّلْطَنَةِ لِقُرْبِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ مِنْهَا ، فَأُمُورُ
السُّلْطَنَةِ كُلُّهَا فِيهَا أَيْسَرُ وَأَكْثَرُ ، وَبِهَا الطَّرَازُ^(٢) وَسَائِرُ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَزَيَّنُ بِهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذَا

(١) جفرت : شقت وأثارت . والغزالة : الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها

(٢) دار الطراز التي كانت تنسج فيها ملابس الملوك والأمراء ، وترسم بها
أعماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم من الحرير أو الديباج
بخيوط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الحيوط الملونة البديعة على

الْوَقْتِ لَمَّا أُعْتِيَ السُّلْطَانُ بِنَاءَ قَلْعَةِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي أَمَامَ
الْفُسْطَاطِ وَصَيَّرَهَا سَرِيرَ السُّلْطَنَةِ عَظُمَتْ عِمَارَةُ الْفُسْطَاطِ
وَأُنْقِلَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَضَخُمَتْ أَسْوَاقُهَا، وَبَنِيَ
فِيهَا السُّلْطَانُ أَمَامَ الْجُسْرِ الَّذِي لِلْجَزِيرَةِ قَبَسَارِيَّةً عَظِيمَةً،
فَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْقَاهِرَةِ سُوقَ الْأَجْنَادِ الَّتِي يُبَاعُ فِيهَا الْفَرَاهُ
وَالْجُوحُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ - إِلَى أَنْ قَالَ: وَهِيَ الْآنَ عَظِيمَةٌ أَهْلَةٌ
يُجْبَى إِلَيْهَا مِنَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ مَا لَا يُحِيطُ
بِحُكْمَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ ^(١) إِلَّا خَالِقُ الْكُلِّ جَلَّ وَعَلا، وَهِيَ
مُسْتَحْصَنَةٌ لِلْفَقِيرِ الَّذِي لَا يَخَافُ طَلَبَ زَكَاةٍ وَلَا تَرْسِيمًا
وَلَا عَذَابًا، وَلَا يُطَالَبُ بِرَفِيقٍ لَهُ إِذَا مَاتَ فَيُقَالُ لَهُ تَرَكَ
عِنْدَكَ مَالًا، فَرُبَّمَا سُجِنَ فِي شَأْنِهِ أَوْ ضُرِبَ وَعُصِرَ، وَالْفَقِيرُ
الْمُجَرَّدُ فِيهَا يَسْتَرِيحُ بِحِمَّةِ رُخْصِ الْخَبْزِ وَكَثْرَتِهِ، وَوُجُودِ
السَّمَاعِ وَالْفَرْجِ فِي ظَوَاهِرِهَا وَدَوَاخِلِهَا، وَفَلَّةٍ الْإِعْتِرَاضِ

ما يحكمه الصانع، فتصير الثياب الملكية معلة بذلك الطراز قصدا للتبويه
بلايسها من السلطان فمن دونه، وكان القائم على النظر في دور الطراز
يسمى صاحب الطراز، ينظر في أمور الصياغ والآلة والحكاكة فيها، واجراء
أرزاقهم، وتسهيل آلائهم وأدواتهم، ومواد أشغالهم ومشاركة أعمالهم
«أحمد يوسف نجاتي» (١) في الأصل «وتفسيره» وآثرنا ما في خطط المقرئ
وغيرها «وتفصيله» «أحمد يوسف نجاتي»

عَلَيْهِ فِيمَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ؛ يَحْكُمُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ مِنْ
رَقْصٍ فِي وَسْطِ الشُّوقِ أَوْ تَجْرِيدٍ أَوْ سُكْرِ مِنْ حَشِيشَةٍ
أَوْ صُجْبَةٍ مُرْدَانٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ
الْمَغْرِبِ، وَسَائِرِ الْفُقَرَاءِ لَا يَتَعَرَّضُونَ إِلَيْهِمْ بِالْقَبْضِ
لِلْأَسْطُولِ، إِلَّا الْمَغَارِبَةُ فَذَلِكَ وَقَفَ عَلَيْهِمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَعَانَاةِ
الْحَرْبِ وَالْبَحْرِ، وَقَدْ عَمَّ ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ مَعَانَاةَ الْبَحْرِ مِنْهُمْ
وَمَنْ لَا يَعْرِفُ، وَهُمْ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهَا بَيْنَ حَالَيْنِ: إِنْ كَانَ
الْمَغْرِبِيُّ غَنِيًّا طُولِبَ بِالزَّكَاةِ وَصَبِّقَتْ عَلَيْهِ الشُّعَاءُ، وَإِنْ
كَانَ مُجْرَدًا فَتَيَّرَ حُمِلَ إِلَى السُّجْنِ حَتَّى يَحِينَ وَقْتُ الْأَسْطُولِ.
وَفِي الْقَاهِرَةِ أَزَاهِرُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ الْإِتِّصَالِ، وَهَذَا
الشَّانُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يَفْضُلُ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ، وَفِي
اجْتِمَاعِ النَّرْجِسِ وَالْوَرْدِ فِيهَا أَقْوَلُ :

مَنْ فَضَّلَ النَّرْجِسَ وَهُوَ الَّذِي

يَرْضَى بِحُكْمِ الْوَرْدِ إِذْ يَرَأْسُ

أَمَا تَرَى الْوَرْدَ غَدَا قَاعِدًا وَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ النَّرْجِسُ؟!

وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّعْرَاتِ وَالْفَوَاكِهِ الرُّمَّانُ وَالْمَوْزُ.

أَمَّا التَّفَاحُ وَالْإِبْجَاصُ فَقَلِيلٌ غَالٍ، وَكَذَلِكَ الْخَوْخُ، وَمِنْهَا

الْوَرْدُ وَالزَّرْجِسُ وَالنَّسْرِينُ وَالنِّلُوفَرُ وَالْبَنْفَسِجُ وَالْيَاسَمِينُ
وَاللَّيْمُونُ الْأَخْضَرُ وَالْأَصْفَرُ، وَأَمَّا الْعِنَبُ وَالثَّيْنُ فَقَلِيلٌ غَالٍ.
وَلِكَثْرَةِ مَا يَعْصِرُونَ الْعِنَبَ فِي أَرْيَافِ النَّيْلِ لَا يَصِلُ مِنْهُ
إِلَّا الْقَلِيلُ، وَمَعَ هَذَا فَشَرَّابُهُ عِنْدَهُمْ فِي غَايَةِ الْغَلَاءِ، وَعَامَّتُهَا
يَشْرَبُونَ الْمِزْرَ الْأَيْضَ الْمُتَّخَذَ مِنَ الْحِنْطَةِ، حَتَّى إِنْ الْحِنْطَةُ
يَطْلَعُ سِعْرُهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَيُنَادِي الْمُنَادَى مِنْ قَبْلِ الْوَالِي
بِقِطْمِهِ وَكَسْرِ أَوَانِيهِ، وَلَا يُنْكَرُ فِيهَا إِظْهَارُ أَوَانِي الْحُمْرِ
وَلَا آلَاتِ الطَّرَبِ ذَوَاتِ الْأَوْتَارِ، وَلَا تَبَرُّجُ النِّسَاءِ الْعَوَاهِرِ
وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُنْكَرُ فِي غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَقَدْ
دَخَلْتُ فِي الْخَلِيجِ الَّذِي بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ - وَلَعَظُمُ عِمَارَتُهُ
فِيمَا بَلَى الْقَاهِرَةَ - فَرَأَيْتُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَائِبِ، وَرُبَّمَا وَقَعَ
فِيهِ قَتْلٌ بِسَبَبِ الشُّكْرِ فَيَمْنَعُ فِيهِ الشُّرْبُ، وَذَلِكَ فِي بَعْضِ
الْأَخْيَانِ، وَهُوَ صَبِيحٌ، عَلَيْهِ مِنَ الْجَهَتَيْنِ مَنَاطِرُ كَثِيرَةٌ الْعِمَارَةُ
بِعَالَمِ التَّهْكُمِ وَالطَّرَبِ وَالْمُخَالَفَةِ، حَتَّى إِنْ الْمُحْتَشِمِينَ
وَالرُّؤَسَاءَ لَا يُجِيزُونَ الْعُبُورَ بِهِ فِي مَرَكَبٍ، وَلِلشُّرْجِ فِي
جَانِبَيْهِ بِاللَّيْلِ مَنَظَرٌ، وَكَثِيرًا مَا يَتَفَرَّجُ فِيهِ أَهْلُ السُّنَنِ
فِي اللَّيْلِ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

لَا تَرْكَبْنِ فِي خَلِيجٍ مِضْرٍ إِلَّا إِذَا أُنْذِلَ الظَّلَامُ
فَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ عَالَمٍ كُلُّهُمْ طَعَامٌ^(١)
صَفَانِ لِلْحَرْبِ قَدْ أَطْلَا سِلَاحُ مَا يَنْتَهُمُ كَلَامُ
يَا سَيِّدِي لَا تَسِرْ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا هَوَمٌ^(٢) النَّيَامُ
وَاللَّيْلُ سِتْرٌ عَلَى التَّصَابِي عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ لِنَامُ
وَالشَّرْجُ قَدْ بُدِّتْ عَلَيْهِ مِنْهَا دَنَائِرٌ لَا تُرَامُ
وَهُوَ قَدْ أُمْتُدَّ، وَالْمَبَانِي عَلَيْهِ فِي خِدْمَةِ قِيَامُ
لِلَّهِ كَمْ دَوْحَةٍ جَنِينَا هُنَاكَ أَثْمَارُهَا الْآثَامُ^(٣)
قَالَ الْمَقْرِزِيُّ: وَفِيهِ تَحَامُلٌ كَثِيرٌ. أُنْتَهَى. وَمَنْ نَظَرَ
بِمَعْنَى الْإِنْصَافِ عِلْمَ أَنَّ التَّحَامُلَ فِي نِسْبَةِ التَّحَامُلِ إِلَيْهِ
وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُؤَقِّقُ.

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَمُعَامَلَةُ الْفُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ بِالْدَّرَاهِمِ
الْمَعْرُوفَةِ بِالسَّوْدَاءِ، كُلُّ دِرْهَمٍ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الدَّرَاهِمِ
النَّاصِرِيَّةِ، وَفِي الْمُعَامَلَةِ بِهَا شِدَّةٌ وَخَسَارَةٌ فِي الْبَيْعِ وَالْإِثْرَاءِ

(١) الطغام: أو غاد الناس وأسافلهم، واحده طغامة (٢) هوم: هز رأسه
للنعاس، أو التهويم أول النوم، وهو دون النوم الشديد (٣) الدوحة في
الأصل: الشجرة العظيمة، والآثام الأثم والذنب، وخير من بيته قول أبي واس
تبحرنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

وَمُخَاصَصَةٌ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَكَانَ بِهَا قَدِيمًا أَلْفُلُوسٌ ، فَقَطَعَهَا
 الْمَلِكُ الْكَامِلُ ، فَبَقِيَتْ أَلَا تٌ مَقْطُوعَةٌ مِنْهَا . وَهِيَ فِي
 الْأَقْلِيمِ الثَّالِثِ ، وَهِيَ أَوْهَا رَدِيَّةٌ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا هَبَّ الْمَرْيَسِيُّ
 مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ ، وَأَيْضًا فَرَمَدُ الْعَيْنِ فِيهَا كَثِيرٌ ، وَالْمَعَالِشُ
 فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ نَزَرَةٌ ، وَلَا سِيَّمَا أَصْنَافُ الْفُضَلَاءِ ، وَجَوَامِكُ ^(١)
 الْمَدَارِسِ قَلِيلَةٌ كَدِرَةٌ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتَعَلَّشُ بِهَا الْيَهُودُ
 وَالنَّصَارَى فِي الطَّبِّ وَكِتَابَةِ الْخُرَاجِ ، وَالنَّصَارَى بِهَا
 يَتَنَازُونَ بِالزُّنَارِ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَالْيَهُودُ بِعِمَامٍ صُفْرِ ، وَيَزَكُّونَ
 الْبَغَالُ ، وَيَلْبَسُونَ الْمَلَابِسَ الْجَلِيلَةَ ، وَيَأْكُلُ أَهْلُ الْقَاهِرَةِ
 الْبَطَارِخَ ، وَلَا تُصْنَعُ حَلَاوَةُ الْقَنْعِ إِلَّا بِهَا وَبَغَيْرِهَا مِنْ
 الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَفِيهَا جَوَارِ طَبَاخَاتٍ أَصْلُ تَعْلِيمِهِنَّ مِنْ
 قُصُورِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَلَهُنَّ فِي الطَّبْخِ صَنَائِعٌ عَجِيبَةٌ
 وَرِيَاسَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَمَطَابِخُ الشُّكْرِ وَالْمَوَاضِعُ الَّتِي يُصْنَعُ
 بِهَا الْوَرَقُ الْمَنْصُورِيُّ مَخْصُوصَةٌ بِالْفُسْطَاطِ دُونَ الْقَاهِرَةِ .
 أُنْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْحَسَنِ

(١) الجوامك جمع جومك : وهو رواتب خدام الدولة من الملكيين

والعسكريين . وهي فارسية

النُّورِ بْنِ سَعِيدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :
 كَمْ ذَا تُقِيمُ بِمَضْرٍ مُعَذِّبًا بِذَوِيهَا !
 وَكَيْفَ تَرْجُو نَدَاهُمْ وَالشُّعْبُ يُبْخَلُ^(١) فِيهَا !
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

لَا بَنِي الزُّبَيْرِ مَكَارِمُ أَصْحَتْ بِهَا
 طَيْرُ الْمَدَائِحِ فِي الْبِلَادِ تُعْرَدُ
 إِنْ قَيَّدُوهُ وَبَالَغُوا فِي عَصْرِهِ
 فَالْكِرَامُ يُعَصِّرُ ، وَالْجَوَادُ يُقَيِّدُ

والد ابن سعيد وَلَنَذْكُرُ بَعْضَ أَخْبَارِ وَالِدِهِ ، فَإِنَّهُ يَمُنُّ رَحَلَ إِلَى
 الْمَشْرِقِ وَتَوَفَّى بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ فِي
 « الْمَغْرِبِ » وَغَيْرِهِ مِنْ أَخْبَارِهِ الْعَجَائِبَ ، وَلَا بَأْسَ بِأَنْ نُلِمَّ
 بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سِوَى مَا تَقَدَّمَ ، فَنَقُولُ : مِنْ أَخْبَارِهِ أَنَّهُ لَمَّا
 اجْتَاَزَ مَالِقَةَ - وَمُشْرِفَهَا إِذْ ذَاكَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ تَقِيٍّ^(٢) سَوَّجَهُ إِلَيْهِ

(١) في الأصل « تتحل » وهو تصحيف . « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) في الأصل « بقى » وفي نسخة « مبقى » وهو تصحيف : وهو أبو
 علي حسن بن إبراهيم بن محمد بن تقي الجندابي من أهل مالقة ، سمع من أبي
 علي بن سكرة بمرسية سنة ٥٠٥ ، وكان من أهل الرواية والتقييد ، ولله رحلة
 سمع فيها من أبي طاهر السلفي ، وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف
 بالتوحي من أهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر ، وأجاز له

مَنْ نَقَلَ أَسْبَابَهُ إِلَى دَارِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُنْشِدًا :

أَكْذَا يَحُوزُ الْقَطْرُ لَا يَنْثِي عَلَى

أَرْضٍ تَوَالِي جَدْبَهَا مِنْ بَعْدِهِ ؟

اللَّهُ يَسْلَمُ أَنَّهَا مَا أَنْبَتَ زَهْرًا وَلَا ثَمَرًا بِمُدَّةِ فَقْدِهِ

عَرَجَ عَلَيْهَا سَاعَةً يَأْمَنُ لَهُ

حَسَبُ يَفُوقُ الْعَالَمِينَ بِمَجْدِهِ

وَأَنْثَرُ عَلَيْهَا مِنْ أَزْهَرِكِ الَّتِي

تَشْنِي الْمَتِيمَ مِنْ لَوَاعِجِ وَجْدِهِ ^(١)

وَاللَّهُ مَاذَا كَرَّتْ فِكْرَكَ سَاعَةً

إِلَّا وَأَقْبَسَ خَاطِرِي مِنْ زَنْدِهِ ^(٢)

قَالَ مُوسَى فَأَرْتَجِلْتُ لِلْحَيْنِ :

أَنْتَ الَّذِي تَعْرِفُ كَيْفَ الْمَلَا وَتَبْتَدِي فِي سُبُلِ الْمَجْدِ

بَدَأْتَ بِالْفَضْلِ الْمُنِيرِ الَّذِي أَكْمَلَ بَذْرَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ

وَاللَّهُ مَا أَبْصَرْتُكُمْ سَاعَةً إِلَّا بَدَأَ لِي طَالِعُ السَّعْدِ

اجازة عامة سنة ٥١٥ . « أحمد يوسف نجاني » (١) اللواعج جمع لاعج :

وهو اللوعة والهوى المحرق ، ويقال هوى لاعج : لحرقته الفؤاد من الحب .

ولعج الحب أو الحزن فؤاده : اذا استحر في قلبه (٢) أقبسه : أعطاه قبسا

وهو في الأصل الشعلة أو القطعة من النار ، والزند : ما تنقذ به النار ، جعل

فكر المدح وحديثه بمنزلة الزند يمد قرائع الناس بالأفكار ، ويجعل

أذهانهم وارية متقدة « أحمد يوسف نجاني »

وَأَنْصَرَفْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ - قَالَ :
فَلَمْ أَزَلْ فِي كَرَامَةٍ لَيْسَتْ كَظُلِّ غَمَامَةٍ
وَلَمَّا كَانَ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ بِالْجَزِيرَةِ أَخْضَرَاءَ
مُقَدِّمًا عَلَى أَعْمَالِهَا مِنْ قِبَلِ ابْنِ هُوْدٍ وَصَلَّهُ كِتَابٌ مِنْ
الْفَقِيهِ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَسْكَرٍ قَاضِي مَالَقَةِ
مَعَ أَحَدِ الْأَدْبَاءِ مِنْهُ :

أَفَاتِحُ مَنْ قَلْبِي بِعِلْيَاهُ وَاثِقُ
وَأِنْ كَانَتْ الْأَبْصَارُ لَمْ تَنْسَخِ الْوِدَادَ^(١)
وَنَقْتُ بِمَالِي مِنْ ذِمَامِ تَشْيِئِي
بِأَلِ سَعِيدٍ وَأَبْتَعَيْتُ بِهِ السَّعْدَ^(٢)
وَبِالْحُبِّ يَدُوكُلُ مَنْ أَقْصَتِ النَّوَى

بِرَغْمِ حِجَابِ لِلنَّوَى يَنْنَا مُدًّا
يَا سَيِّدِي الَّذِي حَمَلَنِي مَا أَمَالَ أَشْمَاعِي مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ
أَنْ أَهْجُمَ عَلَى مُفَاتِحَتِهِ شَافِعًا فِي مُوَصِّلِهَا إِلَيْهِ ، وَاقِفًا بِالْفَرْعِ

وفي مذاكرة البغاء وقراءة كلامهم تلقيح للعقول . « أحمد يوسف نجاتي »
(١) كذا بالأصل ، وقد يكون « تنسخ » يعني أنه يبدأ التعارف به قبل لقائه
ويفاعه بالمكاتبة ، وإن كانت العيون لم تنسخ أي توجد الود بالرؤية والاجتماع
(٢) النعام : الهدو والحرمة ، وتشيع بفلان إذا نصره ومال اليه « أحمد يوسف نجاتي »

لِعِلْمِ الْأَصْلِ ، مُؤَمَّلًا لِلْإِفْضَالِ بِيَحَقِّقِ الْفَضْلَ ، إِنْ لَمْ تَقْضِ
بِاجْتِمَاعِ بَيْنَنَا الْآيَامَ ، فَلَا تَجْرِي بِالْمُشَافَهَةِ بَيْنَنَا إِلَّا السُّنُ
الْأَقْلَامِ ، وَيُوحِي بَعْضُنَا إِلَى بَعْضِ سُورِ الْوِدَادِ^(١) وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي أطلعَكَ فِي ذَلِكَ الْأَفْقِ بَدْرًا ، وَأَذْنًاكَ مِنْ هَذِهِ
الْدِيَارِ فَصِرْنَا لِقُرْبٍ مَنْ يَرِدُ عَنْكَ لَا نَعْدَمُ لَكَ ذِكْرًا ،
فَكُلُّ يُمْنِي بِالَّذِي عَلِمْتَ سَعْدُ^(٢) ، وَيَصِفُ مِنْ خِلَالِكَ
مَا يَقْضِي ذَلِكَ الْمَجْدُ ، وَلَمَّا كَانَ إِحْسَانُكَ يَشْرِبُهُ الصَّادِرُ
وَالْوَارِدُ ، وَيَحْرُصُ^(٣) عَلَيْهِ الْغَائِبُ وَالشَّاهِدُ ، مَدَّ أَمْلَهُ نَحْوَكَ
مُوصِلُ هَذِهِ الْمَفَاتِحَةِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَسِيلَةٌ وَلَا بِضَاعَةٌ إِلَّا

(١) يخيل الى أن هناك قفزة ساقطة قبل هذه الفقرة التي ليس لها تعديل ولا
قسم ؛ مثل : نلجأ في السفارة بيننا الى الطرس والمداد ، ويوحى بعضنا الخ
(٢) من قول الحطيئة يمدح بغيض بن عامر من سعد بن زبد مناة بن تميم ، ويثنى
على بنى سعد من قصيدة أولها :

ألا طرقتنا بعد ما هجعت هند وقد سرن خمسا واثلا ببنانجد
« اثلا بهم الطريق : أي اطرده واستقام وامتد - الى أن قال :

فمن مبلغ أبناء سعد فقد سى الى السورة العليا لهم حازم جلد
رأى مجد أقوام أضيع ، خفهم على مجدهم لما رأى أنه المجد
وتعدلى أبناء سعد عليهم وماقلت الا بالذى علمت سعد

وقد صار عجز البيت « وماقلت الا بالذى علمت سعد » جاريا مجرى المثل
« أحمد يوسف نجاني » (٣) وفي نسخة « ويحرض » « أحمد يوسف نجاني »
(١٤ - نفع الطيب - ثامن)

الْأَدَبَ وَهِيَ عِنْدَ يَتِّكَ الْكَرِيمِ رَاجِحَةٌ، وَهُوَ مَنْ شَتَّتَتْ
خُطُوبُ هَذَا الزَّمَانِ شَمْلَهُ، وَأَبَانَتْ^(١) نَوَائِطُهُ صَبْرَهُ وَفَضْلَهُ
وَمَا طَمَحَ بِيَصْرِهِ إِلَّا إِلَى أَفْقِكَ، وَلَا وَجَّهَ رَجَاءُهُ إِلَّا نَحْوَ
طُرُقِكَ، وَالرَّجَاءُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ يَمُودَ وَقَدْ أَثْنَتْ حَقَائِبُهُ^(٢)
وَأَعْنَقَتْ^(٣) مِنَ الْحَمْدِ رَكَائِبُهُ، دُمْتَ غُرَّةً فِي الزَّمَنِ
الْبَهِيمِ^(٤)، غَضُوصًا بِأَفْضَلِ التَّحِيَّةِ وَالتَّسْلِيمِ. اُنْتَهَى .

وَأَبْنُ عَسْكَرِ الْمَذْكُورِ عَالِمٌ بِالتَّارِيخِ، مُتَّبِعٌ فِي
الْأَلُومِ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي أَنْسَابِ بَنِي سَعِيدٍ أَصْحَابِ هَذِهِ
الْتَّرْجَمَةِ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَهْوَاكَ يَا بَذْرُ، وَأَهْوَى الَّذِي

يَعْدُ لُنِي فِيكَ، وَأَهْوَى الرِّقِيبِ

وَالْجَارِ وَالْدَّارِ وَمَنْ حَلَّهَا وَكُلَّ مَنْ مَرَّ بِهَا مِنْ قَرِيبِ

(١) أظهرت وكشفت

وفي الخطوب تظهر الجواهر ماغلب الأيام الا الصابر

(٢) من قول نصيب يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان :

فعاوجوا فائتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

جمع حقيبة : وهي الرفادة في مؤخر القتب، وكل ماشد في مؤخرة رجل أو

قتب فقد احتقب (٣) سارت وأسرعت (٤) المظلم : شديد السواد والحلوة .

والغرة : البياض « أحمد يوسف نجاشي »

وَكُلُّ مُبْدٍ شَبَهَا مِنْكُمْ
وَكُلُّ مَنْ يَلْفِظُ بِاسْمِ الْحَبِيبِ

« رَجَعُ » قَالَ ابْنُهُ عَلِيٌّ: لَمَّا أَرَدْتُ التَّهَوُّضَ مِنْ تَغْرِ
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَوَّلَ وَصُولِي إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ
رَأَيْتُ أَنَّ يَكْتُبُ لِي وَصِيَّةً أَجْعَلُهَا إِمَامًا فِي الْغُرَبَةِ، فَبَقِيَ فِيهَا
أَيَّامًا إِلَى أَنْ كَتَبْتُهَا عَنْهُ، وَهِيَ هَذِهِ - وَكَفَى بِهَا دَلِيلًا عَلَى
مَا اخْتَبَرْتُ وَعَلِمْتُ :

أَوْدِعْكَ الرَّحْمَنُ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رُحَمَاءَهُ فِي أَوْبَتِكَ
وَمَا اخْتِيَارِي كَانَ طَوْعَ النَّوَى

لَكِنِّي أَجْرِي عَلَى بُعَيْتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى، إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
مَنْ كَانَ مَفْشُونًا بِأَبْنَائِهِ فَإِنِّي أُمَعِنْتُ فِي خَيْرَتِكَ
فَاخْتَصِرِ التَّوَدِيعَ أَخْذًا، فَمَا

لِي نَظَرُ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلْ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ، وَلَا
تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ

وصية والد
ابن سعيد
لابنه علي بن
سعيد المغربي

خُلَاصَةُ الْعُمْرِ الَّتِي حُكَّتْ
 فِي سَاعَةِ زُفْتٍ إِلَى فِطْنَتِكَ .
 فَلْتَجَارِبِ أُمُورٌ إِذَا
 طَالَتْهَا تَشَحُّدٌ مِنْ غَفْلَتِكَ
 فَلَا تَتَمَّ عَنْ وَغِيهَا سَاعَةً
 فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَفْظَتِكَ
 وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى
 إِلَيْكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
 فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْمَتِكَ
 وَكُلُّ مَا يُفْضَى لِمُذِرٍ فَلَا
 تَجْمَلُهُ فِي الْغُرْبَةِ مِنْ إِرْبَتِكَ^(١)
 وَلَا تُجَالِسْ مَنْ فَشَا جَهْلُهُ
 وَأَقْصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي صَنَعَتِكَ
 وَلَا تُجَادِلْ أَبَدًا حَاسِدًا فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى هَيْبَتِكَ

(١) الاربعة : الغرض والحاجة ، وفي معناه :

واياك والأمر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك المصادر
 فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر
 يقول له : اياك وما يعتذر منه . « أحمد يوسف نجاشي »

وَأَمْشِ الْهُوَينِ ^(١) مُظْهِرًا عِفَّةً
وَأَنْعِ رِضًا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
أَفْشِ التَّحِيَّاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَنَبِّهِ النَّاسَ عَلَى رُبُّبَتِكَ
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ أَلِمَى ^(٢) مُسْتَقْبَحٌ
وَأَصْمُتْ بِحَيْثُ أَخْبِرُ فِي سَكَتِكَ
وَلَا تَزَلْ مُجْتَمِعًا طَالِبًا
مِنْ دَهْرِكَ الْفُرْصَةَ فِي وَبْنَتِكَ ^(٣)
وَكُلَّمَا أَبْصَرْتَهَا أَمَكَّتْ ثَبَّ وَأَثَقَا بِاللَّهِ فِي مُكْتَسَبِكَ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ
وَأَقْصِدْ لَهُ مَاعِشْتَ فِي بُكْرَتِكَ ^(٤)
وَأَيُّنَاسُ مِنْ الْوَدِّ لَدَى حَاسِدٍ
ضِدِّ ، وَنَافِسُهُ عَلَى خُطْبَتِكَ
وَوَفِّرِ الْجُهْدَ ، فَمَنْ قَصَدُهُ قَصْدُكَ لَا تَعْتَبُهُ فِي بُفْضَتِكَ
وَوَفِّ كُلًّا حَقَّهُ ، وَلْتَكُنْ
تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدِّتِكَ

(١) أى بتؤدة وورق ليكون ذلك أبعد على الهيبة وأدعى إلى الوقار، فسرعة المشى
تذهب بيهاء المرء (٢) ألى : العجز عن الكلام (٣) يحتمل على دوام الاستعداد
والنشاط لا تنهاز الفرصة (٤) لج : ادخل، أمر من ولج ، والبكرة : أول النهار

وَلَا تَكُنْ تَحْقِرُ ذَارِئَتَيْهِ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ فِي غُرْبَتِكَ
وَحَيْثُمَا خَيَّمْتَ فَاقْصِدْ إِلَى

صُحْبَةِ مَنْ تَرْجُوهُ فِي نَصْرَتِكَ
وَلِلرِّزَايَا وَثْبَةٌ مَالَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخَرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ: أَسْلَمْتُ لِي وَخَدَتِي فَقَدْ تُقَاسِي الدَّلَّ فِي وَخَدَتِكَ
وَلْتَزِنِ^(١) الْأَحْوَالَ وَزَنَانَا، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلْتَجْعَلِ الْعَقْلَ حَكْمًا، وَخُذْ كُلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي تَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاعِلِينَ

وَأَصْحَبِ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
بَعْدَ اخْتِيَارٍ مِنْكَ يَقْضِي بِمَا

يَحْسُنُ فِي الْأَخْدَانِ^(٢) مِنْ خُلُطَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصِيحَتِهِ وَفِكْرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَهُ، إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَقْسَعُ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ مَطْمَعًا
وَأَطْمَعُ إِذَا أَنْعَشْتَ مِنْ عَثْرَتِكَ^(٣)

(١) في الأصل « ولتزن » وهو تصحيف ظاهر . « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) جمع خدن ، وهو الصاحب والصديق ، وفي الأصل « يحسن في الأخذ »

(٣) أنعشه من عثرته : أقاله - وفي نسخة « نفست من عسرتك » والمعنى

واحد « أحمد يوسف نجاشي »

وَأَنْتُمْ نُمُوًّا أُنْبِتَ قَدْ زَارَهُ
 غِبُّ الْإِنْدَى ^(١) وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
 وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ فَوَظُنْ لَهُ
 جَاشَكَ، وَأَنْظُرُهُ إِلَى مُدَّتِكَ ^(٢)
 فَكُلْ ذِي أَمْرِ لَهُ دَوْلَةٌ فَوْفَ مَا وَافَاكَ فِي دَوْلَتِكَ
 وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِنًا
 تَذَكَّارُهُ يُذَكِّي لَطَى حَسْرَتِكَ ^(٣)
 وَالْأَشْرَّ مَهْمَا أُسْطَعْتَ لَا تَأْتِهِ
 فَإِنَّهُ حُوبٌ عَلَى مُهَجَّتِكَ ^(٤)
 يَا مَبْنَى الْإِنْدَى لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي، وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ، قَدْ
 قَدَّمْتُ لَكَ فِي هَذَا النِّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ
 أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَإِنْ
 أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ، وَأَعْلَقَ بِالْفِكْرِ، وَأَحَقَّ بِالتَّقَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ:

من خلطتك» (١) أي الندى الذى ينزل يوما بعد يوم (٢) نابه الدهر: لم يواقع
 حاله، ولم يعرف قدره، والجأش: رواع القلب اذا اضطرب عند الفزع .
 أو نفس الانسان (٣) يذكى: يوقد، واللظى: النار وقيل لها (٤) الحوب:
 الهلاك والهم والنعم والبلاء، والحوب: الوجع والألم والائتم والظلم، وفى
 الأصل «حوز» وهو تصحيف قد يكون عن «حور» أيضا، والحور
 الهلاك والنقص والذهاب بالشيء والفساد. «أحمد يوسف نجاشى» .

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ؛ فَمِنْهُمْ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَأْنِيَةُ حُسْنِ أَخْلَافِهِ وَثَلَاثَةُ اجْتِنَابِ الرِّيبِ
وَإِذَا أُغْتَرِبْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَلَزِمْتَهَا فِي الْغُرْبَةِ رَأَيْتَهَا
جَامِعَةً نَافِعَةً، لَا يُلْحَقُكَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَعَ اسْتِعْمَالِهَا نَدَمٌ،
وَلَا يُفَارِقُكَ بَرٌّ وَلَا كَرَمٌ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

يُعَدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ

إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِمَقْلِهِ

وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ

وَمَا قَصَرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَأَضْبَرِ عَلَى خُلُقٍ مِّنْ تَعَاثُرِهِ

وَدَارِهِ ، فَالْلَيْبُ مِّنْ دَارِي

وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَسْكَنًا وَمِثْلُ الْأَرْضِ كُلِّهَا دَارًا

وَأَضْعُ يَا بُنَيَّ إِلَى الْيَتِّ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ، وَسَلِّمْ

الْكَرَمَ وَالصَّبْرَ :

لَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ

لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا

إِذْ حُسِنَ الْخُلُقِ أَكْرَمُ تَزِيلٍ، وَالْأَذَابُ أَرْحَبُ مَنَزِلٍ.
وَلَتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أُدَيْبٍ مُتَعَرِّبٍ: وَكَانَ كَمَا طَرَأَ
عَلَى مَلِكٍ فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَلَدٌ، وَإِلَيْهِ قَصَدَ، غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ
بَدَهِرِهِ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ. وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى
صُحْبَةِ مَنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ التَّكَلُّفَ لَهُ سُلْمًا،
وَهُبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ، وَحُلْ بِطَرَفِهِ حُلُولَ
الْوَسَنِ، وَأَنْزِلْ بِقَلْبِهِ نُزُولَ الْمَسَرَّةِ، حَتَّى يَتِمَّكَنَ لَكَ وَدَادُهُ،
وَيَخْلَصَ فِيكَ أَعْتِقَادُهُ. وَطَهِّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ،
وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ،
يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ، أَوْ حَسُودٍ لَهُ يَفَارُ لِتَجْمُلَ بِصُحْبَتِكَ.
وَمَعَ هَذَا فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صُحْبَتِكَ، وَلَا تَتَمَهَّدَ بِدَوَامِ
رَفْدَتِهِ، فَقَدِيبَتُهُ الزَّمَانُ، وَيُغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَاللِّسَانَ، وَلِذَا
قِيلَ: إِذَا أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا مَّا، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَقَلَّبَ
الصَّدِيقُ عَدُوًّا وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا، وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ
مِيعَارًا، وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ، وَجَعَلَ نَصَبَ
نَظَرِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسِ خَبَاً^(١) جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ
وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمٌ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلِ ،
فَاخْتَذِ بِأَمْثَلِهِ مَنْ جَرَّبَ ، وَأَسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ
جُهِدِهِمْ وَلَتَعْيِهِمْ مِنَ الْأَقْوَالِ ، فَإِنَّهَا خُلَاصَةُ عُمْرِهِمْ ، وَزُبْدَةُ
تَجَارِبِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عَقْلِكَ ، فَإِنَّ النَّظَرَ فِيهَا
تَعِيبٌ فِيهِ النَّاسُ طُولَ أَعْمَارِهِمْ ، وَأُبْتَاغُوهُ غَالِيًا بِتَجَارِبِهِمْ
يُرِيحُكَ ، وَيَقْعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ
مُرُوءَةٌ وَعَقْلٌ وَتَجَرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ ، وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ
وَلَا فِعْلَهُ ، فَإِنَّ فِيهَا تَلْقَاهُ تَلْقِيحًا لِعَقْلِكَ وَحَثَالِكَ وَأَهْتِدَاءً .
وَلِيَاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهَذَا الْيَدَيْتِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ * وَالْحُرُّ يُخَدِّعُ
بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ * فَقَدْ قَالَ أَحَدُهُمْ : مَا قِيلَ أَضَرُّ مِنْ هَذَا

(١) خبا : أى مكرا وخداعا وملقا وغشا ونفاقا . وبعده :

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلنى أنه بعض الأنام
يحب العالمون على التصافى وحب الجاهلين على الوسام
وأنف من أخى لأبى وأبى إذا مالم أجده من الكرام
وهو من قصيدة قالها يذكر الحمى التى كانت تعشا بمصر ، وأولها :
ملومكما يحل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام
ومنها :

ولم أر فى عيوب الناس شيئا كنتقص القادرين على التمام
وهى قصيدة غراء من بدائع أبى الطيب رحمه الله . « أحمد يوسف نجاشى »

أَلَيْتَ عَلَى أَهْلِ التَّجَلُّلِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ
الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَكَّرَهُ ، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا
لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ فَرَاعِ ^(١) ذَلِكَ عِنْدَكَ ، وَإِلَّا فَانْبِذْهُ نَبَذَ
النَّوَاةِ ، فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يُتَّبَسَّمُ ، وَلَا كُلِّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ ،
وَلَا أُلْجُودُ مِمَّا يُعَمُّ بِهِ ، وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ النَّفْسِ مِمَّا
يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :
وَمَالِي لَا أَوْفَى الْبَرِيَّةِ قِسْطَهَا

عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانٌ ؟
وإِيَّاكَ أَنْ تُعْطَى مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدْرِ ، فَلَا تُعَامِلِ
الدُّنْيَ بِعُمَامَةِ الْكُفْرِ ، وَلَا الْكُفْرَ بِعُمَامَةِ الْأَعْلَى .
وَلَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِيمَنْ يُعْلَلُكَ بِالْمَطَامِعِ ، وَيُثْنِيكَ عَنْ ^(٢)
مَصْلَحَةِ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ ، وَأَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ :
وَبِغِ آجِلًا مِنْكَ بِالْعَاجِلِ . وَأَقْلِلْ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ
مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفَهُهُمْ بِالْجُمْلَةِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ
بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجْرٌ وَلَا جَفَاءٌ ، وَلَا تَقُلْ

(١) وفي نسخة « قواه » بدل « فراع » (٢) في الأصل « فيمن يعاملك بالمطامع ويثنيك على مصلحة عاجلة الخ » وفي نسخة « يعلكك » بدل « يعلكك »

أَيْضًا أَقْعُدُ فِي كِسْرِ يَنْتِي^(١) وَلَا أَرَى أَحَدًا، وَأُسْتَرِيحُ مِنَ
النَّاسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَسَلٌ ذَاعَ إِلَى الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ، وَإِذَا عَلِمَ
عَدُوُّكَ أَوْ صَدِيقُكَ مِنْكَ ذَلِكَ عَامَلَاكَ بِحَسَبِهِ، فَازْدَرَاكَ
الصَّدِيقُ، وَجَسَرَ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَفُركَ صَاحِبُ
وَاحِدٍ عَنْ أَنْ تَذْخِرَ غَيْرَهُ لِلزَّمَانِ، وَتُطِيعَهُ فِي عَدَاوَةِ سِوَاهُ،
فَإِنَّ الْمُمْكِنَ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْكَ، فَتَطْلُبُ إِعَانَةً عَلَيْهِ أَوْ أُسْتَعْنَاهُ
عَنْهُ فَلَا تَجِدَ ذَخِيرَةً قَدَّمْتَهَا، وَكَانَ هُوَ فِي أَوْسَعِ حَالٍ وَأَعْلَى
رَأْيٍ بِمَا دَبَّرَهُ بِحِيلَتِهِ فِي انْقِطَاعِكَ عَنْ غَيْرِهِ، فَلَوْ اتَّفَقَ لَكَ
أَنْ تَصْحَبَ مِنْ كُلِّ صِنَاعَةٍ وَكُلِّ رِيَاسَةٍ مَنْ يَكُونُ لَكَ
عُدَّةٌ لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَصَوَّبَ، وَسَلِنِي فَإِنِّي خَيْرٌ، طَالَ
وَاللَّهِ مَا صَحَبْتُ الشَّخْصَ أَكْثَرَ عُمْرِي، لَا أَعْتَمِدُ عَلَى سِوَاهُ،
وَلَا أَعْتَدُ إِلَّا لِإِيَّاهُ، مُنْخَذِعًا بِسَرَايِهِ، مَوْثُوقًا^(٢) فِي حَبَائِلِ
خِطَابِهِ، إِلَى أَلَّا يَخْضُلَ لِي مِنْهُ غَيْرُ الْمَضِيِّ عَلَى الْبَنَانِ^(٣)،
وَقَوْلِي: لَوْ كَانَ وَلَوْ كَانَ، وَلَا يَحْمِلُنَاكَ أَيْضًا هَذَا الْقَوْلُ
أَنْ تَظُنُّهُ فِي كُلِّ أَحَدٍ وَتُعْجَلَ الْمُكَافَأَةَ، وَلَيْسَ كُنْ حُسْنُ

(١) طرفه أو جانب منه وشقة (٢) أى مربوطا ومعلقا ، والحبال : جمع
حباله ، وهى الشراك ينصب للصيد (٣) العض على البنان : كناية عن الأسف
والندم والحسرة « أحمد يوسف نجاشى »

الظنَّ بِمِقْدَارٍ مَّا ، وَأَصْبِرَ بِمِقْدَارٍ مَّا ، وَالْفِطْنُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ
تَحَايِلُ^(١) الْأَحْوَالِ ، وَفِي الْوُجُوهِ دِلَالَاتٌ وَعَلَامَاتٌ^(٢) ،
وَأَصْغِرَ إِلَى الْقَائِلِ :

لَيْسَ ذَا وَجْهٍ مَنْ يُضِيفُ وَلَا يَتَرَى

رِي وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمٍ^(٣)

فَمَنْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلٌ وَجْهَكَ عَنْهُ
قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا ، وَلْتَحَرِّصْ جُهْدَكَ عَلَى الْآلِ تَصَحَّبَ أَوْ تَخْدُمَ
إِلَّا رَبَّ حِشْمَةٍ وَبِعَمَةٍ ، وَمَنْ نَشَأَ فِي رِفَاهِيَةٍ وَمُرُوءَةٍ ،
فَإِنَّكَ تَنَامُ مَعَهُ فِي مِهَادِ الْمَافِيَةِ ، وَإِنَّ الْجِيَادَ عَلَى أَعْرَاقِهَا^(٤)
تَجْرِي ، وَأَهْلُ الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ يَتَرُكُونَ مَنَافِعَهُمْ
مَتَى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَصْمَةٌ^(٥) ، وَقَدْ قِيلَ فِي تَحْلِيلِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : أَشْرَبَ مُصْعَبُ الْخُمُرِ^(٦) ؟ . فَقَالَ

(١) علامات وأمارات

(٢) وجه الفتى كصحيفة ولطالما قرأ الضمير بها اللبيب الأكيـس

(٣) يقرى : أى يكرم الضيف ، والشاهد فى البيت أن الشاعر ذم صاحبه
بصفات استملاها من وجهه ، واستدل عليها من منظره (٤) أعراقها : أصولها
جمع عرق ، وهو مثل يضرب للفرع يتخلق بأخلاق أصله (٥) الوصمة :
العيب والنار (٦) يريد مصعب بن الزبير بن العوام أخا عبد الله بن الزبير
قتل رحمه الله سنة ٧٢ فى وقعة مسكن « موضع قريب من نهر دجيل عند
دير الجاثليق القريب من بغداد » بينه وبين عبد الملك « أحمد يوسف نجاشى »

عَبْدُ الْمَلِكِ - وَهُوَ عَدُوٌّ لَهُ مُحَارِبٌ لَهُ عَلَى الْمَلِكِ - : لَوْ عَلِمَ
مُضْعَبٌ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مَرْءَهُ مَا شَرِبَهُ ، وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ
بِهِ الْأَعْدَاءُ ^(١) . يَا بُنَيَّ - وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَفَارِقَةٍ وَتَغْيِيرٍ ،
وَقَدْ قِيلَ : أَصْحَبُ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ - فَمَتَى فَارَقْتَ
أَحَدًا فَعَلَى حُسْنَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي هَلْ
أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

* وَلَمَّا مَضَى سَلَّمَ بِكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ ^(٢) *
وَأَيْنَاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ ^(٣) :

وَكَُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ
رَحَلْتَ بِمُخْزِيَةٍ ، وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأُخْرِصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْنَى لَكَ
الْوُدُّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ ، وَتُوسِّعَ لَهُ فِي
الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَأَحْذَرُ كُلِّ مَا يَنْتَهِي

(١) عجزيت ، وصدرة * ومليحة شهدت لها ضراتها * (٢) يريد سلم بن قتيبة
ابن مسلم الباهلي والدة أبي عمرو سعيد بن سلم السيد الجواد المدوح المتوفى
سنة ٢١٧ - وفي هذا اللحن :

تضجرت من عمرو فلما قصده وعاشرت أقواما بكيت على عمرو
(٣) من قصيدة لجريه جوهر الفرزدق

لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَعْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا
عَرَسْتَهُ يَقْلَمُكَ ، وَقَوْلُ الْآخَرِ : ابْنُ آدَمَ يَتَمَسَّكُنْ حَتَّى
يَتَمَكَّنَ ، وَقَوْلُ الْآخَرِ : ابْنُ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ الضَّعْفِ
أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَثْبُتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فَيُخْشِي أَنْ ابْنَ الْمُفَقِّعِ خَطَبٌ مِنَ الْخُلِيلِ
صُحْبَتُهُ ، فَجَاوَبَهُ : إِنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقِّي فِي يَدِكَ
حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتْكَ ^(١) . وَأَسْتَمِلُ مِنْ عَيْنٍ مَنْ
تُعَاشِرُهُ ، وَتَقَعْدُ فِي فَلَاتٍ الْأَلْسُنِ وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ ^(٢) ،
وَلَا يَحْمِلُكَ أَحْيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ إِلَّا تَبَيَّنَهُ ،
فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ ، وَبِالْأَيْنِ يُعْرَفُ أَلَمُ الْجُرْحِ .
وَأَجْعَلْ لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ .
وَآكِدُ مَا أُوصِيكَ بِهِ أَنْ تَطْرَحَ الْأَفْكَارَ ، وَتُسَلِّمَ لِلْأَقْدَارِ ،
وَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّرَ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ ^(٣)

(١) أى معاملتك للرفيق الذى تملكه (٢) لله در من قال :
وإذا سمعت من الرجال حديثهم ان كان يخبث قولهم أو ينفس
أدركت ما يحوى الصدور فرأى نطق اللسان بما تكن الأنفس
وتفقد الشيء : تعاوده ويبحث عنه . « أحمد بن يوسف نجاتى » (٣) البيت
من قصيدة للأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن
تميم شاعر جاهلى ؛ أولها :

لكل هم من الهموم سعه والسى والمصبح لافلاح معه

إِذَا لَفَكَارُ تَجَلَّبُ الْهُمُومَ، وَتَضَاعِفُ الْغُمُومَ، وَمَلَا زَمَةَ
الْقُطُوبِ^(١)، عَنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ، يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ، وَيَسْمَتُ الْعَدُوَّ الْمُجَانِبُ، وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ
إِلَّا نَفْسَكَ، لِأَنَّكَ تَنْصَرُّ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ، وَلِلَّهِ دَرُ
الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنًا
عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ؟
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْخُزْنَ^(٢)، وَلَا يَرْعَوِي

لا تخفون الفقير علك أن تركح يوما والدهر قد رفعه
وصل جبال البعيد ان وصل الـ
جبل ، وأقص القريب ان قطعه

واقبل من الدهر . .

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
ويرقع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من رقعته
مابال من غيه مصيك لو يملك شيئا من أمره وزعه
حق اذا ما انحلت غوايته أقبل يلحى وغيه فجعه
أدود عن حوضه ويخدعنى ياقوم من عاذرى من الحدعه
الفلاح : البقاء، ووزعه : كفه ومنعه . « أحمد يوسف نجاني » (١) عبوس
الوجه وتجهمه (٢) عجز البيت لأبي الطيب وهو :

فما يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائت الحزن
وهو من قصيدة قالها وقد بلغه أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب
وهو عصر أولها :

بَطُولِ عَتِكَ الزَّمَنُ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَرَنَاطَةَ شَخْصًا قَدْ
 أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ ، وَعَشِقْتَهُ الْغُومُ ، مِنْ صِغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ ، لَا تَرَاهُ
 أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرِهِ ، حَتَّى لُقِبَ بِصَدْرِ الْهَمِّ ، وَمِنْ أَعْجَبِ
 مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ ، وَلَا يَتَعَلَّلُ بِأَنَّهُ
 يَكُونُ بَعْدَهَا قَرْحٌ ، وَيَتَنَكَّدُ فِي الرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَلَّا يَدُومَ ،
 وَيُنْشِدُ :

تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذْ قِيلَ تَمَّ ^(١)
 وَيُنْشِدُ :

وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ ^(٢)

بِمِ التعلل ؟ لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كاس ولا سكن
 أريد من زمني ذا أن يلفني مالم يسيل في نفسه الزمن
 لاتلق دهرك الا غير مكثرت مادام يصحب فيه روحك البدن
 وبعده البيت - الى أن قال :

يامن نعت طي بعد بمجلسه كل بما زعم الناعون مرتين
 كم قد قتلت ، وكم قد مت عندكم ثم انتفضت فزال التبر والكفن
 ما كل ما يمتنى المرء يدركه تجرى الرياح بالالتفتي السفن
 وهي قصيدة غراء جيدة . « أحمد يوسف نجاشي » .

(١) عجز بيت صدره : اذا تم شيء بدا نقصه ، وقبله :

اذا كنت في نعمة فارعها فان العاصي تزيل النعم
 وحافظ عليها بشكر الاله فان الاله سريع النعم

(٢) عجز بيت لأبي العلاء المعري وصدره :

(١٥ - نفع الطيب - ثامن)

وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ، وَمِثْلُ هَذَا
عُمُرُهُ مَحْسُورٌ يُرْضِيَا عَا. وَمَتَى دَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذُمُونَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا تُحْسِنُهُ، حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ،
وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ، فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ
وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي مَدَحُوهُ، فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ
الَّذِي أُعْجِبَهُ مَشْيُ الْحُجَلَةِ^(١)، فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، فَصَعُبَ عَلَيْهِ،

فان كنت تبغ العز فابغ توسطاً

وبعدہ :

توقى الدور النقص وهى أهلة ويدركها النقصان وهى كوامل
ولست أرى هذا، ولكنى أقول :
لا تقنع ومطلب لك ممكن فاذا تضايقت للطالب فاقنع
وقد قال صاحب بن عباد :

وقائلة: لم عرتك الهموم وأمرك ممثلي في الأم ؟
قلت: ذرفى لما أشتكى فان الهموم بقدر الهمم

وقد أصبح عصرنا عصر منافسة وجدو طموح، وصارت القناعة تعلقة العاجز،
وانما يزرى بالمرء اراقة ماء وجهه، والتوسل الى نيل مآربه بوسائل غير
شريفة، وعسى أن يفيق الزمان من غفلته، فينال كل عامل حقه بقدر جده
واستحقاقه. « أحمد يوسف نجاشى » (١) الحجلة : طائر فى حجم الحمام
كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر . « أحمد يوسف نجاشى »

ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَتَسَيَّهُ ، فَبَقِيَ مُجْبَلَ الْمَشْيِ كَمَا
قِيلَ ^(١) :

حَسَدَ الْقَطَا ، وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا
فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ ^(٢)
فَأَضَلَّ مَشْيَتَهُ ، وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا
فَلِذَاكَ سَمَّوْهُ أَبَا الْمِرْقَالِ
وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ
مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَحُ فِيهِ ، فَإِنَّ
الَّذِينَ تَرَاهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِنْ صَحْبَةِ
الْجُرْمَانِ ، وَأَسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ لِلْهَوَانِ ، وَأَبْرَمُوا ^(٣) عَلَى النَّاسِ
بِالسُّؤَالِ فَمَقَّتُوهُمْ ، وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ مِنْ وُجُوهِهَا
فَاسْتَرَاخُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْأَعْذَارِ لِأَنْفُسِهِمْ

(١) أول الأيات :

ان الغراب - وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
والعرب تصف القطا بحسن المشي؛ لتقارب خطاهما، ومشيا يشبه مشي النساء
الحفريات بمشيتين . « أحمد يوسف نجاشي » (٢) القطا : طائر في حجم
الحمام، وكانته منه ، والعقال : داء يأخذ الدواب في أرجلها، كأنه يعقلها عن
الشيء، فاذا مشيت طلعت ساعة ثم انبسطت، وأكثرا ما يترى الشاء (٣) ألحوا عليهم
وأضجروهم. ومقته : أبغضه وكرهه أشد الكراهية. « أحمد يوسف نجاشي »

بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ وَتَعْذِيرِ أُمُورِهِمْ . وَلَا تُرِلْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَآخُو الْعِزِّ يَلِينُ
وَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
وَلَا قَوْلَ آخَرَ :

تِهِ وَأَرْتَفِعَ إِنْ قِيلَ أَذَى وَأُنْخَفِضَ إِنْ قِيلَ أَثَرِي
كَالْفَضْلِ يَسْأَلُ مَا أَكْتَسَى قَمَرًا ، وَيَعْلُو مَا تَعَرَّى^(١)
وَلَا قَوْلَ الْآخَرِ :

أَخِيرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ
وَأَعْتَقِدُ فِي النَّاسِ مَا قَالَهُ الْقَائِلُ :
وَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ
وَمَنْ يَنْوِ لَا يَمْدَمُ عَلَى الْغَى لَا نِيَامَا
وَقَرِيبُ مِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْهُبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَةَ
وَكَُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَتْ تَقُومُ وَرَجْلَاكَ فِي عَافِيَةٍ

(١) وبما يقرب من المعنى المراد قول بعض الأجواد :

وَتَحْفَظُ بِمَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُ الْآخِرِ (١) :
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّتِهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا
فَإِذَا اقْتَنَمْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ
وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّهَا لَدَى أَلْبِّ الْحَكِيمِ (٢) وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْفَطْنُ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ ،

وَأَنَّى لَصَبٍ بِالتَّلَاقِ ، وَأَمَّا يَعُوقِي عَنْ قَصْدِ صَاحِبِ الْعَصْرِ
أَذُوبُ حَيَاءٍ مِنْ زِيَارَةِ صَاحِبٍ إِذَا لَمْ يُسَاعِدْنِي عَلَى بَرِّهِ الْوَفَرِ
وَقَوْلُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَابَكٍ :

إِذَا هُوَ أَتَرَى بَدَا وَاصِلًا وَإِنْ قُلُوبًا فَرَقَهُمْ وَاحْتَجَبَ
كَذَا الْبَدْرِ يَسْفِرُ فِي تَمِّهِ فَإِنْ خَافَ تَقْصُرَ الْحَاقُّ وَاحْتَجَبَ
تُوفَى عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَابَكٍ سَنَةَ ٤١٠ هـ «أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي»
(١) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَقَبْلَهُ :

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مَنَاجِدِ سَائِلٍ
(٢) مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ الْحَكِيمِ :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّهَا لَدَى أَلْبِّ الْحَكِيمِ
دَمٌ لِلْخَلِيلِ يُوَدُّهُ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ
وَهِيَ قَصِيدَةٌ فِي بَابِ الْأَدَبِ مِنْ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ . «أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي»

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ . نَجَزْتَ الْوَصِيَّةُ .
وَيَكْفِيكَ عَنْوَانًا عَلَى طَبَقَتِهِ فِي النَّثْرِ قَوْلُهُ فِي رِسَالَةِ كَتَبَ
بِهَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ
أَبْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ مُهَنَّاتًا لَهُ بِالْخِلَافَةِ حِينَ بُويعَ
بِهَا بِمُرَاكَشَ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ بِأَشْبِيلَةَ ، وَكَانَ قَبْلَ
ذَلِكَ كَاتِبًا لَهُ وَمُخْتَصًّا بِهِ : الْحَضْرَةُ الْعَلِيَّةُ ، السَّامِيَّةُ السَّيِّدَةُ
الطَّاهِرَةُ الْقُدْسِيَّةُ : حَضْرَةُ الْإِمَامَةِ ، وَجَنَّةُ دَارِ الْإِقَامَةِ ،
مَدَّ اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ظِلَالَهَا ، وَأَنْتَى فِي سَمَاءِ السَّعَادَةِ تَمَامَهَا
وَكَمَالَهَا ، وَهَنَّا الْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِقْبَالِ إِمَارَتِهَا ، وَأَدَامَ لَهُمْ
بَرَكَتَةَ خِلَافَتِهَا ، عَبْدًا بِأَيْدِيهَا ، وَخَدِيمًا نَادِيهَا ، الْمُتَوَسِّلُ بِقَدِيمِ
الْخِدْمَةِ ، الْمُتَوَسِّلُ بِعِيَمِ النُّعْمَةِ ، وَكَرِيمِ الْحُرْمَةِ ، الْمُنْشِدُ
بِلِسَانِ الْمَسْرَةِ ، حِينَ أَطْلَعَ الزَّمَانُ هَذِهِ الْفُرَّةَ :
أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرُّرُ أَذْيَالَهَا ^(١)
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، لَا زَالَ هَذَا الْأَمْرُ
الْعَلِيُّ مُحَمَّدٌ دَاسِعِيدًا ، وَلَا بَرَحَ يَسْتَزِيدُ تَرْقِيًّا وَصُعودًا :

(١) البيت لأبي العنابية من قصيدته المشهورة في تهنئة المهدي بالخلافة ، وبعد البيتين :
ولولم تطعه بنات القلوب لا قبل الله أعمالها

يَا نِعْمَةَ اللَّهِ زَيْدِي إِنَّ كَانَ فِيكَ مَزِيدُ
 سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، يَخْصُ حَضْرَةَ الْإِجْلَالِ وَالْتَعْظِيمِ،
 وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّفْخِيمِ، وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ. «وَبَعْدَ» حَمْدُ اللَّهِ
 الَّذِي بَلَغَ الْإِسْلَامَ بِهَذِهِ اخِلَافَةِ آمَالِهِ، وَحَلَّى بِهَذِهِ الْوِلَايَةِ
 السَّعِيدَةِ أَخْوَالَهُ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ
 الْكَرِيمِ الَّذِي أَدْحَضَ^(١) اللَّهُ تَعَالَى بِبُيُوتِهِ الْكُفْرَ وَصَلَاةَ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ سَمِعُوا أَقْوَالَهُ، وَأَمْتَشَلُوا
 أَفْعَالَهُ، وَالرُّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الَّذِي أَفَاءَ^(٢)
 اللَّهُ بِهِ عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ ظِلَالَهُ، وَأَذْهَبَ عَنْهُ طَوَاغِيَتَهُ^(٣)
 وَصَلَاةَ، وَالِدُعَاءَ لِلْمَقَامِ الْعَالِيِّ الْكَرِيمِ، بِالسَّعْدِ الْمُتَوَالِي
 وَالنَّصْرِ الْجَلِيمِ، وَكَتَبَ الْعَبْدُ وَقَدْ مَلَأَتْ هَذِهِ الْبُشْرَى
 بِالسَّرَّةِ أَفْقَهُ، وَوَسَّعَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا طُرْقَهُ :
 فَهَذِهِ رُبَّةٌ مَا زِلْتُ أَرْقُبُهَا فَالْيَوْمَ أَبْسُطُ أَمَالِي وَأُخْتَكِمُ
 وَلَا أَقْنَعُ مَنِيَّ إِنْ أَقْتَصَرْتُ عَلَى السَّمَاءِ دَارًا، وَالْهَلَالِ

(١) أزال وأبطل (٢) مدون وشرو بسط (٣) جمع طاغوت: الضلال، والكاهن
 والساحر، أو الشيطان وكل ماعبد من دون الله تعالى، «أحمد يوسف نجاشي»

لِلْبَشِيرِ سَوَارًا ، وَالشُّجُومِ عِقْدًا ، وَالصَّبَاحِ بَنْدًا ^(١) حَتَّى اسْرَ
كُلُّ أَحَدٍ بِشَكْلِهِ ، وَأَقَابِلَ كُلِّ شَخْصٍ بِمِثْلِهِ :
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ

فَإِنِّي لَمْ أَخْدُكُمْ إِلَّا لِأَخْدَمَا ^(٢)

وَمَا بَعْدَ اخِلَافَةِ رُبْنَةٍ ، وَدُونِ بَيْيرٍ ^(٣) تَنْحَطُّ كُلُّ هَضْبَةٍ .
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَهَيْئَتَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَيْثُ نَظَرَ
لَهُمْ نَظَرُ رَحْمَةٍ ، فَأَسْبَلَ عَلَيْهِمْ سِتْرَ هَذِهِ النُّعْمَةِ :
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِعْصَمٌ

مَا كَانَ يَتْرُكُهُ بَيْيرٍ سَوَارٍ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ، وَإِلَى مَنْ يُشِيرُ بِآيَاتِهِ
فَلِلَّهِ صَبَاحُ ذَلِكَ الْيَوْمِ السَّعِيدِ وَلَيْلَتُهُ ، لَقَدْ سَفَرَ عَنْ وَجْهِ
مِنَ الْبُشْرَى أَضَاءَتِ الْأَفَاقَ شَرْقًا وَغَرْبًا غُرَّتُهُ ، وَلَقَدْ

(١) البند : العلم الكبير (٢) هذا مثل قول محمد بن عبد الملك الزيات وقد
مدح الحسن بن سهل في وزرائه للأموّن فأعطاه مالا جزيلا :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه لكن لتلبسني التجميل والغررا

ما كان ذلك الا أنني رجل لا أقرب الورد حتى أعرف الصدرا

وغرضه من التجميل والفرّة الاشادة به والرفع من قدره ، وقد نال ذلك .

« أحمد يوسف نجاشي » (٣) ثير : جبل ، وهو من أعظم جبال مكة بينها

وبين عرفة . « أحمد يوسف نجاشي »

اجْتَمَعَتْ آرَاءُ السَّدَادِ ، حَتَّى أَتَتْ الْإِسْلَامَ بِالْمُرَادِ ، فَأَخَذَ
 الْقَوْمُ بَارِيهَا ^(١) ، وَحَلَّ بِالْدَّارِ بَانِيهَا ، هَنِئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ
 لُطْفًا ^(٢) وَخَيْرًا ، وَلَا بَرَحَتْ الْمَسَرَّاتُ تَسِيرُ إِلَيْكَ سِيرًا ،
 وَهَلْ يَصْلُحُ النُّورُ إِلَّا لِلْمُقَلِّ ، وَهَلْ يَلِيقُ بِالْحُسْنِ إِلَّا
 الْحُلُّ ، فَلَا تَنْ مَهَّدَ اللَّهُ الْبَرَّيْنِ ، وَأَفَاضَ الْعَدْلَ عَلَى الْمُدَوَّنَيْنِ ،
 وَقَدَّمَ لِلنَّظَرِ مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْ حِفْظِهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَخْتَصُّ
 بِحِفْظِهِ إِنْسَانٌ دُونَ إِنْسَانٍ ، خَلِيفَةٌ لَهُ النَّفْسُ الْعُمَرِيَّةُ ،
 وَالْآرَاءُ الْعُمَرِيَّةُ ^(٣) ، وَالْفَرَاسَةُ الْإِيَّاسِيَّةُ ^(٤) وَلَا يَنْبُتُكَ
 مِثْلُ خَيْرٍ ، فَلَقَدْ شَاهَدَ الْعَبْدُ مَا لَا يَحْضُرُهُ تَقْسِيرٌ ، وَلَعَمْرِي
 قَدْ صَارَ الصَّبَاحُ فِي إِشْرَاقِ النَّهَارِ ، وَلَمْ يَخَفْ عَنَّا مَا زَادَ الدُّنْيَا
 مِنَ الْبَهَجَاتِ وَالْمَسَارِّ ، وَشَمِلَتْ النَّاسَ هَذِهِ الْبَشَائِرُ ، وَعَمَّتْ

(١) مثل يضرب لمن ولى أمرا من الأمور وكان أهلا له (٢) من قوله :

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت ثارك يا بلال

(٣) العمريّة : نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والعمريّة : نسبة
 إلى عمرو بن العاص (٤) يريد القاضي إياس بن معاوية بن قرة بن إياس
 ابن هلال الزنبي ، اللسن البليغ والألمى للصيب ، والمعدود مثلا في الذكاء
 وصدق الفراسة والظن ، وإياه عنى أبو تمام بقوله :

أقدام عمرو في سباحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

والحريري بقوله في المقامة السابقة :

كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَأَصَاخُوا^(١) لِتَالِيهَا إِصَاخَةَ الْمُجْدِينَ
لِمُرْتَادِهِمْ ، وَأَهْطَمُوا^(٢) لَهَا مُهْلِلِينَ وَمُكَبِّرِينَ إِهْطَاعَ النَّاسِ
لِأَعْيَادِهِمْ . وَأَمَّا الْعَبْدُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ ، حَتَّى خَافَ أَنْ يَغْلِبَ
الشُّرُورُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَحْظِهِ « وَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ^(٣) »
وَهَذِهِ نِعْمَةٌ يَقْصُرُ عَنْهَا التَّنْزُّ وَالنَّظْمُ ، وَيَحْسُدُ عَلَيْهَا الْهَلَالُ
وَالنَّجْمُ ، بَلْ يُسَلِّمَانِ لِمَا أَسْتَحَقَّتْهُ مِنَ الْمَرَائِبِ ، وَيَخْضَعَانِ إِلَيْهَا
خُضُوعَ الْمُفْتَرَضِ الْوَاجِبِ ، أَقَرَّ اللَّهُ بِهَا عُيُونَ الْمُسْلِمِينَ ،
وَأَفْضَ سُحُبَهَا عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَحَفِظَهَا بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ ،
وَوَقَفَ عَلَى خِدْمَتِهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ . وَلَمَّا قَدِمَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ
عَلَى ثُوْنَسَ مَدَحَ سُلْطَانَهَا أَبَا زَكْرِيَّا بِقَوْلِهِ :

فَإِذَا أَلْعَيْتَهُ أَلْعِيَةُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَفَرَّاسَتُهُ فَرَّاسَةُ إِيَّاسٍ . وَتَوَفَّى إِيَّاسُ
سَنَةَ ١٢٢ . « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » (١) اسْتَمَعُوا وَأَصْغَوْا ، وَلِلرَّتَادِ
هُوَ مَنْ يَطْلُبُ الْمَاءَ أَوْ الْكَلَاءَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَإِذَا ارْتَادَ لِقَوْمِهِ وَعَادَ إِلَيْهِمْ
لِيُخْبِرَهُمْ فَاتَهُمْ يَسْتَمْعُونَ لَهُ عَنْ شَفَفِ وَاهْتِمَامٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ « أَنْ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ
أَهْلَهُ » « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاتِي » (٢) أَسْرَعُوا مَقْبِلِينَ - قَالَ تَعَالَى : « مَهْطِعِينَ
إِلَى الدَّاعِي » الْآيَةُ (٣) عَجَزَ بَيْتٌ لِأَبِي الطَّيِّبِ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ ،
وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ خِيْمَةً وَهُوَ بِمَدِينَةِ مَيَا فَارْقِينَ ، وَأَشَاعَ النَّاسُ أَنَّ مَقَامَتَهُ يَتَصَلُّ بِهَا
فَهَبَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ قَلَعَتِ الْخِيْمَةَ وَرَمَتْ بِهَا ، فَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَبْنَعُ فِي الْخِيْمَةِ الْعَذْلُ ! وَتَشْمَلُ مِنْ دَهْرٍ هَا يَشْمَلُ !

وَتَعْلُو الَّذِي زَحَلَ تَحْتَهُ ! عَمَالٌ لِعَمْرٍ مَا تَسْأَلُ

بُشِّرِي وَيُسْرَى قَدْ أَنْارَ الْمُظْلِمُ
 نَجْمًا، وَقَدْ وَضَحَ الصَّبَاحُ الْمَعْلَمُ^(١)
 وَرَنْتُ عُيُونُ الْأَمْنِ وَهِيَ قَرِيرَةٌ
 وَبَدَتْ نُفُورُ السَّعْدِ وَهِيَ تَبَسُّمُ
 فَارْحَلْ إِتْوَانُسَ، وَأَعْتَقِدْ أَغْلَامَ مَنْ
 قَوَى الضَّعِيفُ بِهِ، وَأَثَرَى الْمُعْدِمُ
 حَيْثُ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي وَالنَّدَى
 وَالْفَضْلُ وَالْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ هُمْ^(٢)

الى أن قال :

رأت لون نورك في لونها كلون الغزاة لا يغسل
 وإن لها شرفا باذخا وإن الحيام بها تحجل
 فلا تتكرن لها صرعة فمن فرح النفس ما يقتل
 ولو بلغ الناس ما بلغت لحاتم حولك الأرجل

وهي طويلة حسن موقعها من سيف الدولة وسر بها وسرى عنه .
 « أحمد يوسف نجاشي » (١) الصباح العلم : للشرق المضي الذي طرزت
 حواشي الأفق فيه بالنور (٢) هذا من قول أبي الطمحان القيني « حنظلة
 ابن الشرق من القين بن جسر بن شيع الله من قضاة، وهو شاعر مخضرم
 لصخيث » من كلمة يمدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي،
 وكان أسيرا في يده فأطلقه :

لذا قيل: أي الناس خير قبيلة وأصبر يومالاتواري كواكبه؟
 فان بني لأم بن عمرو أرومة علت فوق صعب لاتتال مراقبه

أَجْرُوا إِلَى النِّكَاتِ مِنْ عَنَانِهِمْ
 سَبَقًا، وَبَذَهُمُ الْجَوَادُ الْمُنْعِمُ (١)
 سَادَ الْإِمَامُ الْمَلِكُ يَحْيَى سَادَةً
 أَعْطَى الْوَرَى لَهُمُ الْقِيَادَ وَسَلَّمُوا
 إِنَّ الْإِمَارَةَ مُذْ غَدَا يَفْتَادُهَا
 يَقْطَى، وَأَجْفَانُ الْحَوَادِثِ نُومُ
 لِلَّهِ مِنْكَ مُبَارَكُ دُو فِطْنَةٍ
 بَرَّغَتْ، فَأَحْجَمَ عِنْدَهَا مَنْ يُقْدِمُ

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قلم صاحبه
 نجوم ساء ، كلما غار كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
 أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
 وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت ركاكبه
 لهم مجلس لا يحصرون عن الندى إذا مطلب العروف أجذب راكبه
 قوله لإتوارى كواكبه: مثل قولهم: لأرينك النجوم ظهرا، كناية عن اشتداد
 الخطب حتى يسد غبار الأفق عنان السماء. والأرومة: الأصل، والمراقب جمع
 مرقبة: وهى الموضع المشرف من جبل أو راية يرتفع عليه الرقيب ينتظر العدو
 من بعده، والبيت تمثيل لعاشقهم ، وعدم دنو غيرهم من مثل مجدهم وعزتهم.
 والجزع: الحزب اليائس فيه بياض وسواد، تشبه به العيون، وفى البيت مبالغة
 حسنة مقبولة، أبرز بها القول فى معرض المحسوس ، وحصر « كسرح » :
 بخل . « أحمد يوسف نجاشى » (١) بذه : فاقه وعلاه وغلبه، جعل بنى
 حصص كالجياذ فى حلبة السباق، وجعل الملك الممدوح المجلى فى تلك الحلبة
 وتلاه سائر أسرته بعده ، ثم يأتى سائر الناس عقبهم « أحمد يوسف نجاشى »

يَقْظَانُ، لَا وَإِنْ وَلَا مُتَقَاعِسُ
 كَالَّذِ هَرِ يَنْبِي مَا يَشَاءُ وَيَهْدُمُ^(١)
 إِنْ صَالَ فَالَلَيْتُ الْهَصُورُ الْمُقْدُمُ
 أَوْ سَالَ فَالَلَيْتُ الْمُعِينُ الْمُنْجِمُ^(٢)
 أَعْلَى مَنَارِ الْحَقِّ حِينَ أَمَالَهُ قَوْمٌ تَبَرَّاتِ الْمَنَابِرُ مِنْهُمْ
 أَعْلَى الْإِلَهِ مَكَانَهُ وَزَمَانَهُ وَالنَّصْرُ يُقَدِّمُ، وَالسَّعَادَةُ تُخَدِّمُ
 وَقَالَ يُخَاطَبُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ مَأْمُونُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ^(٣)
 حِينَ أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِنَفْسِهِ بِأَشْجِيلِيَّةَ وَكَانَ الْمَذْكُورُ بِمِرَاكِشَ -
 وَلِئِنْ سَعِيدٍ بِهِذَا الْمَلِكِ اخْتِصَاصٌ قَدِيمٌ:

(١) تقاعس عن الأمر: إذا تأخر ولم يقدم فيه، ووفى في الأمرين: إذا ضعف
 وقت وكل وأعيا (٢) هصر الشيء: كسره، والحصور: الأسد الشديد لأنه
 يهصر الفريسة أي يكسرها ويعلها إليه، وأنجم المطر: إذا كثر ودام (٣) هو
 المأمون أبو العلاء أدریس بن یعقوب بن النصور بن يوسف بن عبد المؤمن
 ابن علي، كان في عهد أخيه واليا على الأندلس، وبلغه انتقاض للوحدين والعرب
 بمراكش على أخيه أبي محمد العادل بن للنصور، وعرف ما هو فيه من الاضطراب
 فدخل لنفسه بأشجيلة، فبوع بها، وأجابه أكثر أهل الأندلس، وتلقب بالمأمون
 وكان ذلك في أوائل شوال سنة ٦٢٤ وبايعه اللوحدون بالحضرة، ثم ندعوا
 لما يعلمون من شهامته وقوة عزيمته وشدة بأسه، فاتفق رأيهم على مبايعة يحيى
 ابن الناصر بن النصور - وهو شاب غر كما بقل عذارم - وتأخر قنوم المأمون
 إلى مراكش، وبقي بالأندلس لأسباب اقتضت ذلك، وحصل بمراكش خلاف

الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ مَوْجُودَانِ وَالنَّظَرُ
وَالْيَمْنُ وَالسَّعْدُ مَضْمُونَانِ وَالظَّفَرُ
وَالنُّورُ فَاضٍ عَلَى أَرْجَاءِ أُنْدَلُسٍ
وَالزُّورُ لَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَا أَمْرُ
حُثُّ الرُّكَّابِ إِلَى هَذَا الْجَنَابِ، فَقَدْ
صَلُّوا، فَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ
وَأَغْزَمَ كَمَا عَزَمَ الْمَأْمُونُ إِذْ نَشَرَتْ
أَرْضُ الْعِرَاقِ، فَزَالَ الْبُؤْسُ وَالضَّرَرُ^(١)

حق انتقضت الأحوال على يحيى بن الناصر ، ثم رحل المأمون عن الأندلس إلى مرا كش ، فبايع أهل الأندلس لابن هود محمد بن يوسف بن هود في سنة ٦٢٥ ولم يبق للموحدين سلطان بالأندلس ، وبعث المأمون إلى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ، فاشتراط عليه شروطا قاسية مزرية أجابه المأمون اليها ، وخرج يحيى بن الناصر فلما بنفسه في جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ وتمت البيعة للمأمون بعد ثورات وحوادث ، ولكن لم يصف له الملك ، فقد تابعت عليه فتوق عجز عن رتقها ، وتوالت عليه ، فمات أسفا وحسرة في آخر يوم من سنة ٦٢٩ وكانت أيامه أيام شقاء وعناء وخلاف ومنازعة ، وكان المأمون بليغا خطيبا ، فصيح اللسان ، أدبيا علامة قصيا ، حافظا للحديث ، ضابطا للرواية عارفا بالقراءات حسن الصوت والتلاوة ، مقدما في علوم اللغة وآدابها وأيام الناس ، كاتبها عبيدا شهما حازما ، مقدما على عظام الأمور رحمه الله تعالى .

« أحمد يوسف نجاتي » .

(١) يشير إلى الخليفة المأمون العباسي ، وكيف بايع أهل العراق في غيبته

وَلَمَّا قَدِمَ الْعَادِلُ الْقَائِمُ بِمَرْسِيَةِ^(١) الْمُتَوَلَّى عَلَى مَمْلَكَةِ
الْبَرْزَنْ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ كَانَ فِي مُجَلَّةٍ مِنْ خَرَجِ لِقَائِهِ ، وَرَفَعَ لَهُ
قَصِيدَةً مِنْهَا :

قبل قدومه الى بغداد عمه أبا اسحق ابراهيم بن المهدي في أول سنة ٢٠٢
فلما توجه المأمون من خراسان الى بغداد خاف ابراهيم بن المهدي على نفسه
فاستخفى في أواخر سنة ٢٠٣ ودخل المأمون بغداد في صفر سنة ٢٠٤ وصفا
أمر الخلافة له ، فجاءت المأمونين كما ترى متشابهتان « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) هو أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور ، وكان أمير المؤمنين
أبو يعقوب يوسف المنتصر بالله بن الناصر بن يعقوب المنصور لما يبيع له
بعد وفاة أبيه الناصر في شعبان سنة ٦١٠ عقد لعمه أبي محمد عبد الله بن
المنصور على مرسية ودانية وأعمالها ، وتوفى يوسف المنتصر آخر سنة ٦٢٠
فبيع للسيد أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أخى
يعقوب المنصور - وهو في سن الشيخوخة - وكان عالما فاضلا متورعا
فاستقام بالأمر نحو شهرين ، وخطب له في جميع أعمال الموحدين ماعدا
مرسية ، فان ابن أخيه السيد أبا محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعادل
كان واليا عليها ، فاستدعى من بها وبأعمالها من الموحدين والفقهاء والأشياخ
فدعاهم الى بيعته ، فبايعوه ، ولقب العادل ، وكان اخوته أبو العلاء الأصغر صاحب
قرطبة ، وأبو الحسن صاحب غرناطة ، وأبو موسى صاحب مالقة ، فبايعوه
سرا ، وخرج العادل من مرسية الى اشبيلية ، وكتب الى أشياخ الموحدين
بمراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ، ووعدهم على ذلك الأموال
الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجليلة ، فسارعوا الى ذلك ، وهددوا عبد
الواحد بالقتل ان لم يخلع نفسه ويبايع العادل ، فأجابهم الى ذلك في أواخر
شعبان من سنة ٦٢١ ثم قتلوه وانهبوا قصره ، وخلص الأمر للعادل ، وبايعه
الموحدون كافة ، ولكنه لم يلبث أن التفت عليه الأمور ، واضطربت الأحوال

لِقَائِهِ بِهِ ^(١) لِلْبِرِّ وَالشُّكْرِ جَمْعُ
إِلَى يَوْمِهِ كُنَّا نَحْبُ وَنُضِغُ
لَقَدْ يَسَّرَ الرَّحْمَنُ صَعْبَ مَرَامِهِ
فَأَبْصَرْتُ أَضْعَافَ الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ
وَلَهُ :

يَأْمُنِعُنِي قَدْ جَاءَنِي بَرُّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُجْرِيَ لَهُ ذِكْرًا
إِنَّ أَحَبَّ الْخَيْرِ مَا جَاءَنِي عَفْوًا، وَلَمْ أَعْمِلْ بِهِ فِكْرًا
وَلَهُ فِي غَلَامٍ وَاعِظٍ وَهُوَ مِنْ حَسَنَاتِهِ:
وَسَادِنِ ظَلٍّ لِلْوَدِّ ظِ تَالِيًا يَتَنَ جَمْعُ
مَتَّعْتُ طَرَفِي بِمَرَّآ هُ فِي خَفَارَةٍ ^(٢) سَمِعِي
وَلَهُ مِنْ أَيْكَاتٍ :

وكثر الثمن والثورات، فلما انتهى ذلك الى أخيه أبي العلاء المأمون صاحب
الأندلس دعا لنفسه باشيلية كما تقدم . « أحمد يوسف نجاتي » (١) في الأصل
« القائمة » بدل « لقاء به » وهو تصحيف مشوه موهم . والجب والايضاع:
نوعان من السير السريع . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) خفزه يخفزه :
أجاره وأمنه، وكان له خفيرا يمتعه، والاسم منه الحفرة، والخفارة - مثله يريد
أنه نزه طرفه في عاسن وجه الواعظ تحت ستار من سماع وعظة .
وتشنيف أذنيه من ثنات حديثه « أحمد يوسف نجاتي » .

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ اللَّيَالِي تَغَيَّرَتْ
وَلَكِنَّهَا مَا غَيَّرَتْ مِنِّي الْمَهْدَا
وَمِنْ الْفَضْلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمْ وَأَخَذَ عَنْهُمْ الْحَافِظُ
أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْجَدِّ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ زُهْرٍ^(١) وَغَيْرُهُمَا، وَحَضَرَ
حِصَارَ طُلَيْطَلَةَ مَعَ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَكَتَبَ
لِمَلِكِ الْبَرْقِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْوَاحِدِ، وَكَتَبَ ابْنُ مَأْمُونٍ
بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَكَتَبَ أَخِيًّا عَنْ مَلِكِ بِحَايَةِ وَالْغَرْبِ
الْأَوْسَطِ الْأَمِيرِ أَبِي يَحْيَى ابْنَ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةَ رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ

« رَجَعْتُ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ » قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَجَعَ إِلَى ابْنِ سَعِيدٍ
حَضَرْتُ لَيْلَةَ أَنْسٍ مَعَ كَاتِبِ مَلِكِ إِفْرِيقِيَّةِ أَبِي الْعَبَّاسِ
أَحْمَدَ الْمَسَانِي، فَاحْتَاجَتِ الشَّمْعَةُ أَنْ تُقَطَّ، فَتَنَاوَلَ قَطْعَهَا غُلَامٌ
يُدْنَانِيهِ، فَقُلْتُ :

(١) تقدم التعريف بأبي بكر بن الجد وأبي بكر بن زهر، وقد نشأت بينهما عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية، فكلامهما من أشبيلية، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد القهري الأشبيلي توفي سنة ٥٨٦، وأبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي الأشبيلي توفي براكش في أواخر سنة ٥٩٥ : « أحمد يوسف نجاشي » (٢) في الأصل « منصور بن عبد المؤمن » وهو تصحيف فاسد . « أحمد يوسف نجاشي »

وَرَخَصَ الْبَنَانِ تَصَدَّى لِأَنَّ يَقُطَّ السَّرَاجَ بِمِثْلِ أَنْعَمَ^(١)
فَقَالَ :

وَلَمْ يَهَبِ النَّارَ فِي لَمْسِهِ
وَلَا اخْتِاجَ فِي قَطْعِهِ لِلْجَلَمِ^(٢)
فَقُلْتُ :

وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِسُكْنَاهُ فِي
فُؤَادِي عَلَى مَا حَوَى مِنْ ضَرَمٍ^(٣)
فَقَالَ :

تَعَوَّدَ حَرٌّ لَهَيْبٍ بِهِ فَلَيْسَ بِهِ مِنْ أَوَارٍ أَلَمْ^(٤)

(١) الرخص: الناعم الطرى اللين ، وأصابع رخصة: غير كزة، وقد رخص « ككرم » رخصة ورخصة ، اذا وصفت به المرأة فرخصتها نعمة بشرتها ورقها ونعومة جسمها، ورخصة أناملها: لينها، وان وصف به النبات فرخصته هشاشته، والعم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب، وأغصانه رطبة لينة ، قال النابغة :

بمخضب رخص كأن بنانه غنم على الأغصان لما يعقد
والجلم: اللقطن، قال سالم بن وابصة الأسدي :

داويت صدرا طويلا غمره حقبنا منه ، وقلت أظفارا بلا جلم
وجلم الشيء: قطعه، والغمر: الجسد والحقد والعداوة . « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) الضرم: شدة الحرارة ، وضربت النار: اشتعلت ، وأضرمتها وضرمها واستضرمتها: أوقدها فاضطرمت. وتضرمت: ألتهمت ، والأوار: حر النار
ووهجها ، وشدة حر الشمس . « أحمد يوسف نجاشي » .

وَأَشَدَّ فِي الْمُغْرِبِ لِلْغَسَّانِي أَلْمَذْكُورِ فِي خُسُوفِ
 الْقَمَرِ بِمَا قَالَهُ أُرْتِجَالًا :
 كَانَ الْبَدْرَ لَمَّا أَنْ عَلَاهُ خُسُوفٌ لَمْ يَكُنْ يَمْتَدُّ غَيْرَهُ
 سَجَنَجَلٌ غَادَةً قَلْبَتُهُ لَمَّا أَرَاهَا شَبِيهَا حَسَدًا وَغَيْرَهُ ^(١)
 وَخَاطَبَهُ أَلْمَذْكُورُ بِرِسَالَةٍ يَقُولُ فِي آخِرِهَا : وَعِنْدَ
 حَامِلِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ سَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى كُنْهُ ^(٢) خَبْرِي ، وَأَسْتَيْعَابُ
 مَا قَصَّرَ عَنْهُ قَلْبِي ، فَضَاقَتْ بِحِمْلِهِ أُسْطُرِي ، لَتَعْلَمَ مَا أَجِدُهُ
 وَأَقْفِدُهُ مِنْ تَشَوُّقِي وَتَصَبُّرِي ، وَأَيُّ لَا أَزَالُ أَتَشِدُّ حَيْثُ
 تَذَكَّرِي وَتَفَكَّرِي :
 يَا نَائِيًا قَدْ نَأَى عَنِّي بِمُصْطَبَرِي
 وَتَلَاوِيًا فِي سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ

(١) السجَنَجَل : المرأة « وهو لفظ معرب » قال امرؤ القيس :
 مَهْفُفَةٌ بِيضَاءَ غَيْرِ مَفَاضَةٍ تَرَاهَا مَصْقُولَةً كَالسَجَنَجَلِ
 والتشبيه في بيت الغساني جيد ، والخيال فيه حسن ، والتعليل بديع لولا ثقل
 كلمة سَجَنَجَل . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) كنه الشيء : حقيقته وقدره
 وغايته ونهايته . ويطلق على وقت الشيء وجهه ، ومنه قول الشاعر :
 وَإِنْ كَلَامُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَائِلٌ يَهْوِي لَيْسَ فِيهِ نَصَالُهَا
 ولم يشتقوا منه فعلا ، وقولهم : لا يكتنه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه . كلامهم ولد
 وإن صححه بعضهم . « أحمد يوسف نجاتي »

إِذَا تَنَاسَيْتَ عَهْدًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ
فَإِذْ كَرُّهُمُودِي، فَمَا أُخْلِيكَ مِنْ فِكْرِي^(١)
وَأَرُدُّ عَلَى تَحِيَّاتِي بِأَحْسَنِهَا تَرُدُّ عَلَى حَيَاتِي آخِرَ الْعُمُرِ
وَلَتُنْسِكَ الْعَيْنَانِ عَنِ الْجُرْيِ فِي مَيْدَانِ أَخْبَارِ ابْنِ سَعِيدٍ
فَإِنَّهَا لَا يُشَقُّ غُبَارُهَا^(٢)؛ وَمِنْهَا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: سَمِعْتُ
كَثِيرًا مِنَ السَّمَاعِ الْمَشْرِقِيِّ، فَلَمْ يَهْزِنِي مِثْلُ قَوْلِ الشَّرِيفِ
السَّمْسِيِّ الْمَكِّيِّ:

مُقَلَّ بِالْذَّمِّ عَزَقِي وَفُؤَادُ طَارَ خَفَقَا
وَتَجَنَّبَ وَتَنَنَ شَقَّ جَنِبَ الصَّبْرِ شَقَا
يَا ثِقَاتِي خَبَرُونِي عَنْ حَدِيثِ الْيَوْمِ^(٣) حَقًّا
أَكْذَا كُلُّ مُحِبِّ فَارَقَ الْأَحْبَابَ يَشْقَى؟
لَا وَعَيْشٍ قَدْ تَقَفَّى وَغَرَامٍ قَدْ تَبَقَّى

- (١) هذا من قول حسان بن ثابت في أبي بكر رضي الله عنهما:
- إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية ألقاها وأفضلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
وسمع هذا الشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فراقه ولم ينكره.
- « أحمد يوسف نجاني » (٢) أى لا تجارى ولا تبلغ مداها ولا يوصل الى غايتها
(٣) قد تكون « النوم » يعنى أنه نسيه ويطلب من ثقاته الحديث عنه.

وَنَعِيمٍ فِي ذَرَاكُمُ قَدْ صَفَا دَهْرًا وَرَقَا
وَنَسِيمٍ مِنْ حِمَاكُمُ حَمَلَ الْوَجْدَ فَرَقَا
بِرِسَالَاتِ صَبَابَا تِ عَلَى الْمُشْتَاكِ تُلْقَى
وَعُصُوبِ نَاعِمَاتِ عِيَاهِ الدَّنِّ^(١) تُسْقَى
وَوُجُوهِ فِضْنِ^(٢) حُسْنَا قَمْلَانَ الْأَرْضَ عِشْقَا
لَوْ رَضِيتُمْ بِي عَبْدَا مَا رَضِيتُ الدَّهْرَ عِثْقَا^(٣)
وَقَالَ: مَا سَمِعْتُ وَلَا وَقَفْتُ عَلَى شَيْءٍ أَبْدَعَ مِنْ قَوْلِ
الْجَزَارِ وَقَدْ تَرَدَّدَ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ بْنِ يَغْمُورَ^(٤) رَئِيسِ الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ، فَلَمْ يَقْدِرْ لَهُ الْاجْتِمَاعُ بِهِ -
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ لَكَ الْعِزَّ زَ، وَيُثَبِّتَ مَا أَرَدْتَ الْبَقَاءَ

(١) مياه الدن: كناية عن الراح (٢) في الأصل « قفن » ولكن « فزن »
أنسب بعجز البيت وبكلمة « ملآن » « أحمد يوسف نجاتي » (٣) هذا
البيت هو جواب القسم الذي بدأه قبله بسبعة أبيات من أول قوله : لا وعيش
قد تقضى ، ومثل هذا القسم يعد من المحسنات البديعية؛ وهو أن يقصد الشاعر
الحلف فيقسم بما يراه أعظم الأقسام عنده وأحسنها لديه، ومنه في الغزل قول
ابن المعتز :

لا والله سل من جفنيه سيف ردى قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتي دمعا، ولا وصلت غمضا، ولا سالمت قلبي بلابله
وقد يكون القسم بما يفيد مدحا للشاعر وهجوا لغيره وغير ذلك .
« أحمد يوسف نجاتي » (٤) تقدم التعريف بالجزار، وهو أبو الحسين يحيى

كُلَّ يَوْمٍ أَرْجُو النَّعِيمَ بِلِقَائِكَ ، فَأَلْقَى بِالْبُعْدِ عَنْكَ شَقَاءَ
عِلْمِ الدَّهْرِ أَنَّنِي أَشْكِيهِ لَكَ إِذْ نَلْتَقِي ، فَعَاقَ الْلِقَاءَ
فَبَعَثَ لَهُ بِمَا أَصْلَحَ حَالَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَكَتَبَ فِي
حَقِّهِ إِلَى وُلَاةِ الصَّعِيدِ كُتُبًا أَغْنَتْهُ مُدَّةً عَنْ شَكْوَى
الزَّمَانِ . اهـ . وَقَالَ أَيْضًا : وَلَمْ أَسْمَعْ فِي وَضْعِ الشَّيْءِ مَوْضِعَهُ
أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي ^(١) :

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ

وَفِي عُنُقِ الْحُسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي وَضْعِ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهِ أَحْسَنَ مِنْ
قَوْلِ أَبِي الْفَرَجِ :

مَرَّ مَذْحِي ضَائِعًا فِي لُؤْمِهِ

كَضَيَاعِ السَّيْفِ فِي كَفِّ الْجَبَانِ

ابن عبد العظيم المصري التوفي سنة ٦٧٩ وكذا ابن يغمور جمال الدين
موسى بن يغمور الباروقي، وكان من جلة الأمراء، ولي نيابة مصر والشام
وتوفي سنة ٦٩٣ . « أحمد يوسف نجاشي » .

(١) البيت آخر قصيدة يمدح بها الحسين بن علي الهمداني؛ أولها :

لقد حازني وجد بمن حازه بعد فياليتني بعد ! وياليتني وجد
أسر بتجديد الهوى ذكر ماضى وإن كان لا يبقى له الحجر الصلد
... إذا غدرت حسناء أوفت بعهدا ومن عهدا ألا يدوم لها عهد

وَمِنْ تَأْلِيفِ الثَّوْرِ ابْنِ سَعِيدٍ كِتَابُ «عِدَّةُ الْمُسْتَنْجِزِ
وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ» (١) وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ ارْتَحَلَ مِنْ ثُوْنُسَ
إِلَى الْمَشْرِقِ رَحِلَتَهُ الثَّانِيَةَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِثْمَائَةَ،
وَأُورِدَ فِي هَذَا الْكِتَابِ غَرَائِبَ وَبَدَائِعَ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ

وان عشقت كانت أشد صباة
وان حقدت لم يبق في قلبها رضا
كذلك أخلاق النساء، وربما
ولكن جبا خامر القلب في الصبا
سقى ابن على كل وزن سقتكم
الى أن قال :

مدحت أباه قبله، فشقى يدي من الدم من تشفى به الأعين الرمد
وجدت عليا وابنه خير قومه وهم خير قوم، واستوى الحر والعبد
وأصبح شعري الخ، ومعنى البيت قبله أن عليا أبا الممدوح وابنه الحسين
هما خير قومهما، وهم خير قوم في الناس، ثم بعده هؤلاء يستوى الأحرار والعبيد
من الخلق سواهم، فلا يكون لأحد فضل على آخر . «أحمد يوسف نجاشي»
(١) المستوفز: المتعجل. وعقله: منعه عن غرضه، فكان هذا الكتاب لحسنه
يعقل المستعجل عن حاجته، ويؤثر قراءته والتمتع به على الذهاب لغرضه،
وهو من قول ابن الرومي في وصف حسن الحديث :

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل، وان هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز
شرك العقول، ونهزة مامثلها للمطمئن، وعقله المستوفز
وهو من أجود ما قيل في حسن الحديث، بل هو السحر الحلال .
«أحمد يوسف نجاشي» .

لَمَّا دَخَلَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ آكَدٌ مِنَ السُّوَالِ
عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ^(١) فَأُخْبِرَ بِحَالِهِ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ التُّتْرِ
حَتَّى قَتَلُوهُ بَعْدَ الْأَمَانِ. ثُمَّ سَاقَ فِيهِ دُخُولَ هُوَلَا كَوْحَلَبَ ،
فَقَالَ بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ : وَأَرْتَكَبَ فِي أَهْلِ حَلَبَ الطَّطْرُ
وَالْمُرْتَدُونَ وَنَصَارَى الْأَرَمَنِ مَا تَصَمُّ عَنْهُ الْأَسْمَاعُ ، وَكَانَ
فِيهِمْ قَتْلُ بَيْتِكَ الْكَائِنَةِ الْبَدْرُ ابْنُ الْعَدِيمِ ^(٢) الَّذِي صَدَرَ
عَنْهُ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ فِي الشَّعْرِ مِثْلُ قَوْلِهِ :

وَاهَا لِعَقْرَبٍ صُدْغِهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْمَاءِ تَحْيَى
وَلِفُغْلٍ خَطٌّ عِذَارِهِ لَوْ بِتْ أُعْجِمُهُ بِلَشْيِ ^(٣)

(١) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك
الظاهر غازي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي، وهو
صاحب الشام، ولد سنة ٦٢٧ و سلطنوه بعد أبيه سنة ٦٣٤ وكان حليماً
جواداً، موطئاً الأكفاح حسن الأخلاق محباً إلى الرعية، فيه عدل في الجملة
وصفح وقلة جود، وكان للشعراء دولة في أيامه، لأنه كان يقول الشعر ويحيز
عليه، ومجلسه مجلس أدباء وندماء، وقع في قبضة التتار خديعة، وانتهى الأمر
بقتله سنة ٦٥٩ وكان آخر ملوك بني أيوب، وتقدم حديث عنه أوسع
من هذا « أحمد يوسف نجاشي » (٢) تقدم تعريفنا ببني العديم من أعيان
حلب وسادة أدبائها (٣) الهمي : سمرة مستحسنة في الشفتين، والخط الفغل :
المحمل من النقط والشكل. وأعجم الكتاب وعججه : أزال عجمته بالنقط
والعجم : النقط بالسواد « أحمد يوسف نجاشي »

وَأَبْنُ عَمِّهِ الْإِفْخَارُ ابْنُ الْعَدِيمِ الَّذِي وَقَعَ لَهُ مِثْلُ قَوْلِهِ :
وَالْفُضْنُ فِيهِ الْمَاءُ مُطَرِّدٌ وَالْمَاءُ فِيهِ الْفُضْنُ مُنْعَكِسٌ
ثُمَّ قَالَ لَمَّا ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّاصِرِ بَعْدَ اسْتِيلَاءِ الطَّطَرِ عَلَى
بِلَادِهِ حَلَبَ وَالشَّامَ وَمَا يَلِيهِمَا مَا نَصَّهُ : قَالَ مَنْ دَخَلَ عَلَى
الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَقَدْ نَزَلَ بِمِيدَانِ دِمَشْقَ : قَبِلْتُ يَدَهُ ، وَجَعَلْتُ
أَدْعُو لَهُ ، وَأَظْهَرُ تَعَزُّيْتَهُ عَلَى مَا جَرَى مِنْ تِلْكَ الْمَصَائِبِ
الْعَظِيمَةِ ، فَأَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِي : فِيمَ تَتَعَزَّلُ الْيَوْمَ ؟ ثُمَّ
أَنشَدَنِي قَوْلَهُ فِي مَمْلُوكٍ فَقَدَ لَهُ فِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ :

وَاللَّهُ مَا أَبْكِي لِمَلِكٍ مَضَى وَلَا لِحَالٍ ظَاعِنٍ أَوْ مُقِيمٍ^(١)
وَلِنَّمَا أَبْكِي وَكَدَّ حَقِّي - لِفَقْدِ مَنْ كُنْتُ بِهِ فِي لَيْعِمٍ
يَطْلُعُ بَدْرًا ، يَنْشِي بَانَةً يَمُرُّ فِيهَا رُمْتُهُ كَالنَّسِيمِ
فِي خَاطِرِي أَبْصَرُهُ خَاطِرًا

فَالْتَوَى مِثْلَ التَّوَاءِ السَّقِيمِ^(٢)

يَا عَاذِلِي دَعْنِي وَمَا حَلَّ بِي . فَمَا سِوَى اللَّهِ بِحَالِي عَلِيمٌ
إِنْ مِتُّ مِنْ حُزْنٍ لَهُ أَسْتَرْحُ وَإِنْ أَعِشَ عِشْتُ بِهِمْ عَظِيمٌ

(١) في نسخة « لحظ » بدل « لحال » (٢) خاطرا من خطر يخطر اذا
اختال وتبخر ، وفي نسخة « السليم » بدل « السقيم » والسليم : هو اللدينغ

قَالَ ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ نَحْوَهُ هُوَ لَا كُو، فَلَمَّا مَرَّ بِحَلَبٍ وَنَظَرَ
إِلَى مَعَاهِدِهِ عَلَى غَيْرِ مَا يَمُودُ قَالَ :

مَرَزْتُ بِحَرْعَاءِ الْحِمَى فَتَلَقَّتْ

لِحَاظِي إِلَى الدَّارِ الَّتِي رَحَلُوا عَنْهَا

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي أَلْفُ عَيْنٍ وَقُمْتُ فِي

مَعَالِمِهَا مُحْمَرِي لَمَا شَبِعَتْ مِنْهَا

وَصَنَعَ فِي نَمِيهَا أَشْعَارًا يُغْنِي بِهَا الْمُسْمِعُونَ ، ثُمَّ رَحَلَ

إِلَى صَحْرَاءِ يَوْشَنَ^(١) فِي جِهَةِ طَرِيقِ أَرْمِينِيَّةَ ، فَوَجَدَ

هُوَ لَا كُو هُنَاكَ فِي تِلْكَ الْمَرْوَجِ الْمَشْهُورَةِ بِالْخُصْبِ ،

فَأَزَلَّهُ ، وَأَقَامَ يَشْرَبُ مَعَهُ ، إِلَى أَنْ وَصَلَ الْخَبْرُ بِوَقْعَةِ عَيْنِ

جَالُوتَ^(٢) عَلَى الثَّرِ لِمَلِكِ الْمُظْفَرِ قُطُرِ^(٣) صَاحِبِ مِصْرَ

سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَقَتَلُوهُ ، وَخَلَعُوا عَظْمَ كَتِفِهِ ،

وَجَعَلُوهُ فِي أَحَدِ الْأَعْلَامِ عَلَى عَادَتِهِ فِي أَكْتَفِ الْمُلُوكِ .

أَنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

(١) في نسخة «صحراء يوش» (٢) «عين جالوت» بليدة لطيفة بين بيسان وناבלس ،

كانت من أعمال فلسطين ، وكان الروم قد استولوا عليها مدة ، ثم استنقذها منهم الملك

الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٩ (٣) الملك للمظفر سيف الدين

قطز كان أحد ممالك الملك المعز أيك التركاني صاحب مصر ، ثم كان أتابك الملك المنصور على ولد أستاذه المعز أيك - وذلك أنه بعد أن قتل الملك المعظم توران شاه «ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين محمد أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي الأيوبي» سلطان الديار المصرية وآخر ملوك بني أيوب بها، وكان مقتله في أوائل سنة ٦٤٨ هـ كما تقدم اتفقوا على ولاية زوج أبيه الملكة شجرة الدر بنت عبد الله حسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها، وجعلوا المعز أيك التركاني الصالحى أتابكها ، ثم خلعت نفسها بعد ثلاثة أشهر، واستقر زوجها الملك المعز عز الدين أيك « وقيل ان أيك زوجها بعد سلطنته، وكانت مستولية عليه في جميع أحواله، ليس له معها كلام، وكانت سيدة تركية ورئيسة عظيمة في النفوس، ذات جمال فائق وشهامة ورأى وتدبير ودهاء وعقل وإباء، مع قوة نفس وشدة غيرة » ولما بلغها أن زوجها الملك المعز أيك يريد أن يتزوج بانية الملك الرحيم أبي الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله « النورى الأرمى الأتابكى صاحب الموصل توفى سنة ٦٥٧ هـ » ونحلت منه أنه ربما عزم على إبعادها أو القضاء عليها ؛ لأنهم من حجرها عليه واستطاعتها - احتالت هي في القضاء عليه، حتى قتل في شهر ربيع الأول من سنة ٦٥٥ هـ وكان ذا عقل ودين وعفة وكرم وبعد حوات اتفقوا على تملك الملك المنصور على بن الملك المعز أيك، وعمره يومئذ نحو ١٥ سنة، وكان سيف الدين قطز أتابكها «وآل أمر الملكة شجرة الدر الى أن قتلت وألقيت تحت قلعة مصر مسلوبة في ربيع الآخر سنة ٦٥٥ هـ ولم يدر قاتلها» وفي أواخر سنة ٦٥٧ هـ قبض سيف الدين قطز على ولد أستاذه الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيك، وخلعه من السلطنة لما رآه لا يفي شيئا، واستقر قطز في ملك الديار المصرية ، وتلقب بالملك المظفر ، وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام - وهو كمال الدين بن العديم - قد قدم الى مصر في أيام الملك المنصور على بن المعز أيك مستنجدا على التتار واتفق خلع على المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين بن العديم، ففى

هذه السنة سنة ٦٥٧ قدم هولاء الى البلاد التي في شرق الفرات، فاستولوا على الجزيرة وحران، ثم قصدوا التتر مدينة حلب، ففرغ صاحبها الناصر يوسف الى الاستعانة بالملك المظفر قطز صاحب مصر، وفي هذه السنة سنة ٦٥٧ فارق بيبرس البندقداري الشام، وسار الى مصر في جماعة من أصحابه، فأقبل عليه الملك المظفر قطز، وأنزله في دار الوزارة، وأقطعهم قلوب وأعمالها. واستولى التتر على حلب في شهر صفر سنة ٦٥٨ وأعمالوا السيف في أهلها فلما بلغ الملك الناصر بدمشق أخذ حلب رحل من دمشق بما معه من العساكر ومعه الملك المنصور صاحب حماة الى جهة الديار المصرية، وأرسل وهو بجبهة العرش القاضي برهان الدين بن الحضر رسولا الى الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاونة، ورحلت العساكر ومعها الملك المنصور فالتقاهم الملك المظفر بالصالحية، وطيب قلوبهم « وكان التتر قد استولوا على دمشق وعلى سائر البلاد الى غزة » أما الملك الناصر يوسف فقد خدعه بعض أتباعه وغره، وزين له الذهاب الى هولاء، فأقبل عليه هولاء كوعده ووعده برده الى مملكته، وأقام عنده مدة، ولما اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز على الخروج الى الشام لقتال التتر، فسار وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل علي، وذلك في أوائل رمضان من سنة ٦٥٨ والتقى الجمعان، وكانت هزيمة التتر بعين جالوت هزيمة قبيحة، وأخذتهم سيوف المسلمين، وقتل مقدمهم كتبغا نائب هولاء، وأسروا ابنه، وتعلق من سلم من التتر برؤوس الجبال، وتبعهم المسلمون فأفوقهم، وهرب من سلم منهم الى الشرق، وجرى قطز ركن الدين بيبرس البندقداري في أثرهم، فتبعهم الى أطراف البلاد الشرقية في أول سنة ٦٥٩ وكانت هزيمة التتر بمحصر، ولما انقضى أمر المصاف أحسن الملك المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة، وأقره على حماة، وأعاد اليه بعض بلاد كانت أخذت منه، وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر المبين، فان القلوب كانت قد يؤست من النصرة على التتر؛ لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام لأنهم ما قصدوا اقلها الا فتحوه، ولا عسكرا الا هزموه، فابتهجت الرعايا

بالنصرة عليهم، وبقدوم الملك المظفر قطز الى الشام ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

هلك الكفر في الشأم جميعا واستجد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الأر وع سيف الاسلام عند نهوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتزنا بسمره ويبيذه
أوجب الله شكر ذاك علينا دائما مثل واجبات فروضه

ثم جهز الملك المظفر قطز عسكرا الى حلب لحفظها ، وقرر أمر الشام على حال حسنة، وسار من دمشق الى جهة البلاد المصرية، فلما وصل الى القصير كان قد كمن له بيبرس البندقدارى الصالحى هناك بطرف الرمل على نحو مرحلة من الصالحية ومعه جماعة من أتباعه ومن أعداء الملك المظفر، فقتلوه بالنشاب غيلة وغدرا في ذى القعدة من سنة ٦٥٨ رحمه الله تعالى. فقد كان بطلا شجاعا حازما دينيا مجاهدا، كسر التتار كسرة جبر بها الاسلام، واستعاد منهم الشام ، وذهب الى جوار ربه لم يعقب ولم يخلف ولدا، قتولى السلطنة بعده بيبرس، واستولى على مصر والشام ، ولما بلغ هولاكو هزيمة عسكره بعين جالوت وقتل نائبه كتبغا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك، وأحضر الملك الناصر يوسف وأخاه الملك الظاهر غازي، وأهانهما ووجهنهما، وضرب الملك الناصر، فقال له: ياخوندالصنعة-فناه أخوه الظاهر، وقتلها هولاكو ومن كان معها في جمادى الأولى سنة ٦٥٩ واستبقوا الملك العزيز بن الملك الناصر لأنه كان صغيرا، فبقى عندهم مدة طويلة وأحسنوا اليه، ثم توفى - هذا ومن شعر الملك الناصر :

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا وجرعتنى كاسات دمي دما صرفا

لما زادنى الا هوى ومحبة ولا اتخذت روحى سواك لها الفا

وتوفى صاحب كال الدين عمر بن عبد العزيز المعروف بابن العديم في أواخر سنة ٦٦٠ وتوفى الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس الصالحى النجمى بدمشق سنة ٦٧٦ وكان ملكا جليلا شجاعا عاقلا مهيبا، وتوفى الملك المنصور صاحب حماة محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن



« رَجَعُ » وَمِنْ الْوَافِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
 الْأَدِيبُ الْحُسَيْبُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
 سَعِيدٍ « وَكَانَ صَغْبَ الْخُلُقِ شَدِيدًا لَأَنَّهُ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 أَقَارِبِهِ مَا أَوْجَبَ خُرُوجَهُ إِلَى أَقْصَى الْمَشْرِقِ ، وَفِي ذَلِكَ
 يَقُولُ - وَكَتَبَ بِهِ إِلَيْهِمْ - :

مَنْ لَصَبٍ يَرْعَى النُّجُومَ صَبَابَةً
 ضَمَّ السَّيْرُ فِي الْهُمُومِ شَبَابَةً
 زِدْتُ بُعْدًا ، فَزِدْتُ فِيهِ اقْتِرَابًا
 بُوْدَادِي ، كَذَلِكَ حُكْمُ الْقَرَابَةِ
 مَثَرِي الْآنَ مَمْرَقَنْدُ ، وَبِالْقَلَا
 مَعَهُ رُبْعٌ وَطِئْتُ طِفْلًا تَرَابَةً (١)
 شَدَّ مَا أَبْعَدَ الْفِرَاقُ أَنْتِرَاحِي
 هَكَذَا اللَّيْتُ لَيْسَ يَدْرِي أَغْتَرَابَةً (٢)

توفي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في سنة ٦٨٣ وكان قد تملك بعد أبيه
 سنة ٦٤٢ وهاك هو لاكو ننته ٦٦٣ « أحمد يوسف نجاني » (١) ممرقند
 « بفتحين فسكون ففتح فسكون » بلد معروف مشهور بما وراء النهر ،
 ويريد بالقلة قلعة بني سعيد ، وتقدم التعريف بها (٢) « شدما » من التراكيب

لا ، وَلَا أَرْجِي الْإِيَّابَ لِأَمْرِ
إِنْ يَكُنْ يَرْجِي غَرِيبُ إِيَّابَهُ
وَكُتِبَ لَهُمْ مِنْ بُخَارَى :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ الْغَرْبِ طَارَتْ
إِلَيْهَا مُهَجَّتِي نَحْوَ التَّلَاقِ
وَأَحْسَبُ مَنْ تَرَكْتُ بِهِ يُلَاقِ
إِذَا هَبَّتْ صَبَاحًا مَا أُلاقِ
فَيَا لَيْتَ التَّفَرُّقَ كَانَ عَدَلًا

فَصَلَّ مَا تُطِيقُ مِنْ أَشْتِيَاقِي !
وَلَيْتَ الْعُمُرَ لَمْ يَبْرَحْ وَصَالًا

وَلَمْ يَخْتِمِ عَلَيْنَا بِالْفِرَاقِ (١)

إِذَا كَانَ الشُّوقُ فَوْقَ كُلِّ صِفَةٍ ، فَكَيْفَ نَعْبُرُ
عَنْهُ الشَّفَةَ ! لَكِنَّ الْعُنْوَانَ دَلِيلٌ عَلَى بَعْضِ مَا فِي الصَّحِيفَةِ
وَأَلْجَأِبُ قَدْ يَنْوِبُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَنَابِ الْخَلِيفَةِ ، وَمَا
ظَنُّكُمْ بِمَشُوقٍ طَرِيحٍ ، فِي يَدِ الْأَشْوَاقِ طَلِيحٍ (٢) ، يَقْطَعُ

التي تفيد التحجب: أى ما أشد ، والانتزاع البعد « أحمد يوسف نجاشي »
(١) لعلها « لم يختم » من الختم وهو القضاء ، وختم عليه الشيء يحتمه: أوجهه
وقضاه ، والختم: اللازم الواجب الذي لا بد من فعله (٢) الطليح والطلاحة:

مَسَافَاتٍ آفَاقٍ يَتَقَلَّبُ تَقَلُّبُ الْأَفْيَاءِ^(١)، وَيَتَلَوَّنُ تَلَوُّنُ
الْحِرْبَاءِ^(٢)، حَتَّى كَأَنَّهُ يُخْبِرُ مَسَاحَاتِ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ
وَالْعَرْضِ، وَيَجُوبُ أَهْوِيَةَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعِ، خَارِجًا بِمَا أَدْخَلَهُ
فِيهِ اللَّجَاجُ^(٣) عَنِ السَّمْعِ، فَكَأَنَّهُ خَلِيفَةُ الْإِسْكَندَرِ،
لَكِنْ مَا يَحْيِشُ مِنْ مُهُومِ الْعُرْبَةِ بِفِكْرِي قَائِمَةٌ مَقَامَ
الْجَيْشِ وَالْعَسْكَرِ، جُزْتُ إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ مِنَ الْغَرْبِ
الْأَقْصَى، ثُمَّ تَشَوَّقْتُ نَفْسِي فَطَمَحْتُ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْغَرْبِ
الْأَوْسَطِ، فَلَاقَيْتُ فِيمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَسَافَةِ مِنَ الْمَشَاقِّ
مَا لَا يُحْصَرُ، ثُمَّ تَشَوَّقْتُ إِلَى إِفْرِيقَةِ دَرْبِ بِلَادِ الشَّرْقِ
فَاسْتَشْعَرْتُ مِنْ هُنَالِكَ مَا يَبْتَنِّهَا وَيَبْنِي بِلَادِي مِنَ الْفَرْقِ،
وَأَخْطَفْتُ مِنْ عَيْنِي تِلْكَ الْبِلَاوَةَ، وَأَنْتَزَعْتُ مِنْ قَلْبِي
تِلْكَ الْحَلَاوَةَ :

الأعياء والسقوط من السفر . وطلع البعير يطلع: اذا أعبأ وتعب وكل، فهو
طلع وطلّح، ويقال: انه لطلّح سفر، ورجع سفر، ورزية سفر - بمعنى واحد
وذلك اذا جهده السير وهزله (١) جمع في: وهو ما كان شمسا فنسخه
الظل، وفاء إلى: تحول (٢) الحرباء: دوية معروفة تستقبل الشمس برأسها
وتكون معها كيف دارت، وتتلون ألوانا مختلفة بحرها (٣) التماذى في
الأمر والناد « أحمد يوسف نجاتي »

فَلِلَّهِ عَيْنٌ لَمْ تَرَ أَلَمِنْ مِثْلَهَا

وَلَا تَلْتَقِي إِلَّا بِحَنَاتِ رِضْوَانِ

ثُمَّ نَارَعَتِي النَّفْسُ التَّوَّافَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَكَابَدْتُ
فِي الْبَحْرِ مَا لَا يَنْبَغِي بِوَصْفِهِ إِلَّا الْمَشَاهِدَةُ^(١) إِلَى أَنْ أَبْصَرْتُ
مَنَارَ الإسْكَندَرِيَّةِ، فَيَاكَ مِنْ اسْتِثْنَائِ عَمْرِ جَدِيدٍ، بَعْدَ
الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ بِمَا لَقِينَا مِنْ الْهَوْلِ وَالتَّشْكِيدِ، ثُمَّ صَعِدْتُ
إِلَى الْقَاهِرَةِ قَاعِدَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، لِمَعَانَةِ الْهَرَمَيْنِ وَمَا فِيهَا
مِنَ الْمَعَالِمِ الْأَزَلِيَّةِ، وَعَايَنْتُ الْقَاهِرَةَ الْمُعْزِيَّةَ، وَمَا فِيهَا مِنْ
الْهِمَمِ الْعَلِيَّةِ الْمُلوَكِيَّةِ، غَيْرَ أَنِّي أَنْكَرْتُ مَبَانِيهَا الْوَاهِيَّةَ
عَلَى مَا حَوَتْ مِنْ أَوْلَى الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَكَوْنِهَا حَاضِرَةً
الْعَسْكَرِ الْجَرَّارِ، وَكُرْسِيِّ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْمِقْدَارِ، وَقُلْتُ:
أَصْدَافُ فِيهَا جَوَاهِرُ، وَشَوْكُ مُحْدِقُ بَازَاهِرِ. ثُمَّ رَكِبْتُ
النَّيْلَ وَعَايَنْتُ تَمَاسِيحَهُ، وَجُرْتُ بِمَحَرِّ جُدَّةٍ^(٢) وَذُقْتُ تَبَارِيحَهُ،
وَقَضَيْتُ الْحَبِجَّ وَالزِّيَارَةَ، وَمِلْتُ إِلَى حَاضِرَةِ الشَّامِ دِمَشْقَ

(١) فِي نَسْخَةِ « الْمَشَافَةِ » (٢) يَرِيدُ الْبَحْرَ الْأَحْمَرَ، وَالتَّبَارِيحَ: الْأَهْوَالَ

وَالشَّاقَّ وَالشَّدَائِدَ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَافِي »

وَالنَّفْسُ بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ ، فَهَئِلِكَ بَغْتُ الزِّيَارَةَ بِالْأَزْوَارِ ^(١) ،
وَأَلَّتْ تِلْكَ التَّجَارَةَ إِلَى مَا حَكَمْتَ بِهِ الْأَقْدَارُ ، إِذْ هِيَ
كَمَا قَالَ أَحَدُ مَنْ عَايَنَهَا :

أَمَّا دِمَشْقُ فَجَنَّتْ مَعْجَلَةً لِلطَّالِبِينَ ، بِهَا الْوِلْدَانُ وَالْخُورُ
فَلِلَّهِ مَا تَضَمَّنَ دَاخِلُهَا مِنَ الْخُورِ وَالْوِلْدَانِ ، وَمَا تَزَيْنَ بِهِ
خَارِجُهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْجَنَّاتِ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهَا حَمَى تَقْصُرُ عَنْ
إِدْرَاكِهَا أَعْنَاقُ الْفَصَاحَةِ ، وَتَقْصُرُ عَنْ مُنَاوَلَتِهَا فِي مِيدَانِ
الْأَوْصَافِ كُلِّ رَاحَةٍ . وَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ عَنْ حَلَبَ ، أَنَّهَا دَارُ
الْكَرَمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْطِيَ بَصَرِي بِمَا حَظِيَ بِهِ
سَمْعِي ، وَرَحَلْتُ إِلَيْهَا وَأَقَمْتُ جَابِرًا بِالْمَذَاكَرَةِ وَالْمُطَايَةِ
صَدْعِي ^(٢) . ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى الْمَوْصِلِ فَالْفَيْتُ مَدِينَةً عَلَيْهَا
رَوْنَقُ الْأَنْدَلُسِ ، وَفِيهَا لَطَافَةٌ وَفِي مَبَانِيهَا طِلَاوَةٌ تَرْتَاحُ
لَهَا الْأَنْفُسُ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَى مَقَرِّ اخِلَافَةِ بَغْدَادَ ، فَعَايَنْتُ مِنْ
الْعِظَمِ وَالضَّخَامَةِ مَا لَا يَتَنَبَّى بِهِ الْكُتُبُ وَلَوْ أَنَّ الْبَحْرَ مِدَادٌ .
ثُمَّ تَغَلَّغْتُ فِي بِلَادِ الْعَجَمِ بَلَدًا بَلَدًا ، غَيْرَ مُقْتَنِعٍ بِنَاقَةٍ وَلَا

(١) ازور عن الشيء: انحرف عنه ومال وأعرض حائدا. وفي نسخة «الأوزار»

جمع وزر بمعنى الذنب والاثم (٢) الصدم: الكسر والشق «أحمد يوسف نجاشي»

فَاصِدٍ أَمْدًا ، إِلَى أَنْ حَلَّتْ بُخَارَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَمَجْمَعِ
الْأَنَامِ ، فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّنْسِيَارِ ، وَعَكَفْتُ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ وَاصِلًا فِي أَجْتِهَادِهِ سَوَادَ اللَّيْلِ وَبَيَاضَ النَّهَارِ . أَتَمَّتْ .
وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ : كُتِبَتْ وَقَدْ
حَصَلَتْنِي السَّعَادَةُ ، وَحَظًّا أَلَّامٌ وَالْإِرَادَةُ ، بِحَضْرَةِ بُخَارَى قُبَّةِ
الْإِسْلَامِ . وَأَجَابَهُ أَهْلُهُ مِنَ الْغَرْبِ بِكَلَامٍ مِنْ مُجَلَّتِهِ : وَإِنْ
كُنْتَ قَدْ تَحَصَّلْتَ ^(١) بِقُبَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ تَعَجَّلْتَ لَنَا وَلَكَ
الْفَقْدَ قَبْلَ وَقْتِ الْحِمَامِ ، وَاتَّبِعُوا ذَلِكَ بِمَا دَعَاهُ لِأَنَّ
خَاطِبَهُمْ بِشِعْرِ مِنْهُ :

عَبَّيْتُمْ عَلَى حَتَّى الْبَطِيءِ ، وَقُلْتُمْ :

تَعَجَّلْتَ فَقَدْ قَبْلَ وَقْتِ حِمَامٍ

إِذَا لَمْ يَكُنْ حَالِي مُهِمًّا لَدَيْكُمْ

سِوَاهُ عَلَيْكُمْ رِحْلَتِي وَمُقَامِي

وَقُتِلَ الْمَذْكُورُ بُخَارَى حِينَ دَخَلَهَا الطَّطَرُ ، وَهُوَ

عَمُّ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدِ الشَّهْرِيرِ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورِ

أَخٌ يُسَمَّى يَحْيَى قَدْ عَانَى الْجُنْدِيَّةَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ

عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَتَلَ يُنْخَارَى قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَانَ أَبَدًا
يُسْفَهُ رَأْيِي فِي الْجُنْدِيَّةِ ، وَيَقُولُ : لَوْ أَتَبَعْتَ طَرِيقَ النِّجَاةِ
كَمَا صَنَعْتُ أَنَا لَكَانَ خَيْرًا لَكَ ، فَهَاهُ وَرَبُّ قَلَمٍ قَدْ قَتَلَ شَرًّا
قَتَلَهُ بِحَيْثُ لَا يَنْتَصِرُ ، وَسَلِبَ سِلَاحَهُ ، وَأَنَا مَا زِلْتُ أُغَارِي
فِي عِبَادِ الصَّلِيبِ وَأَخْلَصُ ، فَمَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُحْسِنَ لِنَفْسِهِ
عَاقِبَةً . اُنْتَهَى . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ : ثُمَّ إِنَّ يُحْيَى
الْمَذْكُورَ بَعْدَ خَوْضِهِ فِي الْحُرُوبِ صَرَعَهُ فِي طَرِيقِهِ غُلَامٌ كَانَ
يُحْدِثُهُ ، فَذَبَحَهُ عَلَى تَرَرٍ مِنَ الْمَالِ أَفْلَتَ بِهِ ، فَأَنْظَرَ إِلَى تَقَلُّبِ
الْأَحْوَالِ كَيْفَ يَجْرِي فِي أَنْوَاعِ الْأُمُورِ لَا عَلَى تَقْدِيرٍ وَلَا
أَحْتِيَاطٍ . اُنْتَهَى . وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْمَذْكُورِ مَا خَاطَبَ بِهِ تَقِيبَ الْأَشْرَافِ يُنْخَارَى وَقَدْ
أَهْدَى إِلَيْهِ فَاحِشًا^(١) مَعَ زَوْجِهِ :

يَا سَيِّدَ الْأَشْرَافِ لَا زِلْتَ عَالِيًا

مَعَالِيكَ تَنْبُو الدَّهْرَ عَنْ كُلِّ نَاعِتٍ

مِنْ الْفَضْلِ إِقْبَالَ عَلَى مَا بَعَثَتْهُ لِمَعْنَاكَ مِنْ شَادِدِ عَوْدِهِ بِفَاحِشٍ

(١) الفاحشة : ضرب من الحمام المطوق ، وفيها فصاحة وملاحة وحسن صوت ، وفي

طبعها الأنس بالناس « أحمد يوسف نجاشي »

أَلَا حَبْدًا مِنْ فَاحِشٍ سَادَ جَنَسُهُ
وَأَصْبَحَ مَقْرُونًا بِسِتِّ الْفَوَاحِشِ
لَيْنٍ فَأَتَنِي مِنْهُ الْأَيْنِسُ فَكُلُّ مَا
يَحُلُّ لَدَى عُلْيَاكَ لَيْسَ بِفَائِتٍ
انتهى

« وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ بْنِ سَمَرَةَ الْقُرْطُبِيِّ الْأَنْصَارِيِّ الْمَعْرُوفِ
بِابْنِ الْعَايِدِ ^(١) » نَزِيلُ رِبَاطِ الصَّاحِبِ الصَّفِيِّ بْنِ شُكْرِ ^(٢)،
قَالَ بَعْضُ الْمَشَارِقَةِ عَنْهُ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ الْخَمْرُ بِالْمَجْزُورِ ^(٣)

(١) وفي نسخة « ابن العائد » (٢) صاحب صفي الدين عبد الله بن علي
ابن شكر الشيباني وزير الملك العادل « سيف الدين أبي بكر محمد بن الأمير
أبي الشكر نجم الدين أيوب بن شاذي » توفي سنة ٦٣٠ وأصله من قرية
دميرة : إحدى قرى مركز طلخا بمديرية القروية، وكان وزيرا مهيا عالمافاضلا
للمعرفة بقوانين الوزارة، وكانت عنايته مصروفة الى العلماء والفقهاء والأدباء،
مع شدة فيه وميل الى التشفي والانتقام، وأنشأ بالقاهرة مدرسة في سنة ٦١٨
وجعلها وقفا على المالكية، ثم جددتها القاضي علم الدين ابراهيم بن عبد
اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة في سنة ٧٥٨ وقد
اندثرت بعد وزال أثرها « أحمد يوسف نجاتي » (٣) العجوز : الحمر القديمة
المعتقة، وقال الشاعر :

على بن عبد
الله المعروف
بابن العائد

لَا نَهَا بِنْتُ ثَمَانِينَ - يَعْنِي عَدَدَ حَدِّهَا - وَأَنْشَدَ لَهُ :
عَدَلْنَا فَلَانَا عَلَى فَعْلِهِ وَلَمْنَاهُ فِي شُرْبِهِ لِلْعَجُوزِ
فَقَالَ دَعُونِي مِنْ أَجْلِهَا أَنَا أَنَا وَأَخِي وَالْعَجُوزِ



« وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْمُتَّقِنُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ الْأَنْصَارِيِّ » الشَّاطِئِيُّ
الْأَصْلُ الْبَلَنْسِيُّ الْمَوْلَدُ فِي أَحَدِ رَيِّعَى سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ
وَلَقَبَهُ الْمَشَارِقَةُ بِرَضَى الدِّينِ ، وَتُوفِيَ بِالْقَاهِرَةِ فِي جُمَادَى
الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .
وَمِنْ نَظْمِهِ لَمَّا حَضَرَ أَجْلُهُ وَقَدْ أَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يُنْظَفَ لَهُ
يَتَهُ ، وَأَنْ يُغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابُ وَفَتَقِدَهُ بَعْدَ زَمَانٍ ، فَقَعَلَ ذَلِكَ
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ مَيِّتًا وَقَدْ كَتَبَ فِي رُقْعَةٍ :

محمد بن علي
ابن يوسف
الأنصاري

ليته جام فضة من هدايا هـ سوى ما به الأمير يحيزي
انما أبتغيه للصل المم زوج بالماء لالشرب العجوز
وقال غيره من قصيدة طويلة كل قوافيها « العجوز » جمعت كل معانيها :
وكم أبطأ ماء العذب قلبا أضربه اللهب من العجوز
ولكلمة « العجوز » نحو ثمانين معنى مبسوطه في كتب اللغة « أحمد
يوسف نجاشي » .

حَانَ الرَّحِيلُ ، فَوَدَّعَ الدَّارَ الَّتِي
مَا كَانَ سَاكِناً بِهَا بِمُحَلِّدٍ
وَأَضْرَعَ إِلَى الْمَلِكِ الْجَوَادِ ، وَقُلَّ لَهُ :

عَبْدُ يَبَابِ الْجُودِ أَصْبَحَ يَجْتَدِي
لَمْ يَرْضَ غَيْرَ اللَّهِ مَعْبُودًا ، وَلَا

دِينًا سِوَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ قَابَلَهَا أَلرَّادَى
فَرَأَيْتُ فِرَارًا مِنْهُ يُسْرَى إِلَى يُنَى
قَرَى تَحْمِيلِي بَعْضَ الَّذِي تَكْرَهِيَهُ

فَقَدْ طَالَمَا عَتَدْتُ الْفِرَارَ إِلَى الْآهَنِ ^(١)

أُنْشَدَهُ لَهُ تَلْمِيزُهُ أَبُو حَيَّانَ إِمَامُ عَصْرِهِ فِي اللُّغَةِ ،
حَدَّثَ عَنْ ابْنِ الْمُقْبِرِ ^(٢) وَغَيْرِهِ ، وَاشْتَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِالقَاهِرَةِ
وَلَهُ تَصَانِيفٌ مُفِيدَةٌ ، وَسَمِعَ مِنَ الْخَافِظِ أَبِي الرَّيِّعِ بْنِ

(١) قرى : اثنى وثقى واسكنى ، أمر من وقرير ، وفي الأصل « ترى »

(٢) في الأصل « ابن المنير » وهو تصحيف ، وابن المقير هو أبو الحسن

علي بن الحسين بن علي بن منصور البغدادى الأزجى الحنبلى النجار ، ولد

سنة ٥٤٥ هـ ببغداد ، وحدث بالقاهرة حتى كان في عصره مسند الديار المصرية

سَالِمٌ^(١) ، وَكَتَبَ عَلَى صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ وَغَيْرِهِ حَوَاشِي
فِي مُجَلَّدَاتٍ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ تَلْمِذُهُ أَبُو حَيَّانَ - رَحِمَ اللَّهُ
تَعَالَى الْجَمِيعَ - . وَمِنْ فَوَائِدِهِ قَوْلُهُ : تَقَلَّتْ مِنْ خَطِّ
أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ خَيْرَةَ الْحَافِظِ^(٢) الْقُرْطُبِيِّ فِي فَهْرِسْتِ أَبِي بَكْرٍ
ابْنِ مَفُوزٍ^(٣) وَقَدْ أَدْرَكَتُهُ بَسْنِي وَلَمْ آخُذْ عَنْهُ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهِ
أَنْشَدَنِي لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْأَبْرَشِ^(٤) يُحَاطَبُ بَعْضَ أَكَاوِرِ

وبها توفي سنة ٦٤٣ - قيل سقط بعض آياته في حفير فيه قار ققيل له المقير .
وحفيده أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن المقرئ كان
عبدا صالحا ، استشهد سنة ٦٩٩ - أما ابن المتير فهو العلامة ناصر الدين أحمد
ابن محمد بن منصور الجندابي الجروى الاسكندرى المالكي قاضى الاسكندرية
وفاضلها المشهور ولد سنة ٦٢٠ وبرز في الفقه والأصول والنظر والعريية
والبلاغة ، وصنف التصانيف المفيدة ، وتوفى في ربيع الأول سنة ٦٨٣
« أحمد يوسف نجاشى » (١) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى
الكلابى البلسنى ، كان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا مؤرخا دينا ، ولد
سنة ٥٦٥ وتوفى سنة ٦٣٤ وتقدم زيادة تعريف به وسيأتى حديث عنه « أحمد
يوسف نجاشى » (٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي الفقيه
الحافظ ، كان من أحفظ الناس للرأى ، مع المشاركة في الأدب والتفنن في المعارف ،
ورحل حاجا سنة ٥٤٢ وصدر عن مكة بعد أداء الفريضة يريد بلاد اليمن
فتوفى بزيد سنة ٥٥١ وقد قارب ستين عاما « أحمد يوسف نجاشى »
(٣) أبو بكر محمد بن حيدرة بن أحمد بن مفوز الماعفرى من أهل شاطبة ،
كان حافظا للحديث وعلمه منسوب الى فقهه ، عارفا بأسماء رجاله وحملته ، أدبيا
لغويا ، أسمع الناس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وأخذوا عنه ، ولم يزل مفيدا لهم
الى أن توفى سنة ٥٠٥ (٤) أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون

أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدٍ ^(١) بْنِ حَزْمٍ - وَالْإِشَارَةُ لِابْنِ حَزْمٍ
الظَاهِرِيِّ :

يَا مَنْ تُعَانِي أُمُورًا لَنْ تُعَانِيَهَا

خَلَّ التُّعَانِي، وَأَعْطَى الْقَوْمَ بَارِيهَا

تَرَوِي الْأَحَادِيثَ عَنْ كُلِّ مُسَامِحَةٍ

وَأِنَّمَا لِمُعَانِيهَا مَعَانِيهَا

وَقَدْ سَبَقَ فِي تَرْجَمَةِ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَلْجِيِّ
ذِكْرُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عِنْدَمَا أُجْرِنَا ذِكْرَ ابْنِ حَزْمٍ - قَالَ :
وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا الشُّعْرُ فِي ذِكْرِ رِوَايَةِ أُدْعِيَتْ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ خَالِدًا قَدْ أُحْتَبَسَ أَدْرَاعُهُ وَأَعْتَدَهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ » وَصَحَّحَ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى « أُعْبِدُهُ » جَمْعَ عَبْدٍ ، وَعَلَّلَ
رِوَايَةَ مَنْ رَوَى « أُعْتَدُهُ » بِالتَّاءِ مُثَنًّا بِالثَّنَيْنِ مِنْ فَوْقُ : جَمَعَ
عَتَدَ : وَهُوَ الْقَرَسُ ، قَالَ ابْنُ خَيْرَةَ : الْإِحَاطَةُ مُتَمَتِّعَةٌ ، وَهَذِهِ

الشُّنْتَرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَبْرَشِ ، كَانَ عَلَمًا بِالْأَدَابِ وَاللُّغَاتِ ، مَقْدَمًا فِي مَعْرِفَتِهَا
وَاتِّقَانِهَا ، مَعَ الْفَضْلِ وَالِدِينَ وَالْخَيْرِ وَالنَّوَاضِعِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣٢ هـ بِقَرْطَبَةِ
« أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي » (١) فِي الْأَصْلِ « مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ » بِاسْقَاطِ صَدْرِ
الْكُنْيَةِ « أَبِي » وَهُوَ نَقْصٌ مُفْسَدٌ ، وَيَقْدَمُ التَّعْرِيفُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلَى بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ الْأَمَلَمِ الْمَشْهُورِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٥٦ هـ « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَاحِي »

الرَّوَايَةُ قَدْ رَوَاهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ ،
فَهُوَ إنْكَارٌ غَيْرُ مَعْرُوفٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَمِنْ قَوَائِدِهِ
مَا نَقَلَهُ تَلْمِيزُهُ أَبُو حَيَّانَ النَّحْوِيُّ عَنْهُ ، قَالَ أَنْشَدَنَا لِلْمُقَرِّ
وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ :

إِذَا مَا شِئْتَ مَعْرِفَةً لِمَا حَارَ الْوَرَى فِيهِ
فَخُذْ خَمْسًا لِأَرْبَعَةٍ وَدَعْ لِلثَّوْبِ رَافِيَهُ
وَهُوَ لُغْزٌ فِي وَرْدٍ . قَالَ وَأَنْشَدَنَا لِبَعْضِهِمْ :
لَا رَعَى اللَّهُ عِزْمَةً ضَمِنْتَ لِي
سَلَوَةَ الصَّبْرِ وَالْتَّصُّبَ عَنْهُ
مَا وَقَتَ غَيْرَ سَاعَةٍ ، ثُمَّ عَادَتْ
مِثْلَ قَلْبِي تَقُولُ : لَا بُدَّ مِنْهُ
قَالَ وَأَنْشَدَنَا لِغَيْرِهِ :

وَكَانَ غَرِيبَ الْحُسْنِ قَبْلَ التَّحَائِهِ
فَلَمَّا اتَّحَى صَارَ الْغَرِيبَ الْمُصَنَّفَا^(١)

(١) في قوله « الغريب المصنف » تورية وتوجيه ، فإن « الغريب المصنف »
كتاب في غريب الحديث تأليف أبي عمرو اسحق بن مرام الشيباني المتوفى
سنة ٢٠٦ . واختصره محمد بن علي اللخمي اللغوي المعروف بابن الرضى
المتوفى سنة ٦١٦ ومما حلية الأديب ، وأبو يحيى محمد بن رضوان المتوفى

وَأَنْشَدَنَا لِغَيْرِهِ :

طِبَّ عَلَى الْوَحْدَةِ نَفْسًا وَأَرْضَ بِالْوَحْشَةِ أَنْسَا
مَا عَلَيْهَا مَنْ يُسَاوِي حِينَ يُسْتَخْبَرُ فَلَسَا
وَقَرَأَ الرُّضِيُّ بِلَدِّهِ عَلَى ابْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ آخِرَ أَصْحَابِ
ابْنِ هُذَيْلٍ ^(١) ، وَسَمِعَ مِنْهُ كِتَابَ التَّلْخِصِ لِلْوَانِي ^(٢) ،
وَسَمِعَ عِصْرَ مِنْ ابْنِ الْمُقَيْرِ وَجَمَاعَةٍ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَافِظُ

سنة ٦٥٧ ، والمعنى الثاني للغريب المصنف أن وجهه صار غريبا عن الحسن واستحقاق الحب مصنفا من ألوان مختلفة بعد أن كان لونا واحدا مشرقا ناضرا « أحمد يوسف نجاشي »

(١) تقدم التعريف بأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي المتوفى سنة ٥٦٤ - وابن صاحب الصلاة هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن الأزدي من أهل شاطبة، ولد سنة ٥٤٢ بشاطبة، وأخذ عن أبي الحسن بن هذيل قراءة نافع، وسمع منه كثيرا، وأجاز له في سنة ٥٦٣ واحتيج إليه بأخرة من عمره عند انقراض أصحاب ابن هذيل، وتوفى سنة ٦٢٥ ، وقرأ عليه القرآن الرضي الشاطبي وابن مسدى وغيرها « أحمد يوسف نجاشي » (٢) كذابا بالأصل، وقد يكون « الواني » عرفا عن الداني؛ يريد أبا عمرو عثمان بن سعيد المقرئ المتوفى سنة ٤٤٤ بدانية، وتقدم التعريف به ، أو يكون عرفا عن « القيرواني » ويراد كتاب « تلخيص العبارات في القراءات » لأبي علي حسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة المقرئ القيرواني نزيل الاسكندرية المتوفى بها سنة ٥١٤ - وهناك كتاب في القراءات يسمى « التلخيص » أيضا لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المتوفى سنة ٤٧٨ وأغلب ظني أنه يريد الأول « أحمد يوسف نجاشي »

الْمَزِيَّ^(١) وَالْيُونِنِيَّ^(٢) وَالظَّاهِرِيَّ^(٣) وَآخَرُونَ ، وَأَنْتَهَتْ
إِلَيْهِ مَعْرِفَةُ اللُّغَةِ وَغَرِيبُهَا ، وَكَانَ يَقُولُ : أَحْرَفُ^(٤) اللُّغَةِ عَلَى
قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ أَحْرَفُ مَعْنَاهُ وَشَوَاهِدُهُ ، وَقِسْمٌ أَحْرَفُ كَيْفَ
أَنْطِقُ بِهِ فَقَطْ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . . وَمِنْ قَوَائِدِ الرِّضِيِّ
السَّاطِعِي الْمَذْكُورِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو حَيَّانٍ فِي «الْبَحْرِ» قَالَ : وَهُوَ
مِنْ غَرِيبِ مَا أَنْشَدَنَا الْإِمَامُ اللُّغَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

(١) في الأصل «الزنى» وفي نسخة «المرى» وهما تصحيف بحرف مفسد مشهوره
والحافظ المزى هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن
عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الامام العلامة الحافظ الكبير
الدمشقي المزى الشافعي شيخ الحديثين وعمدة الحفاظ في عصره. ولد سنة ٦٥٤
بظاهر حلب ، ونشأ بالمرزة « واليها نسب - وهي قرية كبيرة غناء في وسط
بساتين دمشق بينها وبين دمشق نحو نصف فرسخ » وبرز في اللغة وعلومها ،
وفي الحديث والفقه ، وقد بالغ في الثناء عليه أبو حيان وغيره وتوفي سنة ٧٤٢
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) تقدم التعريف به ، وهو شيخ بعلبك الحافظ
شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني الحلبي ، وله بعلبك
سنة ٦٢١ وتوفي سنة ٧٠١ « أحمد يوسف نجاتي » (٣) لعله الحافظ
الزاهد القدوة جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي
الحنفى للقرى الحديث ، كان أحد من عفى بهذا الشأن ، وكتب عن نحو ٧٠٠
شيخ بالشام والجزيرة ومصر ، ولم يزل في طلب الحديث وافتاده وتفرجه
الى أن توفي سنة ٦٩٦ وكان من الثقات الأثبات ، وابنه الحديث الزاهد نضر
الدين عثمان كان محدثا جليلا ، توفي بمصر سنة ٧٠٠ عن نحو ستين سنة « أحمد
يوسف نجاتي » (٤) في نسخة « أعرف » بدل « أحرف » « أحمد يوسف نجاتي »

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِئِيُّ لِزَيْنَبَ بِنْتِ
إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِيِّ الرَّسْعِيِّ^(١) :

عَدِيٌّ وَتَيْمٌ لَا أَحَاوِلُ ذِكْرَهُمْ بِسُوءٍ، وَلَكِنِّي مُحِبٌّ لَهُمَا شِمًا
وَمَا يَعْتَرِينِي فِي عَلِيٍّ وَرَهْطِهِ إِذَا ذُكِرُوا فِي اللَّهِ لَوْ مَ لَا تُمُّ
يَقُولُونَ : مَا بَالُ الْأَنْصَارِيِّ تُحِبُّهُمْ ؟!

وَأَهْلُ النَّهْيِ مِنْ أَعْرَبٍ وَأَعْلَمٍ !
فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي لَأَحْسِبُ جِبَّهُمْ
سَرَى فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَهَائِمِ
وَمِنْ نَظْمِ الرَّسْعِيِّ الْمَذْكُورِ :

مُنْغَضُ الْعَيْشِ لَا يَأْوِي إِلَى دَعَةٍ
مَنْ كَانَ ذَا^(٢) بَلَدٍ أَوْ كَانَ ذَا وَلَدٍ
وَالسَّاكِنُ النَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتُهُ
سُكْنَى بِلَادٍ، وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدٍ

(١) نسبة الى « رأس عين » وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة
بين حران ونصيبين، بينها وبين كلتيهما نحو خمسة عشر فرسخًا، وفي رأس عين
عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور، والمشهور
في النسبة اليها « الرسعي » وربما قيل : الراسي. ويمن ينسب اليها أبو بكر بن الياس
ابن محمد بن سعيد الرسعي الحنبلي، توفي بالقاهرة سنة ٦٩٤ « أحمد
يوسف نجاشي » - (٢) وفي الأصل « في بلد » « أحمد يوسف نجاشي »

وَلَهُ :

لَوْلَا بَنَاتِي وَسَيِّئَاتِي لَطَرْتُ شَوْقًا إِلَى الْمَمَاتِ
لِأَنَّنِي فِي جَوَارِ قَوْمٍ بَغَضَنِي قُرْبُهُمْ حَيَاتِي
وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ كِتَابَ التَّيْسِيرِ ^(١) وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَنْشَدَ أَرْتَجَالًا :

نَعُوا لِي الرِّضَى أَقْضَلْتُ : لَقَدْ

نَعُوا لِي شَيْخَ الْعُلَا وَالْأَدَبِ

فَمَنْ لِلْغَاثِ أَوْ مَنْ لِلثَّقَاتِ ؟ وَمَنْ لِلنَّحَاةِ أَوْ مَنْ لِلنَّسَبِ !
لَقَدْ كَانَ لِلْعِلْمِ بَحْرًا فَقَارَ وَإِنْ غُوِّرَ الْبَحَارِ الْعَجَبِ

(١) كتاب « التيسير » في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد ابن عثمان الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ وهو مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأصاغر، وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التالين، وصح وثبت لدى الأئمة المتقدمين، فذكر عن كل واحد من القراء روايتين، وقد شرحه أبو محمد عبد الواحد بن محمد الباهلي المتوفى سنة ٧٥٠ - وقد أضاف إليه القراءات الثلاث للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣ في كتاب سماه « تخيير التيسير » وقد ترجع عندي الآن أن كلمة « الواني » السابقة مصحفة عن « الداني » كما قلت آنفاً، وإن كان هناك آخر في القراءات يسمى « التيسير » أيضاً لأبي العباس أحمد ابن عمار المهدوي المتوفى بعد سنة ٤٣٠ وكان معاصراً لأبي عمرو والداني إلا أن كتابه لم يشتهر شهرة « تيسير الداني » الذي هو من أضح كتب القراءات، ومؤلفه صاحب الشاطبية من أشهر رجالها، وتقدم التعريف به « أحمد يوسف نجاتي ».

فَقُدْسَ مِنْ عَالِمِ عَامِلٍ أَثَارَ لِسَجْوَى لَمَّا ذَهَبَ
وَتَحَاكَمَ إِلَى رَضَى الدِّينِ الْمَذْكُورِ الْجَزَارِ^(١) وَالسَّرَاجِ
الْوَرَّاقِ^(٢) أَيْهُمَا أَشْعَرُ؟ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْجَزَارُ شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا
شِعْرٌ جَزَلٌ مِنْ تَمَطُّ شِعْرِ الْعَرَبِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَرَّاقَ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا شِعْرٌ سَلِسٌ، وَآخِرُ الْأَمْرِ قَالَ: مَا أَحْكَمُ
يَنْتَكُمَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - . قُلْتُ: رَأَيْتُ بِحِطَّةٍ كُتِبَا
كَثِيرَةً بِمَضْرَ، وَحَوَاشِي مُفِيدَةٌ فِي اللُّغَةِ وَعَلَى دَوَائِنِ الْعَرَبِ
- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - .

«وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ الزَّاهِدُ؛ وَهُوَ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ الزَّاهِدُ
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ

حيد بن أبي
محمد الزاهد

(١) أبو الحسين جمال الدين يحيى بن عبد العظيم المصري الشاعر الأديب
المشهور الفاضل، ولد سنة ٦٠١ وتوفي سنة ٦٧٩ وتقدم التعريف به
«أحمد يوسف نجاتي» (٢) سراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري
أديب الديار المصرية في عصره، كان شاعرا ظريفا مكترأ حسن التصرف، وله
سنة ٦١٥ وتوفي سنة ٦٩٥ ومن رقيق شعره :

سأتهم وقد حثوا للطايا ققوا نفسا، فسا رواحيث شاءوا
وما عطفوا على وهم غصون ولا التفتوا الى وهم ظباء
ولنا موازنة أدبية بين الشاعرين في كتابنا الجامع في الأدب «أحمد يوسف نجاتي»

يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْقُرْطُبِيِّ تَرْيَلُ مَالِقَةَ «
 قَالَ الرَّضِيُّ الشَّاطِئِيُّ الْمَذْكُورُ قَرِيبًا : أَنْشَدَنِي مُحَمَّدٌ
 بِالْقَاهِرَةِ لِأَيِّهِ أَبِي مُحَمَّدٌ ^(١) وَقَدْ تَأَخَّرَ شَيْبُهُ مَعَ عُلوِّ سِنِّهِ :
 وَهَلْ نَافِعِي أَنْ أَخْطَأَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي
 وَقَدْ شَابَ أَتْرَابِي وَشَابَ لِدَاتِي ؟
 إِذَا كَانَ خَطْبُ الشَّيْبِ يُوجَدُ عَيْنُهُ
 يَتَرَنَّى فَمَعْنَاهُ يَقُومُ بِذَاتِي

(١) أبو محمد عبد الله بن الحسن الملقب ، ويعرف بابن القرطبي ، لأن أباه انتقل
 منها هو ومن بيت نباهة بقرطبة يعرفون ببني عبد الله - كان أبو محمد ذا
 عناية تامة بالرواية ولقاء الشيوخ والرحلة في سماع العلم ، وكان من أهل
 المعرفة الكاملة بصناعة الحديث والبصر بها والافتقان لها ، والحفظ لأسماء
 الرجال ، والتقدم في ذلك على الكمال ، مع المعرفة بالقراءات ووجوهها ،
 والمشاركة في علوم اللغة وآدابها ، ورث براعته في علوم الحديث عن أبيه
 وأورثها من بعده بنيه ، ولم يكن أحد يداينه في حفظ التواريخ والتجريح
 والتعديل إلا أفراد من أهل عصره ، وهذا إلى كرم خلال وحמיד عشرة
 ودمائة خلق ولين جانب ، فكان يحيا إلى الناس معظما لدى خاصتهم وعامتهم ،
 وكان مولده بمدينة مالقة سنة ٥٥٨ هـ وتوفي بها في شهر ربيع الآخر من
 سنة ٦١١ هـ - قلت وأبوه هو أبو علي الحسن بن أحمد بن يحيى من أهل
 قرطبة ، كان ذا معرفة ودراية بالحديث والقراءات والعروض واللغة ، وانتقل
 من وطنه قرطبة في الفتة . ولد سنة ٥١٨ هـ وتوفي بمالقة سنة ٥٨٥ هـ « أحمد
 يوسف نجاشي »

وَاللَّدَاتُ: مَنْ وَلَدَ مَعَهُ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ ^(١) اُنْتَهَى . وَفِي
ذِكْرِي أَنَّهُ قَالَ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ لَمَّا قَالَ لَهُ الْقَاضِي عِيَّاضُ ^(٢)
شَيْنًا وَلَمْ تَشِبْ ! وَقَالَ الرَّضِيُّ أَيْضًا أَنْشَدَنِي مُحَمَّدٌ لِأَيِّهِ
فِيمَنْ يَكْتُبُ فِي الْوَرَقِ بِالْمَقْصُورِ وَهُوَ غَرِيبٌ:

وَكَاتِبٍ وَشَيْ طَرِبِهِ حَبْرٌ لَمْ يَشِبْهَا حَبْرُهُ وَلَا قَلَمُهُ ^(٣)
لَكِنْ يَمْقَرَا ضِهِ يَنْمِنُهَا نَعْمَةُ الرُّوضِ جَادُهُ رَهْمُهُ
يُوجِدُ بِالْقَطْعِ أَحْرَفًا عُدِمَتْ

فَاعْجَبَ لِشَيْءٍ وَجُودُهُ عَدَمُهُ

وَالرَّهْمُ ^(٤) الْمَطَرُ. قَالَ وَتُوفِّيَ مُحَمَّدٌ الزَّاهِدُ هَذَا عِيَضُ
قُبَيْلَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ خَارِجَ مِصْرَ بِجَمِيعِ

(١) وكذا التراب؛ وإن كان أكثر اطلاقه على النساء الكواعب الأتراك
«أحمد يوسف نجاشي» (٢) تقدم التعريف بالقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن
عياض بن عمر بن موسى بن عياض امام وقته في الحديث وعالومه والنحو
واللغة والأدب ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ «أحمد يوسف نجاشي» (٣) الخبر
جمع حبرة ، وهي في الأصل ضرب من برود اليمن منقوش منمر ، شبت بها
هنا الكتابة ، والوشى : النقش ، والطرس : الصحيفة ، ونغم الكتاب والثوب
وغیره : اذا نقشه ووشاه وزخرفه وحسنه ، ونغمت الريح التراب : اذا خطته
وتركت عليه أثرا كالكتابة والأثر (٤) الرهمة : المطر الضعيف الدائم ، وقال
أبو زيد : من الديمة الرهمة ، وهي أشد وقعا من الديمة وأسرع ذهابا ، وجمعه
رهم ورهام ، وأرهمت السماء : اذا أتت بهذا المطر الضعيف ، وروضة مرهومة :

رَاشِدَةً^(١) بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِ ،
وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ بِرَبَّةِ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ الزَّاهِدِ أَبِي بَكْرٍ
مُحَمَّدٍ الْخَزَرَجِيِّ - الَّذِي يَدُقُّ الرِّصَاصَ - حِذَاءَ رِجْلَيْهِ - فِي
الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ . وَمَوْلَاهُ سَنَةٌ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ . أَنْتَهَى .

« وَمِنْهُمْ الْيَسْعُ بْنُ عَيْسَى بْنِ حَزْمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْيَسْعِ
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِقِيِّ » مِنْ أَهْلِ بَلَنْسِيَّةَ ، وَأَصْلُهُ مِنْ جَبَّانَ ،
وَمَسَكَنَ الْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ مَالَقَةَ ، يُكْنَى أَبَا يَحْيَى ، كَتَبَ لِبَعْضِ

اليسع بن عيسى
ابن حزم بن عبد
الله الغافقي

جاءها الرهم « أحمد يوسف نجاني » (١) كان هذا الجامع يعرف بجامع
راشدة؛ لأنه كان في خطة تسمى خطرة راشدة ، منسوبة إلى راشدة بن أدوب
ابن جديلة من لخم ، وقد دثرت هذه الخطة ، ثم عرفت بالمارداني . وابتدىء
في بناء هذا الجامع في ربيع الآخر سنة ٣٩٣ وتم في شهر رمضان سنة ٣٩٥
وركب الحاكم بأمر الله عشية منتصف رمضان وأشرف عليه ، وهو الذي
عمره ، وصلى به الجمعة في رمضان سنة ٣٩٨ . وهدم في سنة ٤٠١ . وابتدىء
بعمارة وصلى به الحاكم صلاة الجمعة في رمضان من سنة ٤٠٣ وظل هذا الجامع
عامرا تقام به الصلوات زمنا طويلا ، وعطل من اقامة الجمعة بعد حوادث
سنة ٨٠٦ وقال الشريف محمد بن أسعد الجوائني النسابة : راشدة بطن من
لخم ، وهم ولد راشدة بن الحرث بن أد بن جديلة من لخم بن عدى بن الحرث
ابن مرة بن أدء ، وقيل راشدة بن أدوب ، ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف
بالرصد للطل على بركة الحبش اه « أحمد يوسف نجاني » .

الأمراء بشرقي الأندلس^(١) وله تأليف سماء «المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب» جمعه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية بعد أن رحل إليها من الأندلس سنة ستين وخمسمائة، وبها توفي يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة - رحمه الله تعالى - .



محمد بن عبد
الرحمن بن علي
التنجي

«وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ
التنجي، يكنى أبا عبد الله^(٢) من أهل إشبيلية. تجول في بلاد

(١) وأخذ القراءات عن أبيه وغيره ، وسمع البخاري من أبي الحسن علي ابن هذيل سنة ٤٤٤ هـ ثم رحل واستوطن الاسكندرية ثم القاهرة، واشتمل عليه الملك صلاح الدين، ورسم له جاليا يقوم به، واشتمل عليه وقربه واحترمه وكان يكرمه ويشفعه في مطالب الناس ؛ لأنه كان أول من خطب على منابر العبيدية عند نقل الدعوة الى العباسية، اجترأ على ذلك حين تهيبسوا، وكان قفيها مشاورا قفيا مقرئا عدنا حافظا نسابه أخباريا، من أبداع الناس خطا . قلت: وأبوه هو أبو الأصبح عيسى بن حزم العافقي نزيل المرية ، كان مقرئا مجودا ضابطا صالحا متعففا، ولي خطة الشورى والخطابة بالمرية ، وكان أبوه حزم بن عبد الله مقرئا أيضا من أهل جيان، أخذ القراءات عن أبي محمد عبد الله بن سهل الذي توفي بمدينة رندة من نظر قرطبة سنة ٤٨٠ هـ (٢) قد تقدمت ترجمته والتعريف به بأوسع من هذا «أحمد يوسف نجاتي»

الْأَنْدَلُسِ طَالِبًا لِلْعِلْمِ، ثُمَّ حَجَّ، وَلَقِيَ الْخَافِظَ السَّلْمِيَّ وَغَيْرَهُ .
وَأَسْتَوْطَنَ لِسَانَهُ، وَبِهَا تُوُفِّيَ فِي مُجَادَى الْأُولَى سَنَةَ عَشْرَ
وَسِتِّمِائَةٍ، وَلَهُ تَوَالِيفٌ كَثِيرَةٌ .



« وَمِنْهُمْ أَبُو مَرْوَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(١) »
محمد بن أحمد
ابن عبد الملك
الخنسي الباجي

مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ، وَلِيَ الْقَضَاءَ بِهَا، وَأَصْلُهُ مِنْ بَاغَةَ
إِفْرِيقِيَّةَ، دَخَلَ الْمَشْرِقَ لِإِدَاءِ الْفَرِيضَةِ، فَحَجَّ، وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ
- بَعْدَ مَا دَخَلَ الشَّامَ - فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ عَامَ أَرْبَعَةِ
وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَكَانَتْ رِحْلَتُهُ مِنَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ يَوْمٍ
مِنَ الْمُحَرَّمِ عَامَ أَرْبَعَةِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

(١) محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن
عبد الله الراوية، كان قاضي الجماعة بإشبيلية ولى القضاء والخطبة بهادر طويلا،
وكان فاضلا متواضعا. وامتنح في الفتنة عند مقتل ابن أخيه الباجي والى إشبيلية
أبى مروان أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن الأحرر في جمادى
الأولى سنة ٦٣١ هـ فرج من وطنه سنة ٦٣٢ هـ. ورحل إلى المشرق من سبتة
في المحرم من سنة ٦٣٤ هـ ودخل دمشق من مرسى عكا في شهر رمضان منها،
وأقام بها إلى منتصف شوال، وأخذ بها عنه الحديث، ثم حج وزار من جدة



وليد بن بكر
ابن مخلد بن
زياد العبري

« وَمِنْهُمْ وَلِيدُ بْنُ بَكْرِ بْنِ مَخْلَدِ بْنِ زِيَادِ الْعَمَرِيِّ »
مِنْ أَهْلِ سَرْقُسْطَةَ ، يُكْنَى أَبَا الْعَبَّاسِ ^(١) لَهُ كِتَابُ
سَمَاءُ « الْوَجَّازَةُ فِي صِحَّةِ الْقَوْلِ بِالْإِجَازَةِ » وَلَهُ رِحْلَةٌ لَقِيَ
فِيهَا أَلْفَ شَيْخٍ وَمُحَدِّثٍ وَفَقِيهٍ ، تُوُفِّيَ بِالْبَيْتِ نَوْرٍ ^(٢) سَنَةَ
أَثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَتَلْثِيائَةَ ، يَرْوَى عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ ^(٣) ،
وَعَبْدُ الْغَنِيِّ الْحَافِظُ ^(٤) ، وَكَفَاهُ فَخْرُ ابْنِ الْإِمَامَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ
رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ .

في البحر الى عيذاب ، ثم الى قنا ، ثم الى قوص ، ثم الى مصر ، فتوفي بها بعد
دخوله اياها ببلتين - بغان ابن الرصاص - في اواخر شهر ربيع الآخر من
سنة ٢٣٥ لافي ربيع الأول كاهنا « أحمد يوسف نجاشي » (١) كان ثقة
أمينا كثير السماع والكتاب في بلده وفي الغربية ، عالما فاضلا (٢) مدينة من
أعمال الجبل بينها وبين همدان نيف وعشرون فرسخا ، وهي مدينة كثيرة
الثمار والزروع ، وأهلها أجود طبعاً من أهل همدان ، وينسب اليها كثير من
أهل العلم والحديث والأدب « أحمد يوسف نجاشي » (٣) هو عبد بن أحمد
ابن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري الحافظ الثقة ، توفي سنة ٤٣٤ وقد
سبق التعريف به وحديث عنه « أحمد يوسف نجاشي » (٤) هو الحافظ
عبد الغني بن سعيد بن طلي بن سعيد بن بشر بن مروان الأزدي المصري
السمرقندي صاحب التصانيف ، كان ثقة صاحب سنة ، حافظاً علامة قوي
الذكاء ، وانتفع به خلق كثير ، توفي في صفر سنة ٤٠٩ عن ٧٧ سنة
« أحمد يوسف نجاشي » .



« وَمِنْهُمْ عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
عيسى بن سليمان
ابن عبد الملك
الرعيني الرندي »

يَكُنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَسْتَوطنَ مَالِقَةَ ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَحَجَّ ، وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُلُكَاءِ ، وَقَصَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ آخِرَ عَامٍ
وَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَوُلَّى الْإِمَامَةَ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ
بِمَالِقَةَ ، وَبِهَا تُوُفِيَ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ائْتِنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ ، وَلُقِّبَ فِي الْمَشْرِقِ بِرَشِيدِ الدِّينِ ؛ وَوُلِدَ فِي رَيْعِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى
الْأَنْدَلُسِ يُقَالُ لَهَا يِلْمَاتَيْنِ ^(١) كُورَةٌ بِشَغِيرٍ ، ذَكَرَ ذَلِكَ
أَبْنُ الْمُسْتَوفَى فِي تَارِيخِ إِزْبِلَ .



« وَمِنْهُمْ أَبُو الرَّيِّعِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الْيَنِينِي ^(٢) »
سليمان بن أحمد
الييني
مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، أَسْتَوطنَ الْمَشْرِقَ ، وَمَدَحَ الْمَلِكَ
الْكَامِلَ ^(٣) ، وَمِنْ شِعْرِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَوْلُهُ :

(١) فِي نَسْخَةِ « يِلْمَاتَيْنِ » (٢) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَفِي نَسْخَةِ « الْيَنِينِي » وَيُخِيلُ
إِلَى أَنَّ ذَلِكَ تَصْحِيفٌ عَرَفَ عَنْ « الْبَنِي » نَسْبَةً إِلَى « الْبَنَتِ » وَتَهْجُمُ
التَّعْرِيفُ بِهَا (٣) الْمَلِكُ الْكَامِلُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ

لَوْلَا تَحَدُّيْهِ بِآيَةِ سِحْرِهِ
مَا كُنْتُ مُمْتَلًا شَرِيعَةً أَمْرِهِ
رَشَاءً أَصْدَقَهُ ، وَكَاذِبٌ وَعْدِهِ
يُنْدِي لِعَاشِقِهِ أَدْلَةً عُذْرِهِ ^(١)
ظَهَرَتْ نُبُوَّةُ حُسْنِهِ فِي قَتْرَةٍ
مِنْ جَفْنِهِ وَضَلَالَةٍ مِنْ شَعْرِهِ ^(٢)

سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي، ولد سنة ٥٧٦ أو سنة ٥٧٣ هـ وتملك الديار المصرية تحت جناح والده عشرين سنة، وبعده عشرين سنة، فقد كان يتولى سلطنة مصر في حياة والده العادل؛ وبعد موته استقل بالأمر في جمادى الآخرة سنة ٦١٥ وكان أبوه قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وحزمه وسداد رأيه . وكان شجاعاً ذكياً فطنا يحب العلماء والأماثل ويلقى عليهم المشكلات، ويتكلم على صحيح مسلم بكلام مليح، ويثبت بين العدو . وأما عدله فكان إليه المنتهى . وأجزل له كثير من أئمة عصره . وكان محبا للحديث وأهله، حريصاً على حفظه ونقله، وللعلم عنده شرف، ولأهله قدر وقيمة، وهو الذي بنى المدرسة الكاملية سنة ٦٢٢ وقد سبق الكلام فيها، وله كثير من أعمال البر والخير بمصر وغيرها، وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة، وأنفق الأموال الكثيرة، وكافح العدو والحندول براً وبحراً ليلاً ونهاراً، وتوفي في شهر رجب من سنة ٦٣٥ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (١) لعلها « غدره » (٢) لا تخفى التورية في كلمة « فترة » والمعنى المورى عنه هو فتور الجفن « أحمد يوسف نجاتي »



أحمد بن يحيى
الضبي

« وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يُحْيَى الضَّبِّيُّ * » رَحَلَ حَاجًّا، وَلَقِيَ
بِجَايَةَ عَبْدَ الْحَقِّ الْأَشْجَلِيَّ (١)، وَبِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَبَا الطَّاهِرِ

* ترجم له في كتاب الأعلام « ج ١ ص ٨٦ »

هو من علماء الأندلس ومن كبار مؤرخيها ، ولد في مدينة « بلسن »
المعروفة اليوم باسم « رويو بلانكو » وهي غربي مدينة « لورقة »
وتلقى مبادئ العلم قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، وقد ركب متن الأسفار
في شمالي إفريقية ، وطوف في بلادها ، فزار سبتة ، ومراكش ، وبجاية ،
ثم جاء إلى الإسكندرية ، والظاهر أنه أمضى أكثر عمره في مدينة مرسية
بالأندلس ، وله تصانيف كثيرة أخفى عليها الدهر ، وذهبت بها الأيام ،
ولم يبق منها الا « بغية الملتبس في تاريخ الأندلس »

* ترجم له في مذكرات أحمد زكي باشا

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن
سعيد الأزدي الأشجيلي الخطيب ببجاية ، ويعرف بابن الحراط ، نزل ببجاية عند
الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللتونية ، فشر بهاعلمه ، وكان
قصيا عدنا مشهورا حافظا زاهدا أدبيا . ومن شعره :

ياراكب الردع للذاته كأنه في أثن عير
وأكلا كل النى يشهى كأنه في كلا ثور
وناهضا ان يدع داعي الهوى كأنه من خفة طير
وكل ما يسمع أو ما يرى كأنما يعنى به القير
ان كؤوس الموت بين الورى دائرة قد حن السير
وقد تيقنت وان أبطأت أن سوف يأتيك بها الدور
ومن يكن في سيره جائرا باقه مافى سيرها جور

أَبْنُ عَوْفٍ ^(١) وَلَقِيَ غَيْرَ وَاحِدٍ فِي رِحْلَتِهِ ؛ كَالْفَزَنَوِيِّ ^(٢) ،
وَأَبِي الثَّنَاءِ ^(٣) الْحَرَانِيَّ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْحَرِيثِيِّ ^(٤) ، وَلِلْحَرِيثِيِّ
أَحَادِيثُ سَاوَى بِهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمًا ، وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِمَّنْ شَارَكَ
السَّلَفُ فِي شُيُوخِهِ

ولد سنة ٥١٠ وتوفي بيجاية سنة ٥٨١ وتقدم التعريف به بأوسع من هذا
« أحمد يوسف نجاشي » (١) هو أبو الطاهر اسماعيل بن مكي بن اسمعيل
ابن عيسى بن عوف الزهري شيخ المالكية بغير الاسكندرية ، وسمع الحديث
منه الملك العزيز ملك مصر ، وتوفي سنة ٥٨١ « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) لعله الفقيه بهاء الدين أبو الفضل محمد بن يوسف الحنفي القرشي ، توفي
بالقاهرة سنة ٥٩٩ وفي نسخة « كالعربوي » « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضل الحراني المحدث الحافظ
الحنبلي المؤرخ ، توفي بمران سنة ٥٩٨ وتقدم التعريف به « أحمد يوسف
نجاشي » (٤) لعله جد العلامة القدوة أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن
حريث القرشي البلسي ثم السبكي المالكي روى الموطأ عن أبي الربيع
عن ابن بقي ولى خطابة سنة ٣٠٠ عاما وتوفي بمكة سنة ٧٣٣ - وقد تكون
« الحريشي » مصحفة عن « الحديثي » نسبة الى حديثه الموصل بليدة كانت
على الجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى ، ينسب اليها جماعة منهم أبو الحسن علي
ابن عبد الرحمن بن محمد بن بابويه الفقيه السمنجاني ، نزل أصهبان وتوفي بها .
وحديثه الفرات على فراسخ من الأنبار ، ينسب اليها أيضا جماعة من أهل
العلم والحديث ؛ منهم قاضي القضاة ينفاد روح بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن صالح الحديثي الفقيه المحدث توفي سنة ٥٧٠ سوابه أبو المعالي عبد الملك
ابن روح ، ومنهم أبو جعفر النفيس بن وهبان الحديثي السلمي توفي سنة ٥٩٩
وابنه الامام أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس ، كان عارفا بالحديث ورجاله
وعلمه عالما أدبيا قويا باللغة جدا وخاصة لغة الحديث ، قويا مناظرا كريما
الأخلاق توفي سنة ٦١٧ قتله التتر في ثورتهم المشؤومة « أحمد يوسف نجاشي »



محمد بن أحمد
ابن جبير

« وَمِنْهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ ^(١)
الْكِنَانِيُّ صَاحِبُ الرَّحْلَةِ » وَهُوَ مِنْ وَلَدِ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرٍ
ابْنِ عَبْدِ مَنْاةَ بْنِ كِنَانَةَ ^(٢) أُنْدَلُسِيٌّ شَاطِئِيٌّ بِلَنْسِيٍّ ، مَوْلِدُهُ
لَيْلَةَ السَّبْتِ عَاشِرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ
يَلَنْسِيَّةَ ، وَقِيلَ فِي مَوْلِدِهِ غَيْرُ ذَلِكَ ؛ وَسَمِعَ مِنْ أَبِيهِ بِشَاطِئَةِ
وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَلِيِّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ ^(٣) ،
وَأَخَذَ عَنْهُ الْقُرَاءَاتِ وَعُنِيَ بِالْأَدَبِ ، فَبَلَغَ الْغَايَةَ فِيهِ ، وَتَقَدَّمَ
فِي صِنَاعَةِ الْقَرِيبِضِ وَالْكِتَابَةِ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ - وَقَدْ

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام
الكناني الواصل الى الأندلس، دخل جده عبد السلام الأندلس في ولاية
بلنج بن بشر بن عياض القشيري في أول سنة ١٢٣ وكان نزوله بكورة
شنونة (٢) ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة
ابن إلياس، وهم رهط عمرو بن أمية الضمري الصحابي رضي الله عنه
« أحمد يوسف نجاشي » (٣) أبو الحسن طي بن محمد بن أبي العيش
الطرطوشي زليل شاطبة، وتصدر للاقراءها، وكان من أهل الفضل والصلاح
توفي حوالى سنة ٥٦٠ « أحمد يوسف نجاشي » .

دَخَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَاقْتَطَعَ غُصْنًا نَضِيرًا مِنْ أَحَدِ بَسَاتِينِهَا
فَذَوَى ^(١) فِي يَدِهِ - :

لَا تَغْتَرِبْ عَنْ وَطَنٍ وَاذْكُرْ تَصَارِيفَ النَّوَى
أَمَّا تَرَى الْغُصْنَ إِذَا مَا فَارَقَ الْأَصْلَ ذَوَى؟
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يُخَاطَبُ الصَّدْرُ الْحُجَنْدِيُّ ^(٢) :

(١) ذبل وجف وزالت نضيرته (٢) الصدر الحجندی هو أبو بكر صدر الدين محمد بن عبد اللطيف بن محمد المهلبی الأزدي ثم الأصفهانی، كان اماماً فاضلاً مناظراً شافعيًا، صدر العراق في زمانه على الاطلاق، جواداً مهيباً متقدماً عند السلاطين يصدر عن رأيه ، ورد بغداد، وتولى تدريس المدرسة النظامية، ووعظ بها وبجامع القصر، وكان كوزير ذاحشة أشبه منه بالعلماء، عشى والسيوف حوله مشهورة، وخرج من بغداد الى أصبهان، فنزل بقرية بين همدان والكرخ، فنام وهو في عافية فأصبح ميتاً، وذلك في شهر شوال من سنة ٥٥٢ - قلت : ولهذا يبعد أن يكون هو الذي خاطبه ابن جبير - أن كان مولد ابن جبير سنة ٥٤٠ - فلمله خاطب ولده عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف، كان في عصره رئيس أصبهان في العلم، وكان كأبيه فقيهاً فاضلاً مقدماً معظماً مكيناً أميناً لدى السلاطين والرعايا، تفقه على أبيه، ودرس بعده، وأفتى ووعظ وأنشأ وسمع وحدث ، وتوفي بهمدان بعد عوده من الحجاز في سنة ٥٨٠ عن ٤٨ سنة ، وحمل الى أصبهان ودفن بها ، وابنه أبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد كان كذلك فقيهاً بارعاً رئيساً كبيراً، عريقاً في الفضل والرياسة ، انتهت اليه رئاسة الشافعية بأصبهان بعد وفاة أبيه، وورد بغداد، فأُنتم عليه الخليفة بما لم ينم به على أحبد من أمثاله ، ورتبه وظائف جمة ، وتولى نظر النظامية والنظر في أحوال الفقهاء ، ثم خرج مع الوزير الى أصبهان، واستولى عليها، وولى الخليفة

يَا مَنْ حَوَاهُ الدِّينُ فِي عَصْرِهِ صَدْرًا يَحُلُّ الْعِلْمُ مِنْهُ فُؤَادُ
مَاذَا يَرَى سَيِّدُنَا الْمُرْتَضَى فِي زَائِرٍ يَخْطُبُ مِنْهُ الْوِدَادُ؟
لَا يَتَنَحَّى مِنْهُ سِوَى أَحْرَفٍ يَعْتَدُّهَا أَشْرَفَ ذُخْرِ يَهَادُ
تَرْسِمُهَا أَنْمُلُهُ مِثْلَ مَا

نَمُقَّ زَهْرَ الرَّوْضِ كَفَأُ الْعِمَادِ^(١)

فِي رُقْمَةٍ كَالصَّبْحِ أَهْدَى لَهَا يَدُ الْمَعَالِي مِسْكَ لَيْلِ الْإِدَادِ
إِجَازَةً يُورِثُهَا أَمَلًا جَائِزَةً تَبْقَى وَتَقْنَى الْبِلَادِ

بها سقر الطويل من أمراء بغداد، وأذن لابن الحنجدى فى المقام بها، فحرت
بينه وبين الأمير سقر وحشة، فيقال انه دس عليه من قتله، وذلك فى احدي
المجاهدين من سنة ٥٩٢ هـ وسمع شيئا من الحديث، الا أنه لم يبلغ سن الرواية
عنه، وهم منسوبون الى خجندة: بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ
سيحون، وكانت مدينة زهية، ولم يكن بذلك الصقع أثره منها ولا أحسن
فؤادك، وفى وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، وفيها قيل:

ولم أر بلدة بأزاء شرق ولا غرب بأثره من خجندة
هى الغراء تعجب من رآها وهى بالفارسية «دل مزنده»

وفى أهلها جمال ومروءة، وينسب اليها كثير من أهل العلم «أحمد يوسف نجاشى»
(١) العهد والهدى: أول المطر الوسمى، وعهد المكان: عمه المظر، والعهد أيضا:
المطر بعد المطر يدرك آخره بلل أوله، وهو جمع عهد أو عهدة، ومنه
قول الساجع: أصابتنا ديمة بعد ديمه، على عهد غير قديمه، تشبع منها الناب
قبل العظيمة «أحمد يوسف نجاشى»

يُسْتَضَعُ الشُّكْرُ خَدِيمًا لَهَا
وَالشُّكْرُ لِلْعَجَادِ أَسْنَى عَتَادٍ^(١)
فَأَجَابَهُ الصَّدْرُ الْخُجَنْدِيُّ:
لَكَ اللَّهُ مِنْ خَاطِبٍ خُلْتِي
وَمِنْ قَابِسٍ يَحْتَدِي سَقَطَ زَنْدِي^(٢)
أَجَزْتُ لَهُ مَا أَجَاوَهُ لِي وَمَا حَدَّثُوهُ، وَمَا صَحَّ عِنْدِي
وَكَاتِبُ هَذِي السُّطُورِ أَلْتِي
تَرَاهُنَّ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْخُجَنْدِيُّ^(٣)
وَرَافِقُ ابْنِ جَبِيْرِ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ^(٤) أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ
ابْنُ حَسَّانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْسَنِ الْقُضَاعِيِّ، وَأَصْلُهُ مِنْ أُنْدَلُسِ^(٥)

(١) العتاد: العدة لأمر ما تهيئه له، وجمعه أعتد وأعتدة وعتد «بضمين»
(٢) الرحلة: الصداقة والمودة، وقبس منه ناراً «كضرب» واقتبسها: أخذها،
وقبس من العلم، والعلم، واقتبس: إذا أخذ واستفاد، والقبس: النار أو الشعلة
منها تقتبس، أى تؤخذ من معظم النار - وفي حديث علي: حتى أورى قبسا
لقابس - أى أظهر نورا من العلم والحق لطالبه . واجتدى: سأل وطلب .
والسقط: ماسقط بين الزندين قبل الصبح واستحكام الورى (٣) صح
مارجناه من أن المخاطب هو عبد اللطيف بن الصدر الخجندى كما تقدم
«أحمد يوسف نجاشى» (٤) كانت هذه الرحلة فى شوال سنة ٥٧٨ ثم
عاد الى وطنه غرناطة فى المحرم سنة ٥٨١ «أحمد يوسف نجاشى» (٥) أُنْدَلُسُ
onda مدينة كانت من أعمال بلنسية كثيرة المياه والرساتيق والشجر

مِنْ مَمْلَ بَلَنْسِيَّةَ ، رَحَلَ مَعَهُ ، فَأَذِيَا الْفَرِيضَةَ ، وَسَمِعَا بِدِمَشْقَ
مِنْ أَبِي الطَّاهِرِ الْخَشُوعِيِّ ^(١) ، وَأَجَازَ لَهُمَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ
أَبِي عَصْرُونَ ^(٢) ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَسَاكَرٍ ^(٣) وَغَيْرُهُمَا ،

وخاصة التين ، وكانت دار القضاءيين؛ منهم أبو عمرو يوسف بن خيرون
القضاعي الأندلسي، دخل بغداد سنة ٥٠٤ وسمع من الحريري مقاماته، وعاد إلى
المغرب، فهو أول من دخلها بالمقامات ، ومنهم أبو الحاج يوسف بن علي
ابن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد القضاعي الأندلسي توفي سنة ٥٤٢
(١) أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الدمشقي الخشوعي توفي سنة ٥٩٨
وتقدم التعريف به « أحمد يوسف نجاشي » (٢) هو قاضي القضاة شرف
الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن علي بن أبي عصرون
القيسي الحديشي ثم الموصل، أحد الأعلام، وقيه الشام، ولد سنة ٤٩٢. وتفقه
بالموصل، وأخذ ببغداد وواسط وغيرهما ، وعاد إلى الموصل بعلوم حجة، ودرس
بها وأفتى، ثم سكن سنجار مدة، ثم قدم حلب ودرس بها، وولى القضاء لصالح
الذين سنة ٥٧٣ وله مؤلفات حجة مفيدة، وتوفي سنة ٥٨٥ - وعيى الدين أبو
الخطاب عمر بن محمد بن القاضي أبي سعد عبد الله بن محمد، درس بمدرسة
جده بدمشق، وتوفي فجأة سنة ٦٨٢ والشيخ قطب الدين أبو المعالي أحمد
ابن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد بن أبي عصرون، ولد سنة ٥٩٢
وتوفي بحلب سنة ٦٩٢ ونور الدين محمود بن القاضي نجم الدين عبد
الرحمن بن أبي سعد بن أبي عصرون، توفي سنة ٦٩١ - وابن عصرون أيضا
تاج الدين محمد بن عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن أبي سعد بن
عصرون، كان عالما محدثا جليلا ، توفي سنة ٦٩٥ « أحمد يوسف نجاشي »
(٣) أبو محمد القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر
الدمشقي المحدث الشافعي، كان راوية فقيها جليلا حسن المعرفة شديد الورع
ذا دعابة لطيفة ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية بعد والده، فلم يتناول

وَدَخَلَ بَنَدَادًا، وَتَجَوَّ لَا مُدَّةً، ثُمَّ قَفَلَ جَمِيعًا إِلَى الْغَرْبِ، فَسَمِعَ مِنْهُمْ بِه بَعْضُ مَا كَانَ عِنْدَهُمَا - وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا مُتَحَقِّقًا يَعْلَمُ الطَّبَّ، وَلَهُ فِيهِ تَقْيِيدٌ مُفِيدٌ، مَعَ الْمَشَارَكَةِ الْكَامِلَةِ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ « وَكَتَبَ عَنِ السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ^(١) » وَجَدَهُ لِأُمِّهِ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْحَقِّ ابْنُ عَطِيَّةٍ ^(٢)، وَتُوفِيَ أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا بِمُرَاكَشَ سَنَةَ ثَمَانٍ

من معلومها شيئاً ، بل كان يرصده للواردين من الطلبة وتوفي سنة ٦٠٠ وأخذ ابن جبير عن أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر « أحمد يوسف نجاشي » (١) وضعنا هذه العبارة بين قوسين لأنني أعرف أن الذي كتب عن السيد أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن ابن علي هو ابن جبير، كتب له بمدينة سبتة ، كما كتب بغرناطة عن غيره من ذوى قرابته، وله فيهم أمداح كثيرة، فهي عبارة معترضة بين الحديث عن أبي جعفر القضاعي ، وفي الأصل « ومنهم السيد أبو سعيد الخ » وهو كلام غير مفهوم - ولعل أبا جعفر القضاعي كتب أيضاً لأبي سعيد بن عبد المؤمن وكان أبو سعيد هذا من أعوان أخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وقد انتصر في عهده على الافرنج بالأندلس سنة ٥٦٠ وكان عاملاً لأخيه على غرناطة اذ ذاك ، وتوفي أبو سعيد هذا سنة ٥٧١ بمدينة مراكش في طاعون جارف مات فيه أيضاً أخوه أبو عمران موسى بن عبد المؤمن صاحب تلمسان، والسيد أبو زكريا يحيى صاحب بجاية، وكانوا قد وفدوا إليها صحة جيوش كثيرة من العرب والبربر، لعزم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن على غزو الفرنج بالأندلس، ونهض إليها، واستخلف على مراكش أخاه موسى « أحمد يوسف نجاشي » (٢) أبو محمد عبد الحق بن غالب

أَوْ تَسْعَ وَتَسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْخَمْسِينَ فِي سِنِّهِ
- رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى -

« رَجَعَ إِلَى ابْنِ جُبَيْرٍ » قَالَ لِسَانُ الدِّينِ فِي حَقِّهِ : إِنَّهُ مِنْ
عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ بِالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الْأَدَبِ .
وَلَهُ الرُّحْلَةُ الْمَشْهُورَةُ ^(١) . وَأَشْهَرَتْ فِي السُّلْطَانِ النَّاصِرِ
صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ لَهُ قَصِيدَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا أَوَّلُهَا :
أَطَلَّتْ عَلَى أَفْقِكَ الزَّاهِرِ سَعُودٌ مِنَ الْفَلَكَ الدَّائِرِ
وَمِنْهَا :

رَفَعْتَ مَعَارِمَ مَكْسِ الْحِجَازِ بِإِنْعَامِكَ الشَّامِلِ الْغَامِرِ

ابن عبد الرحمن بن عطية الحاربي من أهل غرناطة ، كان واسع المعرفة
قوى الأدب متفنا في العلوم توفي سنة ٥٤٢ هـ « أحمد يوسف نجاتي » .
(١) وقال لسان الدين : كان ابن جبير شاعرا عبيدا سنيا فاضلا ، نزيه المهمة
سرى النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة ، وجرت بينه وبين طائفة من
أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته ، ونظمه فائق ، ونثره بديع ، وكلامه
للرسل سهل حسن ، وأغراضه جليلة ، ومحاسنه ضخمة ، وذكره شهر ، ورحلته
نسيجة وحدها ، طارت كل مطار ، ذكر ما نقله فيها وما شاهده من عجائب
البلدان وغرائب الشاهد وبدائع الصنائع ، وهو كتاب مؤنس تمتع مثير
سواكن الأنفس الى تلك العالم ، وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : إنها ليست
من تصانيفه ، وإنما قيد معاني ما تضمنته ، فتولى ترتيبها وتنضيد معانيها بعض
الآخذين عنه على ما نقلناه . والله أعلم « أحمد يوسف نجاتي »

وَأَمَنْتُ أَكْنَافَ تِلْكَ أَلْيَلَادِ فَهَانَ السَّبِيلُ عَلَى الْعَابِرِ
وَسُخِبُ أَيَادِيكَ فَيَاضَةً عَلَى وَارِدٍ وَعَلَى صَادِرِ
فَكَمْ لَكَ بِالشَّرْقِ مِنْ حَامِدٍ وَكَمْ لَكَ بِالْقَرْبِ مِنْ شَاكِرِ
وَالْأُخْرَى مِنْهَا فِي الشُّكْوَى مِنْ ابْنِ شُكْرِ^(١)
الَّذِي كَانَ أَخَذَ الْمَكْسَ مِنَ النَّاسِ فِي الْحِجَازِ :
وَمَا نَالَ الْحِجَازُ بِكُمْ صَلَاحًا وَقَدْ نَالَهُ مِصْرٌ وَالشَّامُ
وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَخْلَاهُ هَذَا الزَّمَانُ الْغَوْنُ تَوَالَتْ عَلَيْهِمْ حُرُوفُ الْعِلَالِ
قَضَيْتُ التَّمَجُّبَ مِنْ بَابِهِمْ فَصِرْتُ أَطَالِيعُ بَابِ الْبَدَلِ
وَقَوْلُهُ :

غَرِيبٌ تَذَكَّرَ أَوْطَانَهُ فَهَيَّجَ بِالذِّكْرِ أَشْجَانَهُ
يَحُلُّ عُرَا صَبْرِهِ بِالْأَسَى وَيَعْقِدُ بِالنَّجْمِ أَجْفَانَهُ
وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَمَا رَأَى الْيَتَامَى الْحُرَامَ زَادَهُ
اللَّهُ شَرَفًا وَمَهَابَةً وَتَعْظِيمًا :

(١) تقدم التعريف بابن شكر صاحب الوزير صفي الدين أبي محمد عبد الله
ابن الحسين للتوفي سنة ٦٢٢ وكان يبالغ في اقامة النواميس - وبالوزير صفي
الدين أبي عبد الله محمد بن شكر ، وتوفي ذلك العام، وكانت له بدمشق آثار
حسنة « أحمد يوسف نجاشي »

بَدَتْ لِي أَعْلَامُ بَيْتِ الْهَدْيِ بِمَكَّةَ ، وَالنُّورُ بَادٍ عَلَيْهِ
فَأَحْرَمْتُ شَوْقًا لَهُ بِالْهَوَى وَأَهْدَيْتُ قَلْبِي هَدِيًّا إِلَيْهِ ^(١)
وَقَوْلُهُ يُضَاطَبُ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ مَوْزًا :

يَا مُهْدِي الْمَوْزِ تَبَقَى وَمِثْلُهُ لَكَ فَأَهْ
وَزَايُهُ عَنْ قَرِيبٍ لِمَنْ يُعَادِيكَ تَاهُ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

قَدْ ظَهَرَتْ فِي عَصْرِنَا فِرْقَةٌ ظُهُورُهَا شُوْمٌ عَلَى الْعَصْرِ
لَا تَقْتَدِي فِي الدِّينِ إِلَّا بِمَا سَنَّ ابْنُ سِينَا وَأَبُو نَصْرِ ^(٢)
وَقَالَ :

(١) وقال في هذا الغرض :

هنيئًا لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها
فلت السعادة مضمونة لمن حج طيبة أوزارها
وقال :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمله
وإن زار قبر نبي الهدى فقد كمل الله ما أم له

أم بمعنى قصد، ولا يعني الجنس التام في البيتين والذين قبلهما «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) يريد الرئيس أبا علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور
المتوفى سنة ٤٢٨ هـ وأبا نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي
الحكيم المشهور أكبر فلاسفة المسلمين في عصره ، وتوفي سنة ٣٣٩ هـ
وبكتب الفارابي تخرج ابن سينا ، وبكلامه انتفع في تصانيفه رحمه الله
« أحمد يوسف نجاتي » .

يَا وَحْشَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ فِرْقَةٍ
شَاغِلَةٍ أَنْفُسَهَا بِالسَّفَةِ
قَدْ نَبَذَتْ دِينَ الْهُدَى خَلْفَهَا
وَادَّعَتْ الْحِكْمَةَ وَالْفَلَسَفَةَ
وَقَالَ :

صَلَّتْ بِأَفْعَالِهَا الشَّنِيعَةَ طَائِفَةٌ عَنْ هُدَى الشَّرِيعَةِ
لَيْسَتْ تَرَى فَاعِلًا حَكِيمًا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى الطَّبِيعَةِ
وَكَانَ أَنْفِصَالُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ غَرَنَاطَةٍ بِقَصْدِ
الرَّحْلَةِ الْمَشْرِيقِيَّةِ أَوَّلَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنِ
لِشَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَوَصَلَ إِلَى
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ يَوْمَ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ
الْحَرَامِ مِنَ السَّنَةِ ، فَكَانَتْ إِقَامَتُهُ عَلَى مَتْنِ الْبَحْرِ
مِنْ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَتَزَلَ الْبَرُّ
الْإِسْكَنْدَرَانِيَّ فِي الْخَادِي وَالثَّلَاثِينَ ، وَحَجَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - وَتَجَوَّلَ فِي الْبِلَادِ ، وَدَخَلَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَالْجَزِيرَةَ
وغيرَهَا . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَمَا قَالَ ابْنُ الرَّقِيقِ : مِنْ
أَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ ، كَتَبَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَنِ السَّيِّدِ

أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ صَاحِبِ غَرْ نَاطَةَ ^(١) ، فَاسْتَدْعَاهُ
لِأَن يَكْتُبَ عَنْهُ كِتَابًا وَهُوَ عَلَى شَرَابِهِ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ بِكَاسٍ
فَظَهَرَ الْأَنْقَبَاضُ ، وَقَالَ : يَا سَيِّدِي مَا شَرِبْتُمَا قَطُّ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَتَشْرَبَنَّ مِنْهَا سَبْعًا ، فَلَمَّا رَأَى الْغَزِيَّةَ شَرِبَ سَبْعَ أَكْوَامٍ ،
فَمَلَأَ لَهُ السَّيِّدُ الْكَاسَ مِنْ دَنَانِيرَ سَبْعِ مَرَّاتٍ ، وَصَبَّ ذَلِكَ
فِي حِجْرِهِ ، فَحَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَحْمَلَ كَفَّارَةَ شُرْبِهِ
أَلْحِجَّ بِتِلْكَ الدَّنَانِيرِ ، ثُمَّ رَغِبَ إِلَى السَّيِّدِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ حَلَفَ
بِإِيمَانٍ لَا خُرُوجَ لَهُ عَنْهَا أَنَّهُ يَحْجُجُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، فَاسْتَعْفَهُ
وَبَاعَ مِلْكَالَهُ تَرَوَّدَ بِهِ ، وَأَتَّفَقَ تِلْكَ الدَّنَانِيرَ فِي سَبِيلِ الْبِرِّ .
وَمِنْ شِعْرِهِ فِي جَارِيَةٍ تَرَكَهَا بِغَرْ نَاطَةَ :

طُولُ اغْتِرَابٍ وَبُرْخُ شَوْقٍ لَا صَبْرَ وَاللَّهِ لِي عَلَيْهِ
إِلَيْكَ أَشْكُو الَّذِي الْآقَى يَا خَيْرَ مَنْ يُشْتَكَى إِلَيْهِ
وَلِي بِغَرْ نَاطَةَ حَبِيبٌ قَدْ غَلِقَ الرُّهْنُ فِي يَدَيْهِ ^(٢)

(١) سبق قريبا أن شرحنا ذلك وفصلنا القول فيه « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) غلق الرهن « كفرح » استحقه الرهن ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت
الشروط ، فبقى في يد الرهن لا يقدر راهنه على تخليصه ، قال زهير بن أبي
سلي يذكر امرأته :

وفارقتك برهن لافسكك له يوم الوداع ، فأمسى الرهن قد غلما

وَدَعْتُهُ وَهُوَ فِي دَلَالٍ يُظْهِرُ لِي بَعْضَ مَا لَدَيْهِ (١)
 فَلَوْ تَرَى طَلَّ نَرْجِسِيهِ يَنْهَلُ فِي وَرْدٍ وَجَنَّتِيهِ (٢)
 أَبْصَرْتَ دُرًّا عَلَى عَقِيقٍ مِنْ دَمْعِهِ فَوْقَ صَفْحَتِيهِ
 وَلَهُ رِحْلَةٌ مَشْهُورَةٌ بِأَيْدِي النَّاسِ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
 بَنْدَادَ تَذَكَّرَ بَلَدَهُ فَقَالَ :

سَقَى اللَّهُ بَابَ الطَّاقِ صَوْبَ عَمَامَةٍ

وَرَدَّ إِلَى الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبٍ (٣)

انتهى .

يقول انها ارتهنت قلبه لديها فلم يقدر على افكاكه، فصار ملكا لها. وقال آخر
 هل من نجاه لموعد بخلت به؟ أوللرهين الذي استغفقت من فادى؟
 وقال عمارة بن صفوان الضبي :

أجارتنا من يجتمع ينفق ومن يك رهنا للحوادث يغل

ويقال : غلق قلبه في يدمن يهوى - وقوم مغاليق : يغل الرهن على أيديهم
 « أحمد يوسف نجاشي » (١) في الأصل « ودعته وهو بارتخاض » وآثرنا هنا
 مارأينا في نسخة أخرى « أحمد يوسف نجاشي » (٢) يريد بالطل الدمع،
 وبنرجسيه عينيه ، وينهل : ينصب ويهطل (٣) باب الطاق : محلة كبيرة كانت
 يبعد بالجناب الشرق ، تعرف بطاق أسماء ، بين الرصافة ونهر العلي ، تنسب
 الى أسماء بنت النصور ، وعند هذا الطاق كان يجلس الشعراء في أيام الرشيد ،
 واجتاز به عبد الله بن طاهر بن الحسين ، فرأى قرية تنوح ، فأمر بشراها
 واطلاقها ، فاشترت بثمان باهظ ، وأنشد عبد الله يقول :

ناحت مطوقة ياب الطاق جفرت سوابق دمي للمراق



وصف دمشق في
رحلة ابن جبير

وَقَالَ فِي رِحْلَتِهِ فِي حَقِّ دِمَشْقَ : جَنَّةُ الْمَشْرِقِ ، وَمَطْلَعُ
حُسْنِهِ الْمُؤْنِقِ ^(١) الْمَشْرِقِ ، وَهِيَ خَاتِمَةُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ الَّتِي
أَسْتَقْرَيْنَاهَا ^(٢) ، وَعَرُوسُ الْمُدُنِ الَّتِي اجْتَلَيْنَاهَا ، الَّتِي قَدْ تَحَلَّتْ
بِأَزَاهِيرِ الرِّيحِ ، وَتَجَلَّتْ فِي حُلَلِ سُندُسِيَّةٍ مِنَ الْبَسَائِنِ ،
وَحَلَّتْ مِنْ مَوْضِعِ الْحُسْنِ بِالْمَكَانِ الْمَكِينِ ، وَتَرَيْنَتْ فِي
مِنْصَبِهَا ^(٣) أَجْمَلَ تَرْيِينٍ ، وَتَشَرَّفَتْ بِأَنْ أَوَى اللَّهُ تَعَالَى الْمَسِيحَ
وَأُمَّهُ مِنْهَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(٤) ، ظِلُّ ظَلِيلٍ ، وَمَاءٌ

كانت تغرد بالأراك ، وربما كانت تغرد في فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق ، فأصبحت بعد الأراك تنوح في الأسواق
فجعت بأفرخها ، فأسبل دمعها ان الدموع تبوح بالمشاق
تس الفراق ، وبت جبل وتينه وسقاء من سم الأسود ساق
ماذا أراد بقصده قمرية لم تدر ما بغداد في الآفاق ؟ !
في مثل مابك يا حمامة ، فأسألي من فك أسرك أن يحل وثاق
وبت : قطع ، والوتين : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه ، استعير للفراق
بتشبيهه بعدو يستحق الهلاك وأن يدعى عليه بالموت . والأساود : الحيات ،
وقد روى أن صاحب القصة في اطلاق القمرية هو اليمان بن أبي اليمان
الشاعر البندنجي الضرير الرقيق -- هذا وروى : سقى الله الأرض الغرب ،
بدل : باب الطاق - « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) اللونق : الحسن العجب (٢) أي تتبعناها وجناها (٣) المنصة : ما ترفع
عليه العروس عند جلوتها كسرير أو كرسي ، ونس العروس : اذا أقعدها
على المنصة ترى من بين النساء (٤) هذا من قوله تعالى « وجعلنا ابن مريم
وأمه آية وآييناها الى ربوة ذات قرار ومعين » والآية هي الولادة على

سَلْسِيلٌ^(١) تَنْسَابُ مَذَانِيهِ^(٢) أَنْسِيَابَ الْأَرَاقِمِ بِكُلِّ سَبِيلٍ،
وَرِيَاضٌ يُخْنِي النُّفُوسَ نَسِيمَهَا الْعَلِيلُ، تَتَبَرَّجُ لِنَظَرِهَا بِمُجْتَلَى
صَقِيلٍ، وَتُنَادِيهِمْ: هَلُمُّوا إِلَى مُعَرَّسٍ لِلْحُسْنِ وَمَقِيلٍ^(٣)، قَدْ
سَمِئَتْ أَرْضُهَا كَثْرَةَ أَلْمَا، حَتَّى اشْتَاقَتْ إِلَى الظُّلْمَا، فَتَكَادُ
تُنَادِيكَ بِهَا أَلْصَمُ الصَّلَابِ «أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُنْعَسِلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ» قَدْ أَخَذَتْ بِهَا الْبَسَاتِينُ إِحْدَاقَ الْهَالَةِ
بِالْقَمَرِ، وَأُكْتَفَتْهَا أُكْتِنَافُ الْكِمَامَةِ^(٤) لِلزَّهْرِ، وَأَمْتَدَّتْ

الوجه العجيب الناقص للعادة ، والربوة هي الأرض المرتفعة والأكثر
على أنها دمشق وغطتها - والقرار: الاستقرار من الأرض المنبسطة المستوية ،
والعين : الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض؛ من عانه يعينه: اذا أدركه بعينه،
أو من عان الماء يعينه: اذا استنبطه « فوزنه مفعول وأصله معيون » وان
شئت جعلته « ضيلا » من المعن: وهو الشيء السهل الذى لا يجد معطيه أى
صعوبة ؛ لأنه ينقاد ولا يتعاصى ، أو أنه نفاع لظهوره وجريه، مشتقا من
الماعون: وهو النفعة « أحمد يوسف نجاشى » (١) ظل ظليل: أى يمتد وارف
والسلسيل: السهل المدخل فى الحلق فى غاية السهولة (٢) المذانب : جمع
مذنب، وهو مسيل ما بين التلعتين، أو هو مسيل الماء الى الأرض ، والأراقم
جمع أرقم: وهو الحية، أو ما فيه سواد وياض ، أورقم بحمرة وسواد وكثرة
وبقعة (٣) المعرس: موضع التعريس: وهو النزول ليلا للاستراحة من عناء
السفر، والمقيل: موضع القيوالة؛ وهى النوم نصف النهار ، والقائلة: الظهيرة
نصف النهار ، وقال يقييل: اذا نام فيه (٤) الكمامة : غلاف النور أو النطاء
الزهرى « أحمد يوسف نجاشى » .

بِشَرَفِهَا غُوطَهَا الْخَضْرَاءُ أَمْتِدَادُ الْبَصَرِ ، فَكُلُّ مَوْقِعٍ
لَحْظَةٍ بِجِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ نُضْرَتُهُ الْيَا لَمَّةُ قَيْدِ النَّظَرِ ، وَلِلَّهِ صِدْقُ
الْقَائِلِينَ فِيهَا: إِنْ كَانَتْ الْجَنَّةُ فِي الْأَرْضِ فَدِمَشْقُ لَا شَكَّ
فِيهَا ، وَإِنْ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ بِحَيْثُ تُسَامَتُهَا ^(١) وَتُحَاذِيهَا .
قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ جَابِرٍ الْوَادِي آشِي ^(٢) بَعْدَ ذِكْرِهِ وَصَفَ
ابْنَ جُبَيْرٍ لِدِمَشْقٍ مَا نَصَّهُ: وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا وَصَفَ مِنْهَا وَأَجَادَ ،
وَتَوَقَّ الْأَنْفُسُ لِلتَّطَلُّعِ عَلَى صُورَتِهَا بِمَا أَفَادَ ، هَذَا وَلَمْ تَكُنْ
لَهَا بِهَا إِقَامَةٌ ، فَيَعْرَبُ عَنْهَا بِحَقِيقَةِ عِلَامَةٍ ، وَمَا وَصَفَ ذَهَبِيَّاتٍ
أَصِيلَهَا وَقَدْ حَانَ مِنَ الشَّمْسِ غُرُوبُ ، وَلَا أَرْزَمَانَ فُصُولِهَا
الْمُتَوَوَّعَاتِ ، وَلَا أَوْقَاتَ سُرُورِهَا الْمُهْنَتَاتِ ، وَلَقَدْ أَنْصَفَ
مَنْ قَالَ: أَلْفَيْتُهَا كَمَا تَصِفُ الْأَلْسُنُ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ
وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ . اُنْتَهَى .

(١) تهابلها وتوازيها . قلت: وهذا معنى قول الشاعر في أوائل الكتاب :

ان تكن جنة الخلود بأرض فدمشق ، ولا يكون سواها

أو تكن في السماء فهي عليها قد أمدت هواءها وهواها

وان كان البيت الثاني قد يحتمل معنى آخر « أحمد يوسف نجاشي » (٢) أبو
عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي الأديب المؤرخ ، روى عن الشيخ
المقرئ المحدث أبي عبد الله محمد بن حيان الأوسى الأندلسي زبيل تونس ،
وهو منسوب الى وادي آش Guadix كان من إقليم البيرة vera الذي
منه مدينة غرناطة ، وتقدم وصف هذا الوادي والتعريف به « أحمد يوسف نجاشي »



« رَجِعْ إِلَى كَلَامِ ابْنِ جُبَيْرٍ » فَقُولُ: ثُمَّ ذَكَرَ فِي وَصْفِ مَسْجِدِ دِمَشْقِ
 وَصَفَ الْجَامِعِ أَنَّهُ مِنْ أَشْهَرِ جَوَامِعِ الْإِسْلَامِ حُسْنًا،
 وَإِتْقَانًا بِنَاؤُهُ، وَغَرَابَةَ صُنْعِهِ، وَاحْتِفَالَ تَنْمِيقِ وَتَزْيِينِ، وَشُهْرَتَهُ
 الْمُتَمَارِفَةَ فِي ذَلِكَ تُغْنِي عَنِ اسْتِغْرَاقِ الْوَصْفِ فِيهِ . وَمِنْ
 عَجِيبِ شَأْنِهِ أَنَّهُ لَا تَنْسَجُ بِهِ الْعَنْكَبُوتُ، وَلَا تَدْخُلُهُ، وَلَا
 يُلْمُ بِهِ الطَّيْرُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْخُطَافِ . ثُمَّ مَدَّ النَّفْسَ فِي وَصْفِ
 الْجَامِعِ وَمَا بِهِ مِنَ الْعَجَائِبِ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ عِدَّةِ أَوْرَاقٍ مَا نَصَّهُ:
 وَعَنْ بَيْنِ الْخَارِجِ مِنْ بَابِ جَيْرُونَ^(١) فِي جِدَارِ الْبَلَاطِ
 الَّذِي أَمَامَهُ غُرْفَةٌ ، وَلَهَا هَيْئَةٌ طَاقٍ كَبِيرٍ مُسْتَدِيرٍ فِيهِ طَيْقَانٌ
 صُفْرٌ وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا صِفَارًا عَلَى عِدَدِ سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَدُبُرَتْ
 تَدِيرًا هَنْدَسِيًّا، فَعِنْدَ انْقِضَاءِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ تَسْقُطُ صَنْجَتَانِ^(٢)
 مِنْ صُفْرٍ مِنْ فَمَيَّ بَازِيَيْنِ مُصَوَّرَيْنِ مِنْ صُفْرٍ قَائِمَيْنِ عَلَى طَائِسِي

(١) اسم باب من أبواب مسجد دمشق هو باب الشرق، كان فيه فوارة ينزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب، يعلو ماؤها نحو الرمح وقد نسب إليه بعض الرواة ؛ منهم هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طائوس المقرئ الجيروني امام جامع دمشق ، كان محدثا ثقة، توفي سنة ٥٣٦هـ
 (٢) الصنجة : صفيحة مدورة من النحاس يضرب بها على أخرى مثلها في الطرب ، والصفير : النحاس « أحمد يوسف نجاشي »

صُفْرٍ تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، أَحَدُهُمَا تَحْتَ أَوَّلِ بَابٍ مِنْ تِلْكَ
 الْأَبْوَابِ، وَالثَّانِي تَحْتَ آخِرِهَا، وَالطَّاسْتَانِ مَثْقُوبَتَانِ، فَعِنْدَ
 وَقُوعِ الْبُنْدُوقَتَيْنِ فِيهِمَا تَعُودَانِ دَاخِلِ الْجِدَارِ إِلَى الْعُرْفَةِ، وَتُبْصِرُ
 الْبَازِيَيْنِ يَمْدَانِ أَغْنَاكُهُمَا بِالْبُنْدُوقَتَيْنِ إِلَى الطَّاسَتَيْنِ، وَيَقْدُفَانِيهَا
 بِسُرْعَةٍ بَتْدِيرٍ عَجِيبٍ تَحْيَلُهُ الْأَوْهَامُ سِحْرًا، وَعِنْدَ وَقُوعِ
 الْبُنْدُوقَتَيْنِ فِي الطَّاسَتَيْنِ يَسْمَعُ لِهَمَادَوِيٍّ، وَيَنْغَلِقُ الْبَابُ الَّذِي هُوَ
 لِنِلكِ السَّاعَةِ لِلْحَيِّينِ بِالْوَحِّ مِنَ الصُّفْرِ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ عِنْدَ
 انْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى تَنْغَلِقَ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا، وَتَنْقُضِيَ
 السَّاعَاتُ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِ. وَلَهَا بِاللَّيْلِ تَدِيرٌ آخَرُ؛
 وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْقُوسِ الْمُنعَطِفِ عَلَى تِلْكَ الطِّيقَانِ الْمَذْكُورَةِ
 اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دَائِرَةً مِنَ النُّحَاسِ مُحَرَّمَةٌ، وَتَمْتَرِضُ فِي كُلِّ
 دَائِرَةٍ زُجَاجَةٌ مِنْ دَاخِلِ الْجِدَارِ فِي الْعُرْفَةِ مُدْبَّرَةٌ ذَلِكَ كُلُّهُ
 مِنْهَا خَلْفَ الطِّيقَانِ الْمَذْكُورَةِ، وَخَلْفَ الزُّجَاجَةِ مِصْبَاحٌ
 يَدُورُ بِهِ الْمَاءُ عَلَى تَرْتِيبِ مِقْدَارِ السَّاعَةِ، فَإِذَا انْقَضَتْ عَمَّ
 الزُّجَاجَةِ ضَوْءُ الْمِصْبَاحِ، وَفَاضَ عَلَى الدَّائِرَةِ أَمَامَهَا شُعَاعُهَا
 فَلَا حَتَّ لِلْأَبْصَارِ دَائِرَةً مُحَرَّمَةً، ثُمَّ انْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْآخَرَى
 حَتَّى تَنْقُضِيَ سَاعَاتُ اللَّيْلِ، وَتَحْمَرُّ الدَّوَائِرُ كُلُّهَا، وَقَدْ وَكَّلَ

بِهَا فِي الْغُرْفَةِ مُتَّقِدٌ لِحَالِهَا ، دَرَبٌ بِشَأْنِهَا وَاتَّقَالِهَا ، يُعِيدُ فَتَحَ
الْأَبْوَابِ وَصَرَفَ الصُّنَجِ إِلَى مَوْضِعِهَا ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا
النَّاسُ الْمُنْجَانَةَ . أَنْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنْهُ .

قُلْتُ كُلُّ مَا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي وَصْفِ دِمَشْقِ الشَّامِ
وَأَهْلِهَا فَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَسِيرٌ ، وَمَنْ ذَا يَرُومُ عَدَّ مُحَاسِنَهَا الَّتِي
إِذَا رَجَعَ الْبَصَرُ فِيهَا انْقَلَبَ وَهُوَ حَسِيرٌ ^(١) ! وَقَدْ أَطْنَبَ النَّاسُ
فِيهَا ، وَمَا بَقِيَ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرْتُهُ ، وَقَدْ دَخَلْتُهَا وَأَخِرَ شَعْبَانَ مِنْ
سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَالْفِ لِلْهِجْرَةِ ، وَأَقَمْتُ بِهَا إِلَى أَوَائِلِ
شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَأَرْتَحِلْتُ عَنْهَا إِلَى مِصْرَ ، وَقَدْ تَرَكْتُ
الْقَلْبَ فِيهَا رَهْنًا ، وَمَلَكَ هَوَاهَا مِنِّي فِكْرًا وَذِهْنًا ، فَكَأَنَّمَا
بِلَدِّي الَّتِي بِهَا رُيِّتُ ، وَقَرَّارِي الَّذِي لِي بِهِ أَهْلٌ وَيَتٌ ، لِأَنَّ
أَهْلَهَا عَامِلُونِي بِمَا لَيْسَ لِي بِشُكْرِهِ يَدَانِ ^(٢) ، وَهَآنَذَا إِلَى
هَذَا التَّارِيخِ لَا أَرْتَاخُ لِعَظِيمِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ ، وَلَا يَشُوقُنِي ذِكْرُ
أَرْضِ بَابِلَ وَلَا بَغْدَادَ ^(٣) ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُمْطِرُ مِنْهَا
بِالْعَافِيَةِ الْأَرْدَانَ . وَقَدْ عَنَّا لِي أَنْ أَذْكَرَ مُجَلَّةً مِمَّا قِيلَ فِيهَا

(١) حصر بصره يحسر: اذا كل وتعب وأعياء من طول النظر (٢) أي قوة

وطاقة وقدره (٣) لغة في بغداد « أحمد يوسف نجاشي »

مِنَ الْأَمْدَاحِ الرَّائِقَةِ، وَأَسْرَدَ مَا خَاطَبَنِي بِهِ أَهْلُهَا مِنَ الْقَصَائِدِ
الْفَائِقَةِ: فَأَقُولُ: قَالَ الْبَذْرُ بْنُ حَبِيبٍ^(١):

* *

يَمِّ دِمَشْقَ، وَمِيلَ إِلَى غَزِيَّتِهَا
وَالْمَحْ حَمَّاسٍ حُسْنِ جَامِعٍ يَلْبِغَا^(٢)
مَنْ قَالَ مِنْ حَسَدٍ: رَأَيْتُ نَظِيرَهُ
يَنْ أَلْجَوَامِعِ فِي الْبِلَادِ فَقَدْ لَمَّا

بعض ما قيل في
دمشق من أحوال
الشعراء

(١) هو بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب
ابن عمر بن شريح بن عمر الدمشقي الأصل الحلبي، ولد بحلب سنة ٧١٠
ورحل فسمع ببصر وغيرها، واشتغل وبرع الى أن صار رأساً في الأدب
والتاريخ والانشاء، وله نظم وثر التزم فيه السجع، فهو يمثل أرق نماذج الانشاء
للسجوع في عصره، وله تأليف مفيدة، وكان دمث الأخلاق حسن المحاضرة
حميد المذاكرة، توفي بحلب سنة ٧٧٩- وهو والد زين الدين أبي العز طاهر
ابن الحسن اللؤلؤ سنة ٧٤١ كاتب ديوان الانشاء بحلب ثم القاهرة، وله ذيل على
تاريخ والده، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى «أحمد يوسف نجاتي»
(٢) يلغا بن عبد الله الخاسكي الناصري الأمير الكبير الشير، أول مأموره
الناصر حسن ملك مصر مقدم ألف بعد موت تنكز، ثم كان يلغا رأس
من قام على أستاذه الناصر حسن، حتى قتل سنة ٧٦٢ وتسلطن صلاح الدين
الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون، فاستقر
أتابكته، ثم خلعه في شعبان من سنة ٧٦٤ «وتوفي الملك المنصور سنة ٨٠١»
وتسلطن الأشرف شعبان، فتاهت الى يلغا الرئاسة، ولقب بنظام الملك، وصار
اليه الأمور والنهي، وهو السلطان في الباطن، وارتقى الى أن صار العدد الكثير
من عماليكه نواب البلاد ومقدمي ألوف، وبلغت عدة عماليكه ثلاثة آلاف
وكان يسكن الكباش بالقرب من قناطر السباع، وكان موكبه أعظم المواكب،

وَقَالَ فِي كِتَابِ « شَيْفِ السَّامِعِ بِوَصْفِ الْجَمَاعِ »^(١)
 اللَّهُ مَا أَحَلَّ مُحَاسِنَ جِلَّتِي
 وَجَهَاتَهَا أَلَلَايَ تَرَوْقُ وَتَعَذُّبُ^(٢)
 يَزِيدُ رَبُّوتَهَا أَلْفَرَاتٍ وَجَنَكِهَا
 يَا صَاحِبَ كَمْ كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ^(٣)
 وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

وأمنت في زمانه الطرقات من العربان والتركمان لقطعه أجبارهم وآثارهم
 وفي زمانه كانت وقعة الاسكندرية واستيلاء الفرنج عليها أول سنة ٧٦٧
 فقام بمجهود قوة استعداد وانتزاعها من أيديهم، وانتقم منهم على سوء صنيعهم،
 وكانت له صدقات كثيرة على طلبة العلم ومعروف كثير في بلاد الحجاز، وهو
 الذي حط للكس عن الحجاج بمكة، وعوض أمراءها ببلاد مصر، وكان يتعصب
 للحنفية، ويعطى لمن كان مذهبه حنфия العطاء الجزيل، فتحول كثير من الشافعية
 الى مذهب أبي حنيفة. ثم اتفق مماليكه على قتله « ومنهم أقبحا الأحمدي الذي
 كان من خواص يلغاه، واستقر بعده أميراً كبيراً، وآل أمره الى أن مات في
 سجن الاسكندرية في أواخر سنة ٧٦٨ « ففر، ثم جاء خاضعاً طائعا، فأمر
 السلطان بحبسه، ثم أذن في قتله في شهر ربيع الآخر من سنة ٧٦٨ .
 « أحمد يوسف نجاشي » (١) أي جامع بنى أمية، والكتاب تأليف زين الدين
 طاهر بن البدر بن حبيب السابق - والشنف : القرط تحلى به الأذن .
 « أحمد يوسف نجاشي » (٢) جلق اسم لكورة القوطة كلها، أو هي دمشق
 نفسها، وفيها يقول حسان بن ثابت :

لَهُ دَرُ عَصَابَةٍ نَادِمَتَهُمْ يَوْمًا بِجَلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

(٣) نهر يزيد بدمشق في لحف جبل قاسيون، منسوب الى يزيد بن أبي
 سفيان، وبدمشق في لحف جبل على فرسخ منها موضع يسمى الربوة لم

لِلَّهِ مَا أَجْمَلَ وَصَفَ جَلَّتْ وَمَا حَوَى جَامِعُهَا الْمُنْفَرِدُ

يكن في الدنيا أنزه منه؛ لأنه في لحف جبل تحته سواء نهر بردى، وبه نهر يزيد
يجرى ويصب منه ماء إلى سقايته وإلى بركه، وهناك أيضاً مسجد الربوة منسوب
إليها « فأضاف ابن جبيب يزيد « اسم النهر » إلى مكانه « ربوة دمشق »
والفرات صفة له: أى شديد العذوبة - والجنك في الأصل: آلة الطرب كالعود
« معرب » مما عربه المحدثون، قال بعض المتأخرين في قوس قزح :
وكان قوس النيم جنك مذهب وكان قوس قطر الحيا أوتاره
وكان نور الدين قد بنى بالربوة قلعة على شعب جبل منحوتة بألواح من خشب
سقفها نهر يزيد، وأساسها من تحتها نهر « ثورى » ويقابلها دف الزعفران
والجنك الشرقى في رأسه مثل الجنك، إلى غير ذلك مما ذهب بذهاب أيامه.
وهذا الجبل هو المقصود بالجنك في الشعر هنا . و « ثورى » نهر عظيم
بدمشق، وهو من فروع نهر بردى الذى هو أعظم أنهار دمشق، ونهر
يزيد في شمال نهر ثورى . وقال الهماد الأصفهاني أبو عبد الله محمد بن محمد
الكتاب المشهور يذكر هذه الأنهر :

إلى ناس باناس إلى صبوة لها الوجد داع وذكري مثير
ومن بردى برد قلبى للشوق فهأنا من حره مستجير
وباناس من أنهار دمشق، وفيه يقول الحسن بن عبد الله بن أبى حصينة المعري
يا صاحبي سقى منازل جلق غيث يروى محلات طساسها
فرواق جامعها، فباب بريدها فمشارب القهوات من باناسها
من لى برد شيبية قضيتها فيها وفي حمص وفي عرناسا
وزمان لهو بالمرعة مونق بسيابها وبجاني همراسها
والهمراس : موضع بالمرعة، والعرناس : موضع بحمص، والطساس هناك كالسكور
أو النواحي والأعمال في غيرها . « أحمد يوسف نجاشي »

قَدْ أَطْرَبَ النَّاسَ بِصَوْتِ صِدِّهِ
 وَكَيْفَ لَا يُطْرَبُ وَهُوَ مَعْبُدٌ^(١)
 وَقَالَ فِي ذِكْرِ بَابِ الْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِيَابِ الزِّيَادَةِ :
 يَا رَاغِبًا فِي غَيْرِ جَامِعٍ جَلِّقِ
 هَلْ يَسْتَوِي الْمَنْعُوعُ وَالْمَنْنُوحُ^{١٩}
 أَقْصِرْ عَنْكَ ، وَفِي غُلُوكَ لَا تَزِدْ
 إِنَّ الزِّيَادَةَ بِأَيْهَا مَفْتُوحٌ^(٢)
 وَقَالَ فِي مَنَارَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعُرُوسِ :

(١) التورية في لفظ « معبد » ظاهرة - فالمعبد: موضع العبادة ، ومعبد النفس
 معروف مشهور ، والأصل في ذلك قول برهان الدين القيراطي :
 سقى بدمشق الفيت جامع نسكها بروضاته غنى الحمام للفرد
 اذا مازها في العين من ذاك معبد لذكر خلاف السمع من ذاك المعبد
 ومنه أخذ الصلاح الصفدي قوله :
 تقول دمشق اذ تفاخر غيرها بمعبدها الزاهي البديع للشيد
 جرى لياها حسنه كل معبد وما قصبات السبق الا لمعبد
 ومن معاني البرهان القيراطي قوله :
 دمشق في الحسن لها منصب عال وذكر في الوري شائع
 نفل من قاس بها غيرها وقل له ذا الجامع الجامع
 والقول في دمشق وأما كنها كثير ربما عرضنا له . « أحمد يوسف نجاشي »
 (٢) قلت وقد أخذ هذا المعنى من قول ابن نباتة
 أرى الحسن مجموعا بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحه مشروح

مَعْبُدُ الشَّامِ يَجْمَعُ النَّاسَ طَرًّا
وَلِإِلَيْهِ شَوْقًا تَمِيلُ النُّفُوسُ
كَيْفَ لَا يَجْمَعُ الْوَرَى وَهُوَ يَتُّ

فِيهِ تُجَلَّى عَلَى الدَّوَامِ الْعُرُوسُ
وَمِنْهُ فِي ذِكْرِ بَابِهِ الْوَلِيدُ
تَاللهِ مَا كَانَ الْوَلِيدُ عَابِثًا

فِي صَرْفِهِ أَلَمَالٍ وَبَذَلٍ جُهْدِهِ
لَكِنَّهُ أَخْرَزَ مُلْكًا مَعْبُدٍ
لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ

وَمِنْ أَيْكَاتٍ فِي آخِرِهِ :

يَجَامِعُ جِلَّتِي رَبِّ الزَّعَامَةِ	أَقِمْ تَلْقَ الْعَيْنَاةَ وَالْكَرَامَةَ
وَيَتِمُّ نَحْوُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ	وَصَلِّ بِهِ تَصِلُ دَارُ الْإِقَامَةِ
مُصَلَّى فِيهِ لِلرَّحْمَنِ ذِكْرُ	وَمَثْوَى لِلْقَبُولِ بِهِ عِلَامَةُ
مَحَلُّ كَمَلِ الْبَارِي جِلَّاهُ	وَيَتُّ أَبْدَعُ الْبَابِي نِظَامَهُ (١)

إذا ماتنا إلى في الزيادة معشر قل لهم : باب الزيادة مفتوح

(١) وفي الأصل « الباري » بدل « الباني » « أحمد يوسف نجاشي »

دِمَشْقُ لَمْ تَزَلْ لِلشَّامِ وَجْهًا

وَمَسْجِدُهَا لَوَجْهِ الشَّامِ شَامَةٌ^(١)

وَيَبِينُ مَعَابِدَ الْآفَاقِ طُرًّا لَهُ أَمْرُ الْإِمَارَةِ وَالْإِمَامَةِ

أَدَامَ اللَّهُ بَهْجَتَهُ، وَأَبْقَى حَاسِنَتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

انتهى

وَلَمْ أَقِفْ عَلَى كُلِّ هَذَا الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ، بَلْ عَلَى

بَعْضِهِ فَقَطْ. وَمِنْ قَصِيدَةِ الْقَاضِي الْمُهَذَّبِ^(٢) ابْنِ الرُّزْبَيْرِ:

بِاللَّهِ يَارِيحَ الشَّمَا لِي إِذَا اشْتَمَلْتُ الرَّندَ بَرْدًا^(٣)

وَحَمَلْتُ مِنْ عَرَفِ الْخَزَا مَى مَا اغْتَدَى لِلنَّدَى نِدًا^(٤)

(١) الشامة : علامة تخالف لون البدن الذى هى فيه ، أو هى الحال .

(٢) هو القاضى المهذب أبو محمد الحسن بن القاضى الرشيد أبى الحسن طلى

ابن القاضى الرشيد أبى اسحق إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الضائى

كان شاعرا عبيدا رقيق الشعر ، ومن شعره :

وترى المجرة والنجوم كأنما تسقى الرياض بمجدول ملآن

ولم تكن نهرا للماعامت بها أبدا نجوم الحوت والسرطان

وهو معنى لطيف غريب - وله أيضا من جملة قصيدة :

ومالى الى ماء سوى النيل غلة ولو أنه استغفر الله زمزم

وله كل معنى حسن، وأول شعر قاله سنة ٥٢٦ وتوفى سنة ٥٦١ بالقاهرة

« أحمد يوسف نجاتى » (٣) الرند : شجر بالبادية طيب الرائحة يستاك به

وليس بالكبير ، وله حب يسمى الغار ، وربما سمو العود الذى يتبخر به رندا .

وقيل الرند هو الآس (٤) العرف : الرائحة ، أو ذكاؤها وطيبها ، والخزائى :

نبت طيب الريح ؛ أو هو خيرى البر ، وزهره من أطيب الأزهار نضحة وتضوع

(٢٠ - نفع الطيب - ثامن)

وَنَسَجْتَ مَا بَيْنَ الْغُصُورِ إِذَا أُعْتَقْنَ هَوَىٰ وَوَدًا
وَهَزَزْتَ عِنْدَ الصُّبْحِ مِنْ أَعْطَافِهَا قَدًا قَدًا
وَنَثَرْتَ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ أَجْيَادِهَا لِلزَّهْرِ عِقْدًا
فَمَلَأْتَ صَفْحَةً وَجْهِهِ حَتَّى أَكْتَسَى آسًا وَوَرْدًا
وَكَأَنَّمَا أَلْقَيْتَ فِيهِ مِنْهُمَا صُدْغًا وَخَدًا
مُرِّي عَلَى بَرْدِي، عَسَا هُ يَزِيدُ فِي مَسْرَاكِ بَرْدَا
نَهْرُ كَنْصَلِ السَّيْفِ تَكْسُو مَتْنُهُ الْأَزْهَارُ غَمْدًا^(١)
صَقَلَتْهُ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ بِمَرِّهِنَّ، فَلَيْسَ يَصْدَأُ^(٢)
وَمِنْهَا :

أَحْبَابَنَا مَا بِالْكُمِّ فِينَا مِنَ الْأَعْدَاءِ أَعْدَى !
وَحَيَاةِ حُبِّكُمْ وَحُرِّ مَةِ أَصْلِكُمْ مَاخُنْتُ عَهْدًا
وَقَالَ الْكَمَالُ الشَّرِيفِيُّ^(٣) :

رائحة، واحده خزامة، وهي طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر، ومنابتها
الرميل والرياح . والند نوع من الطيب ، أو هو العود، أو الغالية، أو هو
العود للطرى بالمسك والعنبر والبان ، أو هو العنبر - قال العرجي :

تشب متون الجمر بالند تارة وبالعنبر الهندي، فالعرف ساطع
والند «بالكسر» : المثل والنظير، وجمعه أُنْدَادُ «أحمد يوسف نجاشي» (١) كان
البيت في الأصل «نهر كنصل السيف تكسر متنه الأزهار عمدا» ففيه
تصحييف في كلمتين جعل معنى البيت بفسادها مغلقا نافها «أحمد يوسف نجاشي»
(٢) يصدأ : يخفف من يصدأ (٣) تقدمت ترجمة أبي العباس أحمد بن عبد

يَا جَبِرَةَ الشَّامِ هَلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خَبَرُ
فَإِنَّ قَلْبِي بِنَارِ الشُّوقِ يَسْتَعِرُ
بَعْدْتُ عَنْكُمْ ، فَلَا وَاللَّهِ بَعْدَكُمْ
مَا لَدَّ لِلْعَيْنِ لَا نَوْمٌ وَلَا سَهْرُ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَوْقَاتًا نَأَتْ وَمَضَتْ
بِقُرْبِكُمْ كَادَتْ الْأَحْشَاءُ تَنْفَطِرُ
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِالنَّيِّرَيْنِ^(١) صُحِّي
وَالنِّعْمُ يَبْكِي وَمِنْهُ يَضْحَكُ الزَّهْرُ
وَالْوُرُقُ تُنْشِدُ ، وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ
وَالدُّوْحُ يُطْرَبُ بِالتَّصْفِيقِ وَالنَّهْرُ
وَالسَّفْحُ أَيْنَ عَشِيَّاتِي الَّتِي ذَهَبَتْ
لِي فِيهِ أَفْهَى لَعَمْرِي عِنْدِي الْعُمْرُ

المؤمن الشريف المتوفى سنة ٦١٩هـ، وتقدمت هذه القصيدة. وهناك كمال الدين أحمد ابن جمال الدين محمد بن أحمد بن الشريف الوائلي البكري، وكيل بيت المال وشيخ دار الحديث وشيخ الرباط الناصري، ولد سنة ٦٥٣هـ، ورحل وسمع وطلب مدة، وأفتى ودرس وناظر، وناب في القضاء عن ابن جماعة، وكان خيرا بالنظم والنثر، مشكور السيرة فيما يتولاه من الجهات كلها، وتوفى سنة ٧١٨هـ بالحسام توجه إلى الحج، ودفن هناك. « أحمد يوسف نجاشي » (١) في الأصل « النيرين » وهو تحريف مفسد، وتقدم القول في النيرب: قرية على نصف

سَقَاكَ يَاسْفَعُ سَفَحُ الدَّمْعِ مُنْهَرًا

وَقَلَّ ذَاكَ لَهُ إِنْ أَغَوَزَ الْمَطَرُ^(١)

وَحَكَى ابْنُ سَعِيدٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ غِرْنَاطَةَ تُسَمَّى
دِمَشْقَ الْأَنْدَلُسِ؛ لِسُكْنَى أَهْلِ دِمَشْقِ الشَّامِ بِهَا عِنْدَ
دُخُولِهِمُ الْأَنْدَلُسَ ، وَقَدْ شَبَّهُوهَا بِهَا لَمَّا رَأَوْهَا كَثِيرَةَ
أُيُوتِهَا وَالْأَشْجَارِ ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهَا جَبَلُ الثَّلْجِ ، وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ ابْنُ جُبَيْرٍ صَاحِبُ الرِّجْلَةِ :

يَا دِمَشْقَ الْغَرْبِ هَاتِيكَ لَقَدْ زِدْتَ عَلَيْهَا

تَحْتِكَ الْأَنْهَارُ تَجْرِي وَهِيَ تَنْصَبُ إِلَيْهَا

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : أَشَارَ ابْنُ جُبَيْرٍ إِلَى أَنَّ غِرْنَاطَةَ فِي مَكَانٍ
مُشْرِفٍ ، وَغُوطُهَا تَحْتَهَا تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ ، وَدِمَشْقُ فِي
وَهْدَةٍ تَنْصَبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ
الْجَنَّةِ « تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » أَنْتَهَى . وَقَالَ الصَّفْدِيُّ^(٢)
فِي تَذَكُّرَتِهِ : أُنْشِدَنِي الْمَوْلَى الْفَاضِلُ الْبَارِعُ شَمْسُ الدِّينِ

فرسخ من دمشق في وسط بساتين غناء ورياض فيحاء (١) في الأصل «سقاك
بالسفع» - وسفع الجبل: منحدره ، وسفع الدمع: أساله وأجراه

(٢) تقدم التعريف بصلاح الدين خليل بن أليك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤

مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَيَّاطُ^(١) بِقَلَمِهِ الْجَبَلِ مِنْ
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - لِنَفْسِهِ فِي شَعْبَانَ
الْمَكْرَمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ :

قَصَدْتُ مِصْرًا مِنْ رَبِّهَا جِلَّتِي بِهَيْمَةٍ تَجْرِي بِتَجْرِي
قَلَمٌ أَرَّ الطَّرَّةَ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُ عَيْنِي بِالْمِزْرِبِ^(٢)
وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ أَيْضًا :

خَلَفْتُ بِالشَّامِ حَبِيبِي ، وَقَدْ

يَمُنْتُ مِصْرًا لِعِنَّا طَارِقِ^(٣)

وَالْأَرْضُ قَدْ طَالَتْ ، فَلَا تَبْعُدِي

بِاللَّهِ يَا مِصْرُ عَلَى الْعَاشِقِ

وتذكرته في نحو ثلاثين مجلدا ، جمع فيها نوادر الأشعار ولطائف الآداب ثرا
ونظما . « أحمد يوسف نجاشي » (١) محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي
الحنفي شمس الدين الخياط الشاعر المشهور اللقب ضفدع ، ولد في شهر رجب
سنة ٦٩٣ هـ وعنى بطلب العلم والأدب ، ولازم أجلاء عصره ، وحفظ كثيرا من
الشعر حتى انطلق لسانه به ، وكان مسلطا على ابن نباتة ؟ كلما نظم شيئا عارضه
وناقضه ، وابن نباتة أقدر منه ، وكان طويل النفس في الشعر ، ولكن لم يكن
له غوص على المعاني والاختفال بطريقة المتأخرين ، لكنه مقراض الأعراض
كان هجوه أكثر من مدحه ، وقد ناله من ذلك اهانة وسوء ، وكان قد أثرى لكثرة
مأخذه من الناس اهتمامه لسانه ، وقد كان الناس يخافون من شره ، ويشفقون
على أنفسهم من بذاءة هجوه ، وتوفي سنة ٧٥٦ هـ عفا الله عنه « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) تقدم البيتان في الجزء الأول (٣) « عنا » مخفف من « عناء » أي

وَأَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا :
يَا أَهْلَ مِصْرٍ أَنْتُمْ لِلْعَمَلِ
كَوَاكِبُ الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ
لَوْ لَمْ تَكُونُوا لِي سَعُودًا لَمَّا
وَأَقَيْتُكُمْ أَضْرِبُ فِي الرَّمْلِ^(١)

انتهى

وَدَكَرْتُهُ بِرُمْتِهِ لِحُسْنِ مَفْزَاهُ . وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الدِّينُ
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَعْرِفُ بِابْنِ الظَّهْرِ الْخَنْفِيُّ الْأَرِبْلِيُّ^(٢) :

تعب وجهد ومشقة (١) لا يخفى التورية والتوجيه بمصطلح علم الرمل ومراعاة
النظير في الألفاظ : كواكب ، وسعود ، وأضرب في الرمل (٢) صحف اسم
هذا الأديب في الأصل في موضعين ، فقد كان هكذا « ابن الطهر الخنفي
الأزبكي » مع شهرة هذا الشاعر لدى الأدباء ، وهو العلامة الظهير محمد الدين
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاذان الأربلي الخنفي
الأديب ، ولد سنة ٦٠٢ بمدينة أربل ، وسمع من السخاوي وغيره بدمشق
وبغداد ، وله ديوان شعر فيه نظم رائع مع ما كان عليه من الوقار والديانة
التمام . وله :

أصنى إلى قول العنود بمحلقى مستغهما عنكم بغير ملال
لتلقى زهرات ورد حديثكم من بين شوك ملامة العذال

وهو ممن تلتطف في استعمال الاستعارة المرشحة ، وتوفى في ربيع الآخر
سنة ٦٧٧ ، وإبنة قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن المجدل الأربلي ثم الدمشقي
الشافعي ، كان فقيها جليلا ، أفق ونظر ، وحكم نحو ثلاث سنين ، وتوفى في جمادى

لَعَلَّ سَنَى بَرْقِ الْحَمَى يَتَأَلَّقُ
 عَلَى الثَّأْيِ، أَوْ طَيْفًا لِأَسْمَاءَ يَطْرُقُ^(١)
 فَلَا نَارُهَا تَبْدُو لِمُرْتَقِبٍ، وَلَا
 وَغُودًا لِأَمَانِي الْكَوَازِبِ تَصْدُقُ
 لَعَلَّ الرِّيَّاحَ الْهُوجَ تُذْنِي لِنَازِحِ
 مِنَ الشَّامِ عَرَفًا كَاللَّطِيْمَةِ تَعْبِقُ^(٢)
 دِيَارَ قَضَيْنَا الْعَيْشَ فِيهَا مُنْعَمًا
 وَأَيَّامُنَا تَحْنُو عَلَيْنَا وَتَشْفِقُ
 سَحَبِنَا بِهَا بُرْدَ الشَّبَابِ، وَشُرْبُنَا
 لَدَيْنَا^(٣) كَمَا شِدْنَا لَدَيْدُ مُرَوِّقِ
 مَوَاطِنُ مِنْهَا السَّهْمُ سَهْنِي، وَظِلُّهُ
 تَخُبُ مَطَايَا اللَّهِ فِيهِ وَتَعْنِقُ^(٤)

الأولى سنة ٧٣٨ عن ٧٦ سنة . « أحمد يوسف نجاشي » (١) السنة :
 الضوء ، وتألق : لمع وأضاء ، والثأْي : البعد (٢) الرياح الهوج : الشديدة
 المحبوب ، جمع أهوج وهو جاء ، والنازح : البعيد ، واللطيمة : المسك أو وعاؤه
 أو سوقه ، أو كل طيب يحمل على الصدغ ، من اللطم الذي هو الحد . قال ذوالرمة
 يصف أرطاة يكتس فيها الثور الوحشي :

كأشها بيت عطار يضمه لطائم المسك يحويها وتتهب
 وعقب به الطيب « كخروج » : لرق به وبق فاحماتضوعا « أحمد يوسف نجاشي »
 (٣) في نسخة « لديمها » (٤) السهم الأول اسم موضع ، والثاني بمعنى الحظ والنصيب .

جَلَا جَانِبَيْهِ مُعْلَمٌ مُتَّجِدٌ
 مِنْ الْمَاءِ فِي أَطْلَالِهِ يَتَدَقَّقُ
 إِذَا الشَّمْسُ حَلَّتْ مَتْنَهُ فَهُوَ مُذْهَبٌ
 وَإِنْ حَجَبَتْهَا دَوْحُهُ فَهُوَ أَزْرَقُ
 وَإِنْ فُرَجَ الْأَوْرَاقُ جَادَتْ بِثَوْرِهَا
 فَرَقَمَ أَجَادَتُهُ الْأَكْفُ مُنَقُّ^(١)
 يُطْلُ عَلَيْهِ قَاسِيُونَ^(٢) كَأَنَّهُ
 نَعَامٌ مُعَلَّى أَوْ نَعَامٌ مُعَلَّقُ
 تَسَافِرُ عَنْهُ الشَّمْسُ قَبْلَ غُرُوبِهَا
 وَتَرْجُفُ إِجْلَالًا لَهُ حِينَ تُشْرِقُ^(٣)
 وَتَصْفَرُّ مِنْ قَبْلِ الْأَصِيلِ كَأَنَّهَا
 مُحِبٌّ مِنَ الْبَيْنِ الْمُشْتَتِ مُشْفِقُ
 وَفِي التَّيْرِبِ الْيَمُونِ لِلْبِّ مَالِبُ
 مِنَ الْمَنْظَرِ الزَّاهِي وَاللِّطْرِفِ مُوَمِقُ^(٤)

وخبو أعنى : أى أسرع (١) الفرج جمع فرجة : وهو خلل ما بين الشيتين ،
 والرقم : الوشى ، ونمقه : حسنه وزانه وزخرفه وحلاه (٢) قاسيون : اسم الجبل
 للشرف على مدينة دمشق (٣) فى نسخة « وترحف » بدل « ترجف »
 (٤) تقدم التعريف بالتيرب ، ومومه « كورثه » مقه : أحبه - وقد تكون

بَدَائِعُ مِنْ صُنْعِ الْقَدِيمِ رَصَائِعُ
 تَأْتِقُ فِيهَا الْمُحَدَّثُ الْمُتَأْتِقُ ^(١)
 رِيَاضُ كَوْشِي لِلْبُرُودِ ^(٢)، تَشْقُهَا
 جَدَاوِلُهَا ، فَالْتَوُرُ بِالْمَاءِ يَشْرُقُ
 فَمِنْ نَرْجِسٍ يَخْشَى فِرَاقَ فَرِيْقِهِ
 تَرَى الدَّمْعَ فِي أَجْفَانِهِ يَتَرَفَّقُ
 وَمِنْ كُلِّ رِيْحَانٍ مُقِيمٍ وَزَائِرٍ
 يُصَافِحُ رِيَّاهُ الرِّيَاضَ فَتَعْبِقُ
 كَانَ قُدُودَ السَّرْوِ فِيهِ مَوَالِيسًا ^(٣)
 قُدُودٌ عَذَارَى مِثْلَهَا مُتَرَفِّقُ

« مومق » مصحفة عن « مونق » أى سار معجب بحسنه (١) الرصائع
 جمع رصيدة : وهى فى الأصل حلية السيف المستديرة ، أو كل حلقة مستديرة
 فى حلية سيف أو سرج أو غيره ، ورصعه : حلاه ونسجه - يريد بها هنا
 الأماكن والآثار والمناظر التى أبدعتها الطبيعة وعنى بها بنو الانسان
 - يعنى أن ما أبدعته قدرة الخالق وما تألفت فيه صناعة المخلوق وألفتته
 يد الانسان ، قد جمعا فى هذا المكان ، وفى نسخة : بدائع من صنع
 القديم ومحدث . « أحمد يوسف نجاشى » (٢) فى نسخة « كوشى البرود »
 (٣) فى الأصل « مواشيا » وهو تصحيف خبيث مشوه سخيف : و « موائس »
 جمع مائس أو مائسة ، من ماس عيس : اذا تبخر وتلفى وتمايل معجبا ، والسرو :
 شجر جميل للنظر « وان كان لا يثمر » ويشبه به قدود الغانيات فى اعتداله

إِذَا مَا تَدَلَّتْ لِلشَّقَائِقِ صَدَّهَا
عُيُونٌ مِنَ النُّورِ الْمُفْتَحِ تَرْمُقُ (١)

وتثنيه ولينه ، ومن ألطف ما قيل فيه قول أحمد بن سليمان بن وهب في وصف رياض :

حفت بسرو كالقيان ، ولحفت خضر الحرير على قوام معتدل
فكاشها والريح حين تملها تبنى التعانق ثم يمنحها الحجل
ولا بن طباطبا العاوى :

يا حسن بستان دارى والورد يقطر طله
والسرو قد مد فيه على الراحين ظله
ولا بن وكيع التيسى :

والسرو تثنيه الراح لواعبا من فوق جدول مائه المتفجر
كالجندي خضر اللابس حاولوا أمرا فين مقلص ومشعر
والصنوبرى :

ياربع قوى الآن ويحك فانظري ما للحدائق أظهرت اعجابها
والسرو تحسبه العيون غوانيا قد شمرت عن سوقها أثوابها
وكان احداهن من نفح الصبا خود تلاعب موهنا أترابها
ومن أيات للسرى الرفاء للوصلى :

وقد كتبت أيدى الريح صحائفا كأن سطور السرو حسنا سطورها
وقال ابن لنكك البصرى يهجو :

لا تغدعنك اللحي ولا الصور تسعة أعراس من ترى بقر
ترام كالسحاب منتشرا وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمر

وحبك هذا لتعرف من أين أخذ ظهير الدين الاربلى « أحمد يوسف نجاشى »
(١) فى نسخة « تداعت » بدل : تدلت « أحمد يوسف نجاشى »

وَقَصُرَ يَكِلُ الطَّرْفُ عَنْهُ، كَأَنَّهُ
 إِلَى النَّسْرِ نَسْرٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقٌ
 وَكَمْ جَذُولٍ جَارٍ يُطَارِدُ جَذُولًا
 وَكَمْ جَوْسِقٍ عَالٍ يُوَازِيهِ جَوْسِقٌ ^(١)
 وَكَمْ بَرْكََةٍ فِيهَا تَضَاحِكُ بَرْكََةٌ
 وَكَمْ قَسْطَلٍ لِلْمَاءِ فِيهِ تَدْفُقُ
 وَكَمْ مَنَزِلٍ يُعْشَى الْعُيُونُ، كَأَنَّمَا
 تَأَلَّقَ فِيهَا بَارِقٌ يَتَأَلَّقُ
 وَفِي الرِّبْوَةِ الْفَيْحَاءِ لِلْقَلْبِ جَاذِبٌ
 وَلِلْهَمِّ مَسْلَاةٌ، وَلِلْعَيْنِ مَرْمَقٌ
 عَرُوسٌ جَلَاهَا الدَّهْرُ فَوْقَ مَنَصْبَةٍ
 مِنَ الدَّهْرِ، وَالْأَبْصَارُ تَرْمِي وَتَرْمَقُ
 فَهَامَ بِهَا الْوَادِي، فَفَاضَتْ عُيُونُهُ
 فَكُلُّ قَرَارٍ مِنْهُ بِالْذَّمِّ يَشْرِقُ

(١) الجوسق : القصر والحصن، وهو لفظ مغرب وفي نسخة «يطاول»
 بدل «يطارد» «أحمد يوسف نجاشي»

تَكْفَلْ مِنْ دُونِ الْجَدَاوِلِ شُرْبَهَا
 «يَزِيدُ» يُصَفِّيه لَهَا وَيُرْوِّقُ
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ فِي دِمَشْقَ (١):
 لَوْلَا حَدَاتُهَا وَأَنْتَى لَا أَرَى
 عَرِشًا هُنَاكَ ظَنَنْتُهَا بِلَقِيْسَا

(١) الآيات من قصيدة يمدح بها أبا الفيث موسى بن إبراهيم الراقى أولها:
 أَقْشِبَ رِجْلَهُمْ أَرَاكَ دَرَسَا وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا
 فَلَنْ جِئْتُ عَلَى الْبَلَى لَقَدْ اغْتَدَى دُمَى عَلَيْكَ إِلَى الْمَاتِ حَيْسَا
 أَتَرَى الْفِرَاقَ يَظُنُّ أَيْ غَافِلَ عَنْهُ وَقَدْ لَمَسْتَ يَدَاهُ لَيْسَا
 رُودَ أَصَابَتِهَا النَّوَى فِي خَرْدَ كَانَتْ بِدَوْرٍ دَجَنَةً وَشُمُوسَا
 فَكُنَّا نَأْمُو أَهْدَى شَقَاقِهِ إِلَى وَجَنَاتِهِنَّ نَحْنُ أَبُو قَابُوسَا
 قَدْ أُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَعْمَةً وَدَدَا وَحَسْنَا فِي الصَّبَا مَغْمُوسَا
 يَبِضُّ بَدْرُنَ عَيُونِهِنَّ إِلَى الصَّبَا فَكُنَّا نَهْنُ بِهَا يَدْرُنَ كُؤُوسَا
 لَوْلَا حَدَاتُهَا الْحُجْ

أَيُّهَا دِمَشْقُ قَدْ حَوِيَتْ مَكَارِمَا بِأَبَى الْفَيْثِ وَسُودْدَا قَدُمُوسَا
 وَأَرَى الزَّمَانَ غَدَا الْحُجْ

قد بوركك تلك الظهور، وقدست تلك البطون بقربه تشديسا
 فصنعة تسدى، وخطب يعلى وعظيمة تكفى، وجرح يوسى
 القشيب: الجديد ضد الدريس: وهو التقديم البالى. والقرى: الضيافة. والرئيس
 الحب الثابت، وليس علم امرأة، والرود: اللينة. والحرد: الأبقار الحيات
 والذجنة: الظلمة، وشقائق النعمان: ورد أحمر، وأبو قابوس كنية ملك
 العرب النعمان بن المنذر، والدد: اللهو واللعب، والحدائة: صغر السن. وفي
 الأصل لولا «حداتها» بدل «حداتها» وهو تصحيف كما عرفت من

إِيَّاهَا دَمَشْقُ، فَقَدْ حَوَيْتِ مَكَارِمًا
 بِأَبْنَى الْمُعِيشِ وَسُودَدًا قُدْمُوسًا ^(١)
 وَأَرَى الزَّمَانَ غَدًا عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ
 جَذْلَانِ بَسَامًا، وَكَانَ عَبُوسًا
 قَدْ بُورِكَتِ تِلْكَ الْبُطُونُ، وَقَدِّمْتَ
 تِلْكَ الظُّهُورُ، وَقُدِّمْتَ تَقْدِيمًا ^(٢)
 وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ ^(٣):

سياق القصيدة «أحمد يوسف نجاشي» (١) أيها: كلمة تقال لاستراحة الحديث،
 والقدموس: القديم «أحمد يوسف نجاشي»
 (٢) وروى:

قد بُورِكَتِ تِلْكَ الظُّهُورُ، وَقُدِّمْتَ تِلْكَ الْبُطُونُ بِقُرْبِهِ تَقْدِيمًا
 وفي الأصل «قد نورت» وهو تصحيف «أحمد يوسف نجاشي» (٣) الأبيات
 من قصيدة غراء يمدح بها المتوكل، أولها:

العيش في ليل داريا إذا بردا والراح تمزجها بالماء من بردى
 قل للامام التي عمت فواضله شرقا وغربا فما نحصي لها عددا
 الله ولاك عن علم خلافته والله أعطاك ما لم يعطه أحدا
 وما بعث عتاق الحيل في بلد الا تعرفت فيه اليمن والرشدا
 أما دمشق الح، وبعد الأبيات:

يأكثر الناس احسانا، وأعرضهم سيئا، وأطوهم في المكرمات يدا
 مانسأل الله الا أن تدوم لك الدماء فينا، وأن تبقى لنا أبدا
 «داريا» قرية كبيرة من قرى دمشق بالقوطة - وأطرى الثى: بالغ في
 مدحه والثناء عليه - والفرق: الخوف، والبدد: البدد للشمت، والواكف

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مَحَاسِنَهَا
 وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطَرِّهَا بِمَا وَعَدَا
 إِذَا أَرَدْتَ مَلَأْتَ الْعَيْنَ مِنْ بَلَدٍ
 مُسْتَحْسَنِ زَمَانٍ يُشْبِهُ الْبَلَدَا
 تَنْشِي السَّحَابُ عَلَى أَجْبَالِهَا فِرْقَا
 وَيُصْبِحُ النُّورُ فِي صَحْرَائِهَا بَدَا
 فَلَسْتَ تُبْعِرُ إِلَّا وَكِفًا خَضِيلاً
 أَوْ يَالِغًا خَضِرًا ، أَوْ طَائِرًا غَرَدَا
 كَأَنَّمَا الْقَيْظُ وَلَّى بَعْدَ جَيْئِهِ ^(١)
 أَوْ الرِّبْعُ دَنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدَا
 وَفِي دِمَشْقَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :
 بَرَزَتْ دِمَشْقُ لِزَارِي أَوْطَانِهَا
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِوَجْهِ أَزْهَرِ
 لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَعَمَّدَ أَنْ يَرَى
 مَغْنًى خَلَا مِنْ نَزْهَةٍ لَمْ يَقْدِرِ
 وَقَالَ الْقَيْرَاطِيُّ ^(٢) فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

السحاب المنهل وكف المطر والدمع ونحوهما: سال، والحصل: الندى الذي يترشش
 نداءه، وأخضله الدمع: بله (١) في الديوان «وقدته» (٢) هو برهان الدين إبراهيم

* لِلصَّبِّ بَعْدَكَ حَالَةٌ لَا تُعْجِبُ * :

لِلَّهِ كَيْلٌ كَالنَّهَارِ قَطَعْتُهُ

بِالْوَصْلِ لَا أَخْشَى بِهِ مَا يُرْهَبُ

ابن شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن بحر بن ساون «أو-شادي»
ابن هلال الطائي القيراطي الشاعر المشهور ، ولد في صفر سنة ٧٢٦ و تفقه
وعنى بطلب العلم واللغة والأدب، وعالج النظم فبرع فيه، واشتهرت مرثيته في
القاضي تقي الدين السبكي « شيخ الاسلام أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف
ابن يحيى بن طي بن تمام الأنصاري السبكي الفقيه المحدث الأديب المتوفى
سنة ٧٤٤ » وكان عابدا فاضلا ، توفي بمكة مجاورا في ربيع الآخر سنة ٧٨١
ومن شعره :

كَأَن خَدِيه دِينَارَانِ قَدْ وَزَنَا فُحِرَ الصِّرْفِي الْوِزْنَ وَاحْتَاطَا
فَشَحَ بَعْضُهُمَا عَنْ وَزْنِ صَاحِبِهِ فَزَادَهُ مِنْ فَتَيْتِ الْمَسْكِ قِرَاطَا

ومنه من قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدين الكريمي مطلقا :

غَرَانِي فَيْكِ يَا قُرَى غَرِيمِي وَذَكَرَكَ فِي دَجَالِي نَدِيمِي

وَمَلَأَ الْجَمِيمَ ، وَصَدَّ عَنِّي وَمَالِي غَيْرَ دَمِي مِنْ حَمِيمِ

وَكَمْ سَأَلْتُ الْعَوَاضِلَ عَنْ حَدِيثِي قَقَلْتُ لَهُمْ : عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

وَعَمَّ تَسَاءُلُونَ وَلِي دُمُوعُ تَحْبِرُهُمْ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ

فَوَعْدُهُ وَنَازِلُهُ وَجَسْمِي سَقِيمٌ مِنْ سَقِيمٍ فِي سَقِيمِ

كَرِيمٌ مَالٌ بِخِلَافِ عَنِّي وَدَادِي فَمَلَأْتُ لِنَحْوِ عَدُوِّمِ كَرِيمِ

ومن لطائف برهان الدين القيراطي في باب الساعات بدمشق :

فِي الْجَامِعِ الْأُمُوِي الْحَسَنِ مَجْتَمِعُ وَبَابُهُ فِيهِ لِلْأَحْدَاقِ لِنَدَاتِ

دَقَائِقِ الْحَسَنِ يَحْوِيهَا لَهُ دَرَجُ فَجَبَذَا مِنْهُ بِالسَّاعَاتِ سَاعَاتِ

وَجَبَذَا مَجِيدَ كَمْ أَطْرَبَتْ أُذُنَا فِيهِ مِنَ الذِّكْرِ نَغَمَاتُ وَأَصْوَاتِ

جَلَى الْعُرُوسِ عَلَى الرَّائِي مَنْصَبَهَا تَرْفَهَا مِنْ بَدُورِ التَّمِّ طَارَاتِ

وقال :

يقول لنا نسر بجامع جلق : «أنا الطائر المحكي والآخر الصدى»
وقد أطرب الأسماع مطرب جنكها «وغنى به من لا يغنى مفردا»
ويعبجني من شعره قوله :

كفوا حديث العذل عن مسمى فأين من يعقل أو من يمي
يا عاذلى فى الحسن ان كنت لم تصبر فاني منك لم أسمع
لازد القلب على شجوه ان كنت لا تأرق لى فاهجع
أنا الذى أروى حديث الأسى مسلسلا فى الحب عن مدمى
واعجبا فى الحب أشكو الجفا من ساكن فى منحنى أضلنى
ان شئت يا بدر الدجان بدا فاطلع ، وان شئت فلا تطلع
وأنت يا أغصان بان النقا اذا تبدى فاسجدى واركمى
لا آخذ الله لىالى اللقا فاتها أصل الأسى الأوجع
لو نسيت عيناي انسانها مانسيت لىلاعلى الأجرجع
وغفلة الواشين عن وصلنا ونحن كالواحد فى مضجع
وله :

ان للروح فى دمشق لأوى ذا قرار وذامعين وربوه
وبروضاتها بساتيف ورد لى بأزارها صباة عروه
وله :

أرتاح للأقمار وهى طوالح وشعوس راحى للغارب تبجح
ويهزنى زجل الطيور بلحنها والروض الزهر النظيم موشح
وله :

أهيم بأعطاف القدود صباة وان هى زادتني جفا وتباعدا
ويعبجني بين الأنام تطفلى عليها اذا شاهدتهن موائدا
والقيراطى ديوان جمعه لنفسه يشتمل على نظم وشرحين «أحمد يوسف نجاشى»

وَرَكِبْتُ مِنْهُ إِلَى التَّصَايِ أَدَهْمَا
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْدُو لِيُصْبِحَ أَشْهَبُ^(١)
 أَيَّامَ لَا مَاءَ الْخُدُودِ يَشُوبُهُ
 كَدَرُ الْعِذَارِ، وَلَا عِذَارُ أَشَيْبِ^(٢)
 كَمْ فِي حِجَالِ اللَّهِوِ لِي مِنْ جَوْلَةٍ
 أَضَحَّتْ تُرْقِصُ بِالشَّبَابِ^(٣) وَتُطْرِبُ
 وَأَقَمْتُ لِلنَّدْمَاءِ سُوقَ خَلَاةٍ
 تُجَبِّي الْمُجُونُ إِلَى فِيهِ وَتُجْلَبُ
 وَذَكَرْتُ فِي مَعْنَى دِمَشْقٍ مَعْشَرًا
 أَمْ الزَّمَانِ يَمِثْلُهُمْ لَا تُنْجِبُ
 لَا يَسْأَلُ الْقُصَادُ عَنْ نَادِيهِمْ
 لَكِنْ يَدُلُّهُمْ الثَّنَاءُ الطَّيِّبُ
 قَوْمٌ بِحُسْنِ صِفَاتِهِمْ وَفَعَالِهِمْ
 قَدْ جَاءَ يَمْتَدِّرُ الزَّمَانُ الْمَذْنِبُ

(١) يريد بالأدهم « الأسود » الشباب ، وبالأشهب « الأبيض » الشيب
 « . أحمد يوسف نجاشي » (٢) أي أيام كان محبوبه ناضرا الخدود يسوده نبت العذار ،
 وكان هو شابا عذار أسود لم يكبره بياض الشيب (٣) في نسخة (بالباع)
 (٢١ - نفع الطيب - ثامن)

يَا مَنْ لَحْرَانِ الْفُؤَادِ ! وَطَرْفُهُ
 بِدِمَشْقٍ أَذْمُعُهُ غَدَتِ تَحَلَّبُ
 أَشْتَأَقُ فِي وَادِي دِمَشْقٍ مَعَهْدًا
 كُلُّ الْجُمَالِ إِلَى حِمَاهُ يُنْسَبُ
 مَا فِيهِ إِلَّا رَوْضَةٌ أَوْ جَوْسِقُ
 أَوْ جَدْوَلٌ أَوْ بُلْبُلٌ أَوْ رَبْرَبُ (١)
 وَكَانَ ذَاكَ النَّهْرَ فِيهِ مِعْصَمُ
 يَبْدُ النَّسِيمِ مُنْقَشٌ وَمُكْتَبُ
 وَإِذَا تَكَسَّرَ مَاؤُهُ أَبْصَرْتَهُ
 فِي الْحَالِ بَيْنَ رِيَاضِهِ بِتَشَعُّبُ (٢)
 وَشَدَّتْ عَلَى الْعِيدَانِ وَرَقٌ أَطْرَبَتْ
 بِفِنَاكُهَا مَنْ غَابَ عَنْهُ الْمُطْرِبُ

(١) الرب: القطيع من بقر الوحش، يريد به العادات الغائيات (٢) أخذ هذا

المعنى من قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

وحديقة مطولة بأكرتها والشمس ترشقرق أزهار الربا

يتكسر الماء الزلال على الحصى فإذا جرى بين الرياض تشعبا

توفى ابن لؤلؤ الذهبي سنة ٦٨٠. وكان من كبار شعراء الدولة الناصرية

« أحمد يوسف نجاشي » .

فَالْوَرَقُ تُشِيدُ ، وَالنَّسِيمُ مُشَبَّبُ
 وَالنَّهْرُ يَسْقِي ، وَالْحَدَائِقُ تَشْرَبُ^(١)
 وَضِيَاعُهَا ضَاعَ النَّسِيمُ بِهَا فَكَمْ
 أَضْحَى لَهُ مِنْ بَيْنِ رَوْضٍ مَطْلَبُ^(٢)
 وَحَلَّتْ بِقَلْبِي مِنْ عَسَا كَرَجَنَةٌ
 فِيهَا لِأَرْبَابِ الْخَلَاةِ مَلْعَبُ^(٣)
 وَلَكُمْ رَقَصْتُ عَلَى السَّمَاعِ بِمَحْنِكُمَا
 وَغَدَا بِرَبْوَتِهَا اللِّسَانُ يُشَبَّبُ^(٤)
 فَتَمَى أَرْوَرُ مَعَالِمَا أَبْوَابِهَا
 بِسَمَاحِهَا كُتِبُ السَّمَاحِ ثُبُوبُ

(١) في « مشبب » تورية ؛ اما من التشبيب بمعنى التغزل ، أو من الشبابة التي هي آلة من آلات الطرب (٢) في قوله « ضاع النسيم » كذلك تورية اما من ضاع يضيع ضياعا بمعنى الذهاب ، أو ضاعت الرائحة تضيع ، وتضوعت : اذا أُرِجَتْ رائحتها وفاحت عاطرة منتشرة . « أحمد يوسف نجاشي » .
 (٣) قد يكون فيه اشارة الى قول المتنبي :

ملاعب جنة لوسار فيها سليمان لسار بترجمان

وفي نسخة « عسالة » بدل « عساكر » وأغلب ظني أن ذلك كله تصحيف من : « وحلت بقلبي من عسيل جنة » فان هناك ناحية بين دمشق وبعليبك كانت تسمى « جبة عسيل » تشتمل على عدة قرى ، وبهذا أيضا يظهر معنى التناسب بين « حلت » و « عسيل » . « أحمد يوسف نجاشي » (٤) الجنك : من آلات الطرب كالعود ، واسم مكان نزه هناك ، وتقدم القول في ربوة دمشق ، وفي التشبيب والشبابة

وَقَالَ الصَّيْفِيُّ الْخَلِيُّ^(١) عِنْدَ تَرْوِيلِهِ بِدِمَشْقَ مُسَمِّطًا
لِقَمِيصِدَةِ السَّمَوِيِّ بِالْحِمَاسَةِ :

قَبِيحٌ يَمْنُ ضَاقَتْ عَنِ الرِّزْقِ أَرْضُهُ

وَطُولُ الْفَلَا رَحْبٌ لَدَيْهِ وَعَرْضُهُ

وَلَمْ يَنْلِ سِرْبَالَ الدُّجَى فِيهِ رَكْضُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرْضُهُ^(٢)

فَكُلُّ رَدَاهُ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْجُبْ عَنِ الْعَيْنِ نَوْمَهَا

وَيُغْلِبُ مِنَ النَّفْسِ الْتَفِيسَةِ سَوْمَهَا^(٣)

أُضِيعَ وَلَمْ تَأْمَنْ مَعَالِيهِ لَوْمَهَا^(٤)

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا

فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الشَّأْنِ سَبِيلٌ

رَفَعْنَا عَلَى هَامِ السَّمَاءِ مَحَلَّنَا فَلَا مَلِكُ إِلَّا تَعَشَاهُ ظِلَّنَا^(٥)

(١) هو الأديب الكبير والشاعر المجيد عبد العزيز بن سرايا بن علي المتوفى سنة ٧٥٩ (٢) السربال : القميص أو الشرع أو كل ما لبس ، والركض : السير السريع واستحثاث الفرس للعدو (٣) أغلاه : طلب فيه ثمنا غاليا أو جعله غاليا ، والسوم : عرض السلعة على البيع ، أو ذكر ثمنها (٤) في نسخة « يومها » (٥) السهاك الأعزل ، والرامح : نجمان نيران ، وسبق وصفهما وما قيل فيهما . « أحمد يوسف نجاشي » .

لَقَدْ هَابَ جَيْشُ الْأَكْثَرِينَ أَقْلَنَا
وَلَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابُ تَسَامَى لِلْعُلَاوِ كَهُولُ
يُؤَاوِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَقَارُنَا
وُتِنَى عَلَى هَامِ الْمَجَرَّةِ دَارُنَا^(١)
وَيَأْمَنُ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ جَوَارُنَا
وَمَا ضَرَّنا أَنَا قَلِيلُ وَجَارُنَا
عَزِيزُ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
وَلَمَّا حَلَلْنَا الشَّامَ تَمَّتْ أُمُورُهُ
لَنَا، وَحَبَانَا مَلَكُهُ وَأَمِيرُهُ^(٢)
وَبِالتَّيْرِبِ الْأَعْلَى الَّذِي عَزَّ طُورُهُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ بُحَيْرِهِ^(٣)
مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
يُرِيكَ الثَّرِيًّا مِنْ خِلَالِ شِعَابِهِ
وَتُحْدِقُ شُهْبُ الْأَفْقِ حَوْلَ هِضَابِهِ

(١) تقدم وصف الهجرة وما قيل فيها (٢) في الأصل « وزيره » (٣) تقدم التعريف بالتيرب ، وجبل الطور معروف مشهور مشرف على نابلس .

وَيَقْصُرُ خَطْوُ الشَّجْبِ دُونَ أَرْثِكَابِهِ
رَمَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَمَسَا بِهِ

إِلَى النَّجْمِ قَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ

وَقَصِرَ عَلَى الشَّقَرَاءِ قَدْ فَاضَ نَهْرُهُ

وَفَاقَ عَلَى فَخْرِ الْكُؤَاكِبِ فَخْرُهُ

وَقَدْ شَاعَ مَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ شُكْرُهُ

هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ (١)

يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَأَاهُ وَيَطُولُ

إِذَا مَا غَضِبْنَا فِي رِضَا الْمَجْدِ غَضِبَةٌ

لِنُذْرِكَ ثَأْرًا أَوْ لِنَبْلُغَ رُتْبَةً

نَزِيدُغْدَاةَ الْكُرِّ فِي الْمَوْتِ رَغْبَةً

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْمَوْتَ سُبَّةً

إِذَا مَا رَأَاهُ عَامِرٌ وَسُلُولُ

(١) الأبلق الفرد : حصن السموءل بن عادياء مشرف على تيماء بين الحجاز والشام ، وقيل له الأبلق لأنه كان في بناءه يياض وحمرة . قال ياقوت : وهو على رابية من تراب فيه آثار أبنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة « أحمد يوسف نجاشي » .

وَكَتَبَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ الْحَمَوِيُّ تَرْجَمَةً لِلشَّيْخِ
 إِسْمَاعِيلِ النَّابِلِيِّ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ^(١) مِنْ مِصْرَ :
 لَوْ أَنَّ النَّهْأَنِي بِالْمَسْرَةِ يَخْفِقُ
 وَشَمْسُ الْعَالِي فِي سَمَاءِ الْفَضْلِ تُشْرِقُ
 وَسَعْدُ وَإِقْبَالُ وَجَدُ مُحَمَّدٍ وَأَيَّامُ عِزِّ بِالْوَقَا تَتَخَلَّقُ
 قِيَّامُهَا الْمَوْلَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ
 وَيَأْتِيهَا الْخَبْرُ اللَّيْبُ الْمُدَقَّقُ
 أَرَى الشَّامَ مُذْ فَارَقَهَا زَالَ نُورُهَا
 وَتَوْبُ بِهَاهَا وَالنَّضَارَةُ يَخْلُقُ ^(٢)

(١) النابلسي، هو الشيخ اسماعيل بن أحمد بن الحاج إبراهيم النابلسي الشافعي شيخ الإسلام، ومفتي الانام، وأستاذ العصر، ومفرد الوقت، تصدر للأفتاء والتدريس، وصار إليه المرجع بعد شيخ الإسلام والده، ولد سنة ٩٣٧هـ وعنى بطلب العلم والأدب، وأخذ عن أجلاء عصره حتى وصل إلى درجة عالية وكانت دروسه حافلة لصفاء ذهنه وطلاقة لسانه وحسن تقريره، وتوفي في المحرم من سنة ٩٩٣هـ - وابنه عبد الغني بن اسماعيل كان من أهل العلم والأدب والدين، توفي سنة ١٠٣٣هـ وابنه اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل النابلسي الأصل البمشقي المولود والدار، ولد سنة ١٠١٧هـ وكان عالماً متبحراً غواصاً على المعاني الدقيقة، قوى الحافظة فقيهاً أدبياً، وله مؤلفات في الفقه كثيرة، ودرس بالجامع الأموي سنة ١٠٣٩هـ وتوفي في أواخر سنة ١٠٦٢هـ (٢) خلق الثوب « كنصر وكرم وسمع » خلوقاً وخلوقة: اذا بلى .

إِذَا غَبَتَ عَنْهَا فَابَ عَنْهَا جَمَاهَا
 وَنَفْسٌ بِدُونِ الرُّوحِ لَا تَتَحَقَّقُ
 وَإِنْ عُدْتَ فِيهَا عَادَ فِيهَا كَمَالُهَا
 وَصَارَ عَلَيْهَا مِنْ بَهَائِكَ رَوْنُكُمْ
 فَيَأْسَا كِنِي وَادِي دِمَشْقَ مَزَارُكُمْ
 بَعِيدٌ، وَبَابُ الْوَصْلِ دُونِي مُتَلَقٌ
 وَلَيْسَ عَلَى هَذَا النَّوَى لِي طَاقَةٌ
 فَهَلْ مِنْ قِيُودِ الْبَيْنِ وَالْبُعْدِ أَطْلُقُ؟
 وَإِنِّي إِلَى أَخْبَارِكُمْ مُتَشَوِّقٌ (١)
 وَإِنِّي إِلَى لُقْيَاكُمْ مُتَشَوِّقٌ
 أَوْدُ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ لِنَحْوِكُمْ بِأَنِّي فِي أَذْيَالِهِ أَتَلَقُّ
 وَأَضْبُو لِدِكْرَاكُمْ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا
 لَعَلِّي مِنْ أَخْبَارِكُمْ أَتَلَسُّ
 وَلِي أَنَّهُ أَوْدَتْ بِجِسْمِي وَلَوْعَةٌ
 وَنَارُ جَوْيٍ مِنْ حَرِّهَا أَتَلَقُّ

فَحِنُّوا عَلَى الْمَضَى الَّذِي ثَوَّبُ صَبْرِهِ
 إِذَا مَسَّهُ ذَيْلُ الْهَوَى يَتَمَرَّقُ
 غَرِيبٌ بِأَقْصَى مِصْرَ أَضْحَتْ دِيَارُهُ
 وَلَكِنَّ قَلْبِي بِالشَّامِ مُعَلَّقُ
 وَقَدْ نَسَخَ التَّبْرِيحُ جِسْمِي، فَهَلْ إِلَى
 غِبَارِ تَرَى أَعْتَابٍ وَصَلِ يُحَقِّقُ^(١)
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِرَوْضَةٍ
 وَفِيهَا عُيُونُ النَّرْجِسِ الْغَضُّ تُحْدِقُ!
 وَأَنْظُرُ وَادِيَهَا! وَآوِي^(٢) لِرَبْوَةٍ
 وَمَا لِي مَعِينٍ حَوْلَنَا يَتَدَفَّقُ!
 وَيَحُلُو لِي الْعَيْشُ الَّذِي مَرَّ^(٣) صَفْوُهُ
 وَهَلْ عَائِدُ ذَاكَ النِّعَمِ الْمُرُوقُ!
 وَأَنْظُرُ ذَاكَ الْجَامِعِ الْفَرْدَ مَرَّةً
 وَفِي صَحْنِهِ تِلْكَ الْحَلَاوَةُ تُشْرِقُ!

(١) التبريح : شدة الجهد والمشقة (٢) في الأصل و « وأدنو » . وفي نسخة « حولها » بدل حولنا (٣) في « مر » تورية، فهي من المرور أو من المראה « أحمد يوسف نجاشي » .

وَأَصْحَابَنَا فِيهِ نُجُومٌ زَوَاهِرُ
وَنُورٌ مُجَيَّسٌ وَجْهِهِمْ يَتَأَلَّقُ
فَلَا بَرَحُوا فِي نِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ
وَعَزٍّ وَتَجْدٍ شَاوُهُ لَيْسَ يُلْحَقُ
وَقَالَ ابْنُ عَيْنٍ ^(١):

ابن عيينة وشي
من أخباره
وشعره

مَاذَا عَلَى طَيْفِ الْأَحْبَةِ لَوْ سَرَى؟
وَعَلَيْهِمْ لَوْ سَاعَدُونِي بِالْكَرَى؟
جَنَحُوا إِلَى قَوْلِ الْوُشَاةِ، وَأَغْرَضُوا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مُفْتَرَى

(١) أبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عيينة الأنصاري الكوفي الأصل الدمشقي المولود الشاعر المشهور ، كتب هذه القصيدة الى الملك العادل بعد موت السلطان صلاح الدين وملك العادل دمشق « وكان ابن عيينة قد نفاه السلطان صلاح الدين لوقوعه في أعراض الناس » يستأذنه في الدخول اليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة ، ولتعدأحسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه أبلغ استعطاف ، وهو يعارض بها قصيدة ذى الوزارتين أبي بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشبلي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٤٧٧ ، والتي أولها :

أدر الزجاجة ، فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدي لنا كافوره لما استرد الليل منا الضربا
وهي طويلة فاقحة يمدح بها المعتمد بن عباد ، ولم يقصر ابن عيينة في مجارة ابن عمار ، بل قد يفوقه في بعض أبياته ومعانيه - فلما وقف عليها الملك العادل

يَا مُعْرِضًا عَنِّي بِغَيْرِ جَنَابَةٍ^(١)
 إِلَّا لِمَا نَقَلَ الْمَذُولُ وَزَوَّرَا
 هَبْنِي أَسَأْتُ كَمَا تَقُولُ وَتَقْتَرِي
 وَأَتَيْتُ فِي حُبِّكَ شَيْئًا مُنْكَرًا
 مَا بَعْدَ بُعْدِكَ وَالصُّدُودِ عُقُوبَةٌ
 يَا هَاجِرِي مَا آَنَ لِي أَنْ تَغْفِرَا !
 لَا تَجْمَعَنَّ عَلَيَّ عَتَبَكَ وَالنَّوَى
 حَسْبُ الْمَحِبِّ عُقُوبَةٌ أَنْ يُهْجَرَ
 لَوْ عَاقَبُونِي فِي الْهَوَى بِسَوَى النَّوَى
 لَرَجَوُهُمْ وَطَمِعْتُ أَنْ أَنْصَبَرَا
 عِبَاءُ الصُّدُودِ أَخَفُّ مِنْ عِبَاءِ النَّوَى
 لَوْ كَانَ لِي فِي الْحُبِّ أَنْ أُنْخَبِرَا

أذن له في السخول الى دمشق، فلما دخلها قال :

هجرت الأكابر في جلق ورعت الوضع بسب الرفيع
 وأخرجت منها ، ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع
 وتوفي ابن عنين في شهر ربيع الأول من سنة ٦٣٠ بدمشق «أحمد يوسف نجاتي»
 (١) في رواية :

* يا من نأى عني لغير جنابة *

فَسَقَى دِمَشْقَ وَوَادِيَّهَا وَالْحَتَّى
 مُتَوَاصِلُ الْأَرْهَامِ مُنْقَصِمُ الْقُرَى^(١)
 حَتَّى تَرَى وَجْهَ الرِّيَاضِ بِعَارِضٍ
 أَحْوَى، وَقَوْذَ الدَّوْحِ أَزْهَرَ تَبْرًا^(٢)
 تِلْكَ الْمَنَارِلُ لَا مَلَاعِبُ عَالِجٍ
 وَرِمَالُ كَاطِمَةٍ وَلَا وَادِي الْقُرَى^(٣)
 أَرْضٌ إِذَا مَرَّتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا
 حَمَلَتْ عَلَى الْأَغْصَانِ مِسْكَ أَذْفَرًا^(٤)

(١) الأرهام : جمع رحمة ، وهو المطر الضعيف الدائم (٢) أحوى : الحوة : وهو سواد الى خضرة ، والأحوى : النبات الضارب الى السواد لشدة خضرته وهو أنعم ما يكون من النبات - والفوذ : معظم شعر الرأس بمائلي الأذن، والدوح جمع دوحة: وهى الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة ، يدعو لرياض دمشق أن يخضر عارضها ويشيب فود أدواحها « أى أن تخضر بالنبات وتزهر بالنور » . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) عالج : اسم رملة بالبادية - كان ينزلها بنو بخت من طيء ، وفيه يقول أعرابى من أبيات :
 فيا راشقات العين من رمل عالج متى منكم سرب الى الماء واردة
 فما القلب من ذكرى أميبة نازع ولا الدمع مما أضمر القلب جامد
 وكاطمة : جو على سيف البحر فى طريق البحرين بمائلي البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان ، ووادى القرى : واد بين المدينة والشام « أحمد يوسف نجاشى »
 (٤) مسك أذفر : ذكى الرائحة جيد الى الغاية ، ولا يقال فى شئ من الطيب الا فى المسك وجده ، والقلى : شدة البغض والكراهية « أحمد يوسف نجاشى »

فَارَقْتُمَا لَا عَن رِّضَا، وَهَجَرْتُمَا
لَا عَن قَلِيٍّ، وَرَحَلْتُ لَا مُتَخَيِّرًا
أَسْمَى لِرِزْقِي فِي الْبِلَادِ مُشْتَتٍ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَكُونَ مُقْتَرَاً^(١)
وَأَبْنُ غُنَيْنِ الْمَذْكُورُ كَانَ هَجَاءً، وَهُوَ صَاحِبُ «مِقْرَاضِ
الْأَغْرَاضِ»^(٢) - تَجَاوَزَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١) وبعده :

وَأَصُونُ وَجْهَ مَدَامِحِي مُتَقَنًا وَأَكْفُ ذِيلِ مَطَامِي مُسْتَرَا
وَمِنْهَا يَشْكُو الْعَرَبِيَّةَ وَمَا قَالَسَاهُ فِيهَا :
أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَى تَعَادَى عَمَرُهَا حَقَّ حَسِبْتُ الْيَوْمَ مِنْهَا أَشْهَرَا
لَا عِشْقِي تَصْفُو، وَلَا رَسْمُ الْهَوَى يَغْفُو، وَلَا جَفْنِي يَصَافُهُ الْكُرَى
أَضْحَى عَنِ الْأَحْوَى لِلرَّبِّعِ عَوَلَا وَأَبَيْتُ عَنِ رُودِ الْخَيْرِ مَنَفَرَا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَقِيلَ بِظُلْمِكَ كُلُّ الْوَرَى وَنَبِلْتُ وَحْدِي بِالْعَرَا
عَفَا الرِّسْمَ : عَمَى وَزَالَ أَثَرُهُ ، وَالْأَحْوَى : الْخَضْبُ شَدِيدُ الْخُضْرَةِ ، وَالرَّبِّعُ
الْمَرْعُ ذُو الْخَضْبِ ، وَالنَّمِيرُ : اللَّاءُ الْعَذْبُ السَّائِغُ ، وَالْعَرَا : الْمَكَانُ الْفَضَاءُ
لَا يَسْتَرِفِيهِ شَيْءٌ بَشِيءٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ، وَقَوْلُهُ :
« لَبِذْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ » « أَحْمَدُ يَوْسُفُ نَجَّاحِي » (٢) اسْمُ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ
نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ بَيْتٍ جُمِعَ فِيهَا خُلُقًا كَثِيرًا مِنْ رُؤَسَاءِ دِمَشْقَ ثَلَبَ فِيهَا أَعْرَاضَهُمْ
وَلَمَّا نَفَاهُ صَلَاحُ الدِّينِ كَمَا تَقَدَّمَ قَالَ :

فُضِّلَ أَمَّا قَدَمُ خَطَاةٍ لَمْ يَقْتَرِفْ ذَنْبًا وَلَا سَرَقًا
انْفُوا الْمُؤَذْنَ مِنْ بِلَادِكُمْ إِنْ كَانَ يَنْفِي كُلَّ مَنْ صَدَقَا
فَطَافَ الْبِلَادَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْجُزَيْرَةِ وَأَنْدَرِيْجَانَ وَخِرَاسَانَ وَغَزْنَ
وَخَوَارِزْمَ وَمَاوَرَاءَ النَّهْرِ، ثُمَّ دَخَلَ الْهِنْدُ وَالْهِيْنَ وَمَلَكَهَا يَوْمَئِذٍ سَيْفُ الْإِسْلَامِ

أَرِحْ مِنْ نَزْحِ مَاءِ الْبَرْجِ يَوْمًا
فَقَدْ أَفْضَى إِلَى تَعَبٍ وَعِيٍّ
مُرِّ الْقَاضِي بَوْضَعٍ يَدِيهِ فِيهِ
وَقَدْ أَضْحَى كَرَأْسَ الدَّوْلِيِّ (١)

طغتكين كما سيأتي . « أحمد يوسف نجاشي » (١) في الأصل « كزأس
زير نعي » وهو تحريف جاهل وتصحيف فاسد . والدولي هنا هو
خطيب دمشق أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي الدولي
الموصل الشافعي ، ولد بالدولية « قرية كبيرة قرب الموصل على سير القوافل
في طريق نصيبين » وكان تقيها مفتيا بالذهب خطب دهرًا ، قال النووي في
طبقاته : كان عبد الملك شيخ شيوخنا ، وكان أحد الفقهاء المشهورين ، والصلحاء
الورعين ، زاهدا ورعا ، وكان للناس فيه اعتقاد حسن ، مات بدمشق وهو
خطيبها سنة ٥٩٨ عن ٩١ سنة - وكان مولد ابن عنين بدمشق سنة ٥٤٩
وابن أخيه أبو عبد الله جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن زيد بن يس
التغلي الشافعي ، ولد بالدولية سنة ٥٥٥ وتفقه على عمه ضياء الدين خطيب
دمشق وغيره ، وولى الخطابة بعده ، وطالت مدته في المنصب نحو ٣٧ سنة
وكان له سمع حسن ، ويفخم كلامه ، وكان الملك المعظم قد منعه من الفتوى
وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٣٥ ، وقد يكون هو الذي يقصده ابن عنين .
فاليتان يهجو بهما الخطيب الدولي على طريق الاستطراد البديعي ، ويهجو
القاضي بالحيانة والرشوة وانتزاعه كل ما امتدت يده اليه ، وقد هجا ابن عنين
الخطيب الدولي هنا في أبيات أخرى يهجو فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي
وزوجه وغيرها منها :

سلطاتنا أعرج ، وكاتبه ذو عמש ، والوزير منحذب
وصاحب الأمر خلقه شرس وعارض الجيش داؤه عجب

يَعْنِي أَقْرَعَ . وَسَبَبُ قَوْلِهِ الْيَتَيْنِ أَنَّ الْمُعْظَمَ ^(١) أَمَرَ
بِنَزْحِ مَاءِ بَقْلَمَةِ دِمَشْقَ ، فَأَعْيَاهُمْ ذَلِكَ . وَمِنْ هَجْوِهِ قَوْلُهُ :
شَكَأ شِعْرِي إِلَى ، وَقَالَ : تَهْجُو

عِثْلِي عِرْضَ ذَا الْكَلْبِ اللَّثِيمِ !
فَقُلْتُ لَهُ : تَسَلِّ ، قَرُبْ نَجْمِ
هَوَى فِي إِثْرِ شَيْطَانٍ رَجِيمِ
وَقَالَ فِيمَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَسَقَطَ عَنِ الْهَجِينِ فَخَلَّفَ :

والدولي الخطيب معتكف وهو على قشر بيضة يثب
ولابن باقا وعظ يفر به الذئب ، وعبد اللطيف محاسب
عيوب قوم لو أنها جمعت في فلك ماسرت به الشهب
هذا وفي نسخة « أرح » من نزح ماء « البرج » بدل « البئر » والبرج
موضع بدمشق كان بها ثم درس ، ينسب إليه أبو محمد عبدالله بن سلمة البرجي
الدمشقي . « أحمد يوسف نجاشي » (١) الملك المعظم سلطان الشام وصاحب
دمشق شرف الدين عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ولد بالقاهرة
سنة ٥٧٦ ، وكان رجلا بنى أيوب وعالمهم ، برز في كثير من العلوم والفنون
ومن النجباء الأذكياء ، شاعرا أديبا عالما نبیلا ، ومن شعره وقد مرض بالحمى
زارت محصة الذنوب وودعت تبالها من زائر ومودع
باتت معاتقي كآثي حبا ومقبلها ومبيتها في أضلعي
قالت وقد عزمت على ترحلها : ماذا تريد ! قلت : ألا ترجعي
ومرض ابن عتير فكتب اليه :

أنظر الى بعين مولى لم يزل يولى الندى ، وتلاف قبل تلافى
أنا كالندى أحتاج ما تحتاجه فأغنم ثنائى والثواب الوافى

إِذَا مَا دُمُ فِعْلُ الْتَوَقُّيَوْمًا فَإِنِّي شَاكِرُهُ فِعْلُ الْنِيَّاقِ
أَرَادَ اللَّهُ بِالْحُجَّاجِ خَيْرًا فَتَبَطَّ عَنْهُمْ أَهْلُ الْنِفَاقِ
وَقَالَ :

وَرَأَجِلٍ سِرْتُ فِي رَكْبٍ أَوْدَعُهُ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَحْلَى تَلَاَجِينَا^(١)
جِئْنَا إِلَى بَابِهِ لَاجِينَ نَسْأَلُهُ
فَلَيْتُنَا عَاقَبًا مَوْتُ وَلَا جِينَا^(٢)
رَاجِينَ نَسْأَلُ مَيْتًا لَا حَرَكَ بِهِ
مِثْلُ النَّصَارَى إِلَى الْأَضْنَامِ لَاجِينَا
وَقَالَ :

وَصَلَّتْ مِنْكَ رُقْعَةٌ أَسَامَتِي
صَيَّرَتْ صَبْرِي الْجَمِيلَ قَلِيلًا

جاء اليه فعاده ومعه صرة فيها ثلاثمائة دينار ، وقال : هذه الصلة وأنا المائد
وهذه لو وقعت من أكاير النحلة لاستحسنتم منه ، فكيف هذا الملك ، وتوفي
الملك المعظم سنة ٦٣٤ وكان قد استكتب ابن عنين فعد كثير من المؤرخين
ذلك من سيئاته - رحمه الله تعالى - « أحمد يوسف نجاشي » .
(١) وفي نسخة ما أنشأ « تناجينا » من النجوى ، وهي الحديث والمسارعة
والتلاجي : أي التوجه كليهما الى صاحبه (٢) لاجين أصله لاجئين ، ولاجيناسفي
آخر البيت غنغف من : ولاجئنا « أحمد يوسف نجاشي »

كَنَهَارِ الْمَصِيفِ حَرًّا وَكَرْبًا
 وَكَلِيلِ الشَّتَاءِ بَرْدًا وَطُولًا
 وَأَوَّلُ مِقْرَاضِ الْأَعْرَاضِ قَوْلُهُ :
 أَصَالِعُ تَنْطَوِي عَلَى كَرْبِ
 وَمُقَلَّةٌ مُسْتَهْلَةٌ الْقَرْبِ ^(١)
 شَوْقًا إِلَى مَا كُنِيَ دِمَشْقَ ، فَلَا
 عَدَتْ رُبَاهَا مَوَاطِرُ الشَّجَبِ ^(٢)
 مَوَاطِنُ مَا دَعَا تَوَطَّنَهَا إِلَّا وَلَّيْ نِدَاءَهَا لِي ^(٣)
 ثُمَّ ذَكَرَ مِنَ الْهَجْوِ مَا لَصَمَّ عَنْهُ إِلَّا ذَانُ . وَهُوَ الْقَائِلُ
 فِي دِمَشْقِ ^(٤) :

(١) الغرب : عرق في مجرى الدمع ، أو عرق في العين يسقى ولا ينقطع
 سقيه ، ويقال : بعينه غرب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها ، والغرب : الدمع
 حين يخرج من العين ، وجمعه غروب ، قال مالك
 مالك لا تذكر أم عمرو إلا بعينيك غروب تجرى ؟
 واستهل السحاب بالمطر وهل : اشتد انصبابه وارتفع صوت وقعه . «أحمد يوسف
 نجاتي» (٢) عداه يعدوه : تجاوزه وحاد عنه وبعد (٣) في نسخة «منازل
 مادعا تذكرها» بدل «مواطن مادعاتوطنها» كما هنا (٤) مدح هذه القصيدة
 سيف الاسلام طفتكين لما قصده باليمن بعد نفيه من دمشق ، وأول القصيدة
 حينئذ إلى الأوطان ليس يزول وقلب عن الأشواق ليس يحول
 ألا ليت شعري الخ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
وَذَلِكَ يَا مُقْرَى عَلَى ظَلِيلٍ^(١) ؟
وَهَلْ أَرَيْتِي بَعْدَ مَا شَطَّتِ النَّوَى
وَلِي فِي ذَرَا رَوْضٍ هُنَاكَ مَقِيلٌ ؟
وَمِنْهَا :

دِمَشْقُ ابْنَا شَوْقٍ إِلَيْكَ مُبَرِّحٌ
وَإِنْ لَجَّ وَاشِ ، أَوْ أَلَحَّ عَذْوُكَ
بِلَادٍ بِهَا الْحُصْبَاءُ دُرٌّ ، وَتُرْبُهَا
عَبِيرٌ ، وَأَنْفَاسُ الشَّمَالِ شَمُولُ
تَسْلَسَلُ فِيهَا مَأْوَاهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ
وَصَبَحَ نَسِيمُ الرُّوضِ وَهُوَ عَلِيلٌ

وفي كبدى من قاسيون حرارة تزول رواسبه وليس تزول
ووالله ما فارقتها عن ملالة سوى عن العهد القديم يحول
ولكن أبت أن تحمل الضيم همى ونفس لها فوق السماء حاول
فان الفقى يلقى للنايا مكرا ويكره طول العمر وهو ذليل
وكيف أخاف الفقر الى آخر ما هنا ، فأجزل الملك صلتة « أحمد يوسف نجاشى »
(١) مقرى « بفتح الميم وضمها » قرية بالشام كانت من نواحي دمشق ، قال
البحرئى يمدح حمارويه بن أحمد بن طولون :

أما كان فى يوم الثانية منظر ومستمع ينى عن البطشة الكبرى ؟
وعطف أبى الجيش الجواد بكرة مدافعة عن دير مران أو مقرى

وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّمَثُّلُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ فِي خُطْبَةِ هَذَا
الْكِتَابِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى

وَرَأَى ظَهِيرُ الدِّينِ فِي جَمِيلٍ ^(١) ١٩

مِنْ الْقَوْمِ أَمَّا أَحْنَفُ فَمُسْفَهٌ

لَدَيْنِهِمْ ، وَأَمَّا حَاتِمٌ فَبَخِيلٌ ^(٢)

فَتَى الْمَجْدِ ، أَمَّا جَارُهُ فَمُنْعٌ

عَزِيزٌ ، وَأَمَّا صِدْقُهُ فَذَلِيلٌ

وَأَمَّا عَطَايَا كَفِّهِ فَمُبَاحَةٌ

حَلَالٌ ، وَأَمَّا ظِلُّهُ فَظَلِيلٌ

« الثانية هنا ثنية العقاب ، وهي مشرفة على غوطة دمشق يمر بها القاصد من دمشق الى حمص ، وثنية العقاب أيضا بالثغور الشامية قرب المصيصة ، ودير مران كان بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة ، وكان من أنزه الجهات ، يقصده ظرفاء الشعراء يقضون بها أوقات مسراتهم . » أحمد يوسف نجاتي « (١) من قول اسحق بن ابراهيم الموصلي للرشيدي :

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل ١٩

من أبيات رقيقة مشهورة . » أحمد يوسف نجاتي « (٢) سبق التعريف بالأحنف بن قيس التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم ، وبحاتم الطائي . » أحمد يوسف نجاتي « .

وَطَهْرُ الدِّينِ الْمَدْوُوحُ هُوَ طُفْتِكَيْنُ بْنُ أَيُّوبَ
أَخُو السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ - وَكَانَ مَلِكَ الْيَمَنِ ^(١) ، وَأَحْسَنَ
إِلَى ابْنِ عُتَيْنٍ إِحْسَانًا كَثِيرًا وَافِرًا ، وَخَرَجَ ابْنُ عُتَيْنٍ مِنَ
الْيَمَنِ بِمَالٍ جَمٍّ . وَطُفْتِكَيْنُ - بِضَمِّ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبَعْدَهَا
عَيْنٌ مُعْجَمَةٌ ثُمَّ تَاءٌ مُثَنَّاَةٌ مِنْ فَوْقِهَا مَكْسُورَةٌ ثُمَّ كَافٌ
مَكْسُورَةٌ أَيْضًا ثُمَّ يَاءٌ مُثَبِّتَةٌ ثُمَّ نُونٌ - وَكَانَ يُلقَّبُ
بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عُتَيْنٍ لَمَّا رَجَعَ مِنْ عِنْدِهِ
إِلَى مِصْرَ أَيَّامَ الْعَزِيزِ عُثْمَانَ ^(٢) بْنِ صَلَاحِ الدِّينِ ، فَأَلْزَمَ أَرْبَابُ

(١) قد عرفت أن ابن عتین بعد نفيه جاب الأرض، وفتش آفاق الآفاق،
حتى كان كما قال عن نفسه من قصيدة :

أشقى قلب الشرق ، حتى كائن
أفتش في سوادائه عن سنا الفجر
فلما وصل الى اليمن كان ملكها يومئذ سيف الاسلام طفتكين بن أيوب،
وهو أخو السلطان صلاح الدين، وكان صلاح الدين لما ملك مصر سير أخاه
شمس الدولة توران شاه الى بلاد اليمن ، فملكها ، واستولى على كثير من
بلادها ، ثم سير السلطان اليها بعد ذلك أخاه سيف الاسلام المذكور، وذلك
في سنة ٥٧٧ هـ ، وكان رجلا شجاعا كريما مشكورا السيرة حسن السياسة
مقصودا من البلاد الشاسعة لاحسانه وبره « توفي في شوال من سنة ٥٩٣
وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين أبو الفداء اسمعيل ، وتوفي في
رجب سنة ٥٩٨ هـ ، وتولى مكانه أخوه الملك الناصر أيوب « أحمد يوسف نجاشي »

(٢) الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين، ولد بمصر سنة ٥٦٧ هـ وملك بمصر
بعد أبيه سنة ٥٨٩ هـ وكان ملكا قويا ذا بطش منصف عادلا شجاعا مباركا لطيفا عفيفا
رفيقا بالرعية حليما جوادا كثير الخير واسع الكرم عسنا الى الناس ، وتوفي

الديوان ابن عنين يدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت
صحبته :

ما كل من يتسمى بالعزير لها
أهل ، وما كل برق سبحانه غدة^(١)
بين العزيرين بون في فعالهما
هذاك يعطي ، وهذا يأخذ الصدقة
ومن هجو ابن عنين قوله في فقهاء يلقب أحدهما
بالنعل ، والآخر بالجاموس^(٢) :

في المحرم من سنة ٥٩٥ هـ ، وكان قد أوصى بالملك لأكثر أولاده ، وهو ناصر
الدين للبلد النصور محمد ، والعزير الذي يفضل هو الملك العزيز سيف
الاسلام طفتكين . « أحمد يوسف نجاشي » (١) الغدق : الماء الكثير
أو للطر الكثير العام ، وغدقت العين « كفرح » غزرت وعذبت ، فهي
غدقة ، وفي الحديث « اللهم اسقنا غدقا مغدقا » وأرباب الديوان أي ديوان
الزكاة بمصر ، وكان السلطان صلاح الدين هو أول من جباها بمصر ،
واستخدم ابن حمدان في ديوان الزكاة بها في سنة ٥٨٨ هـ ، وفي زمن
الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ولي النظر
في ديوان الزكاة القاضي الأسعد شرف الدين أبو المكارم أسعد بن مذهب
ابن ماتي ، فاستخرج الزكاة من أربابها ، بعد أن كان الأغنياء يضمنون بها
ولكن لم يكن بعض جباها يسلم من الجور والعسف « أحمد يوسف نجاشي »
(٢) كان هذان الفقهاء بدمشق ، ويروي صدر البيت الأول « ... في جدليهما »
نذل « حالهما » وصدر الثاني « برز اعشية ليلة فتباحثا » وأول الثالث « ما اتفقا » وبنو

عساكر أسرة كانت بدمشق مشهورة بالعلم والأدب والحديث والنبيل: منهم «ممن عاصروهم ابن عيين» الحافظ الجليل أبو القاسم علي بن هبة الله محدث الشام، وصاحب تاريخ دمشق، ونفر الشافعية، وإمام أهل الحديث في عصره، ولد سنة ٤٩٩هـ، وتوفي سنة ٥٧١هـ - وابنه القاسم كان محدثا شديدا الورع، ولد سنة ٥٣٧هـ، وتوفي سنة ٦٠٠هـ - ومنهم أبو الفضل تاج الأمانة أحمد بن محمد ابن الحسن بن هبة الله الدمشقي الملقب بالعدل ابن عساكر، ولد سنة ٥٤٢هـ، وتوفي سنة ٦١٠هـ - وعماد الدين علي بن القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي ولد سنة ٥٨١هـ، وتوفي سنة ٦١٠هـ، وكان حافظا مجتهدا في الطب صدوقا ذكيا ميل إلى التشيع - ونفر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر، الإمام الملقب بالدمشقي، شيخ الشافعية بالشام ولد سنة ٥٥٠هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ، وكان محدثا جليلا حسن السمعة وقورا زاهدا عابدا ورعا حسن الأخلاق - وزين الأمانة أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر كان صالحا خيرا من سروات الناس حسن السمعة فقيها محدثا، وولى نظر الخزان والأوقاف ثم تزهد، وتوفي سنة ٦٢٧هـ عن ٨٣ سنة - وأبو نصر عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر، روى عن عمه الحافظ وغيره، وتوفي سنة ٦٣١هـ - والعز النسابة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر، كان صدرا كبيرا وقورا، وتوفي سنة ٦٤٣هـ - والتاج عبد الوهاب بن زين الأمانة أبي البركات الحسن بن محمد، ولى مشيخة النورية بعد والده، وتوفي سنة ٦٦٠هـ والمجد محمد بن اسمعيل بن عثمان بن مظفر بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر، للعدل توفي سنة ٦٦٩هـ - ومنهم الإمام الزاهد أمين الدين أبو الجين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن زين الأمانة، كان صالحا خيرا عالما أديبا بديع النظم لطيف الثمائل، ولد سنة ٦١٤هـ، وتوفي سنة ٦٨٦هـ - وشرف الدين أبو العباس أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن ابن عساكر للسند الأجل، ولد سنة ٦١٤هـ - وتوفي سنة ٦٩٩هـ - وروى أول البيت الرابع «اثنتان» وعجزه «الأخادع» بدل «برقاعة»، والجلف هو

الجافي اللفظ الغليظ ، والأخدعان : عرقان خفيان في موضع الحجابة من العنق
أوهما الوردجان ، والتعبير بهما هنا للدلالة على تيه منلويه الشاعر وكبره وصلفه
لأنه يقال : اعوج أخدعاه ، ولوى أخدعه : إذا أعرض وكان متكبرا ، قال الفرزدق :

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخداع

وسوى أخدعه : إذا ترك التكبر ، ورجل شديد الأخدع : أي يمتنع أبي ، ولين
الأخدع ضده - أو عبر بهما كناية عن مهاتته واحتقاره واستحقاقه الصفع
على أذنيه . والريقع : الأحمق الذي يتمزق عليه عقله ، وقد رقع رقاعة
كانه لمحقه رقع ، لأنه لا يرقع الا الواهي الخلق ، ففي عقله مرمة ونقص ووهي
و « منلويه » لقب كان ينزبه الرشيد عبد الرحمن بن محمد بن بدر بن
الحسن بن الفرج بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسي ، وكان مقبلا
بدمشق ، ولابن عنين فيه عدة مقاطيع هجو ، وتوفي في منتصف صفر من
سنة ٦١٩ بدمشق . رحمه الله تعالى - وعبد اللطيف كان محسبا بدمشق .
وفي أبيات ابن عنين الاستطراد البدعي أيضا كالبيتين اللذين هجا
بهما الخطيب الدولى المتقدم ، وقد كان ابن عنين يمجيد الاستطراد ، وهو
في أبياته هذه مثل الطاهر الجزري « أبي محمد بن الزمكدم » في قوله
يدح الأمير قرواش بن المقلد بن السيب أمير بن عقيل المتوفى سنة ٤٤٤ :

وليل كوجه البرقيمدى ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونه

سريت ونوى فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق قيه مضاء كأنه أبو جابر في طيشه وجنونه

الى أن بدا ضوء الصباح كأنه سقى وجه قرواش وضوء جبينه

وسليمان بن فهد الموصلى كان في حدائته يكتب بين يدي أبي اسحق الصابي
وخادم المقلد بن المسيب والدا الأمير قرواش ، ثم أصدع الى الموصل ، واقتنى بها
ضياعا ، ونظر فيها للأمير قرواش ، فظلم أهلها وصادرهم ، فسخط قرواش عليه
وعلى وزيره أبي القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالوزير
المغربى ، فقبض عليهما في سنة ٤١١ وحبسهما ، وطولب سليمان بن فهد بالمال
فادعى الفقر فقتل ، وأما الوزير المغربى فانه خدع قرواشا ووعدته بمال له

الْبَغْلُ وَالْجَامُوسُ فِي حَالَيْهِمَا
 قَدْ أَصْبَحَا مَثَلًا لِكُلِّ مُنَاطِرٍ
 قَعْدًا عَشِيَّةَ يَوْمِنَا، فَتَنَاطَرَا
 هَذَا بِقَرْنِيهِ، وَذَا بِالْخَافِرِ
 مَا أَحْكَمَا غَيْرَ الصَّيْحَ، كَأَنَّمَا
 لَقِيَا جِدَالَ الْمُرْتَضَى ابْنَ عَسَاكِرٍ
 جِلْفَانِ مَا لَهُمَا شَبِيهُ ثَالِثُ
 لَفْظٌ طَوِيلٌ تَحْتَ مَعْنَى قَاصِرٍ
 كَالْمَقْلِ فِي عَبْدٍ اللَّطِيفِ النَّاطِرِ

* *

رجع الى دمشق « رَجَعُ إِلَى دِمَشْقَ » وَقَالَ الْعَزَّازُ الْمَوْصِلِيُّ (١) :

في السكوفة وبغداد ، فأمره بحمله وتركه . وقد أجمع أهل البيان على أن هذه الأبيات غاية في الجودة ، ولم يقل خير منها في معناها وفي قوة الاستطراد فيها من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح الأمير قرواش . وبرقيده : بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين ، وكانوا يضربون بأهلها المثل في اللوصية ، فيقال : لص برقيدي ، وكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الأمرين ، ومنها كان بنو حمدان التغلبيون سيف الدولة وأهله . « أحمد يوسف نجاشي » (١) عز الدين أبو الخير علي بن بهاء الدين حسن الموصل ، ولد سنة ٧٢٤ ، وتوفي سنة ٧٨٩ ، وكان شاعرا رقيقا أدبيا أكثر شعره في الغزل يعيل فيه الى التورية اللطيفة « أحمد يوسف نجاشي »

«موازنة أدبية
شعرية بين
الشام ومصر»

إِلَيْكَ حِيَاضَ حَمَامَاتٍ مِصْرٍ
وَلَا تَتَكَبَّرِي عِنْدِي بِحَيْنِ
حِيَاضُ الشَّامِ أَخْلَى مِنْكَ مَاءُ
وَأَطْهَرُ وَهِيَ دُونَ الْقَلْتَيْنِ
وَهَذَانِ الْيَتَانِ جَوَابٌ مِنْهُ عَنْ قَوْلِ ابْنِ بُنَاتَةَ :
أَحْوَاضَ حَمَامِ الشَّامِ مِ الْأَسْمَعِي لِي كِلْتَيْنِ
لَا تَذْكُرِي أَحْوَاضَ مِصْرَ ، فَأَنْتِ دُونَ الْقَلْتَيْنِ^(١)
وَأَمَّا قَوْلُ النُّوَّاجِي^(٢) سَأَحْهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(١) ابن نباتة المصري هو الشاعر المشهور محي الدين محمد بن محمد بن محمد
ابن محمد بن الحسن بن نباتة، قدم القاهرة بعد السبعين ، وتوفي بهاسنة ٧٦٨
« أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن
عثمان النواجي المصري الامام العلامة الأديب الشاعر الرقيق ، ولد بالقاهرة
حوالي سنة ٧٨٥ وجد في طلب العلم والأدب حتى فاق أهل عصره . قال في
« عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران - لبرهان الدين ابراهيم بن
عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ » وأمعن النواجي في النظر الى علوم الأدب
وأُنعم ، حتى فاق أهل العصر فما رام بديع معنى الا اطاعه وأنعم ، وأطال
الاعتناء بالأدب ، فخرى فيه قصب السبق الى أعلى الرتب - اه . وله مصنفات
أدبية لطيفة بمتعة ، ومن شعره :

بعد صباح الوجه عيشى مضى فيارعى الله زمان الصباح
وبت أزعى النجم ، لكفى أهفو اذا هب نسيم الصباح
وهو صاحب كتاب « حلبة الكيت » . في الأدب والمحاضرات وال نوادر

مِصْرُ قَالَتْ : دِمَشْقُ لَا تَقْتَحِرُ قَطُّ بِأَسْمِهَا
لَوْ رَأَتْ قَوْسَ رَوْضَتِي مِنْهُ رَاحَتْ بِسَمِهَا
فَهُوَ مِنْ بَابِ تَفْضِيلِ الْوَطَنِ مِنْ حُبِّهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ
الْوَدَاعِيِّ (١) :

رَوْ بِمِصْرٍ وَبِسُكَّانِهَا شَوْقِي، وَجَدَّدَ عَهْدِي أَخْلَالِي

المتعلقة بالبحر وما يرتبط بسبب منها ، وهو كتاب مفيد لطيف يعتمد به
الأدباء ، ولا عبرة بمن ذمه ، فإنه من الحسد والتعصب ، أو من ضيق العطن والتزمت
والتنطع ، وتوفي النواجي سنة ٨٥٩ - ولا يخفى التورية والتناسب في قوله « قوس »
« سهم » ويشير بذلك إلى أن دمشق لو رأت قوس روضة مصر لراحت بسهم
من الحسد أو الغيظ ، وقد عرفت أن السهم موضع بدمشق أيضا .
« أحمد يوسف نجاشي » (١) علاء الدين الوداعي طي بن مظفر الإسكندی ،
ويعرف بكتاب ابن وداعة ، ولد سنة ٦٤٠ ، وكان أديبا بارعا محدثا ،
ومن قوله يعتنر إلى بعض أصحابه :

ان كنت يالكرم الصحاب حجيت لما طرقت بابي
فأنت قلبي ، ولا عجيب اذا غدا القلب في حجاب

وله :

تري يا جيرة الرمل يعود بقربكم شملی
وهل تقتص أيدينا من المجران لا واصل
وهل ينسخ قباكم حديث الكتب والرسا

هو ممن أجادوا التورية البديعة ، بل هو امرؤ قيسها وكنديها ، وإذا ذكر
شرف نسبها فإنه علويها ، وانتقل من حلب إلى دمشق ، وعاصر جماعة من
حلبة الأدباء في عصره ، وتوفي سنة ٧١٦ . « أحمد يوسف نجاشي »

وَأَرَوْ لَنَا يَسْعَدُ عَنْ نِيلِهَا حَدِيثَ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ^(١)
فَهُوَ مُرَادِي «لَا يَزِيدُ» وَلَا «ثَوْرِي» وَإِنْ رَقًّا، وَرَقَّالِي^(٢)
وَمِنْ ذَلِكَ النَّمَطِ قَوْلُ الشَّهَابِ الْحِجَازِيِّ^(٣) :
قَالُوا : دِمَشْقُ قَدْ زَهَتْ لِزَهْرِهَا
فَأَمَضَ ، وَشَاهِدَ جَوْزَهَا وَلَوْزَهَا

(١) في «صفوان بن عسال» تورية، يريد المعنى الاشتقاق أى الصفاء والحلاوة التى كالصل يصف بهما ماء النيل ، و «صفوان بن عسال» المورى به هو صفوان ابن عسال المرادى الجلى محبانى جليل ، وهو من بنى الربض بن زاهر بن عامر بن عوثبان بن مراد ، أو من بنى جل بن كنانة بن ناجية بن مراد، سكن الكوفة، وغزامع النبي صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة، وروى عنه عبد الله بن مسعود وغيره . « أحمد يوسف نجاشى » (٢) تقدم التعريف بنهر يزيد ونهر ثورى - ورقا الأول: من الرقة بمعنى الصفاء ، ورق الثانى من رقى له اذا رحمه وأشفق عليه وعطف؛ من الرقة فى القلب بمعنى الرحمة وفى الأصل كان عجز البيت « ثوروان رقى ورقى لى » وهو تصحيف وفساد على فساد . « أحمد يوسف نجاشى » (٣) شهاب الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن على بن حسن بن ابراهيم الأنصارى الخزرجى القاهرى المعروف بالشهاب الحجازى الشاعر المقلق ، والأديب البليغ ، ولد فى شعبان من سنة ٧٩٠ ، وعفى بالأدب كثيرا حتى صار أوحداً أهل زمانه ، وصف كنباً أدبية ممتعة؛ منها كتاب « روض الآداب » جمع فيه ما استحسن وراق من المقاطيع والطولات وجيد المنثور والنظوم والموشحات وما استفر به من الحكايات، فرغ من تأليفه سنة ٨٢٦ ، وتوفى سنة ٨٧٥ . رحمه الله « أحمد يوسف نجاشى »

قُلْتُ : لَا أُبَدِّلُ بَلَدِي بِهَا
وَلَسْتُ أَرْضَى زَهْرَهَا وَلَوْ زَهَا^(١)
وَقَوْلُ الْخَفَاجِيِّ^(٢) قَاضِي مِصْرَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي دِمَشْقَ
لَكِنْ فِي أَلْسِيَاقِ فِي النَّظْمِ :
قَدْ قَتَنَ الْعَاشِقِينَ حِينَ بَدَأَ بِطَلْعَةِ كَالْهِلَالِ أَبْرَزَهَا
طَرًّا لَهُ شَارِبٌ عَلَى شَفَةِ
كَالْوَرْدِ فِي الْأَسْ حِينَ طَرَزَهَا^(٣)

(١) بين « ولوزها » في آخر البيتين جناس تام: الأول هو اللوز المعروف و « لوزها » في البيت الثاني مركب من « لو » الشرطية ، و « زها » فعل ماض - زها يزهو : إذا حسن وراق وصار موشقا مجبجا. والزهو: المنظر الحسن، ونور النبات وزهره واشراقه، واختلاف ألوانه من حمرة وصفرة وغيرهما ، والزهو : هز الريح النبات غب الندى وفي نسخة « قالوا : دمشق قد زهت لزوها » « أحمد يوسف نجاشي » (٢) الشهاب الخفاجي : هو الأريب الكامل والأديب الفاضل والعالم المحقق الجليل شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، أحد أعيان القرن الحادى عشر، وقاضى العسكر بمصر، أقام بدمشق أياما فمدحه فضلاؤها، واعتفى به أهلها وعلماؤها، وأكرموا زله، وأحسنوا مثواه، وهو أشهر من أن يذكر أو يعرف، وقد ترجم لنفسه ترجمة ضافية في آخر كتابه « ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا » وتوفى سنة ١٠٦٩ وقد أناف على التسعين. ووالده محمد بن عمر الخفاجي أصله من سرياقوس، وكان من أجلاء العلماء في عصره ، مفتيا بارعا محققا، مشهور الصيت ذائع الذكر، توفى سنة ١٠١١ رحمهما الله تعالى « أحمد يوسف نجاشي » (٣) طر الشارب والنبت: إذا طلع، وزها يزهو: حسن وراق ونضر. والزهو نور النبات وزهره واشراقه كما تقدم. وزها الغلام يزهو: إذا شب، وزها

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

قَدْ قَالَ وَادِي جِلْقٍ لِلنَّيْلِ إِذْ
كَسَرُوهُ : أَعَيْنُ جَبْهَتِي لَكَ تُرْفَعُ
فَأَجَابَ بِحُزْنٍ النَّيْلُ لَمَّا أَنْ طَفَى :

عِنْدِي مُقَابِلَ كُلِّ عَيْنٍ إِصْبَعُ
وَقَدْ تَذَكَّرْتُ هُنَا قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

مَاذَا يُهَيِّدُ الْمَعْنَى مِنَ الْأَذَى الْمُسَابِغِ ؟
بِعَصْرِ ذَاتِ الْأَيْدِي وَنَيْلِهَا ذِي الْأَصَابِعِ (١)

الطل النور : زاده حسن منظر « أحمد يوسف نجاشي » (١) يريد بالأصابع ،
الأصبع الوحيدة التي كانت لمقياس النيل ، وكانوا في أواخر شهر بؤنة ينادون
عليه بالزيادة ، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل اثني عشر
ذراعا ، فيحسب كل ذراع أربعة وعشرين أصبعا ، فلذا وفي ست عشرة ذراعا
« وهو الذي كانوا يعبرون عنه بماء السلطان » كسر خليج القاهرة يوم
وفاء النيل ، وكان ذلك عندهم يوما مشهودا ، ومومما معدودا ، وفيه تكتب
البشارات بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة . وكان المقياس قبل الفتح
العربي بمدينة منف ، ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا بأسوان ، ثم مقياسا بدندرة
ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأفصا ، فلما ولي عبد العزيز بن مروان مصر
بنى مقياسا صغيرا الأذرع بحلوان ، ثم لما ولي أسامة بن زيد التنوخي بنى مقياسا
في جزيرة الروضة بأمر سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧ ثم بنى الخليفة المتوكل
مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة سنة ٢٤٧ في ولاية يزيد بن عبد الله
ابن دينار التركي على مصر ، ورتب المتوكل للمقياس أبا الرداد عبد الله بن

وَقَدْ شَاعَ الْخِلَافُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي الْمُقَاضَاةِ بَيْنَ مِصْرَ
وَالشَّامِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ :

فِي حَلَبٍ وَشَامِنَا وَمِصْرَ طَالَ الْأَغْطُ
فَقُلْتُ قَوْلَ مُنْصِفٍ « خَيْرُ الْأُمُورِ الْوَسْطُ »
وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

تَجَنَّبْ دِمَشْقَ ، وَلَا تَأْتِهَا وَإِنْ رَأَيْتَ الْجَامِعَ الْجَامِعُ
فَسُوقُ الْفُسُوقِ بِهَا قَائِمٌ وَقَجَرُ الْفُجُورِ بِهَا طَالِعُ
فَلَا يُلْتَقَتُ إِلَيْهِ ، وَلَا يُعُولُ عَلَيْهِ ، إِذْ هُوَ مُجَرَّدُ دَعْوَى
خَالِيَةٍ عَنِ الدَّلِيلِ ، وَهِيَ مِنْ نَزَغَاتِ بَعْضِ الْهَجَّائِينَ الَّذِينَ
يَعْمِدُونَ إِلَى تَقْبِيحِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ الْجَمِيلِ « وَمَا زَالَتْ
الْأَشْرَافُ تُهْجَى وَتُمْدَحُ » ^(١) وَلَا يُقَابَلُ أَلْفُ مِثْنِ عَدْلٍ
بِفَاسِقٍ يَقْدَحُ :

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا

وَيَأْمُلُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ ^(٢)

عبد السلام بن أبي الرداد المؤدب ، وكان رجلاً صالحاً ، فاستقر قياسه في بني
زمننا طويلاً . وكان على الخليج جملة قناطر أنشئت في عصور مختلفة ، وأغلبها
مستحدث في الدولة التركية ، وأكثرها في دولة الناصر محمد بن قلاوون
(١) عجز بيت صدره هجوت زهيراً ثم أتى مدحته * (٢) هذا البيت آخر

وَأَخَفُ مِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ - وَهُوَ الْكَاتِبُ
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ :
دِمَشْقُ جَنَّةُ الدُّنْيَا حَقِيقًا

وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْغَرِيبِ
بِهَا قَوْمٌ لَهُمْ عَدَدٌ وَجَدُّ وَحَدُّ
تَرَى أَنْهَارَهُمْ ذَاتَ ابْتِسَامٍ وَأَوْجُهُهُمْ تَوَلَّعٌ بِالْقُطُوبِ (١)
أَقَمْتُ بِدَارِهِمْ سِتِّينَ يَوْمًا فَلَمْ أَظْفَرْ بِهَا بِفَتَى أَدِيبٍ
وَالْجَوَابُ وَاحِدٌ، وَلَا يَضُرُّ الْحَقُّ الثَّابِتَ انْكَارُ الْجَاهِلِ ،

قصيدة لأبي الطيب التنيني عندها ٣١ بيتا ، يقولها معزيا سيف الدولة عن
عبد الملك التركي - وقد توفي بحلب سنة ٣٤٠ هـ وأولها :
فلا يحزن الله الأمير ، فأننى لأخذ من حالته بنصيب
ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعبوت سرها وقلوب
وقبل هذا البيت الأخير :

فدتك نفوس الحاسدين ، فانها معذبة في حضرة ومغيب
والرواية في الديوان « ويجهد أن يأتي لها بفريب » والفريب : النظر
والثيل ، ضرب لسيف الدولة مثلا بالشمس وبحساده ويقول من قدر أن
يأتي للشمس بمثل فليأت ، فإن لم يفعل - ولن يفعل - فليمت غيظا وكدا ، فكما
أن الشمس لا مثيل لها كذلك سيف الدولة ، وانما يحسدونه على فضائل
ومزايا هي من ذات نفسه وجوهر خلقته ، وهيئات أن يكون له عدل فيها
« أحمد يوسف نجاشي » (١) تولع بكذا ولع وأولع : اذا أغرى به وأغرم ،
والقطوب : البوس والتجهم « أحمد يوسف نجاشي »

وَأَخَفُ مِنَ الْجَمِيعِ قَوْلُ الْعَارِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى سَيِّدِي عُمَرُ بْنُ
الْفَارِضِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ^(١) :

جَلِّقُ جَنَّةً مَنْ تَاهَ وَبَاهَى وَرُبَاهَا أَرَبِي لَوْلَا وَبَاهَا ^(٢)
قَالَ قَالَ : بَرَدَى كَوْتَرُهَا قُلْتُ : قَالَ بَرَدَاهَا بِرَدَاهَا ^(٣)
وَطَيَّ مِصْرَ ، وَفِيهَا وَطَرِي وَلِنَفْسِي مُشْتَاهَا مُشْتَاهَا ^(٤)

(١) كان الأستاذ عمر بن الفارض قد سافر من مصر القاهرة الى دمشق فوصل اليها وأهلها شاكون من فلك الوباء والطاعون ، ولم يجد بها من كان يروم من أهل الود والصفاء ، فعاد الى وطنه ، وقال هذه الأبيات « أحمد يوسف نجاشي » (٢) تاه من التيه : وهو الصلف والكبر ، وباهى من اللباهة بالشئ ، والفاخرة به ، يعنى أنه جنة لمن يتيه بحسنه وجماله ، ويسجب بلاحته ودلاله ، ونحو ذلك ، ولمن يفتخر بسكنائها لما حوت من الجمال الفطرى والصناعى ومن العلم والأدب وغير ذلك - والربا جمع ربوة : المكان المرتفع ، وإنما تدمح الربا فى الشعر لطيب هوائها ، ولأن نبتها يكون أنضر وأنعم ، وهو بحيث يراه كل أحد ، ولأنها تقصد للنزهة وتتبع العين فى رياض المحاسن ، والوبا مخفف من الوباء « أحمد يوسف نجاشي » (٣) ويروى صدر البيت * قبل على صف بردى كوترها * « غال » الأول من الغلو : وهو مجاوزة الحد فى الشئ ، والافراط فى وصفه ، وبردى : نهر دمشق - « غال » فى عجز البيت من الغلاء : وهو ارتفاع ثمن الشئ ، وهو خبر مقدم ، و « بردى » بعده المضاف الى ضمير جلق مبتدأ مؤخر ، و « برداها » قافية البيت « الردى » الموت والهلاك ، وهو مجزور بياء الجر التى للعوض : والمعنى أن نهر بردى دمشق لطيف محبوب جدير بالمدح والثناء ، ولكنه اذا قيس الى الموت الذى لا يأمنه الساكن فيها من الوباء كان غاليا باهظ الثمن ، وأى نفيس ثمين يباع بنفس المرء وهى أعز ماله ^(٤) « أحمد يوسف نجاشي » (٤) الوط : المراد المطلوب ،

وَلِنَفْسِي غَيْرَهَا إِنْ سَكَنْتَ يَا خَلِيلِي سَلَاها مَاسَلَاها^(١)
وَأَخَفُ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ^(٢) :

والمشتهى : اسم بستان أنيق كان بمصر من عاصمها وأما كن التزهة بها - ومشتهى الآخر بمعنى ما تشبهه النفس وترغب فيه ويميل اليه « أحمد يوسف نجاتي » (١) يروي « ولعيني » بدل « ولنفسى » وسكن الى كذا اذا مال اليه وارتاح واطمأن ، و « سلا » الأول فعل أمر من سأل مسند الى ألف الاثنين ، وسلا الآخر من السلو : وهو نسيان الشيء والاعراض عنه ، والذهول عن ذكره والتعلق به ، أو من سلاه اذا أذابه ، يقول ان سكنت نفسي الى غير مصر فسلأها عما أوجب سلوها عن موطنها ، وكيف استراحت الى غير وطنها للمهود ، ومالت الى سوى وردها المورود ، وهذا تعجب منه واستبعاد أن تسكن نفسه الى غير مصر أو تسلوها « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ابن نشوان المصرى الأديب كاتب الانشاء وأحد البلغاء المذكورين ، ولد سنة ٦٢٠ وتوفي سنة ٦٩٢ بمصر ، ومن شعره قوله يصف الشبابة المطربة :
وبناطقة بالروح عن أمر ربها تعبر عما عندنا وتجرم
سكتنا ، وقالت للقلوب فأطربت فنحن سكوت والهوى يتكلم
وابنه الصاحب فتح الدين محمد ، توفي بدمشق في رمضان سنة ٦٩١ ومن رقيق شعره ما كتب به الى والده وقد توجه حبة الركاب الشريف الظاهر في مهم شريف ، فناله ضعف وهو بدمشق :

ان شئت تبصرنى وتبصر حالى قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ونحافة ولأجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ، ليقى كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
وفي قوله « ولأجل قلبك لا أقول عليلا » ما يفيت الأكد ، أسفا على ما ينال الأولاد ، من مرض أو هم أو بعاد ، وقد لاقى حتفه رحمه الله تعالى في هذه الغربة ، ولم يلبث والده أن لحق به « أحمد يوسف نجاتي » .

لَا تَلُومُوا دِمَشْقَ إِن جَسَّتْهُمَا
 فَفَى قَدْ أَوْضَحْتَ لَكُمْ مَا لَدَيْهَا
 إِنَّهَا فِي الْوُجُوهِ تَضَحُّ بِالزَّهْرِ
 رِ لِمَنْ جَاءَ فِي الرَّيِّعِ إِلَيْهَا
 وَتَرَاهَا بِالتَّلَجِّ تَبْصُقُ فِي لَحَى
 يَمَنِ مَنْ مَرَّ فِي الشَّتَاءِ عَلَيْهَا
 وَقَوْلُ ابْنِ بُبَاةَ وَهُوَ بِالشَّامِ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْمِقْيَاسِ وَالنَّيْلِ:
 أَرِقْ لَهُ بِالشَّامِ نَيْلُ مَذَامِعِ
 يُجْرِيهِ ذِكْرُ مَنَازِلِ الْمِقْيَاسِ
 سَقِيًّا لِمِصْرَ مَنَازِلًا مَعْمُورَةً
 بِنُجُومِ أَفْقٍ أَوْ ظُبَاهِ كِنَاسِ (١)
 وَطَنِي سَهْرَتْ لَهُ، وَشَابَتْ لِعَتِي
 وَنَمَّ عَلَى عَيْنِي هَوَاهُ وَرَاسِي (٢)
 مَنْ لِي بِهِ وَالْحَالُ لَيْسَ بِأَنْسٍ
 كَدَرًا، وَعَظْفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِقَاسِي ١؟

(١) الكناس: مأوى الأطباء والغزلان (٢) اللة: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة، أو هي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغت المنكبين فهي

وَالطَّرْفُ يَسْتَجِبِي غَزَاً آئِسًا

بِالنَّيْلِ لَمْ يَعْتَدِ عَلَى بَانَاسٍ^(١)

« رَجَعْتُ إِلَى مَدَنٍ دِمَشْقَ » وَقَالَ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ

الْمُعَظَّمِ عَيْسَى^(٢) :

الملك الناصر
داود بن الملك
المعظم عيسى

جمعة ، وأذا ألم الشعر بالمنكب فهو لمة (١) باناس : من أنهار دمشق ، وتقدم وصفه (٢) هو الملك الناصر صلاح الدين أبو الفاخر داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن الأمير نجم الدين أيوب ابن شادي ، ولد في جنادى الأولى من سنة ٦٠٣ هـ وشب في عز وعناية بطلب العلم والأدب حتى فاز منهما بالخط الأوفر ، فكان قفيا حنفيا فاضلا مناضرا ذكيا ، بصيرا بالأدب بديع النظم كثير المحاسن . ولما توفي والده سنة ٦٢٤ هـ « وكان صاحب الشام ودمشق ، وقد اتسعت مملكته حتى كانت من حدود بلاد حمص الى العريش يدخل في ذلك بلاد الساحل منها وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك وغيرها » قام ابنه الناصر مقامه ، فخرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصدا أخذ دمشق منه ، واتفق على ذلك مع أخيه الملك الأشرف ، فملكها الكامل ودفعها لأخيه الأشرف ، وأخذ عوضها من بلاد الأشرف عدة مدن منها حران والرها والرقه وسروج ورأس العين ، ثم توفي أخوه الأشرف ، وجعل ولي عهده أخاه الملك الصالح اسمعيل بن العادل ، فقصده الملك الكامل أيضا ، وانتزع منه دمشق بعد مصالحة بينهما في سنة ٦٣٥ هـ وأبقى له بعلبك وبعض مدن أخرى ، وكان الناصر لما أخذت دمشق منه تحول الى الكرك في سنة ٦٢٦ هـ وملكها ٢١ سنة الى سنة ٦٤٧ هـ سلمها ابنه الى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ابن محمد العادل صاحب مصر ، وزالت مملكة الناصر باتفاق أهله عليه وخديتهم بنيه ، وبقي من سنة ٦٤٧ هـ مشردا في البلاد الى حين وفاته ، وكان مع أدبه

إِذَا عَايَنْتَ عَيْنَايَ أَغْلَامَ جِلْقٍ
وَبَانَ مِنَ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ قِبَابُهُ
تَبَقَّنتُ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ بَانَ، وَالنَّوَى
نَأَى شَخْصُهُ، وَالْعَيْشُ عَادَ شَبَابُهُ
وَقَالَ أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :
يَا رَاكِبًا مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَجْذِبُهُ
إِلَى الْعِرَاقَيْنِ إِذْ لَاجٌ وَإِسْخَارُ

وكرمه شجاعاً، وقد أبلى في جهاد الفرنج بلاء حسناً، وهزمهم في غير موقعة.
ومن شعره :

أحب الغادة الحسناء ترنو بمقلة جوذر فيها فتور
ولا أصبو إلى رشاً غرير وإن فتن الورى الرشاً الغرير
وأنى يستوى شمس وبدر ومنها يستمد ويستتير ؟
وهل تبدو الغزاة في سماء فيظهر عندها للبدر نور ؟
وله :

قلبي وطرفك قاتل وشهيد ودعى على خديك منه شهود
يأبى الرشاً الذى لحظاته كم دونهن صوارم وأسود
ومن العجائب أن قلبك لم يطن لى ، والحديد ألا نه داود
وله :

ألايت أى أيم طول دهرها ولم يقضها ربى لمولى ولا بل
وباليتها لما قضاها لسيده لبيب أربب طيب الفرع والأصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا ولا بشرت يوماً بأننى ولا غفل
وباليتها لما غدت فى حاملا أصيب من احتفت عليه من الحمل
وباليتها لما ولدت وأصبحت تشد إلى الشذ قيات بالرجل

حَدَّثَنِي عَنْ رُبُوعٍ طَالَمَا قُضِيَتْ
 لِلنَّفْسِ فِيهَا لُبَانَاتٌ وَأَوْطَارٌ ^(١)
 لَدَى رِيَاضٍ سَقَاها أَلْزَنُ دِيمَتُهُ
 وَزَانَهَا زَهْرُ غَضٍّ وَتَوَارٌ ^(٢)
 شَحَّ النَّدَى أَنْ يُسْقِيَهَا مُجَابَجَتَهُ
 فَجَادَهَا مُفْعَمُ الشُّؤْبِوبِ مِدْرَارٌ ^(٣)
 بَكَتْ عَلَيْهَا الْغَوَادِي وَهِيَ صَاحِكَةٌ
 وَرَاحَتِ الرِّيحُ فِيهَا وَهِيَ مِعْطَارٌ ^(٤)

لحقت بأسلاف فكت ضييعهم ولم أر في الاسلام ما فيه من نكل
 وتوفي رحمه الله في جمادى الأولى من سنة ٦٥٥ بقرية يقال لها البويضاء
 بظاهر دمشق، ودفن عند والده، وكانت أمه خوارزمية، وعاشت بعده
 مدة رحمهما الله تعالى « أحمد يوسف نجاشي » (١) الادلاج والاسحار: السير
 بالليل والسحر، واللبنات والأوطار: الأغراض والحاجات والمطالب، والربوع:
 المنازل والأماكن (٢) للزن جمع مزنة وهي السحابة البيضاء والمطرة، والديمة: المطر
 الذي ليس فيه رعد ولا برق ويدوم زمنا، والغض الناضر (٣) أصل المجاجة ما
 يبعث المرء من فيه، ويقال: المطر مجاج للزن، والعسل مجاج النحل، وفي الأصل
 « مجاجته » بدل « مجاجته » وهو تصحيف مشوه، والقمع: الملوأ،
 والشؤبوب: الدفعة من المطر، والمدرار: الكثير الهاطل، وسماء مدرار، تدرب المطر
 (٤) الغوادي: النسج جمع غادية وهو سحابة تنشأ صباحا، والعطار: ذكية الريح

يَا حُسْنَهَا حِينَ زَاتَهَا جَوَاسِقَهَا
وَأَيُّنَعَتْ فِي أَعَالِي الدُّوْحِ أَشْمَارُ^(١)
فَهِيَ السَّمَاءُ أَخْضِرَارًا فِي جَوَائِبِهَا
كَوَاكِبُ زُهْرٌ تَبْدُو وَأَقْمَارُ
حَدَّثَنِي وَأَنَا الظَّامِي إِلَى نَبَا
لَأَفْضُ فُوكَ! فَمَتَى الرَّيِّ تَمْتَارُ^(٢)
فَهُوَ الزَّلَالُ الَّذِي طَابَتْ مَشَارِبُهُ
وَفَارَقَتْهُ غُثَاءَاتُ وَأَكْدَارُ^(٣)
كَرَّرَ عَلَى نَارِحٍ شَطَّ الْمَزَارِ بِهِ
حَدِيثُكَ الْعَذْبَ لَا شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ^(٤)
وَعَلَّلَ النَّفْسَ عَنْهُمْ بِالْحَدِيثِ بِهِمْ
إِنْ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَشْمَارُ^(٥)
وَهَذَا التِّلْكَ النَّاصِرُ لَهُ تَرْجَمَةٌ كَبِيرَةٌ، وَهُوَ يَمْنُنُ أَدْرَكَتُهُ
الْحِرْفَةُ الْأَدَبِيَّةُ، وَمُنِعَ حَقُّهُ بِالْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، وَأُنْكَرَتْ

(١) الجوسق : القصر (٢) الامتياز في الأصل : طلب للبيرة وهي القوت
والزاد (٣) الغشاء : ما يحمله السيل من المواد والأقنار (٤) النازح : البعيد
المفارق، وشطت : بعدت (٥) السمر : الحديث بالليل يصني له الاخوان

حُفُوقُهُ، وَأُظْهِرَ عُقُوقُهُ، حَتَّى قَضَى نَجْبَهُ، وَلَقِيَ رَبَّهُ .
 « رَجِعْ » وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ الْمُسَيْدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١) :-
 بُشْرَى لِأَهْلِ الْهَوَى، عَاشُوا بِهِ سَعْدًا
 وَإِنْ يَمُوتُوا فَهُمْ مِنْ جُملَةِ الشَّهْدَا
 شِعَارُهُمْ رِقَّةُ الشُّكُوى، وَمَذْهَبُهُمْ
 أَنَّ الضَّلَالَةَ فِيهِمْ فِي الْغَرَامِ هُدًى (٢)

(١) هو سلطان الشعراء في عصره الأمير أبو الحسن سيف الدين طي بن أبو الحسن سيف
 عمر بن قزل بن النشد التركاني ، ولد سنة ٦٠٢ بمصر ، وكان شاعرا رقيقا
 التركاني
 فضلا كثير الخير والبر ذا مروءة ، ومن شعره :

بين الجفون مصارع العشاق فخذوا حذاركم من الأحداق
 فهي السهام بل السيوف ، وانها أمضى وأنسكى في حشا للشتاق
 وهو بمن أحسن استعمال التورية البديعية في شعره ، فمن ذلك قوله :

وجلس راق من واش يكدره ومن رقيب له باللوم ايلام
 مافيه ساع سوى الساقى ، وليس به على الندى سوى الریحان نلام
 والنام نوع من الرياحين ، ومن ذلك قوله :

في يوم غيم من لداذة جوه غنى الحمام ، وطابت الأنداء
 والروض بين تكبر وتواضع شمع القضيبي به ، وخر الماء
 ومن لطائفه قوله :

الحمد لله في حلى ومر تحلى على الذى نلت من على ومن عملى
 بالأمس كنت الى الديوان منتسبا واليوم أصبحت والديوان ينسبلى
 يشير الى ديوان شعره الذى جمعه ، وتوفى سنة ٦٥٦ بدمشق - رحمه الله
 « أحمد يوسف نجاشى » (٢) في نسخة « ان الضلالة تيه الخ »

عُيُونُهُمْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ سَاهِرَةٌ
 عَبْرَى، وَأَنْفُسُهُمْ تَحْتَ الدَّجَى صُعْدًا^(١)
 تَجَرَّعُوا كَأْسَ خَمْرِ الْغُبِّ مُتْرَعَةً
 ظَلُّوا مُسْكَارَى، وَظَنُّوا غَيْبَهُمْ رَشْدًا
 وَعَاسِلٍ أَلْقَدَّ، مَعْسُولٍ مُقْبِلُهُ
 كَالْفُضْنِ لَمَّا أَنْشَى، وَأَلْبَدِرٍ حِينَ بَدَأَ^(٢)
 رَقِيمٌ عَارِضِهِ كَهْفٌ لِعَاشِقِهِ
 يَأْوِي إِلَيْهِ، فَكَمْ فِي حُبِّهِ شَهْدًا^(٣)
 نَادَمْتُهُ وَتُفُورُ الْبَرْقِ بِأَسِمَةٍ
 وَالْغَيْثُ يَنْزِلُ مُنَحَلًّا وَمُنْعَقِدًا
 كَانَ جَلِيقَ - حَيَّا اللَّهُ مَا كُنْهَا -
 أَهْدَتْ إِلَى النُّورِ مِنْ أَزْهَارِهَا مَدَدًا^(٤)

(١) عبرى : أى تسيل عبراتها وهى الدموع ، والصعداء تنفس ممدود من حرقه
 الوجد (٢) غسل القداى متثن متبايل كالرمح العسال أى المتهزلينه (٣) يشير الى
 قوله تعالى : « أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا »
 والرقيم هنا بمعنى للرقوم أى الموشى للنقوش ، والرقيم فى الآية : قيل انه لوح
 أو كتاب فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم ونسبهم ، وقيل قريتهم التى خرجوا
 منها ، وقيل جبلهم الذى كان فيه الكهف أو الوادى ، وقيل كلهم ، وقيل
 الصخرة (٤) فى الأصل « النور » بدل « النور » « أحمد يوسف نجاشى »

فَاسْتَرْسَلَ الْجَوْ مُنْهَلًا «زَيْدُ» عَلَى
 «تَوْرَى» وَيَقْدُمُ مَحْلُولَ الْأَنْدَى «بَرْدًا»^(١)
 وَقَالَ أَيْضًا :

فَوَادَى إِلَى بَانَاتٍ جَلِقَ مَا بُلُّ
 وَدَمَعِي عَلَى أَنْهَارِهَا يَتَحَدَّرُ
 يُرْنَحِي لَوْزُ ابْنِ كَلَّابٍ مُزْهَرًا
 وَهَتَرْتَنِي أَغْصَانُهُ وَهُوَ مُشِيرٌ^(٢)
 وَإِنِّي إِلَى زَهْرٍ السَّفَرَجَلِ شَيْقُ
 إِذَا مَا بَدَأَ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ يُنْتَرُ
 غِيَاضٌ يَفِيضُ الْمَاءَ فِي عَرَصَاتِهَا
 فَتَزْهُو جَمَالًا عِنْدَ ذَلِكَ وَتُزْهِرُ^(٣)
 تَرَى بَرْدَى فِيهَا يَحُولُ كَأَنَّهُ
 وَحَصْبَاءُهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ مُجَوَّهَرٌ

(١) يزيد وثوري وبردى: أنهار بدمشق كما تقدم، ويزيد وثوري رافدان لبردى من صفته الشرقية، ولا يخفى لطف التورية فيها هنا «أحمد يوسف نجاشي»
 (٢) رنحه: أماله وهزه، ورنح الرجل وترنح: إذا تأمل وتلقى سكرًا أو طربًا ونحوهما. ورنحه الشراب والسرور والطرب «ولوز ابن كلاب نوع من اللوز الكلابي» كالخوى (٣) الفياض جمع غيضة: وهي الأجمة أى مجتمع الشجر في مفيض ماء مجتمع فيه للاء فينبت به الشجر، والعروة في الأصل

وَبِيْ أَخُوْرٍ لَّاحَ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ
يُسَامِحُ قَلْبِي فِي هَوَاهُ وَيُعَذِّرُ
يُحَاوِرُنِي فِيهِ عَلَى الصَّبْرِ صَاحِي
وَكَيْفَ أَطِيقُ الصَّبْرَ وَالطَّرْفُ أَخُوْرٌ (١)
إِذَا اشْتَقْتُ وَادِي النَّيْرِ بَيْنَ لَمَحَّتِهِ
فَأَنْظُرُ مَعْنَاهُ بِهِ وَهُوَ أَنْضَرُ (٢)
حَوَى الشَّرْفُ الْأَعْلَى مِنَ الْحُسْنِ خَدُّهُ
عَلَى أَنْ مَيْدَانَ الْعَوَارِضِ أَخْضَرُ (٣)
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

كل بقعة بين النور واسعة ليس فيها بناء (١) بين « يحاور » و « أخور »
جناس الاشتقاق ليوم أن طرف المحبوب لحوره وحسنه أغلب لصاحبه في
المحاورة ، فهو حجة ناطقة بعذر الحب في الهوى ، كما أن بين « العذار »
« ويعذر » في البيت قبله جناس الاشتقاق أيضا ليفيد هذا المعنى التعليلي :
والفعلان في عجز البيت : يسامح قلبي الخ يصح أن يكونا مبنيين للمعلوم أو للمجهول
« أحمد يوسف نجاشي » (٢) تقدم غير مرة التعريف بالنير ، ويريد
الشاعر أن يجعل من عاسن من يهواه ومن حلاه رياضاً ومنازه تنقي عن
المنظر البديعة بالشام (٣) الشرف اسم موضع « والشرف الأعلى : جبل
قرب زيد أيضا » وفي « الشرف الأعلى في البيت تورية ظاهرة » وكذا
في « العوارض » فهي اسم مكان ، ويراد بها هنا المعارضان وهما ، جانباً الوجه
وجانباً اللحية يشير إلى اخضرار بنت عارضيه « أحمد يوسف نجاشي »

وَادٍ بِهِ حَى الْحَبِيبِ نُزُولُ
حَيًّا مَعَاهِدُهُ أَحْيَا وَالنَّيْلُ
وَادٍ يَقُوحُ الْمِسْكُ مِنْ جَنَابَتِهِ
وَيَصِحُّ فِيهِ لِلنَّسِيمِ عَيْلُ
يَشْتَاكُهُ ، وَيَوْدُ لَمْ تَرَاهُ
شَوْقًا ، وَلَكِنْ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
مُتَقَلِّقُ الْأَحْشَاءِ مَسْئُولُ الْكَرَى
طَلَقَ الدُّمُوعَ فُؤَادُهُ مَسْئُولُ^(١)
يَصْبُرُ إِلَى الْأَثَلَاتِ^(٢) مِنْ وَادِي النُّضَى
وَيَحْنُ إِنْ خَطَرَتْ هُنَاكَ شَمُولُ^(٣)

(١) تله الحب : أسقمه وذهب بعقله وهيمه ، وتبت فؤاده : أصابته بتبل
أنى بسقام ووله ، قال كعب بن زهير :
بانت سعاد ، فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول
وقال جرير :

تبت فؤادك في المنام خريدة تسقى الضجيع يبارد بسام
وطلق الدموع أى مرسلها جارها ، فدموعه لاتزال سائلة «أحمد يوسف نجاشي»
(٢) الأثلاث جمع أثلة : وهو نوع من الشجر أو من الطرفاء ، أو هى السمرة
عضاهة طويلة يعمل منها نحو الأقنح ، والشمول : الحمر عرضت للشمال
فبردت وطابت ، والنضا : من شجر البادية ، يشبه الأثل الا أنه لا يعظم عظمة
الأثل ، ووادى النضا : موضع بنجد ، وأرض في ديار بني كلاب ، وقد

قَالُوا: تَبَدَّلْ! قُلْتُ: يَا أَهْلَ الْهَوَى
وَالنَّاسُ فِيهِمْ عَاذِرٌ وَجَهْلٌ
هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الْأَرْبَعِينَ مَسَافَةً
لِلْعُمُرِ فِيهَا يَحْسُنُ التَّبْدِيلُ؟
وَلَقَدْ هَفَا بِي فِي دِمَشْقَ مُهَفَّفٌ
يَسْبِي الْعُقُولَ رُضَابُهُ الْمَسْئُولُ^(١)
يَهْتَرُ إِنَّ مَرَّ النَّسِيمِ بِقَدِّهِ
وَيَعْمِلُ بِي نَحْوَ الصَّبَا قَائِمِلُ
أَبْدَى لَنَا بَرْدًا تَبَشُّمُ ثَغْرِهِ
وَإِذَا أَنْثَى فَقَوَائِمُ الْمَجْدُولِ^(٢)
لَزِمَ التَّسْلِسِلَ مَذْمَعِي وَعِذَارُهُ
فَأَنْظَرُ إِلَى الْمُهْجَاتِ كَيْفَ تَسِيلُ

أكثر الشعراء من ذكر وادي الفضا والتشوق اليه والتغزل بمن فيه .
« أحمد يوسف نجاشي » (١) هفا به : أسرع به وخف ، وهفا فؤاده في
أثر الشيء : اذا ذهب في أثره وطرب ، والمهفف : الضامر البطن الدقيق
الحصر الأهيف ، وهففهف : اذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميل ملاحظة
ويتثنى دلالة وجالا ، والرضاب : ماء الثغر وريقه (٢) البرد : حب الغمام
أو مطر جامد ، والمجدول : اللطيف الخلق لطيف القصب يحكم القتلى قوى

وَسَقَمْتُ مِنْ سُقْمِ الْجُفُونِ ، لِأَنَّهَا
 هِيَ عِلَّةٌ ، وَفُؤَادِي الْمَعْلُولُ
 لَا تَعْجَبُوا إِنْ رَأَيْتَنِي بِذَوَائِبِ
 فَالْإِلُّ هَوْلٌ ، وَالْمُحِبُّ ذَلِيلُ
 مَا صَحَّ لِي أَنَّ الدُّوَابَّ حَيَّةٌ
 حَتَّى سَعَتَنِي الْأَرْضُ وَهِيَ تَجُولُ^(١)
 وَقَالَ نَاطِرُ الْجَيْشِ عَوْنُ الدِّينِ بْنِ الْعَجَمِيِّ^(٢) :
 يَا سَائِقًا يَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ مُعْتَسِفًا
 بِضَامِرٍ لَمْ يَكُنْ فِي سَيْرِهِ وَانِي^(٣)
 إِنْ جُزْتَ بِالشَّامِ شَمَّ تِلْكَ الْبُرُوقُ ، وَلَا
 تَعْدِلْ - بَلَغْتَ الثَّمَنِي - عَنْ دِيرِ مُرَّانِ^(٤)

الأسر ، وساق مجدولة : حسنة الطي (١) في لفظ « حية » تورية ، فهي اماصفة من الحياة ، واما الحية تلك المعروفة ، يراد تشبيه الدواب « أى الغدائر والضفائر جمع ذؤابة » بها ، وتشبيه الدواب بالحيات مشهور معروف « أحمد يوسف نجاشي » (٢) عون الدين سليمان بن عبد المجيد العجمي ، ولد سنة ٦٠٦ ، وتوفي سنة ٦٥٠ بدمشق ، وهو ناظر الجيوش بها . « أحمد يوسف نجاشي » . (٣) اعتسف الطريق وتعصفه اذا سار فيه خابطا على غير هداية ، وقطعه دون صوب يتوخاه أو قصد يتجه اليه ، والضاير : المهزول ، والوانى : الفاتر الضعيف (٤) شام البرق يشيمه شيئا : اذا نظر اليه أين يقصد وأين يطر ، ودير مران

وَأَقْصِدْ أَعَالِي قَلَالِيهِ ، فَإِنَّ بِهَا
مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ مِنْ حُورٍ وَوِلْدَانٍ ^(١)
مِنْ كُلِّ يَنْضَاءٍ هَيْفَاءِ الْقَوَامِ ، إِذَا
مَاسَتْ فَوْأَ خَجَلِ الْمُرَانِ وَالْبَانَ ^(٢)
وَكُلَّ أَفْئَمَرَ قَدْ دَانَ الْجَمَالَ لَهُ
وَكَمَّلَ الْحُسْنَ فِيهِ فَرَطَ إِحْسَانَ

كان بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض
حسنة ، وبناؤه بالجص ، وأكثر فرشته بالبلاط الملون ، وكان ديرا كبيرا فيه
كثير من الرهبان ، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني ، والأشجار محيطة
به ، وفيه يقول أبو بكر الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الحلبي :

أمر بدير مران فأحيا وأجعل بيت الهوى بيت لهما
ويبرد غلتي بردى ، فسقيا لأياي على بردى ورعيا
ولى في باب جيرون ظباء أعاطها الهوى ظبيا فظبيا
ونعم الدار داريا ، ففيا حلالي العيش حتى صار أريا
صفت دنيا دمشق لمصطفى فليس يريد غير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق يحسن وشيا
مظلة فوا كهها بأبهى ال حناظر في نواضرها وأهيا
فن تفاعه لم تعد خذا ومن رمانة لم تخط ثديا

وبيت لهما : قرية كانت مشهورة بغوطة دمشق للشعراء فيها قول كثير ،
وتقدم التعريف بباب جيرون وداريا . « أحمد يوسف نجاشي » (١) القلالي
جمع قلية « كعية » وهي شبه الصومعة تكون في الكنائس ، وتسمى
أيضا القلاية ، وهي من بيوت العبادة (٢) المران : الرماح الصلبة اللدنة ، واحده
مرانة ، واسم شجرة تعمل منه الرماح ، والبان : شجر معتدل الأغصان مشهور تشبه

وَرُبُّ صُدُغٍ بَدَأَ فِي خَدِّ مُرْسِلِهِ
 فِي فِتْرَةٍ فَتَنَتْ مِنْ مِصْرٍ أَجْفَانِ (١)
 فَلَيْتَ رِيقَتَهُ وَرَدِي ، وَوَجَنَتَهُ
 وَرَدِي ، وَمِنْ صُدُغِهِ آسِي وَرَبِّحَانِي !
 وَعَجِبَ عَلَى ذِيْرِ مَتَّى ، ثُمَّ حَيَّ بِهِ الرُّ
 بَّاءُ بِطُرْمَسَ ، فَالْرُّبَّانُ رَبَّانِي
 فَهَمَّتْ مِنْهُ إِشَارَاتٍ ، فَهَمَّتْ بِهَا
 وَصُنْتُ مُنْشُورَهَا فِي طَيِّ كِثْمَانِ (٢)
 وَأَعْبُرْ بِذِيْرِ حُنَيْنٍ ، وَأَنْتَهَزِ قُرْصَ أَلِ
 لَذَاتِ مَا يَنْ قَسَيْسٍ وَمَطْرَانِ

به القدود في اعتداله وليته وحسن تثنيه ونضرته . «أحمد يوسف نجاتي»
 (١) لا يخفى التناصب بين «مرسل» و«فترة» و«فتنت» و«سحر»
 «أحمد يوسف نجاتي» (٢) فهمت الأولى من فهم يفهم ، والثانية من هام
 بهم - ودير متى كان بشرقي الموصل على جبل شامخ يقال له جبل متى ، من
 استشفه نظر الى رستاق نينوى والرج . وكان حسن البناء ، وأكثر بيوته
 منقورة في الصخر ، وفيه قيل :

يدير متى سقت أطلالك الدير واتهل فيك على سكانك الرهم
 فما شقي غلتي ماء على ظمأ كما شقي حر قلبي ماؤك الشهم
 « الرهم : الأمطار ، والغلة شدة العطش ، والشهم : البرد العذب » .
 «أحمد يوسف نجاتي»

وَأَسْتَجِلْ رَاحًا بِهَا تَحْيَا النُّفُوسُ إِذَا
 دَارَتْ بِرَاحِ شَمَامِيسٍ وَرُهْبَانٍ^(١)
 حَمَرَاءَ صَفَرَاءَ بَعْدَ الْمَرْجِ قَدْ قَذَفَتْ
 بِشَهَبِهَا مِنْ مُهُمُومِي كُلِّ شَيْطَانٍ
 كَمْ رُحْتُ فِي اللَّيْلِ أَسْفِيهَا وَأَشْرَبَهَا
 حَتَّى انْقَضَى وَنَدِيحِي غَيْرُ نَدْمَانٍ
 سَأَلْتُ تُومَاسَ هَمَّنَ كَانَ عَاصِرَهَا
 أَجَابَ رَمَزًا ، وَلَمْ يَسْمَحْ بِتَبْيَانٍ^(٢)
 وَقَالَ : أَخْبَرَنِي شَمْعُونُ يَنْقُلُهُ
 عَنْ ابْنِ مَرْيَمَ عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ
 بِأَنَّهَا سَفَرَتْ بِالطُّورِ مُشْرِقَةً
 أَنْوَارُهَا ، فَكُنُوا عَنْهَا بِنِيرَانٍ
 وَهِيَ الْمُدَامُ الَّتِي كَانَتْ مُعْتَقَةً
 مِنْ عَهْدِ هَرْمُسَ مِنْ قَبْلِ ابْنِ كَنْعَانَ^(٣)

(١) الراح أولا : الحمر ، وثانيا : جمع راحة وهي اليد (٢) عاصرها من المعاصرة ، أو عصر الحمر بعصرها (٣) المعتقة : الحمر القديمة التي عتقت زمانا حتى قدمت . « أحمد يوسف نجاشي »

وَهِيَ الَّتِي عَبْدَتْهَا فَارِسٌ، فَكُنِي
 عَنْهَا بِشَمْسِ الضُّحَى فِي قَوْمِهِ مَانِي^(١)
 سَكِرْتُ مِنْهَا فَلَا صَحْوٌ، وَجُدْتُ بِهَا
 عَلَى النَّدَامَى، وَلَيْسَ الشَّخُّ مِنْ شَانِي
 وَسَوْفَ أَمْنَحُهَا أَهْلًا، وَأَنْشِدُهُ
 مَا قِيلَ فِيهَا بِتَرْجِيْعٍ وَأُلْحَانٍ
 حَتَّى تَمِيلَ لَهَا أَغْطَافُهُ طَرَبًا
 وَيَنْتَنِي الْكَوْنُ مِنْ أَوْصَافِ نَشْوَانٍ
 وَهَذِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي دِمَشْقَ عَلَى الْخُصُوصِ فَلَا
 تَخْرُجُ عَمَّا نَحْنُ بِصَدِيدِهِ، وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَدِيَابَجَةُ هَذِهِ
 الْقَصِيدَةُ عَلَى نَسَجِ طَائِفَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ. وَيَمُنُّ حَاكُ^(٢) هَذِهِ
 الْبُرُودَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَقِيلَ إِنَّهُ الشَّيْخُ
 شَعْبَانُ النَّحْوِيُّ .
 « رَجَعُ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

(١) ماني : صاحب دين المجوس (٢) حاك : نسج ، والبرود جمع برد :
 وهو الثوب المنقوش الموشى ، ويريد بالشيخ الأكبر محي الدين بن العربي
 (٢٤ - نفع الطيب - ثامن)

شَوْقِي يَزِيدُ، وَقَلْبُ الصَّبِّ مَا بَرَدَا
وَبَانَ يَأْسِي مِنَ الْمَعْشُوقِ حِينَ غَدَا^(١)
وَمَدَمِي قَنَوَاتٌ، وَالْعَدُولُ حَكِي
تَوَرَّى، يَلُومُ الْقَتَى فِي عِشْقِهِ حَسَدَا
حَلَى مُغْنِيَةٍ بِالْجَنكِ جَاوِبَهَا
شَبَابَةٌ كَمْ بِهَا مِنْ عَاشِقٍ سَهْدَا^(٢)
فَالْبَدْرُ جَبَّهَتْهَا، وَالرُّدْفُ رُبُوبَهَا
وَحَلَّهَا مَاتَ فِي خَلْخَالِهَا كَمَدَا

(١) يزيد، وبردي، وثوري: أنهار، وتقدم التعريف بها، والمعشوق: اسم موضع أو قصر، وفي أسبأها كلها تورية، وكذا في «قنوات» واسم المعشوق مأخوذ من اسم قصر عمره الخليفة المعتمد بالله العباسي بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامرا في وسط البرية بينه وبين تكريت مرحلة، وكان بمصر رباط به آثار شريفة يسمى رباط المعشوق، وفيه يقول بدر الدين بن الصاحب:

لنا رباط وبالمعشوق شهرته آثار خير الوري فيه بتحقيق
يصبو فؤادي لآراه، ولا عجب أن هام قلبي في آثار معشوق

وقال آخر:

أتيت إلى المعشوق من بعد فرقة وهجر، وقلبي بالنوى يتضرم
فقابلني والثغر بالزهر باسم وما أحسن المعشوق بالصبيسم
ولد بدر الدين بن الصاحب سنة ٧١٦، وتوفي سنة ٧٨٨ «أحمد يوسف نجاشي»
(٢) شبابة: مزار من القصب ينفخ فيه - مولدة، وتقدم التعريف بالجناك من مواضع دمشق، وفيه هنا تورية، إذا الجناك أيضا كما تقدم من آلات الطرب كالعود، وفي البيت الأخير توجيه لبعض أسماء الأماكن بدمشق، وهو ظاهر «أحمد يوسف نجاشي»

﴿ انتهى الجزء الثامن من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ﴾
ويليه الجزء التاسع ان شاء الله تعالى وأوله
﴿ ولنذكر نبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه ﴾

حقوق الطبع محفوظة لناشره

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

جميع النسخ موهورة بتوقيع ناشره

فهرست

الجزء الثامن من كتاب نفع الطيب

اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
كلية الهاد الأصفهاني	٣	٤
أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المنسي	٥	١٦١
عبد الملك بن سعيد	١٦١	١٦٢
موسي بن سعيد والهابن سعيد صاحب الترجمة المتقدمة	١٦٢	١٦٣
قلعة بني سعيد	١٦٣	١٦٤
عبد الله بن سعد بن عمار وهو أول جد لابن سعيد	١٦٤	١٦٤
دخل الأندلس		
أبو بكر محمد بن سعيد	١٦٤	١٦٥
أبو العباس أحمد الفسافي كاتب ملك افريقية	١٦٥	١٦٦
عود الى سيرة ابن سعيد	١٦٦	١٦٨
أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عمار بن ياسر	١٦٨	١٦٨
أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد	١٦٨	١٧١
مولد أبي عمران موسى بن محمد	١٧١	١٧١

اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
مولد محمد بن عبد الملك وهو والد أبي عمران موسى ابن محمد	١٧١	١٧٥
مولد عبد الملك بن سعيد وهو والد محمد بن عبد الملك المتقدم	١٧٥	١٧٦
الكلام على فسطاط مصر	١٧٦	٢٠٦
أخبار والد ابن سعيد	٢٠٦	٢١١
وصية والد ابن سعيد لابنه علي بن سعيد المغربي	٢١١	٢٤١
عود الى أبي الحسن بن سعيد	٢٤١	٢٥٣
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد	٢٥٤	٢٦١
أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبي المعروف بابن المأبد	٢٦١	٢٦٢
أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الأنصاري	٢٦٢	٢٧١
أبو بكر حميد بن محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله الأنصاري	٢٧١	٢٧٤
اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع النافقي	٢٧٤	٢٧٥
محمد بن عبد الرحمن بن علي محمد التنجيني الاشيلي	٢٧٥	٢٧٦
أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي	٢٧٦	٢٧٦
وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمري السرقسطي	٢٧٧	٢٧٧

اسم صاحب التعريف	الصفحة	
	من	الى
عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيى الرندى	٢٧٨	٢٧٨
أبو الربيع سليمان بن أحمد الينينى الأندلس	٢٧٩	٢٧٨
أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي	٢٨١	٢٨٠
أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى	٢٩٣	٢٨٢
وصف دمشق فى رحلة ابن جبير	٢٩٦	٢٩٤
وصف مسجد دمشق فى رحلة ابن جبير أيضا	٣٠٠	٢٩٧
ما قيل فى دمشق من أقوال الشعراء	٣٣٠	٣٠٠
محمد بن نصر الدين بن عنين وشىء من أخباره وشعره	٣٤٤	٣٣٠
موازنة أدبية شعرية بين الشام ومصر	٣٥٥	٣٤٥
الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر	٣٥٩	٣٥٥
الأمير أبو الحسن سيف الدين على بن عمر بن قزل بن المشد التركمانى	٣٧٠	٣٥٩



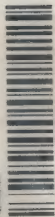
مكتبة ومطبعة

عَلَيْتِي النَّبِيُّ الْجَلِيلِيُّ وَسُبْحَانَكَ

شارع خان جعفر بجوار سيدنا الحسين بمصر

تليفون رقم ٥٠٨٥٦

Bibliotheca Alexandrina



0432223